الفيصل

Mngool.com

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٩٠) - ربيع الثاني ١٤١٣هـ (أكتوبر) ١٩٩٢م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (190) OCT. 1992

من عباقرة العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية العربية

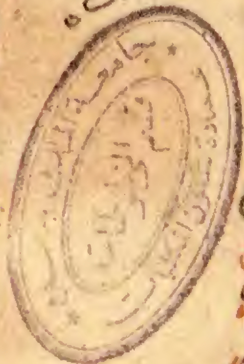
النوم أسراره وخفاياه



ابن بطوطة

قطع ٧٥ ألف ميل في ثلاثين عامًا





بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الفصل الثاني في جوامع المواعظ والخطب

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى
وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد
وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها
وشر الأمور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء
وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر
العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما
كثر وألهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس
من لا يأتي الصلاة إلا دبرا ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا وأعظم الخطايا اللسان
الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى
وخير ما وقر في القلوب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية
والغلول من جثا جهنم والكنز كي من النار والشعر من مزامير إبليس والخمر
جماع الإثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر
المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره
والشقي من شقي في بطن أمه وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع و
والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب وكل ما هو
آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله
وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن
يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية
يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضاعف الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٩٠) ربيع الآخر ١٤١٣هـ — السنة (١٦) — تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م

إطلالة

هذا الملتقى الثقافي

ظاهرة حضارية أن تتعدد الملتقيات الثقافية في بلادنا العربية والإسلامية، فهذه الملتقيات - بتعددها وتنوعها - إنما تُعد تعبيراً عن تفاعل الإنسان مع بيئته؛ بالإضافة إلى دورها في طرح الرؤى الفكرية وتعميقها ومناقشة القضايا التي تتعلق بثقافتنا وخصوصيتها، وتميزنا بصفتنا أمة إسلامية لها ثوابتها ومعارفها الإنسانية التي لا تتعارض مع هذه الخصوصية وتلك الثوابت.

وملتقى أبها الثقافي قد أضحى - بالفعل - تظاهرة حضارية وفكرية؛ ببرنامجه الذي استمر أسبوعاً حفل بتلاحم فكري مميز بين أهل الثقافة وأعلام الأدب والفكر والفنون، من خلال اللقاءات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والاهتمام بالكتاب وإقامة معرض ضم آلاف العناوين في مناحي المعرفة، وتكريم الفائزين بجائزة أبها الثقافية لهذا العام في مجالات البحث العلمي، والشعر الفصيح، والشعر النبطي، والرواية، والفن التشكيلي، والمسرح.

فقد أظهرت الحوارات والمداخلات رؤية عميقة واعية بقضايا أمتنا العربية والإسلامية، تجسّد أصالتنا وانتماءاتنا وهويتنا بعيداً عن دعاوى الزيف ومزالق التبعية، فكان الملتقى كما أراد له أميره وراعيه، حيث ما برح يؤكد على ذلك في كل مناسبة يجتمع فيها مع ضيوف الملتقى.

إن حرص عدد كبير من أصحاب القلم على الحضور والمشاركة وإثراء هذا الملتقى بأفكارهم حول طروحات كثيرة في التنمية، والطفل، والفكر السياحي، والتربية وغيرها مما يناقشها الملتقى في عامه القادم - بمشيئة الله - هذا الحرص دليل على الوعي الذي يسري في كيان الإنسان السعودي، وهو ثمرة من ثمار النهضة الشاملة التي تشهدها المملكة والتي بدأت بتوحيد هذا الكيان الكبير المترامي الأطراف بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على يد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه.

فميزة ثقافة هذا البلد أنها عميقة في مقاصدها، لا تنتهي بانتهاء مرحلة أو تتبدل بتغيير ظرف أو زمن، فهي تنبثق من الإسلام الذي تدين به أمتنا الإسلامية عقيدة وشريعة ومنهاجا.

وعلينا أن نكون في مستوى هذه الثقافة: أصالة وثراءً وخصوصية وتنوعاً.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

● المراسلات

مجلـة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.

هــاتف: ٢٦. ٤٦٥٣ ـ ٢٧. ٤٦٥٣ ـ تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

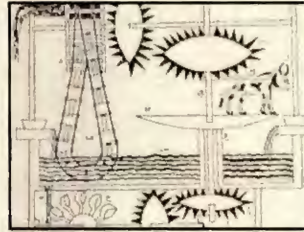
Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٤٨ كثير من الاكتشافات الحديثة سبق إليها علماء الحضارة العربية والإسلامية



ص ٦٧ النوم.. نشاط يمارسه جميع الكائنات، ولكنه عالم لا يزال غامضا نعرف عنه القليل.



ص ٧٩ ضحايا الزلازل هل يمكن التقليل منهم عن طريق توقعها قبل حدوثها؟



ص ١٠٢ كيف يمكن تنمية السلوك الإبداعي عند المعوقين؟

مستقبل مشرق للثقافة في بلادنا

كتب المحرر الثقافي :

لأن ثقافة هذه البلاد المقدسة إنما تمثل تاريخ حياتها، بما فيها من تفاعل خلاّق بين ذلك المركّب الكلّي الذي يشمل العقيدة والشريعة والتعليم والعلوم والصناعة و التجارة والفنون والآداب والقيم والأعراف والتقاليد وفنون الاتصال والأخلاق وغيرها، فالشواهد تقول إن مستقبل هذه الثقافة ــ بإذن الله ـ مشرق وزاهر ومتصاعد التنامي لخدمة الإنسان فوق هذه الأرض المباركة، شأن الثقافة في ذلك كشأن النشاطات الأخرى، والتي تتكامل وتتواصل في تناغم فريد لبناء الإنسان السعودي على أسس ثابتة تُوازن وتوائم بين الأخذ بأحدث أساليب التغيير الاجتماعي الشامل، و المحافظة على القيم الإسلامية التي تأسس عليها هذا البناء الشامخ منذ قيام الدولة السعودية.

وتأسيس هذا الكيان الكبير يمثل ملحمة تاريخية بدأت أولى ثمراتها بلقاء الدرعية (عام ١١٥٧هـ) بين الإمام محمد بن سعود والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذا اللقاء الذي يمثل ميلادًا للدولة السعودية الأولى وبداية لتاريخ هذا البلد الحديث ونهضته الدينية والسياسية والفكرية في شبه الجزيرة العربية لرفع راية التوحيد والعودة إلى الإسلام الصحيح والمنهج الواحد في العقيدة الإسلامية والدين الحنيف، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة من آثار السلف الصالح والقضاء على العصبية المذمومة والبدع والخرافات التي أدى بعضها إلى الشرك. ثم جاء الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ ليسير على النهج ذاته ويحمل الراية ويجدّ ويجتهد ويتحمل المشاق ويتعرض للأخطار ضارباً على أيدي الأشرار وأهل الفتن، فتجتمع القبائل من حوله، وتتواصل مسيرة الإصلاح في المجالات جميعها لتكسر حواجز الجمود والتخلف، ثم تكون النقلة الحقيقية والحضارية للبلاد عندما تتحقق معجزة توحيد البلاد المترامية الأطراف - بحجم قارة (٢,٢٥٠,٠٠٠ كم مربع تقريبًا) في دولة إسلامية كبرى هي «المملكة العربية السعودية»: مملكة العقيدة المنجية، والشريعة المنظمة، والوحدة الراسخة والأمن المكين الواعد، والبناء والعمران، والقوة والسلام، فيعم الاستقرار أنحاء البلاد ويستظل السعوديون وضيوف بيت الله براية العدل والاطمئنان، حيث أصبح «الشرع أساس المُلك» بعد أن كان سيف القوة والسطو والجهل والجوع والتناحر والخلافات والانتماءات المتعددة من سمات حياة إنسان الصحراء.

وتسلّم الراية خادمُ الحرمين الشريفين ـ يحفظه الله ـ فقاد قفزة تحضر واعية تقوم على أسس التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتثبيت العدل بين الناس وتوفير الأمن وتحقيق التطور في أنحاء البلاد، وفي الوقت ذاته تحقيق دور رائد ومؤثر للمملكة في العالم كله يليق بما كرّمها الله به من تشريف ربّاني وحكمه إلهية عندما اختارها مهبطًا للوحي ومنبعًا للنور ومهدًا لآخر الرسالات السماوية للبشرية جمعاء وخدمة الحرمين الشريفين.

فقد قدّمت المملكة للعالم الدليل الساطع على بناء دولة إسلامية عصرية حديثة: إنسانا ومكانا، من غير أن تنزلق إلى مخاطر هوجات «التحضر» المفتقر إلى القيم الدينية والأخلاقية السامية، هذه المخاطر التي «شيأت» الإنسان وجعلته مجرد «ترس» وآلة لا قلب لها. وأصبح تاريخ المملكة سجلاً حافلاً بالإنجازات على مدى اتساعها الكبير شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، في تنظيم

دقيق مُحكم عبر أربع عشرة إمارة يتلاحم أهلها جميعهم في ملحمة تنبض إخاءً وتراحمًا ووفاءً وعرفانا و إخلاصًا لهذا البناء الشامخ : الوطن .

تنمية ثقافية

لقد حققت البلاد إنجازًا كبيرًا يتمثل في استمرار حركة التطوير والتنمية في المجالات العامة من صحة وتعليم وزراعة و إسكان وطرق وشبكة اتصالات عالمية وغيرها .

فالمملكة الأولى في العالم في إنتاج المياه المحلاَّة (٥٧٤ مليون جالون يوميا بنسبة ٣٠٪ من الإنتاج العالمي) . وهي في دول المقدمة إنتاجًا للقمح (تصدره إلى ٣٤ دولة) بعد أن تضاعفت الأرض الزراعية أكثر من عشر مرات . وجهودها جبارة في التعليم ، والصحة ، والتدريب . . . إلخ . والتفاصيل كثيرة .

وقد أسهمت المؤسسات الحكومية والأهلية جميعها وباختلاف تخصصاتها في النهضة الشاملة التي شهدتها البلاد ، وأدى التفاعل بين هذه المؤسسات وقيامها على أسس ثابتة إلى تميزها وتفرّدها ، فقد استمدت من القرآن الكريم ـ دستور المملكة العربية السعودية ـ ثقافتها الإسلامية التي تميزها عن سائر الدول التي لا تدين بدين الإسلام وتتخبط بين أيديولوجيات لا تقدّر الإنسان (الذي كرّمه الله) حق قدره ، فالمنهج الإسلامي الذي تسير عليه ثقافتنا يفسر أوجه السعي البشري ـ فكرًا و إعمارا ـ وفق قواعد ثابتة ، هي :

ـ أن الله تعالى يُسَيِّر أحداث الحياة وحركة البشر ومصائر الأمم والشعوب وقيام الدول وفق مشيئته .

ـ أن للإيمان أثرا حقيقيا خيّرا في النفس والمجتمع .

ـ أن الإيمان الصالح والعمل الصالح هما قوام النجاح في الدنيا والفوز في الآخرة .

ـ أن الأخذ بمنهج الإسلام هو طريق الخير والتثبيت والاستقامة على الطريق السويّ في النيات والأقوال والأفعال .

ـ أن الغاية العظمى من وجود الإنسان ومن حركته وسعيه هي عبادة الله سبحانه وتعالى .

وانطلاقًا من هذا المنهج الراشد بُذلت جهود جبارة للنهوض بالبلاد في المجالات جميعها : مكانا و إنسانا ، تمكينا للدين ، وبناءً للدولة ، ورعاية لمصالح الناس ، بما يتناسب مع خصوصية هذه الأرض التي فيها أول بيت وضع لعبادة الله وحده ، والتي اصطفى الله منها محمدًا نبيًّا ورسولاً ، والتي منها نشأت اللغة العربية : لسان القرآن الكريم ولغة أهل الجنة .

لقد تضافرت السياسات الثقافية والإعلامية والتعليمية للإسهام بشكل فعال في بناء إنسان الجزيرة العربية بما يحفظ له شخصيته المسلمة ذات الجذور الراسخة والأصالة العريقة ، مع الانفتاح على منجزات العصر (حسب المعيار الشرعي) فكانت المشروعات العملاقة والخطط التنموية التي تعضد هذا التميز والتفرد .



مكتبة الملك فهد الوطنية : أبرز المعالم الثقافية في المملكة

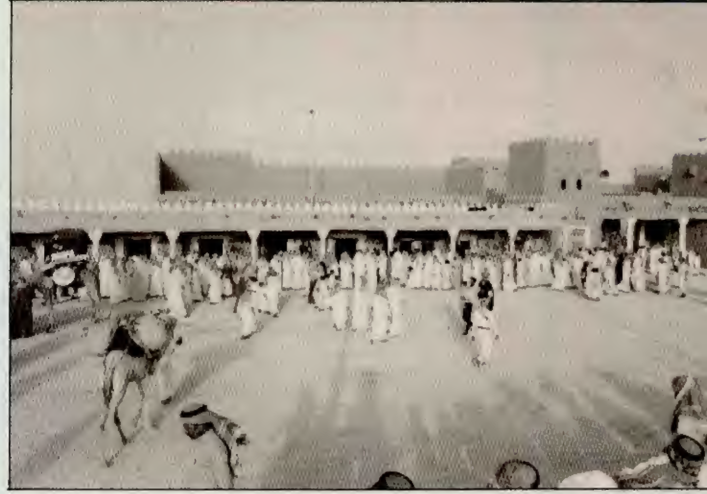
فهذه السياسة الثقافية للبلاد عبر خططها التنموية ترسم خطوط تطوير الشؤون الثقافية في أنحاء المملكة من خلال توسيع الخدمة وتحديثها في المؤسسات الثقافية - حكومية وأهلية - مثل : الجامعات والرئاسة العامة لرعاية الشباب والنوادي الأدبية ودارة الملك عبد العزيز والمكتبات والمؤسسات الخيرية التي تهتم بإشاعة الثقافة والفكر مثل : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ومؤسسة الملك فيصل الخيرية وغيرها .

فمكتبة الملك فهد الوطنية بجانب مسؤوليتها عن طلب وحفظ نسخ من جميع المطبوعات التي تنشر في المملكة ؛ تؤدي مع المكتبات الأخرى وظائف متعددة جعلتها مراكز إشعاع فكري ، منها اقتناء مجموعات نموذجية من الإنتاج الفكري الوطني والأجنبي ، والعمل كمراكز معلومات ، مما جعل هذه المكتبات المنتشرة في أنحاء البلاد ـ بجانب الجهود الأهلية ـ تعج بروّادها من طالبي العلم والتزود بالثقافة ، خاصة وأن هذه المكتبات قد جهّزت بأحدث التقنيات وضمّت أقسامًا متعددة ومتنوعة للأطفال والباحثين وهواة الاطلاع والقراءة .

ثقافة وفنون

ولأن الثقافة والفنون من أبرز الصفات التي ينفرد بها الإنسان على سائر المخلوقات والكائنات الأخرى ، فالمتتبع لمسار الحركة الثقافية في البلاد خلال العقود الستة الأخيرة يجدها قد ازدهرت بشكل ملحوظ لفت أنظار النقاد والمنصفين في العالم إلى هذا الازدهار الثقافي الجلي الذي امتزج فيه تراث الحضارات القديمة بالنبع الإسلامي ، فانفرد بخصائص مميزة تحمل التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ؛ والتنوع عبر الزمان والمكان .

وإذا كان الاستقرار (في المجالات المتعددة) قد فتح آفاق التقدم للثقافة والفنون ، فالدولة قد هيأت المناخ المناسب وأنشأت أجهزة وأعدت كوادر متخصصة لذلك ، وهذه الأجهزة كلها تتكامل من أجل الإسهام في بناء الوطن وإعداد المواطن . فالرئاسة العامة لرعاية الشباب - على سبيل المثال - تعمل على دفع الحركة الثقافية والفنية مع وزارة الإعلام التي كانت تقوم وحدها بهذا العبء ، وقد خصصت الرئاسة إدارة خاصة بها (الشؤون الثقافية) لهذا الغرض ، وأنشأت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بمدينة الرياض ـ


المهرجان الوطني للتراث والثقافة: ذروة النشاط الثقافي السنوي

العاصمة ــ للارتقاء بمستوى الثقافة والفنون في المملكة، ورعاية الأدباء والفنانين السعوديين والعمل على رفع مستواهم الثقافي والفني والاجتماعي وتأمين مستقبلهم وتوجيههم لما يخدم مجتمعهم، وتبنّي المواهب الشابة وإتاحة الفرصة لهم لإبراز تفوقهم ونبوغهم داخل إطار ملتزم بالقيم والأصالة، وتمد الجمعية خدماتها في أنحاء البلاد المختلفة، ولها إصداراتها الفكرية ومعارضها الفنية ولقاءات المفكرين وأهل الثقافة بروّادها. وفي إطار التكامل بين المؤسسات الثقافية تقوم النوادي الأدبية والثقافية في المملكة بدور كبير في المجال نفسه، وهذه الأندية هي:

- ☐ نادي جدة الأدبي
- ☐ نادي الرياض الأدبي
- ☐ نادي المدينة الأدبي
- ☐ نادي مكة الأدبي
- ☐ نادي جيزان الأدبي
- ☐ نادي الطائف الأدبي
- ☐ نادي المنطقة الشرقية الأدبي
- ☐ نادي القصيم الأدبي
- ☐ نادي أبها الأدبي

وقد أسهمت هذه الأندية بشكل كبير في نشر الأدب والثقافة بين أعضائها ونشر الوعي بين الجماهير، وذلك من خلال عقد الندوات، والمحاضرات، ودعوة مشاهير الكتّاب والشعراء، والقصاصين، وعقد حلقات للبحث والمناقشة، وتنظيم المناظرات، وإجراء البحوث وتشجيع التأليف في الأدب والثقافة، واستخدام الوسائل الاتصالية في رفع المستوى الثقافي والفكري، وتعج هذه الأندية بروّادها وحلقات مناقشاتها وورشها الأدبية، ويسهم في نشاطاتها عدد كبير من المفكرين والأدباء والنقاد في المملكة، بالإضافة إلى ضيوفها من خارج البلاد للمشاركة في إلقاء الضوء وإحداث مزيد من التفاعلات حول القضايا المهمة في الأدب والثقافة.

وإذا كانت الجمعية العربية للثقافة والفنون لها إصداراتها، فللأندية الأدبية إصداراتها المتميزة والتي تركز بصفة خاصة على النصوص الإبداعية في القصة القصيرة والرواية والشعر، فعن طريق هذه الإصدارات عرف القرّاء كثيرين من مبدعي هذه الفنون واهتموا بأعمالهم.

ومع مرور السنوات تتوسع أهداف التنمية الثقافية في المملكة، فهناك توسع كبير في التعليم في مستويات متعددة، بالتزامن مع جهود وتعليم الكبار ومحو الأمية، تشجيع المواهب الشابة على مزاولة النشاط الثقافي، تنظيم المحاضرات والمهرجانات والملتقيات لنشر الثقافة العامة، ومنها ملتقى أبها الثقافي، والاهتمام بالآثار والقيام باستكشافات مكثفة لهذا الغرض، وإنشاء متحف وطني لإتاحة الفرصة أمام المواطنين لزيادة معلوماتهم عن تراث الأجداد الثقافي والاجتماعي، وزيادة تفهمهم لهذا التراث، ومن ذلك المهرجان السنوي للتراث والثقافة (الجنادرية) الذي يقدم أصالة الماضي لتتعانق مع الحاضر في تناسق منسجم مع خصوصية بلادنا المقدسة وانطلاق الرسالة الإسلامية منها إلى بقاع العالم لهداية البشرية، وذلك كله ضمن ثوابت تحافظ على القيم الدينية والأخلاقية مع اللحاق بركب التطور.

وعلى النهج ذاته تقدمت المملكة بخطى واسعة في مجال التعليم، انطلاقا من أن طلب العلم فريضة على كل فرد بحكم الإسلام، ونشره وتيسيره ــ في المراحل المختلفة ــ واجب على الدولة. فكانت رياض الأطفال والمدارس في المستويات المختلفة، لتصب في النهاية في سبع جامعات وكليات للبنات وعشرات الكليات والمعاهد العسكرية، في تعاون وتنسيق واهتمام تام بينها بالبحوث العلمية والاكتشافات والمخترعات.

فالجامعات تؤدي رسالتها التعليمية والبحثية والثقافية على أكمل وجه منذ بداية التعليم العالي في المملكة عندما أنشئت كلية الشريعة في مكة المكرمة في عام ١٣٦٩هـ، ثم كليتا الشريعة واللغة العربية في الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيما بعد - في عام ١٣٧٣هـ.

وأصبحت هذه الجامعات ركيزة أساسية من ركائز النهضة الشاملة في البلاد، حيث بلغ عدد الكليات في هذه الجامعات ٨٣ كلية (١٤ كلية للإناث و ٦٩ كلية للذكور) تضم ٧١٩٩٣٥ طالبًا و ٦٠٨٩٢ طالبة. وبلغت ميزانية التعليم العالي وحدها (٦,٠٩٧,٢٩٥,٤٥٣) ريالاً.

وتعد المؤسسات الإعلامية ترجمان مقومات الأمة، والمعبر عن وجهتها وقضاياها ومصالحها.

إن ما ذكر يأتي في سياق الحديث عن سياسة الثقافة وواقعها في المملكة العربية السعودية، وإن ذكر هذه المؤسسات الثقافية لا يعني حصرها بأية حال من الأحوال، فهناك مؤسسات كثيرة تقوم على رعاية الثقافة وتنميتها وتسهم مع ما تقوم به أجهزة الدولة الأخرى، حيث تضم كل وزارة ومصلحة حكومية إدارة أو قسماً يهتم بأمور الثقافة والنشر والتوعية، وأوضح دليل على ذلك ما تقوم به إدارات الثقافة والتعليم والشؤون العامة والشؤون الدينية في وزارة الدفاع والطيران والحرس الوطني وغيرهما من الوزارات، مما يظهر إنتاجه سنويا في مناسباتها الثقافية وإصداراتها الفكرية والعلمية والثقافية.

كيف واجه المسلمون مشكلة ندرة المياه؟

بقلم: خالد محمد عزب

يتوقع خبراء السياسة أن تكون الحروب القادمة حول مصادر المياه، وبصفة خاصة في العالم العربي، وسوف تؤثر مصادر المياه على العلاقات بين دول الشرق الأوسط، ولعل هذا ما دفع كلية العلوم بجامعة المنوفية بمصر إلى مناقشة استغلال موارد المياه في العالم العربي وذلك ببحث للدكتور مغاوري شحاتة دياب عميد الكلية حول هذا الموضوع.

الماء عصب الحياة وعامل لنشوء الحضارات في حالة توفره كما أنه عامل من عوامل إنتهائها في حالة ندرته، فعندما لا تتوفر في مدينة ما أسباب الزرع وتربية الحيوان، أي عندما لا يتوفر فيها **الماء الكافي** للريّ والإرواء فإنها لا تلبث أن تضمحل وتنتهي والأمثلة على ذلك كثيرة. فمدينة **العمار** في صحراء **راجاسان بالهند**، وكانت إحدى المحطات الهامة على طريق القوافل فقدت أهميتها وهُجِرَت نتيجة لنقص الماء.

ولكن يبرز سؤال مهم هو: كيف واجه المسلمون مشكلة ندرة المياه؟

ولنعود بالذاكرة إلى العصور الإسلامية الأولى، ففي **الربذة** تم الكشف عن منشآت مائية متنوعة منها برك المياه الكبيرة، وكانت تستخدم لحفظ مياه الأمطار والسيول. وكذلك وجد بها نظام دقيق لخزن المياه داخل المنازل السكنية في خزانات أرضية حفرت وبنيت بطريقة هندسية بارعة تحت مستوى أرضيات الغرف والساحات السكنية(١). وفي **الطائف** بُني في عصر **بَني أمية** عدد كبير من السدود من أشهرها سد **سيسد** الذي بني في عام ٥٧هـ (٢).

وعانت **جدة** من ندرة المياه كثيراً، فحينما زارها **البشاري** وصفها بأنها عامرة، أهلها أهل تجارات ويسار... وأهلها في تعب من الماء، وفي منتصف القرن الخامس الهجري قدم **ناصرو خسرو** وشاهد **جدة** ووصفها وأفاد بعدم وجود الأشجار والزرع رغم ازدهارها العمراني، وسبب ذلك قلة الماء. وقد عني السلطان قانصوه الغوري عندما كان حاكماً **للحجاز** بأزمة المياه وتحويل مياه الشرب من الصهاريج التي تجمع بها مياه السيول والأمطار إلى المياه العذبة التي جلبت من المناطق الغربية من **جدة**. فجلب الماء من «**وادي قوس**» الواقع شمال **الرغامة**. **والرغامة** تبعد عن جدة حوالى ١٢ كيلو متراً(٣).

ولقد حرص **الخلفاء العباسيون** على توفير المياه لعاصمتهم **بغداد** فأقيمت في عهد **المنصور** قناة تأخذ مياهها من **كرخايا - إحدى روافد الفرات** - وتجري في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالآجر من أعلاها، يتنفذ في شوارع **بغداد** صيفا وشتاء، وقد صممت على أن تكون دائمة الجريان طوال أيام السنة، وتتابع اهتمام **خلفاء بني العباس في شق الأنهار والقنوات إلى بغداد** وضواحيها لتوفير المياه عصب أية مدينة(٤). وكانت **الموصل** تشكو من قلة المياه فيها، فسعى أميرها **الحر بن يوسف** لشق نهر إلى داخلها أكمله من بعده **خالد بن تليد**(٥).

استخدمت أساليب أخرى أكثر تركيباً من الناحية الانشائية في توصيل الماء من مصادره البعيدة المنخفضة عن مستوى موضع المدينة أو المرتفعة عنها، كإنشاء القناطر التي يعلوها مجرى لنقل الماء، حيث يرفع إليها الماء بواسطة السواقي من المكان المنخفض مثل قناطر ابن طولون والتي مازالت بقاياها وقطاعات منها واضحة في شرق قرافة الإمام الشافعي بالقاهرة(٦).

وتدين العاصمة الأسبانية **مدريد** بفضل سقياها وريعها بل وحياتها كلها إلى نظام مبتكر، عرف **المسلمون** كيف يتقدمون به تقدماً عظيماً جديراً بالإعجاب. أما عن نسبته إلى المسلمين مؤسسي **مجريط** فأمر لا يمكن أن يكون فيه أدنى شك، وإن كان بعض من عرفوه من مؤرخي **مدريد قد حاولوا نسبته إلى الإغريق أو الرومان** غير أن ذلك لا تشهد به السوابق التاريخية، **فالإغريق**

والرومان لم يكن لهم أبدا تفوق ولا خبرة بهذا النظام، صحيح أن **الرومان** برعوا في بناء مجارى ضخمة رفعوها على قواعد هائلة من الصخر ولكن مجاريهم كانت من النوع الظاهر على سطح الأرض، غير أنهم لم يكن لهم قط تمرس بأمثال تلك القنوات الجوفية المحفورة في باطن الارض مما يسهل معه القطع بأن تلك التي نراها في **مدريد** تدين بفضل إنشائها إلى **العرب** كما تدين لهم المدينة نفسها بوجودها.

وتطلعنا الأبحاث التي أجراها **الأستاذ أوليفرآسين مؤرخ مدريد** على حقيقة طبيعة الأرض في **مدريد**، فهذه الهضبة المنبسطة التي تقوم عليها المدينة تتألف من طبقتين أرضيتين: الأولى والعليا أرض رملية تتشرب الماء تليها من أسفل طبقة أخرى من طين أحمر يضرب إلى الصفرة مصمت لا يمتص الماء، ومن تحت هذه الطبقة توجد مياه غزيرة عذبة(٧).

فخّار مدريد

ولا بد أن المسلمين بمقتضى خبرتهم في استخراج هذه المياه الباطنة عن طريق المجاري الجوفية قد بدأوا بهذه الأبحاث «الجيولوجية» في أرض **مجريط**، واكتشفوا هذه الثروة المائية الهائلة التي تحتفظ بها المدينة في باطن الأرض، وهكذا طبقوا فيها ما كانوا يعرفونه من تلك النظم الإسلامية التي نقلوها من **المشرق الإسلامي** فقد وجدت في **نيسابور ومرو وفي الجزيرة العربية**.

وتتجلى مقدرة المهندسين المسلمين في التمكن من حساب العمق الذي توجد عليه تلك المياه الجوفية ثم حفر آبار تصل إليه والتوصيل بعد ذلك بين هذه الآبار بقنوات يراعى فيها أن تحفر في الطبقة الأرضية التي لا تمتص الماء وأن تكون منحدرة إنحداراً خفيفا يسمح بإجراء الماء بغير توقف، وقد كانت هذه القنوات تصنع من فخار **مدريد** نفسها، وهو فخار ممتاز نوه **الجغرافيون العرب** أنفسهم بأنه من أجود ما يعرف من الأنواع، إذ هو مصمت لا يتشرب السوائل قوى متماسك لامع يشبه الخزف.

ويكون حفر تلك الآبار في مواضع مرتفعة عن مستوى المدينة وفي ضواحيها الخارجة عنها، أما القنوات الجوفية فتتجه مقتربة من المدينة، وهي



جدة عانت قديما من ندرة المياه

تتألف من قناة ضخمة تعتبر هي «الأم» ومنها تتفرع في داخل المدينة شبكة معقدة من قنوات صغار فرعية. وفي كل «عقدة» يتجمع عندها عدد من تلك الفروع يقام خزان أو مستودع يجتهد في حمايته ووقايته بالطوب والفخار، وهذه الخزانات هي التي يتحكم منها المهندسون والخبراء في توزيع الماء توزيعا عادلا بين الأحياء والمنازل والحدائق العامة والخاصة، وتبنى عليها صهاريج مقفلة بأبواب وقضبان من الحديد ولا يسمح بدخولها إلا «للقنواتي» الذي يوكل إليه الصهريج ويكون مسئولا عنه، ويحتفظ بمفتاحه(٨). وهناك صهاريج عامة في الشوارع لسقيا الناس والبيوت وتكون أحيانا على ظهر الأرض وأحيانا أخرى في باطن الأرض، إذا كانت القناة التي تمده على عمق شديد، وحينئذ لا يوصل إليها إلا بسلالم تصل في بعض الأحيان إلى نحو ستين درجة.

ويلاحظ أن الآبار الأولى التي حفرت لكي تمتد منها هذه الشبكة من المجاري الجوفية تقع شرق مدريد وشمالها. وهذه المواضع تبعد عن وسط المدينة عند تأسيسها على أيدي المسلمين بما يتراوح بين سبعة واثنى عشر كيلو مترات. أما الفرق بين سطح الأرض عند الآبار الأولى التي تولد فيها القنوات الجوفية وسطحها في وسط المدينة فيتراوح بين ثمانين ومائة متر تقطعها القنوات في انحدار متدرج يسمح بانصباب الماء(٩).

ويتضح لنا مما سبق ذكره. أنه لم يكن من الغريب أن يطلق **الأندلسيون على مدينتهم الجديدة لفظا مثل مجريط** وهو مركب من «**مجرى**» العربية ومن تلك النهاية اللاتينية الدارجة (**-يط**) التي تدل على التكثير، فمعنى الكلمة إذن «المدينة التي تكثر فيها المجاري»، والإشارة هنا إلى المجاري أو القنوات المائية الجوفية التي كانت تحمل الماء إلى سكان المدينة.

كيف واجه المسلمون مشكلة ندرة المياه؟

وقد استخدمت في **مراكش** هذه الفكرة على يد مهندس **أندلسي يدعى عبدالله بن يونس**، والواقع أن متأمل كتب الرحلات والجغرافية لم يكن يتمالك الدهشة والاستغراب إزاء ما يصفون به **مراكش** من التمدن والعمران واتساع الزروع وكثرة الماء والشجر والثمر فيها إذ إنها مدينة لا تقع على نهر كبير ولا تكاد السماء تمطر فيها إلا قليلا ومع ذلك فقد كانت أشبه بواحة خضراء في وسط صحراء جرداء مقفرة ولكن **الإدريسي** استطاع أن يكشف لنا سر هذه المدينة التي ما زالت تعد من أجمل مدن **المغرب** وأكثرها إشراقا ونضرة. وكان السر في هذا الماء الذي عرف المهندس **ابن يونس** كيف يولده من باطن الأرض. وما زالت هذه الشبكة الواسعة من القنوات الجوفية باقية في مدينة **مراكش**، ويبلغ عددها نحو ٣٥٠ قناة يصل طول كل منها إلى نحو خمسة كيلومترات، على أن الإهمال قد لحقها أخيرا وبطل استعمال عدد منها[١٠].

جلب المسلمون الماء إلى **سمرقند** من جبل كبير تخرج من تحته عين خرارة قد صُنع لها في أصل الجبل طيقان وجلب عليها الماء في قنوات رصاص حتى يصب في **سمرقند** وهي طريقة توضح مدى استفادة المسلمين من مصادر المياه الطبيعية التي تبعد عن المدن لتوفير المياه لهذه المدن[١١].

وعلى أية حال فقد انتشرت في العالم الإسلامي تقنيات متعددة لاستنباط المياه ففي عمان استخدمت الأفلاج[١٢] حيث يوجد على أعلى قمة توجد بها المياه الفتحة التي يتم سحب المياه منها، ثم يبدأ سريان المياه في قناة تتجه نحو القرية أو المدينة، حتى يصل الفلج للمنطقة المزروعة ثم يليها المنطقة السكنية والتي يقدم لها تسهيلات هي ماء الشرب ثم أحواض الاستحمام وأخيرا مغاسل الموتى ولا يسمح بتحويل الفلج في المناطق المسكونة للأغراض الخاصة، ولا يمر تحت المباني، ولكنه يمر تحت المساجد حيث تستخدم مياه الفلج للوضوء، ويتضح لنا من خلال هذا الوصف الموجز أن مياه الفلج تعتبر ملكية عامة، لا حقوق للأفراد فيها ولهذا السبب توجد بعض الآبار في المناطق السكنية لزيادة كميات الماء للاستخدام الداخلي. ويتكون الفلج من عدة قنوات مصممة لسد احتياجات الماء في أماكن معينة، وبجداول زمنية محددة، بينما يتحمل منظموا الفلج مسئولية التأكد من عمل هذه القنوات بكفاءة فهم ليسوا مسئولين عما يحدث للماء داخل الحدائق والعمل الأساسي لقنوات الفلج الصغيرة محدد، ومنفصل عن شبكة توزيع الماء وهي التي يمكن أن تختلف طبقاً لما يريده المالكون[١٣].

ويشبه نظام الأفلاج إلى حد كبير النظام السابق ذكره والذي استخدم في **سمرقند**.

المقاييس

ويعطينا **الكرجي** وهو أحد كبار علماء الرياضيات المسلمين - عاش في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي - أقدم القواعد المعروفة في بناء قنوات توزيع مياه الآبار واستخدامها لري البساتين، ولتزويد السكان بالماء الصالح للشرب[١٤].

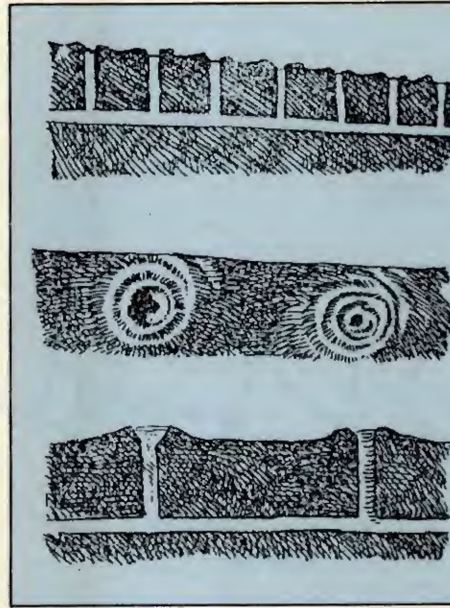
وحاجتنا شديدة إلى الاهتمام بالتعمق في دراسة هذه الطرق الفنية لاستخراج المياه التي توجد في العالم الإسلامي، بهدف مقارنتها بعضها ببعض، وإرساء قواعد الصلة بينها وتحليل نتائجها والاستفادة منها، وقد أشار **الأستاذ فيرنيت** إلى طبعة مبكرة لكتاب **«إنبات المياه الخافية»**[١٥].

وهناك جانب آخر قد يكون مفيداً، هو تأمل القواعد القانونية لتوزيع المياه، تلك القواعد التي نجدها في المخطوطات التي لم تحقق حتى الآن، وإن نشر القليل منها حديثاً، مثل مخطوطة **«علم المياه الجارية في مدينة دمشق»** أو **«رسالة في علم المياه»** التي كتبها الشيخ محمد حسين العطار الدمشقي المتوفى سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، وهي مخطوطة حديثة نسبيا[١٦].

لم يقتصر الاهتمام على إنشاء القنوات والمجاري والأنهار الصناعية، بل امتد إلى الأنهار الطبيعية **كنهر النيل** فأقيمت مقاييس لتحديد منسوبه من أشهرها أثر معماري غاية في الأهمية **وهو مقياس النيل بجزيرة الروضة المقابلة للفسطاط أو مصر العاصمة** ويؤرخ في سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م وهو من أجل الأعمال الهندسية إذ إنه بئر عميقة يصل عمقها إلى نحو ١٢ مترا وعرض فوهتها المربعة نحو ٦ أمتار، وشيدت جدرانها على طبلية من جذوع الأشجار حملت مداميك الأحجار المتقنة النحت، هذا وقد وضع في محور البئر وفوق الطبلية الخشبية عمود مرتفع بارتفاع البئر وله قطاع متعدد الأضلاع، وربط طرفه العلوي بكمرة قوية من الخشب ثبت طرفاها بجدران الفوهة. وحفر على أضلاع العمود علامات تمثل القراريط والأذرع لكي تبين ارتفاع منسوب الماء في البئر، وبالتالي منسوبه في النيل الذي يتصل به من خلال ثلاثة أنفاق فوق بعضها، وذلك لكي تبدأ جباية الخراج عندما يصل منسوب الماء إلى مستوى معين. وكان يُنْزَلُ إلى قاع البئر عند انحسار الماء بواسطة درجات سلم في جوانبه لإجراء أعمال الصيانة[١٧].

لم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل عرف المسلمون استغلال قوة جريان المياه كطاقة متجددة فيذكر **القزويني** «أن أهل الموصل انتفعوا **بدجلة** انتفاعا كثيرا مثل شق القناة منها، ونصب النواعير على الماء يديرها الماء نفسه، ونصب العربات وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط **دجلة** في سفينة وتنقل من موضع إلى موضع»[١٨] ويشير هذا النص إلى استغلال الماء الجاري في الأنهار و القنوات المتفرعة منها في إدارة الطواحين التي تعمل بالماء كطاقة حركية مفيدة، وانتشرت هذه الظاهرة في المدن التي أمكن عملها على أنهارها ولعل أشهرها **فاس**[١٩] التي يذكر **الحميري** عنها ما يلي «وفيها أرحاء للماء نحو ثلاثمائة وستين رحي يضمها السور»[٢٠].

وننتقل إلى نقطة أخرى هامة وهي حرص المسلمين على توفير المياه للمارة في الطرق وعابري السبيل وذلك عن طريق السقايات العمومية أو الأسبلة[٢١] والسبيل أصبح مصطلحا للوحدة المعمارية التي تعمل على توفير مياه الشرب للناس.



نظام المجاري الجوفية : يمثل هذا الرسم الطريقة التي ابتكرها العرب لاستنباط المياه الجوفية من باطن أرض مجريط (مدريد)، وهي حفر الآبار ثم التوصيل بين قيعانها بقنوات تجري تحت سطح الأرض، وتتألف منها شبكة توزع المياه على أحياء المدينة بتقدير منظم والشكل الأول قطاع طولي لهيئة الآبار والثاني قطاع أفقي لاثنين منها والثالث قطاع طولي آخر أكثر تفصيلا.

والسبيل كمنشأة معمارية بالشكل الذي اتبع حتى القرن التاسع عشر الميلادي ظهر على الأرجح في **العصر المملوكي**، ومهما اختلفت طرز الأسبلة، وأشكالها فإن تكوينه المعماري كان واحداً وهو تكوين يخدم وظيفته. ويتكون السبيل من ثلاثة طوابق: الأول في تخوم الأرض وهو الصهريج الذي يملأ بالماء والطابق الثاني أرضه أعلى من مستوى الشارع بقليل وتمثل حجرة السبيل أو «حانوت السبيل» ولهذه الحجرة شبابيك للتسبيل وبداخلها أحواض تحت الشبابيك تملأ بالماء العذب من الصهريج. أما الطابق الثالث أي العلوي فهو غالبا قاعة لتعليم الأيتام، أي كُتَّاب، وأحيانا كان يخصص الدور الثالث للمزملاتي وهو الشخص المسؤول عن التسبيل، وتبنى الأسبلة مفردة أو ملحقة بالمساجد والمدارس أو ملحقة بالمنازل كما نرى في منازل **رشيد** الأثرية كمنازل **رمضان والبقروالي وعرب كري**. وامتد اهتمام المسلمين إلى توفير المياه للدواب على طريقة المدينة الداخلية أو الطرق التي تربط بين المدن، وذلك عن طرق «أحواض سقي الدواب» التي اعتبرت من المنشآت الخيرية الهامة والتي انتشرت في كل مدن العالم الإسلامي كالقاهرة وحلب وفاس.

تلك كانت لمحة سريعة عن الحلول التقنية التي استخدمها العالم الإسلامي لتوفير موارد للمياه تكفي المدن الإسلامية.

الهوامش

(١) د. سعد بن عبدالعزيز الراشد - الربذة صورة مبكرة للحضارة الإسلامية ص ٦٢، ٧٠.

(٢) حماد السالمي - الظاهرة السدودية في وادي عُرضة ص ٨٤، مجلة الفيصل العدد ١٧٦ صفر ١٤١٢هـ، أغسطس ١٩٩١م.

(٣) د. محمد سعيد فارسي - جدة - التخطيط والعمارة الإسلامية ص ١٤

(٤) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٦، مصطفى عباس الموسوي - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص ٣٠٤- دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م.

(٥) أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي - تاريخ الموصل تحقيق د. علي حبيبة ص ١٩٧. القاهرة ١٩٦٧، مصطفى الموسوي المرجع السابق ص٢٠٣.

(٦) د. فريد شافعي - العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ص ٣٥.

(٧) د. محمود علي مكي - مدريد العربية ص ٥٧، ٥٩ دار الكاتب العربي.

(٨) عرف هذا النظام في العمارة المملوكية. باسم مقاسم المياه، والمقسم حوض غير عميق تصل إليه المياه من الساقية وله عدة فتحات قد تختلف في الاتساع عن طريق قنوات بأجزاء البناء المختلفة، فيتم توزيع المياه منها حسب الكمية المطلوبة لكل جهة. د. محمد محمد أمين وليلى إبراهيم - المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ص١١٣.

(٩) د. محمود مكي المرجع السابق ص ٥٩، ٦٠، ٦١.

(١٠) المرجع السابق ٦٥، ٦٧.

(١١) الحميري - محمد بن عبدالمنعم - الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٢٢ تحقيق د. إحسان عباس، نشر مؤسسة ناصر للثقافة بيروت ١٩٨٠م.

(١٢) يقول ابن سيده الأندلسي في المحكم «إن الفلج هو النهر، وقيل هو النهر الصغير وقيل هو الماء الجاري من العين.. والجمع أفلاج، ويذكر ابن منظور في لسان العرب بأن الفلج «قد يوصف به فيقال ماء فلج، وعين فلج، وقيل الفلجُ الماء الجاري من العين» وهذا المعنى يدل على جريان الماء معنى هام.

(١٣) جي. رسي. ولكنسون - الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٥٥، ٥٩ وزارة التراث القومي والثقافة عمان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(١٤) د. فرانسيسكوساردا - الأفلاج العمانية ومجاري المياه ص ١٨٧ ندوة الدراسات العمانية حصاد حـ٨ - ١٤٠٠م/ ١٩٨٠م.

(١٥) المرجع السابق ص ١٨٨.

(١٦) محمد حسين العطار الدمشقي «علم المياه الجارية في مدينة دمشق» تحقيق أحمد غسان سبانو، نشر دار قتيبة - دمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(١٧) د. فريد شافعي المرجع السابق ص١٣١.

(١٨) القزويني - آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٦٢.

(١٩) د. عبدالستار عثمان - المدينة الإسلامية ص ٢٧١

(٢٠) الحميري المرجع السابق ص ٤٣٤.

(٢١) سبل الشيء أي جعله مباحا في سبيل الله د. محمد أمين، المرجع السابق ص ٦٢.

جذور انتشار الإسلام في شرق أوروبا

بقلم: أ. د. زكريا سليمان بيومي

لعل ما يدور على ساحة الأحداث الدولية في السنوات الأخيرة يدعو لطرح العديد من التساؤلات؛ فقد كان انهيار النظام الشيوعي برمته وسقوط الاتحاد السوفييتي وتفتته إلى دول وكيانات سياسية بعضها عرقي وبعضها ديني وبعضها خليط بينهما. ولم يكن يعنينا نحن المسلمين من أسباب ومراحل ونتائج هذه التحولات هل كانت تعبيراً عن نجاح النظام الديمقراطي الليبرالي والنظرية الرأسمالية أم أن الأسباب ترجع في المقام الأول إلى أخطاء في النظرية الشيوعية نفسها، وإنما كان يعنينا صدق رؤية الإسلام في فشل هذه النظرية وبشكل يؤكد فيه لأتباعه من المولعين بالنظريات الوافدة أن يعوا الدرس جيدا.

أما الجوانب التي ترتبت على ذلك والتي استوجبت التساؤلات فهي حول الجمهوريات الإسلامية التي ظهرت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي **كيف استطاع المسلمون فيها أن يحافظوا على هويتهم الإسلامية في ظل الدكتاتورية الشيوعية التي امتدت من أكتوبر ١٩١٧م وهو تاريخ قيام الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا وحتى سقوطها في العام الماضي؟** كلنا يعلم أن النظام الشيوعي لم يكن يسمح بمسجد أو مدرسة دينية أو أداء الشعائر سرا أو جهراً. وبرغم من ذلك فما إن زال هذا الكابوس إلا وبدت الهوية الإسلامية، وأقبل الآلاف من مسلمي هذه البلاد إلى أداء فريضة الحج والالتقاء بإخوانهم في الأراضي المقدسة، أليس في ذلك ترجمة لقول المولى سبحانه وتعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**.

على أن قلوب وعقول المسلمين تتابع هذه الأيام ما يحدث في **البوسنة والهرسك**، وبغض النظر عما تثيره هذه الأحداث الدامية من تساؤلات حول دور المنظمات الدولية أو المنظمات الإسلامية أو مواقف الدول غير الإسلامية والإسلامية وكذلك الشعوب فإن هناك سؤالاً مهما يسبق غيره من تساؤلات بحكم أنه يتعلق بجذور القضية وهو لماذا لم يخلف الفاتح المسلم العثماني في كل بلاد البلقان وشرق أوروبا سوى هذه الأعداد المحدودة من المسلمين والتي لا تزيد عن ستة ملايين تقريباً في البوسنة والهرسك وبعض المسلمين في ألبانيا برغم استقراره في هذه المنطقة ما يقرب من خمسمائة سنة؟ ولماذا لم ينجح هذا الفاتح في تحويل كل هذه المنطقة إلى الإسلام كما نجح الفاتح المسلم الذي خرج من جزيرة العرب في عصر صدر الإسلام؟ وهل هذا يدعو لأن نعلي من شأن الداعية المسلم العربي على نظيره المسلم العثماني فنقع فيما يريدنا أعداؤنا أن نقع فيه من إثارة نعرات عرقية لا يقرها ديننا الحنيف؟

وقبل أن نتناول تطور انتشار الإسلام في شرق أوروبا ينبغي أن نوضح أن هذه الخمسة قرون التي لم تخلف سوى هذا العدد البسيط من المسلمين دليل

ناصع لا يقبل الجدل على ساحة الإسلام تشريعا وتطبيقا يندر أن نجد ما يقابله في الأيدلوجيات الأخرى وفي ظل إدعاء التقدم الحضاري ورقي العلاقات الإنسانية، كما يؤكد مبدأ حرية الاعتقاد الكاملة في الإسلام وفي الكيانات السياسية القائمة عليه أو التي تستمد أسسها من شريعته.

وبداية نوضح أن نشأة الكيان العثماني السياسية قد فرضت عليه ضرورة رفع راية الإسلام والتركيز على إبراز الطابع الديني له، ولكن المراجع لم تشر إلى وجود مؤسسات للدعوة وبالتالي لم تكن هناك وسائل واضحة لنشره في المناطق المفتوحة حتى القرن السادس عشر على الأقل.

وإذا كان بعض الكتاب المعاصرين للتوسع العثماني في البلقان قد أشار إلى وجود جماعة تسمى جماعة الدعوة إلى الدين قامت بدور في نشر الإسلام في هذه المناطق وخاصة ألبانيا فإن هذه الجماعة لم تكن تابعة للدولة ولكنها كانت عبارة عن جماعة هاجرت في أعقاب الجيوش واستقرت في هذه المناطق، كما استقرت مجموعات أخرى منها في كثير من مناطق البلقان. وإذا كانت قد حققت نجاحا محدودا في تحويل بعض المسيحيين في هذه المناطق إلى الإسلام فإن ذلك لا يرجع إلى قوتها في الدعوة بقدر ما يرجع إلى قبول عناصر الدعاة ببعض التجاوزات التي أسهمت في دخول هذه العناصر في حوزة الدولة طلبا للحماية وفي الدين كذلك. ولم يكن لوعاظ هذه الجماعة دور واضح في رسالة المسجد في ميدان الدعوة حيث لم يكونوا في أغلبهم على مستوى علمي يمكنهم من هذا الدور كما لم يكن عدد المدارس التي فتحته الدولة يستوعب أعداد المسلمين وبالتالي لم تفتح أبوابها لسواهم.

حماسة وإخلاص

ومع ذلك فإن التاريخ لا يمكن أن ينسى مدى ما كان عليه كثير من سلاطين آل عثمان ومن مسلمي هذه الدولة من حماسة وإخلاص في نشر الإسلام وبخاصة بعد استقرار نظامهم السياسي، وبدت تلك الحماسة في سياسة التسامح التي اتَّبعها أغلبهم مع العناصر المسيحية. وقد فسر أحد المستشرقين وهو «**توماس أرنولد**» في كتابه «**الدعوة إلى الإسلام**» أن سبب انتشار الإسلام ببطء شديد في الأناضول يرجع إلى عدم وضوح سياسة التسامح التي التزم بها المسلمون لدى العناصر المسيحية.



مسجد في سراييفو: لماذا لم يخلف الإسلام سوى ٦ ملايين مسلم تقريبا في البوسنة رغم استقراره في شرقي أوروبا قرابة ٥٠٠ سنة؟!

○ عدم وجود مؤسسات للدعوة في الدولة العثمانية جعل انتشار الإسلام في المناطق المفتوحة محدودًا

ويصعب الاستدلال على إقبال العناصر المسيحية على الإسلام من متابعة حركة العثمنة أو إقبال هذه العناصر على الدخول في دائرة الدولة العثمانية، فقد قبل بعض المسيحيين الإسلام مع الاحتفاظ بلغتهم في حين قبل بعضهم الآخر اللغة مع احتفاظه بدينه، وكانت هذه السياسة دليلا دعىٰ إلى التأكيد على مدى التزام العثمانيين بمبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية وهو ﴿**لا إكراه في الدين**﴾.

ومن أبرز السلاطين الذين سلكوا سياسة السماحة مع الرعايا المسيحيين السلطان **محمد الفاتح** حيث أعلن نفسه حاميا للكنيسة الإغريقية وحرم اضطهاد المسيحيين وأكد حقهم في التمتع بالامتيازات القديمة وسلم بطريركها الأسقفية ومنحه حق الفصل في قضايا رعاياه وجعله واحدا من كبار رجال دولته مما جعل الكثير من المسيحيين يرحبون بسيادة المسلمين على الكاثوليك الهراطقة.

وحين منح العثمانيون امتيازات موسعة للمسلمين الذين كانوا ينخرطون في سلك الجندية أو في دواليب الدولة لم يتقيدوا بالجنسية التي ينتمي إليها المسلم مما أدى إلى تشجيع كثير من العناصر المسيحية على اعتناق الإسلام في القرى والكليات أو المدارس الكبيرة في المدن وفتحوا قصورهم لتعليم أصول الخدمة العامة وقبلوا في هذه المدارس رعاياهم من مسلمين ومسيحيين دون أدنى تفريق في المعاملة مما دفع كثيرين من الرعايا إلى تقبل الأوضاع الجديدة واعتنق بعضهم الإسلام.

وسلك العثمانيون سبلاً أخرى لإغراء المسيحيين على اعتناق الإسلام كإغراء الزائرين بفتح بلادهم لهم، والاحتفال بمن يعلن اعتناقه للإسلام وإمداده بكل ما يعينه على الحياة والاحتفال به في المساجد والحرص على إظهار تمسكهم بالدين والتواضع في أداء الشعائر وغير ذلك من الأساليب والمظاهر التي أغرت كثيرين من المسيحيين على اعتناق الإسلام.

كما اتَّبع كثير من المسلمين سياسة تتسم باللين في معاملة الرقيق من المسيحيين فكانوا يعتقونهم إذا ما ثبت إخلاصهم حتى ولو ظلوا على دينهم ويتولون رعايتهم وبخاصة كبار السن منهم بعد العتق ويحسنون معاملة من يسلم منهم وكذلك من يظل على دينه مما كان دافعا لهذا القطاع على اعتناق الإسلام.

وحين أقبل كثير من العثمانيين على الزواج من مسيحيات حرمت الكنيسة دخولهن فيها مما دفع بعضهن إلى اتباع دين أزواجهن، ولم تجد الزوجات معارضة من الأزواج في تعميد أبنائهن في الكنيسة مما خلق نوعا من الودِّ أثارت إعجاب البعض فأقبل على اعتناق الإسلام.

كما اتَّبع بعض العثمانيين أسلوبا آخر كان





امتيــــازات العثمانيين للعــــاملين في الــــدولــــة شجّعت النصــــارى على اعتنــــاق الإســــلام

ظاهره السعي لإيجاد توازن اجتماعي حيث قاموا بنقل عناصر إسلامية إلى أوروبا الشرقية ونقل عناصر من أوروبا الشرقية إلى الأناضول لكن ذلك ساعد على انتشار الإسلام بين هذه العناصر بشكل تدريجي.

ولما شرع السلطان **مراد الأول** في اتباع سياسة الإفراج عن الأسرى إذا هم اعتنقوا الإسلام أسهم في زيادة عدد المسلمين لكنه مع ذلك كان إسهاما محدودا مما دفعه إلى التوسع في تأسيس جيش الإنكشارية.

ويرى بعضهم أن أسلوب الإنكشارية سوءة أساءت إلى سياسة التسامح الديني التي اتسم بها جانب من التاريخ العثماني وبخاصة في الفترة من القرن الثالث عشر وحتى السادس عشر، كما يرى البعض الأخر أنها كانت وسيلة لتدعيم القوة العثمانية قبل أن تكون وسيلة لنشر الإسلام وبخاصة في فترات الضعف، في حين كان يغلب عليها هدف السعي لنشر الإسلام في فترات القوة.

وعلى الرغم من التسليم نسبياً بتنافي ذلك مع الإنسانية إلا أن العثمانيين لم يكونوا أول من ابتدع هذا النظام بل وجدت ظاهرة جمع الغلمان في الدولة البيزنطية، كما أن جمع العثمانيين لهم كان في أغلبه نوعاً من الإيواء بعد أن أصبح كثيرون منهم من اليتامى والمحتاجين بسبب الحرب. وكذلك كان بعض الآباء غير القادرين لا يمانع في تسليم أبنائهم لما كانوا يرونه من مكان لجنود الانكشارية في حين كان القادرون يستطيعون افتداء أبنائهم بشراء غيرهم حتى من بين أبناء المسلمين غير القادرين ويسلمونهم على أنهم من أبناء المسيحيين، كما أن كثيراً من المدن والجزر كانت معفاة من هذه الضريبة لاتفاقها على ذلك في معاهداتها مع الدولة أو لشرائها هذا الحق.

دور اقتصادي

وكما لعبت العوامل الاقتصادية دوراً رئيساً في انتشار الإسلام في نظام الانكشارية لعبت دوراً آخر بين العامة الفقيرة في منطقة البلقان حيث لم تستطع جموع كبيرة منها على الوفاء بضريبة الرأس على الرغم من أنها كانت بسيطة ومحدودة، والتي كانت تجبى منهم مقابل الحماية والإعفاء من خدمة الجيش.

ومن العوامل الهامة التي ساعدت على انتشار الإسلام في البلقان وشرق أوروبا تعسف الإقطاعيين المحليين في فرض الضرائب الباهظة التي زادت في بعض الأحيان عما كان يفرضه العثمانيون، كما أن كبار رجال الدين من الإقطاعيين قد باعوا أسرار الكنيسة ووظائفها من جهة وسعوا لتوثيق علاقتهم بالنظام العثماني - بعد الغزو - من جهة أخرى، وحرصا من هذه الطبقات على النظام الذي ينعمون فيه بنصيب وافر من الثراء والمكانة أبدى كثيرون منهم الميل لاعتناق الإسلام.

كما أسهم الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية في دفع جموع كثيرة من المضطهدين لاعتناق الإسلام وبخاصة الجماعات الثائرة على النمط الكنسي القديم كبقايا هراطقة البوليشية وكذلك الذين اتبعوا مبادئ المصلح الديني السويسري كلفن والذين لجأوا إلى الأراضي التابعة للدولة العثمانية، ووصل أحدهم إلى كرسي البطريركية في القسطنطينية، وكان لهؤلاء دور في محاربة الصور والتماثيل وطرح رؤيا في القضاء والقدر والوحدانية، وأدى هذا إلى رؤية العقول وتقريبها إلى بعض المبادئ الإسلامية مما سهل عملية اعتناق بعضهم الإسلام ومن بينهم بعض الرهبان والقساوسة.

وقد توسع العثمانيون في المنح والعطايا والتقدير لرجال الدين الذين أقبلوا على الإسلام لكي يسهموا بدورهم في دفع العامة إلى هذا الاتجاه. وأبدى كثيرون منهم إخلاصاً شديداً للسلطان العثماني فيما بعد لدرجة أن أحد بطاركة القسطنطينية قد أقنع السلطان بأن الرعايا المخلصين له من المسيحيين هم فقط الذين يتحدثون اليونانية مما دفع السلطان لإصدار فرمان بعدم التحدث بغير اليونانية وتحول على إثر ذلك القرار قرابة أربعة آلاف إلى الإسلام.

ونخلص إلى القول بأن التزام العثمانيين بحرية العقيدة وبالسماحة هي مبادئ استمدوها من الشريعة الإسلامية، ولم تكن هذه الوسائل لتسمح بتحول الكثير من سكان شرق أوروبا إلى الإسلام وبخاصة أن هناك العديد من العوامل التي حالت دون ذلك والمتمثلة في إثارة البابوية لنعرة العداء بأبعادها العقدية والتاريخية والتي أدت إلى استمرار الحروب وعدم الاستقرار للوجود العثماني، ثم أدت إلى انحسار المد الإسلامي بعد زوال الحكم العثماني عن شرق أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية على الرغم من طول مدة الحكم العثماني فيها.

معجم المعاني

من معينات التأليف والترجمة

بقلم: د. محمود إسماعيل الصيني

يقول أحد الرواد المحدثين في مجال التأليف في حقل معاجم المعاني الأمير أمين ناصر الدين: «من الواضح لمن يمحّص حقائق العربية ويوغل في البحث عن مكنوناتها، أن لكثير من معانيها ألفاظاً خاصّة لا يغني عنها غيرها، ولكلّ مسمّى من مسميّاتها اسما أوصفة لا يلائمه سواها إذا أراد المنشئ ألا يندّ عن النهج اللغوي وأن يضع الأشياء في مواضعها، فكما يجب أن يستعمل الإنسان الصحفة للطعام والكأس للشراب ولا يجوز استعمال إحداهما بدل الأخرى، يجب أن يستعمل لكل معنى ما وُضع له من اللفظ ولا يحسن استعمال غيره، وكما يجب أن ينادى زيد باسمه لا باسم عمرو أو بكر، يجب أيضا أن يُستعمل لسائر المسميّات أسماؤها أو صفاتها التي وضعت لها خاصة، كي لا يكون هناك التباس على المنشئ يجب أن ينزه عنه إنشاءه». (مقدمة الرافد: معجم لغوي للإنسان والبيئة: ص٩).

هذا وما يصدق على المنشيء يصدق على المترجم كذلك. بل إن الأمر يزداد أهمية للمترجم الذي يحاول أن ينقل نصًّا ما من لغة أجنبية إلى اللغة العربية. فالمترجم الأمين مقيّد بما يترجم، كما تقتضيه الأمانة في النقل. عليه فهو أحوج إلى البحث عن اللفظة الدقيقة المناسبة.

ولكل من المنشيء والمترجم وضعت معاجم المعاني والمترادفات. ففيها يبحث المنشيء والمترجم عن بغيته.

معاجم المعاني تعين في اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن أفكار ومفاهيم محددة.

ما معاجم المعاني؟

يطلق المصطلح «معجم المعاني» مقابل «معجم الألفاظ»، والأخيرة هي المعاجم المألوفة لدى عامة الناس من مثل «**لسان العرب**»، «**القاموس المحيط**»، «**المعجم الوسيط**» و«**المنجد**» وغيرها مما رتبت مداخلها وفق الألفاظ، سواء أكان ذلك تبعا لجذر الكلمات أم حسب نطقها. والغاية من هذه المعاجم غالبا هو مساعدة المتلقي للكلام (القارئ والسامع) ليفهم ما يقرأ ويسمع من ألفاظ يجهل معانيها.

أما معاجم المعاني فهي للمنشئين، تعاونهم في اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن أفكار ومفاهيم محددة. فالمنشيء للكلام يريد مثلاً أن يتحدث عن مفهوم «صوت جميل» مثلا، فيبحث في معجم المعاني ليجد عدداً من الألفاظ الدالّة على الأصوات منها كلمة «تغريد» أو يريد المنشئ أو المترجم أن يعرف الكلمة التي تطلق على المرء حينما يكون في سن معيّنة، فيجد كلمات مثل: «وليد، رضيع، طفل، فتى، شاب، كهل، شيخ. . .» إلى غير ذلك، مع بيان الفروق في معاني كل من هذه الألفاظ أحيانا».

ويبدو أن هذه الغاية هي التي كانت وراء اهتمام كثير من مؤلفي معاجم المعاني (أو الموضوعات كما يسميها بعضهم). ومن هؤلاء **أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة** (ت ٢٧٦هـ) الذي خصص جزءاً لا بأس به من كتابه **أدب الكاتب** لمعالجة قضايا مثل: «ما في الخيل وما يستحب من خلقها» و«في خلق الإنسان» «وأبواب أخرى في الطعام والشراب ومعرفة الآلات. . .» إلى غير ذلك. وللغاية نفسها كتب **أبو جعفر قدامة بن جعفر** الكاتب البغدادي (ت ٣٢٧هـ)، حيث يقول في مقدمة كتابه **جواهر الألفاظ**: «هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة، تدل على معان متفقة مؤتلفة. . . تونق أبصار الناظرين. . . وتتسع به مذاهب الخطاب وينفسح معها بلاغة الكتاب. . .» (ص٢).

ويمكننا أن نقسم معاجم المعاني إلى فئتين رئيستين:

(أ) **معاجم الموضوعات**، وهي التي رتبت وفق أبواب وفصول اعتمدت موضوعات محددة مثل سائر معاجم المعاني القديمة وبعض الحديثة منها.

(ب) **معاجم المرادفات**، وهي التي رتبت مداخلها وفق الألفاظ. ولكن بدلا من شرح معاني الألفاظ نجد مجموعة من الكلمات المرادفة أو القريبة في معانيها للمدخل.

لمحة تاريخية

يذكر **رياض قاسم** «أن رائد هذا المنهج، في الحقيقة، فريق اللغويين الأوائل، الذين عنوا بجمع اللغة من الأعراب في البادية، أو من وفادة الأعراب إليهم في الحاضرة، فقد كان اللغوي منهم يلجأ إلى جمع الألفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد. من ذلك صُنع **الأصمعي** (ت ٢١٦) كتاب **الخيل والنحل والإنسان** وصنيع أبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥) في كتاب المسطر وخلق الإنسان والشجر. وكان **أبو عبيد القاسم بن سلام** (١٥٧ - ٢٢٤) قد عقد أبوابا وفصولا للمسميّات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب، جامعا في كتابه الكبير **الغريب المصنّف** أشتات موضوعات كثيرة، جازت الثلاثين كتابا أو موضوعا...» (**المعجم العربي**: ١٢٦ - ١٢٧) وسنعرض باختصار لثلاثة من الأعمال البارزة في هذا الميدان هي: **الألفاظ الكتابية للهمذاني وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي والمخصّص لابن سيده.**

الألفاظ الكتابية

يقول **الهمذاني، عبدالرحمن بن عيسى** (ت ٣٢٠هـ) في مقدمة كتابه «.. فجمعت من كتابي هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس، السليمة من التقعير... فليست لفظة منها إلا وتنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة، أو تقوم مقامها في المحاورة، إما بمشاكلة أو بمجانسة، فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت مادة قوية وعونا وظهيرا...» (صص ط-ي).

والكتاب مقسّم إلى حوالى ٣٥٠ باباً تبدأ بباب «بمعنى أصلح الفاسد» حيث يورد: «تقول: لمّ شعث فلان وضم النشر... وجبر الوهن والوهي.. ويقال: شعب الصدع، ورأب الصدع...» ومن أمثلة الموضوعات التي يعالجها: «القرابة»، «أجناس الشوائب»، «الحلم»، «في كرم الطباع»، «النباهة»، «البرد والزمهرير»، «في وصف بنية الرجل والمرأة»، «طلوع الشمس»، وينتهي بـ «باب الأضداد» حيث نقرأ: يقال: الفرح والغم، اليسار والفقر، المدح والثلب... السهل والجبل. و «باب التشبيهات» حيث يذكر **الهمذاني**: «تقول العرب في أمثالها: أجمل من رعاية الذمام، ... أنضر من روضة، ... أروغ من ثعلب... أحلم من أحنف... أحلى من الشهد...»

نلاحظ من الأمثلة التي ذكرنا أن الهمذاني كثيرا ما يورد نوعاً من السياق اللفظي مما يعين على تمييز الكلمات والعبارات عن بعضها بعضا، دون اللجوء إلى الشرح أو التعليق. كما نشعر ببعده عن غريب الألفاظ وحوشيها، مما يؤيد وصفه «السليمة من التقعير».

فقه اللغة وسرّ العربيّة

مؤلف الكتاب القيّم هذا هو **أبو منصور الثعالبي** (ت ٤٣٠هـ)، والكتاب يشتمل على قسمين رئيسين هما: «فقه اللغة» و «سر العربية». وما يهمنا في هذا المقام هو القسم الأول. ففي هذا القسم يعالج **الثعالبي** المعاني المختلفة وتدرجاتها وأصنافها في ثلاثين بابا يشتمل كل منها على عدد من الفصول، تتراوح بين ٣ فصول كما في «الباب الثالث: في الأشياء التي تختلف أسماؤها وأوصافها واختلاف أحوالها» و ٤٩ فصلاً، كما نجد في «الباب الثالث والعشرون: في اللباس وما يتصل به، والسلاح وما ينضاف إليه، وسائر الآلات والأدوات وما يأخذ مأخذها».

وتعالج أبواب الكتاب موضوعات مثل: «في صغر الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها»، «في سائل الأحوال والأوصاف المتضادة»، «في أسنان الناس والدواب»، «في الحركات والهيئات والأشكال وضروب الرمي والضرب»، «في الجماعات»، «في الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها»، «في الحجارة» وغيرها من مظاهر البيئة.

المخصّص

ومما يدل على عبقرية العرب المسلمين في هذا المضمار أن يؤلف لغوي ضرير من الأندلس **ابن سيده، علي بن إسماعيل** (٣٩٨ - ٤٥٩هـ) - معجما طبع في ١٧ جزءًا، هو كتاب «**المخصص**» الذي سار في تأليفه على نهج **ابن سلام**. وهذا المعجم هو أكبر معاجم المعاني العربية. يقول عنه **أحمد مختار عمر**: «وهذا المعجم أوفى وأشمل معجم من معاجم المعاني في تاريخ اللغة العربية. وقد استعان ابن سيده في تأليفه بكل ما كتب قبله تقريبا من مؤلفات الغريب والمصنّف والصفات والألفاظ والمعاجم اللغوية وكتب اللغة المختلفة، ولذا جاء شاملا وافيا.

والمعجم مقسم إلى أبواب رئيسة بحسب الموضوعات وتحت كل باب مجموعة من التقسيمات الفرعية كما يبين من المثال التالي: كتاب خلق الإنسان - كتاب اللباس - كتاب الطعام... وتحت كتاب خلق الإنسان نجد: باب الحمل والولادة - أسماء ما يخرج مع الولد - الرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية - الغذاء السيئ للولد.. الرأس - ومن صفات الرأس - الحاجب - العين وما فيها... - الأنف... - الشفة وما يليها من الذقن...» (البحث اللغوي عند العرب، ص ١٨٦).

ويتميز المخصّص عن معاجم المعاني الأخرى بتوسعه الكبير في تناول المادة اللغوية، حيث لا يكتفي بذكر الكلمات ومعانيها وسياقاتها المختلفة، بل إنه «يؤيد رواياته الكثيرة بشواهده المنظومة والمنثورة، ويعزز ما يورده بأي من القرآن الكريم والحديث الشريف ومأثور الأمثال، ويستطرد إذا

برقت بارقة أمل في الاستطراد، بشرح ما نال الكلمة من إعلال وإبدال، ويسوق في هذه السبيل ما سقط من أقوال الأئمة . . . » (موسى والصعيدي في «مقدمة الطبعة الأولى» لكتاب الإفصاح في فقه اللغة: صص ط، ي).

من معاجم المعاني الحديثة

في العصر الحديث صدر عدد من معاجم المعاني من أشهرها: **«الرافد» لأمين ناصر الدين وكتاب «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» لإبراهيم اليازجي، و «الإفصاح في فقه اللغة» لحسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي، و «المنجد في المترادفات والمتجانسات» لرفائيل نخلة اليسوعي**. ونلاحظ ظهور عبارة «المترادف» لأول مرة في هذا النوع من معاجم المعاني، وسنعرض لكل من هذه المعاجم بوصف موجز أدناه.

كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد:

يقول مؤلف الكتاب - **إبراهيم اليازجي** - في مقدمة كتابه، بعد أن نعى على المحدثين ضعفهم في اللغة العربية «على أننا لا ننكر أن اللغة في هذا العصر قد انتعشت من عثارها وأخذ المتأدبون في إحياء ما درس من معانيها وطمس من آثارها . . . بيد أنهم ربما قعدت بهم الذرائع عن الوقوع على ضالتهم من اللفظ الفصيح، وأعوزتهم القوالب في تصوير ما يتمثل لهم من الخواطر على الأسلوب العربي الصحيح . . ولذلك رأيت أن أخدم المشتغلين بهذه الصناعة . . . بأن أجمع لهم من مترادف ألفاظ هذه اللغة وتراكيبها ما يجعل نادّها منهم على حبل الذراع، ويسدد أقلامهم للجري على محكم أسلوبها . . . » (صص و، ط).

ويشتمل الكتاب بجزأيه على **ثمانية أبواب** في كل منها عدد من الفصول، مما يذكرنا بـ**(فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي**، غير أن التقسيمات الرئيسة هنا أقل عددا مما نجد في كتاب الثعالبي. والأبواب الثمانية هي:

١ - «في الخلق وذكر أحوال الفطرة وما يتصل بها» ويتبعه «تتمة في الحواس وأفعاله وما يتعلق بها».

٢ - «في وصف الغرائز والملكات وما يأخذ مأخذها ويضاف إليها».

٣ - «في الأحوال الطبيعية وما يتصل بها ويذكر بها».

٤ - «في حركات النفس وانفعالاتها وما يلحق بها».

٥ - «في الأصول والأنساب والطبقات وما يتصل بها ويضاف إليها».

٦ - «في العلم والأدب وما إليها».

٧ - وفي سياقة أحوال وأفعال شتّى مما يعرض في الأمة والمجتمع والتقلب والمعاش».

٨ - «في معالجة الأمور وذكر أشياء من صفاتها وأحوالها».

معاجم المعاني تنقسم إلى فئتين رئيسيتين: معاجم الموضوعات ومعاجم المرادفات

ويتراوح عدد الفصول في كل باب بين (١٠) (في الباب الثاني) و (٤٧) فصلا (في الباب السابع). وكمثال على محتويات الفصول نجد أن المؤلف يعالج في الباب السابع «في العلم والأدب وما إليها». موضوعات مثل: «العلم والعلماء، الأدب، الحفظ، التأليف، الفصاحة، البلاغة . . . ». وفي الباب الرابع «في حركات النفس وانفعالاتها وما يلحق بذلك» نجد: «في السرور والحزن، في الضحك والبكاء، الصبر والجزع، . . . المداهنة والخداع . . »

ومن الواضح أن اليازجي جعل الإنسان فقط محور موضوعات كتابه، فجاء بذلك من أشمل معاجم المعاني في هذا المجال، إن لم يكن أشملها فعلا.

الرافد: معجم لغوي للإنسان والبيئة

مؤلف هذا المعجم القيّم الأمير أمين آل ناصر الدين، ويتكون من جزأين صدرا في مجلد واحد. ونجد له عنوانا تفصيليا: «معجم لغوي للإنسان والحيوان والطير والهوام وكل ما في السماء والأرض». ويشتمل كل جزء من عدد من «المطالب» يشمل كل منها مجموعة من الموضوعات، كما سنبين أدناه، والمطالب في الجزء الأول هي:

١ - الإنسان تكوّنه وأطوار حياته وحواسه الخمس وبعض مزاياه.

٢ - أعضاء الجسم وعظامه وعروقه وعصبه وما إلى ذلك.

٣ - الأمراض والأوبئة والعوارض والجراحات.

٤ - ما يستعمله الإنسان من الأدوات والأنية والأوعية.

أما الجزء الثاني فيشتمل على خمسة «مطالب» هي:

١ - السماء والأرض.

٢ - الأزمنة وما يضاف إليها.

٣ - ما يتعلق بالإنسان.

٤ - وكن الإنسان ومسكنه وما إليهما.

٥ - الحيوان وما يتعلق به - ذوات الحوافر.

كما أشرنا أعلاه يشتمل كل مطلب على عددٍ من الموضوعات الفرعية. ففي المطلب الثاني في الجزء الأول مثلا نجد: «الرأس وما يتعلق به، الوجه وما إليه، العين . . . الجوف وما فيه.» وفي المطلب الرابع في الجزء نفسه يدرج المؤلف ستين موضوعا تتضمن أدوات المهن والحرف المختلفة وأسماء أنواع من «الآنية» و «الأوعية». وفي المطلب الأول في الجزء الثاني نجد موضوعات مثل: «السماء وأسماؤها وصفاتها . . . النجم وما إليه» بالإضافة إلى ظواهر الجو المختلفة وأنواع المياه ثم الفواكه والنباتات. وهكذا الأمر في جميع مطالب الكتاب.

من الواضح أن (الرافد) يهدف إلى محاولة لحصر أسماء الأشياء التي تتعلق بموضوعات كل مطلب، مرتبة ألفبائياً، مع تعريف موجز لكل اسم. كما في: «الجبهة: ما فوق الحاجبين . . . ، الحجاج: عظم الحاجب . . . ». **وقد يؤخذ على الكتاب التقعّر وحوشي الألفاظ التي تزدحم بها صفحات الكتاب.**

الإفصاح في فقه اللغة

يعتبر **الإفصاح** أشمل وأوسع معجم للمعاني في العصر الحديث ولا غرو فهو إنما صورة منقحة ومختصرة لمخصّص ابن سيده المذكور أعلاه. غير أن مؤلفيه **حسين موسى وعبدالفتاح الصعيدي** أضافا أيضا بعض المعلومات اللازمة لتوضيح العموميات الواردة في المخصص.

فهما قد حذفا الشواهد والاستطرادات والمناقشات اللغوية في الأصل، غير أنهما أضافا، خاصة في الطبعة الثانية للإفصاح، عدداً من المواد اللغوية «التي تشتد الحاجة إليها في التعبير عن المصطلحات الأجنبية. «كما أنهما بالغا» في تفصيل العناوين تيسيراً للباحث، وألحقا «بالكتاب معجما يجمع مواده اللغوية مرتبة على حسب الحروف الهجائية، وأمام كل مادة أرقام صفحاتها؛ ليكون الكتاب معجما للألفاظ كما أنه معجم للمعاني. . .» (من مقدمة المؤلفين للطبعة الثانية).

هذا ويشتمل الكتاب في **مجلديه الكبيرين** على ثلاثة وعشرين بابا يحتوي كل منها على عدد من الموضوعات المتصلة بالباب، ويدخل تحت تلك الأقسام الرئيسة مجموعة من الموضوعات، وتشتمل هذه بدورها على مجموعة أدق. ففي الباب الأول (في خلق الإنسان) مثلا نجد أقساما مثل: «الحمل والرضاع والفطام، جسم الإنسان»، ثم في قسم «جسم الإنسان» نجد موضوعات مثل: «الرأس، الفم وما فيه» وفي الباب الثالث (في الكلام والكتابة والأصوات والأخبار والتقاضي والأحكام والعقوبات) نجد موضوعات عن «الكلام، الفصاحة والفصحاء، . . . الترجمة والتعريب، التصنيف والتأليف. .» ثم عناوين رئيسة هي: «الكتابة وأدواتها، الكتب، الأصوات، الأخبار».

وفي قسم الأخبار نجد، «الخبر والحديث، مناقلة الحديث، . . . أنواع الأحكام. . . الحجة والبرهان. . .» في الباب الخامس عشر (في المياه وما فيها وفي القنوات والآبار وآلات رفع المياه) نجد بعض العناوين الرئيسة مثل «البحر وما فيه، السمك، الأنهار، الآبار، الجبال. . .»، وقدأدرج تحت كل عنوان عدد من الموضوعات أو العناوين الفرعية.

المنجد في المترادفات والمتجانسات

في هذا المعجم الصغير لرفائيل نخلة اليسوعي، نجد توجهاً جديداً في صناعة معاجم المعاني. ففي الكتاب الذي صدر قبله بعشر سنوات تقريبا بعنوان (**قاموس المترادفات والمتجانسات**)، نجد الألفاظ في معجم للمعاني مرتبة ألفبائياً بدلاً من الموضوعات. ويوضح المؤلف ذلك الترتيب بقوله: «لا نجهل أن عدة أدباء متضلعين من لغة الضاد قد سبقونا في هذا الميدان، فأفرغوا كافة جهدهم في تصنيف كتب على المادة التي اخترناها. . . بيد أن استعمالها في أيامنا للبحث عن فئة من المترادفات أو المتجانسات، ولتحقيق معنى كل من كلماتها، لا يخلو من الصعوبة، لسبب واحد أو أكثر من الأسباب الآتية:

«الأول عدم الترتيب الأبجدي. الثاني إهمال مئات من سلاسل الألفاظ المترادفة أو المتجانسة. . . فرط كثرة الألفاظ المماتة، وغض النظر عن مئات ألفاظ حية وحديثة الاندماج في لغتنا. . .».

من الصعوبات التي قد تعترض الباحث في بعض المعاجم ورود المشتقات تحت الأفعال التي اشتقت منها بدلاً من موقعها المبني على لفظها

ويوضح المؤلف أسلوبه في تنسيق مواد القاموس فيما يلي: «في صدر كل زوج أو سلسلة من المترادفات أو المتجانسات قد طبعنا بحروف غليظة الكلمة الأكثر شيوعا، وهي الكلمة الأصلية وأساس الترتيب الأبجدي. ثم صففنا بعدها سائر الألفاظ على حسب كثرة شيوعها. . . «أما ترتيب سلاسل المترادفات والمتجانسات التي كلماتها الأولى من أصل واحد، فهو كما يلي، بقدر اللزوم ولزيادة تسهيل البحث: ١ - الفعل. ٢ - مصدره وأسماء المصدر المرادفة. ٣ - النعت المشتق من الفعل اللازم، ثم مرادفاته. . . ٤ - اسم المفعول. ٥ - الفعل المشتق من الفعل السابق للدلالة على التعدية. ٦- أفعال أخرى مشتقة منه. ٧ - أسماء مشتقة منه غير المشار إليها. . .» (من مقدمة المؤلف) ويحاول المؤلف غالبا أن يذكر بعض الملاحظات أو السياقات للتمييز بين المترادفات أو المتجانسات. ومثال ذلك ما يلي:

«شرف - (شرُف) شرفا، نجب نجابة، نبه نباهة، أصل أصالة، حسب حسابة وحسبا: كان شريف الأصل.

(شرف). عرض أعراض: - الإنسان.

(شريف)، نجيب، نبيه، أصيل، حسيب، أثيل، عليّ، علية. . . . أكابر: شرفاء.

عصاميّ: - بنفسه.

عظامي: - بأجداده.

(شرّف) وجهه: جعله شريفاً.

يضيف المؤلف: «قد أضفنا عند اللزوم إلى اسم كل ذكر من الحيوان اسم أُنثاه وولده، وألحقنا بكلمات كالعين والأذن أسماء بعض أجزائها. . . .«**وهو بذلك يحاول، بطريقة عشوائية**، أن يجعل من معجمه، في بعض أجزائه نوعاً من معاجم الموضوعات كذلك. ومن الصعوبات التي قد تعترض الباحث في هذا المعجم ورود المشتقات تحت الأفعال التي اشتقت منها، بدلا من موقعها المبني على لفظها، كما هو المتوقع في المعاجم المرتبة ألفبائياً.

○ ○

من وحي المهرجان

شعر: أحمد عبدالهادي

أوَتذكرونَ المهرجانْ ... ونساءَه تلك الحِسانْ
(وصديقَنا) ذاك الذي ... قد كان مثلَ الألعبان
والنازحين إليه مخـ ... ـتلِفي الديانةِ واللسان
والسادةَ المتشاعريـ ... ـن بلا انتماءٍ أو بيان
وتلاهم الشعراء كالـ ... ـترقيع في عزف الكمان
«وكأنما الأدباء في ... مضماره خيل الرهان»
لكنَّ كلَّ النازحيـ ... ـن القادمين لذا المكان
لهمو هُوِيَّتُهم ولا ... يُزجى لهم أيُّ امتهان
أمَّا بنو المستعربيـ ... ـن فلا هَوِيَّةَ أو كِيان
أوَتذكرون المهرجانْ ... ووفود قاصيهِ ودان
ومفارقاتٍ لا تجو ... ز وقد تبدَّت للعيان
سأقولها للَّه والتا ... ريخ فاشهد يا زمان
«فإليكمو هذا الحديـ ... ـثَ كما وعاه الترجمان»
قد كان ذاك المهرجا ... ن لمُنكري الفصحى الأمان
بلْ قد أُتيح لهم على الأفذاذ فيها الصولجان
ناهيك عن إدراج أسـ ... ـماءٍ لها في الشعر شان
ماذاك إلَّا للعيو ... ن رمادها عند الحران
أما الكلام عن الطلا ... سمِ وانتفاضِ البهلوانْ
وقضيَّةِ التحديث والـ ... ـتفليسِ في رأي اللجان
والترَّهاتِ المضحكا ... تِ الناسِ من إنسٍ وجان
فالقول في هذا طويـ ... ـل ليس في طوع البَنان
سنعيده في قابل الأيام إنْ آن الأوان



لقاء مع

المفكر الدكتور رشدي فكّار

أرقى دول العالم فيها عالم ثالث!

أجرى الحوار: مصطفى عبدالله



د. رشدي فكار

على الرغم من أن المفكر الإسلامي الدكتور رشدي فكّار كان وما يزال من أبرز المرشحين لجائزة نوبل العالمية من المفكرين والأدباء العرب - حتى قبل نجيب محفوظ على حد تعبيره - وعلى الرغم من حضوره الملموس في المحافل الفكرية العالمية بشخصه ومؤلفاته التي تربو على الأربعين مجلدا؛ عشرون منها في النظريات الوضعية والباقي في الفكر الإسلامي، وعلى الرغم أنه يقيم بصورة شبه دائمة في المملكة المغربية إلا أنه لا ينسى للحظة أنه ابن بيئة بسيطة متواضعة هناك في صعيد مصر في محافظة قنا.

فما إن التقينا به في زيارته الأخيرة لمصر حتى قال:

- كثيراً ما أتأمل بداياتي، فأجد أنها حياة بسيطة كحياة أي إنسان نشأ في بيئة قروية متواضعة يغلب عليها الطابع الديني هي قرية (الكرنك بحري) وهي بالطبع ليست (الكرنك الكبرى) التي يعرفها الكثيرون لشهرتها السياحية. وقد كان والدي شيخاً وعمدة لهذه القرية. وأنا أخ لاثنين من الذكور ولأخت واحدة.

نشأت كما ينشأ أي طفل بسيط في قريته على حفظ القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ. وأعتز بهذا أشد الاعتزاز.

ونتيجة لمرض أصابني في طفولتي وكاد يودي بي وأنقذني الله منه قرر والدي - أمد الله في عمره - أن يهيئني للأزهر.. فحفظت القرآن الكريم وبدأت التعامل مع شذور الذهب ونور الإيضاح والكتب الأزهرية وهي بلا شك - أقولها بكل موضوعية - كان لها أثر واضح في تقوم لساني فهي تجعل الطفل أكثر مواءمة وأكثر تعايشا مع بيئته.. فلم يحدث لي انفصال بين ما أعيشه في البيئة وبين ما أتعلمه على

يد فقيه القريـة . والآن بعد أن شاء قدري كما أراده الله أن أكون أيضا من المختصين في علم النفس . .

لاحظت كيف كان القدر وإرادة الله بارة بي . . فلم يحدث انفصـام في الطفولـة بين تكـوين الأسرة وتكـوين المدرسة أو تكـوين البيئة أعـاني منه بعـد ذلك . ربما كان الفضل لله ثم للأزهر ولرسالته التي كنت أتمنى أن استمـر في متابعـة هـذا المسلسل الطيب الخير . وما زلت حتى يومنا هذا أعتز بالأزهر وبالسنوات الأولى التي لم تستمر طويلا ، فإنني بعد فترة في الأزهر والتعليم الأزهـري اتجهت إلى التعليم والمدارس العصرية ، ومع هذا أحمل إعـزازا لوالدي وتعلقا بما أراده لي كابن وُهِبَ للأزهر . . وربما هذا ما جعلني في النهايـة أعود إلى الإسـلام - لا أقول ابتعـدت عنه حتى أعـود إليه - فأنـا كنت دائما في الإسـلام ومنـه وإليه ، لكن ظلت هـذه الهبـة التي أرادها الله أن تكون للإسلام مستمرة رغم التعمق في الفكر المعاصر ، وربما جـاء هذا التعمق بإرادة إلهية

- بمعنى أنني لم أتعمق لأعيش في هـوامش الفكـر المعـاصر أو هـوامش حضـارة الغـرب أو أذهب لأتخصص في إطار استشراقـي معين أو أتكامل في إطار تخصصي كما هي العادة .

**** هل نفهم من هـذا أن الـدكتـور رشـدي فكّـار يـرفض فكـرة سفـر البـاحث العـربي لجامعـات الغـرب للتخصص في ثقافته - الأم ؟**

- بصراحة . . أنا من أنصار أن من يذهب إلى حضارة لا بـد أن يكون هـدفه التخصـص في هذه الحضـارة . أمـا أن يـذهب بحجـة التخصص في حضارته بمنظور الغرب فهذا أمر مرفوض .

****ويضيف الدكتور رشدي فكار:**

- أتساءل هـل فعلاً . . مثـلا إنسان يـريد أن يدرس أموراً تتعلق بـالاستشراق وبالاستعراب ، أو أمـوراً خاصـة بـالأدب العـربي والشعر والنثر ، أو يتخصص في التاريخ الإسـلامي ، أو يتخصص في الفكر الإسلامي أتساءل هنا . . هل فعلا يحتاج كل هذا الجهد ليعيش سنوات طويلة في الغرب . . ومع هذا أفتخر وأعتـز بمن تخصص وكان منهم عمالقة في هـذه العلـوم . ولكـن ربما كـان من الأفضل أن يذهب البـاحث للغرب إذا كان الهدف هـو دراسة التصوف أو الفلسفة الإسـلامية أو الأدب الغربي . وهذه مـلاحظة نحس بها الآن في السـاحة العـربية التي أصبحت عـامـرة بالمتخصصين وبـالمفكـرين والباحثين ، فهل نسافـر خمسة أعوام لنتخصص في ابن الفـارض أو في ألفيـة ابن مـالك؟! . أتسـاءل أليس من الأولى أن يُتَخَصَص فيها في الأزهر أو في «القرويين» ، وقد يقول البعـض : إننا نحرم أجيالا وشبابـا من أن يتخصص . . ولكن يذهـب للغرب ليتخصص في منـاهـج البحث . . في حضـارة الإسلام . . في طـرق البحث ، في التوثيق . . كيف يوثق ؟ لأن المخطوطات والمراجع الأساسية للأسف متـوافرة أكثـر في المكتبـة الـوطنيةببـاريس . . وفي الاسكوريـال في أسبانيـا . نعم هناك يتـاح للشاب فـرصـة عـام أو عـامين كبـاحث ، يـذهب هنـاك ليستمع لمحاضرات في المنـاهج ومحاضرات في طرق البحث ومحاضرات في الـدراسـات التطبيقيـة . . ولكن هذه أطروحات من الأولى أن تناقش في بلده مـا دام الموضـوع يتعلق بها . وهنا لاحظنـا مشكلـة خلقت نوعا من الانفصـام الذهني ، فإن كثيرا ممن ذهبوا ليتخصصوا في الغرب من أبناء الشرق يلاحظ أنهم قد تخصصوا فعلا في الحضـارة العربية وفي فقه اللغة العـربية والأدب العـربي والجغرافيين العـرب والرَّحالة العرب ، وبعد أن يعودوا بالدكتوراه إذا بنا نكتشف أنهم قـد تخصصـوا في علم الإنسـان الغربي . .

أتساءل كيف ؟ إنسان درس قضية في الحضارة الغربيـة . . بعـد أن قضى أعواما طـويلة في الغرب الـذي يحدث أنها ستكـون عملية (سنـدوتشـات) ومقتطفـات ، لأنـه كـان من المفـروض أن يـذهب خمسـة أعـوام ليغـوص في العلوم الحديثـة الغـربيـة ويحصل على درجـة أكاديميـة فيهـا ، ثم يأتي ليبني أجيالاً في بلده على هذا المستوى ، وإلا سيظل دائما في أمـور هـامشيـة كما نـلاحظ في علـوم الإنسـان السيكولـوجي والانثربولـوجي ، فكثيرا ممن يكتبون فيها بالعـربية هم أساسـا متخصصون في الحضارة الغربية . . .

فقد كـانت هناك إرهاصـات لعلوم العصر في الحضارة الإسـلامية . . وأتسـاءل دائما **لولا حضارة الإسلام مـا كانت حضـارة الغرب** ، يعنـي الجذور لحضارة الغـرب جاءت بأسماء رفيعة علينـا أن نعتز بها : **ابن سينا** . . **ابن الهيثم** والقائمة طويلة سواء في الجغرافيا أو في الفلك أو حتى في العلـوم التجريبية كـان لهم شأن ، ولكن شأن حسب وقتهم وحسب إمكـانـاتهم . بعـد هذا اتجهت القـافلـة للغـرب ، وتحولت الإرهـاصـات إلى تخصصـات وجـاءت حضـارة تطرح تـوزيع العمل والتخصص والبرمجة والمنطق والمناهج . . **هـذه الحضـارة بـلا شك لها خصوصيـات وقد كان من المفـروض أن نتساءل في البـدايـة قُبل أن نكـوّن العقل الـذي يـدرس في جامعاتنا : ماذا نريـد منه ؟ إذا كنا نريده أن يكون لغويا (عالم لغة) فمعروف أن اللغة العربية خير من يعطيها أهلهـا وإلا كيف يتخصص إنسـان في فقه اللغة العـربية على يـد مستشرق يجد صعوبـة في أن يكـوّن عشر جمل بصـوت واضح وبـدون ارتكـاب أخطاء ويصبح أستاذه الذي يمنحه درجة دكتوراه ، هذه قضية كبرى** . .

○ لولا حضارة الإسلام ما كانت حضارة الغرب.
○ لهذه الأسباب أرى المستقبل هنا في ديار العرب.

وأعتقد أنـه آن الأوان لكي تطرح بموضـوعية هـذه القضية ، فمن يتخصـص في المناهج وطـرق البحث وما استجد في الدراسات اللغوية يسافر ثم يناقش أطروحته في بلده لأن علماء العرب هم الذين يعرفون اللحن والإعـلال وألفية ابن مالك . . ومن يرد أن يتخصص في الأدب فالأفضـل له أن يذهب

إلى أوروبا لكي يتعرف على آخر ما استجد في النقد الأدبي وعلى المدارس الأدبية على مستوى الدراسات الأكاديمية . . ليعود فيعطي نفحة للأدب العربي من المستجدات ولا يغرقنا بلغة مملوءة بالأخطاء واللحن .

والآن نفخر بأن أجيالا لدينا في الجامعات العربية يمكن أن يتتلمذ على يديها وأن تضع وتؤسس مدارس فكرية، ولا نقول للباحث : قف لأنني أؤمن بالتثاقب والتوافق بين الحضارات ، ولكن أقول : اذهب إلى الغرب بهدف محدد ؛ أن تذهب لتأخذ ما لا تجده في دارك أي تذهب لِتُحَقِّقَ فيها لدى الغربيين لا أن تكرر ما لديك بلغة مهزوزة .

*** * وماذا فعلت أنت شخصيًّا في أول لقاءٍ لك بالحياة الأكاديمية في الغرب لكي تخرج من هذه المشكلة؟**

– أعترف أنني حينما ذهبت إلى أوروبا صادفت هذه المشكلة وتساءلت : هل من الأجدى أن أدرس الشرق بالطريقة الغربية . . بمعنى هل أتناول موضوعا شرقيًّا إسلامياً وأدرس على يد أساتذة غربيين؟ وبعد تفكير توصلت إلى أنه من الأفضل بالطبع أن أحدد الجهة التي سأذهب إليها . . واخترت أن ألقي بذاتي في قطاع حضارة الغرب . . وقلت قد يكلفني هذا عاماً أو عامين أو ربما العمر كله ولا أصل إلى غايتي . ولكنني – على الأقل – حاولت أن أكون صادقاً مع نفسي . فحينما كنت في الشرق في طفولتي وأردت أن أكوّن بيئتي توجهت للأزهر وهو عمق الحضارة الإسلامية .

وحين ذهبت للغرب ألقيت بنفسي في أزهر الغرب وفي عمق الحضارة الغربية فتكونت لدي إرهاصات في البداية من هنا وهناك . وحاولت أن أتعامل مع نظرية القلق لدى مفكري الإسلام في العصور الوسيطة وأخيراً شاء الله أن أستوعب هدفي قبل أن أستوعب الدراسة : ماذا أريد بالضبط ؟ قلت أريد علم الإنسان ؛ إن عليَّ أن أستوعب علم الإنسان بمحاوره الثلاثة :

١ – أغوار الإنسان شعوريًّا ولا شعوريًّا في ضوء علم النفس .

٢ – الإنسان في علاقته البيئية كمؤثر ومتأثر في ضوء علم الاجتماع .

٣ – الإطار العلائقي للإنسان والإطار الأغواري والإطار النتاجي ، بمعنى أن الإنسان تكوين عادات وتقاليد وأعراف توارثها جيل عن جيل هو الانتربولوجي . . وهو ما أسميه الإنسان الشامل . . وهذا كلفني الكثير حقيقة .

*** * ويروي لنا الدكتور رشدي فكّار كيف أنه عمل مساعدا لعالم غربي له مكانته وهو جورج جروفتش . . رئيس المؤتمر الدولي لعلماء الاجتماع ويقول :**

– كنت كاتباً له . . وتعلمت منه الكثير . . وتتلمذت قبل الوقت . . وبدأت أتمرس على القدرات الذهنية ، فقد كان يعطيني أطروحات دكتوراه الدولة التي يعدها الباحثون الغربيون لكي أراجعها ويناقشني فيها .

وهو الذي قال لي : **إن أردت أن تسيطر على حضارة الغرب فعليك أن تسيطر على القرن التاسع عشر فهو الحصيلة والنتيجة لمعطيات حضارة الغرب المتدفقة إلى الأمام . وقد تبلورت فيه المدارس الوضعية وعلى رأسها السانسيمونية .**

*** * في تصوركم لماذا انتهت الماركسية من العالم ؟**

– لأنها تجاهلت أغوار الإنسان . . وتاريخه وسجنته . . ولأنها لم تعط أهمية لما وراء سراديب الإنسان واهتمت فقط بنمط الإنسان الإنتاجي وكيف تشبعه وتتجاوز به حد الكفاف وتوفر له الضرورات لكي يقود الانتصار والكفاح حتى النهاية : فإذا بهذا الإنسان يقوم بالعكس ، فهو حينما حصل على ضمانات لإشباع بطنه – بعد ثورة أكتوبر – وضمن الكساء والملبس بدأ يفكر ويكتشف إنسانيته الضائعة ويفتش في أغواره . ووجد أن عليه أن يعي جيدا أنه لن يقف عند هذا الحد . وهنا بدأت قضية الإنسان وقال : ماذا بعد . فانهارت الماركسية .

ولو أن الماركسية استوعبت السيكولوجية لوضعت في حسبانها إنسان الأغوار وإنسان الروحانيات . وهذا هو الذي يفسر لنا كيف أن نظرية جاءت لتأخذ بيد الكادحين وبيد المقهورين لم تجد لديها أصداء لدى هؤلاء الكادحين المقهورين نهائيا .

*** * وماذا رأيت في تجربة الصين ؟**

– آه . . إن الصين في رأيي هي التساؤل الأكبر لمصير البشرية . الصين لبست عباءة الماركسية اللينينية ولكن بجسد كونفوشيوسي ، وعلينا ألا نتسرع في الحكم على التجربة الصينية وأن نكون حذرين .

نعم انتهى الاتحاد السوفييتي . وبقيت الصين . . نحو مليار . . فهل الصين قادرة على أن تعيد صياغة النظرية الماركسية بالطريقة الكونفوشيوسية لتصبح أنموذجا آخر . أم إن الصين بدورها سوف تكتشف أنه من الأوْلى أن ترفع القناع عن كونفوشيوس وتعيده إلى الواجهة ولكن بثوب تكنولوجي ومزخرف بالتطبيق الصناعي ومغلف بالقدرات العلمية المستحدثة .

والأعوام القادمة هي الكفيلة بالإجابة عن هذا التساؤل العريض . ومن حق الفلاسفة أن يكونوا حذرين ويطرحوا التساؤلات ، أما الإجابة بجملة مفيدة من مبتدأ وخبر فهذه نتركها لصائغي الكلام .

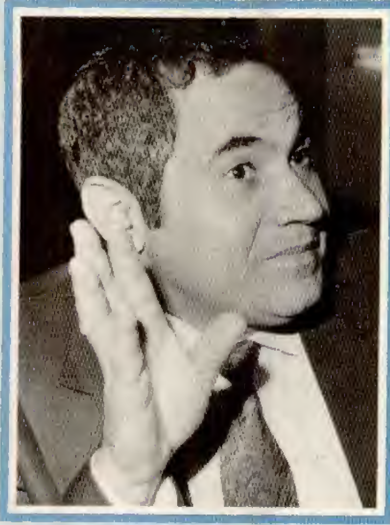
ويضيف الدكتور رشدي فكّار:

لو عدنا للاتحاد السوفييتي أو ما كان يطلق عليه الاتحاد السوفييتي سنجد أنه بعد انهيار هذا الكيان بدأ كل إنسان يبحث عن هويته .

*** * دكتور فكّار في محاولة لقراءة المستقبل من خلال مفردات الوقت أعلنت أن المستقبل هنا في ديار العرب .**

– بلا شك حاليا النظرة اليائسة أو المنظور التشاؤمي هو المنظور السائد ، لأن البعض يحكم

○ أرفض أن نحوّل أقل ألم إلى كارثة سرطانية!
○ السلاح الذي يمكن أن ننهض به الآن أن نكون محاورين مهادنين لا مداهنين!!



من خلال ما يجري في السنوات الأخيرة من أزمات. وأنا أستسمحهم وأحترم اجتهاداتهم ولكن أحترم أيضا اجتهادي المتواضع الذي يرى أن هذه الهموم هموم وظيفية وليست عضوية.

بمعنى أن جسد هذه الأمة.. أمة الإسلام التي تشتمل على دولة مستقلة مضافا إليها الأقليات الإسلامية الكبرى التي هي دول كبرى قطع رأسها ولها كل صفات الدولة وعددها يصل إلى سبعين مليونا.

ورغم كل المحاولات المقنعة والمصطنعة والملل والنحل والطوائف ظل الإسلام قادرا على احتواء كل هذا (الحيص بيص) وهذا الأخطبوط من النزعات المختلفة والقوميات، وظل الحج والصيام والصلاة والزكاة بمعنى ظل الأب رغم هيصة الأبناء جميعا، وهذه نقطة وركيزة استمرارية الإسلام. وهناك ركيزة أخرى مهمة هي التي استهدفت في أمة الإسلام.. وأعني بها وحدة اللسان. وهناك جانب من أمة الإسلام قاوم ويفخر الآن أبناؤه ويعتزون بمن جاهدوا ليأتونا بالاستقلال في الوقت المناسب، وبالتالي حموا هذا الوطن العربي الذي هو الركيزة وهو القاعدة لأمة الإسلام من أن يبتر بدوره فيخرج منه وحدة اللسان، وبقي اللسان العربي يوحد ويجمع بين العرب ويجعلهم غير الآخرين في أمة الإسلام فهم يتكلمون لغة القرآن الكريم.

وهنا يطالب الدكتور رشدي فكّار قادة هذه الأمة الإسلامية أن يستعيدوا لنا هذه الركيزة المهمة لا باسم العنترة والنعرات والتّعصب العنصري وإنما يعلنونها في مؤتمر قمة إسلامي أن لغة القرآن لم تفرض وإنما استعادت ما كانت عليه ويناشد **الجمهورية الإيرانية الإسلامية أن تعلن أن لغة القرآن هي لغة الدولة الإيرانية المسلمة.**

ويقول الدكتور فكّار:

- على الدول العربية أن تعتز بأننا نمثل الركائز الأربع للأمة الإسلامية وعلى غيرنا أن يقتدي بنا. ونحن العرب قدوة، والمستقبل هنا في ديارنا في ديار الإسلام بكعبتها ومسجد الرسولﷺ، بل ويطالب الدكتور رشدي فكّار بتغيير اسم اللغة العربية إلى لغة القرآن. وتصبح أمتنا هي الأمة الإسلامية.

*** * في تصورك ما سبب روح العداء للإسلام التي تسود بعض العواصم الغربية في الوقت الحاضر والتي تصل إلى حد التصفيات الجسدية؟**

- أنا أعيش هنا وهناك وأرى الصورة بمعيار مختلف متوازن أو متعدد الحيثيات. ولذلك فلا أتصور أن الموقف منّا في الغرب بهذه الخطورة، هو ليس أكثر من المنافسة.. وهذه المنافسة ليست بجديدة على البشرية.. وقد حددها القرآن الكريم من البداية في قول الحق سبحانه وتعالى: **﴿ولولا دفع الله النـــاس بعضهم لبعض﴾** صدق الله العظيم. فالبشر يتدافعون وعلينا أن نقبل بروح رياضية.

والذي لا أميل إليه هو أن نحوّل أقلَّ ألم إلى كارثة سرطانية. فهذه آلام طبيعية. وفي رأيي أن الدول المتقدمة صناعيًا يجب أن تعي جيدا أن هناك ملايين من البشر تتطلع للمعيشة بنفس المستوى الذي تعيش فيه، وأن عليها أن تضع الحدود والحواجز وبالتالي عليك بدورك أن تعي هذا.

ولا تتصور أنه كان من المفروض بعد أن أتت الثورة الصناعية وتحقق كل هذا التقدم التكنولوجي والتطبيق الصناعي أن يقولوا لك: تفضل.. اسكن ونم هانئا ونحن سنخرج لننام في قارعة الطريق، هذا أمر صعب لأن الغرب يدافع عن مكتسباته.. ودفاعه هذا موضوعي، قد يكون جاء بما اكتسبه بطرق غير مشروعة في أثناء استعماره لنا ولكنه يعدها الآن مكتسباته هو.

إذن من هنا كانت دعوتي في نظريتي الأخيرة في ثلاثة مجلدات إلى الحوارية. فالسلاح الذي يمكن أن نقف به على قدمينا الآن هو أن نكون محاورين مهادنين لا مداهنين، نعرف كيف نأخذ بقدر ما نعطي. وبقدر ما يطرح علينا السؤال نجيب عنه. ولا نغرق في التفاصيل خارج الموضوع لأننا لو ذهبنا إلى الهوامش سنغرق فيها.

ونحن في أشد الحاجة إلى التأهيل، وما أنصح به في النهاية هو أن نضع أمام أعيننا - كغاية - التأهيل، فالإنسان المؤهل هو القادر على أن يتحرك في نهاية القرن العشرين سواء أكان ينتمي إلى النخبة المثقفة أو النخبة المفكرة أو نخبة العلماء. ولهذا كنت دائما لا أقتنع في جدية أطروحة أزمة النظم أو أن الكارثة هي النظم.. نظم فاشلة أو فاسدة.

○ وهبني والدي للأزهر، ودفعت عمري ثمنًا للوصول لأعماق الإنسان !
○ انهارت الماركسية لأنها سجنت الإنسان

أبداً . . فالنظام هو إطار . . والمشكلة هي مَنْ في داخل النظام ؟ .

ويضيف الدكتور رشدي فكّار قائلاً :

– يمكن لأي نظام أن يوضع بداخله قيادة واعية فيتحول إلى أروع نظام وقد يكون نظاما مهلهلا من قبل، وتأتي بنظام في قمة العطاء – على مستوى القائد – ولكن برحيل هذا القائد أو وفاته يحوّل قائد آخر نفس هذا النظام إلى كارثة .

إذن مشكلة النظام هذه غير مطروحة، والمشكلة في الحقيقة هي كيفية تأهيل القادة . **وهذه من روائع الإسلام الذي طرح أسساً لتأهيل من يقود المسلمين في الصلاة . وكيف يكون الإمام بالضرورة حافظاً للقرآن الكريم وحسن السير والسلوك وكيف يجب أن يكون طاهراً نظيفاً، وهذا مطلوب فيمن يتولى إمامة المسلمين في الصلاة . فما بالك بمن يقود أمة !**

ويعود الدكتور فكّار ليقول :

– إن كنا نعاني من بعض الأزمات في الحاضر فيجب أن نعي أنه لا توجد أمة تتحرك بدون توعكات أو أزمات . ولا يمكن لطفل أن ينمو ويترعرع بدون أن يتخبط مرة أو يقع على الأرض فيجرح ومرة يقفز فيقع فيكسر . إذن لا بد من هذه الأشياء التي هي بالضرورة جزء من حركة تقدم الأمة .

*** * وما رأيك إذن في تسمية (العالم الثالث) ؟**

– كل دولة في العالم لها عالمها الثالث . ومن الخطأ أن نحتكر ما يطلق عليه (العالم الثالث) للقارات الثلاث : الأفريقية، والأسيوية، وأمريكا اللاتينية . ونقول هنا يرقد وينام ويحتضر العالم الثالث .

فنحن حينما نذهب لأرقى دولة في العالم سنكتشف أن فيها عالمها الثالث الذي تراه واضحاً في ركن من أركان الدار . لكن مشكلتنا أن عالمنا الثالث حينما تفتح الباب ستجده في وجهك .

*** * ننتقل إلى المشروع الحالي والمستقبلي للدكتور رشدي فكّار .**

– حاليًا أنا سعيد بأن وقعت اتفاقا منذ أيام مع إحدى دور النشر في القاهرة لاختيار عشرين مجلدا من مؤلفاتي وإصدارها في طبعة جديدة تحمل عنوانا واحدا هو : (رشدي فكار في عشرين مجلدا مختارة من روائعه في الفكر الإسلامي والعالمي) . وسأتابع في خلال الشهور القادمة من المغرب عملية طباعتها .

*** * وماذا عن أبحاثك الجديدة ؟**

– كتاب أوشكت على الانتهاء من الفصل الأخير منه بعنوان **(بلاء الوجود في ديار الإسلام)** . وفيه أتناول مضمون البلاء في الدين وفي الفلسفة وفي العلم، ثم بلاء أولي العزم من الرسل، ثم بلاء الصحابة والتابعين، ثم البلاء في ديار الإسلام عبر الأيام والسنين حتى نصل للقرن العشرين الذي أعتزم الكتابة فيه حين عودتي إلى صومعتي في المغرب حيث أُملي على زوجتي هذا الفصل، وهو ليس بالسهل ويحتاج لنوع معين من المرونة والاتزان في العرض والبعد عن المبالغة، وأيضا البعد عن الرياء والمداهنة . ولهذا أتمنى أن يخرج هذا الفصل الأخير بنفس قوة فصول الكتاب الأخرى وموضوعيتها وأتمنى أن يمد الله في عمري وانتهي من هذا الكتاب مع نهاية هذا العام .

*** * بعضهم يتساءل لماذا اخترت المغرب لتقيم فيها إقامة دائمة خلال كل هذه السنوات ؟**

– كانت إرادة الله سبحانه وتعالى وقدري أن أسافر للمغرب، وإذا ما سئلت الآن بعد إقامة حوالي عشرين عاما فأعتز وأفخر بالمملكة المغربية التي كنت ممن شاهدوا حركة النمو فيها، وعلى وجه الخصوص في النواحي التربوية والثقافية أساسا حيث أسهمت، وأنا فخور بحياتي وتعايشي مع المغاربة وتساكني معهم ولم أر منهم إلا الخير . وقد أشرفت في المغرب على أطروحة ماجستير عن قبائل الهوارة في تازا في المملكة المغربية، وحاليًا سوف تقدم أطروحة عن قبائل الهوارة في ليبيا مع باحث ليبي، وأنا من قبائل الهوارة في صعيد مصر . فإذن حينما بقيت في المغرب فأعتقد أنني لم أشعر لحظة بالغربة، فقبائل الهوارة موجودة في مصر وليبيا وفي المغرب وفي الجزيرة العربية، وهذا يؤكد لي مرة أخرى أنني حينما أقول أمة واحدة إن شاء الله فأنا لا أفتعل شيئا وإنما أقر ما هو ثابت تاريخيًا، فأنا في حد ذاتي حيثية من حيثيات استمرارية هذا الإيقاع في جسد هذه الأمة الذي كان يسافر فيها ابن **خلدون وابن بطوطة** من غرناطة حتى دمشق دون أن يخرج جواز سفره ودون أن يسأله أحد : من أين جئت أنت ؟ وما هي بلادك ؟

هذه قضية ولذلك أقولها مرة أخرى بموضوعية إنني ما شعرت وأنا في المغرب بأنني كنت أمارس الاغتراب . فأنا بين أهلي وأحبابي وصومعتي في الرباط يأتيني فيها المريدون والمحبون كل يوم اثنين وثلاثاء وأربعاء بعد الظهر، وهي تضم ما يقرب من أربعين ألف كتاب وقد أسميتها (دار سمر)، وأنا فخور بأن المغرب هي مصر ومصر هي المغرب وهذا نموذج لكل أشقائنا العرب .



التجربة التأملية في شعر العقاد

بقلم: د. صابر عبد الدايم

تُعدُّ التجربة التأملية في المجال الشعري من أعمق التجارب الشعرية، وأنفذها إلى القلوب بالمشاعر، وأبقاها في النفوس. نفوذاً وتأثيراً، واكتشافاً للمنابع القصيَّة، والدروب الجديدة، لأن التأمل يقترب من آفاق الفلسفة «فالشاعر يقتبس من الفيلسوف، والفيلسوف من الشاعر. وهما لا ينسيان هذا النسب العالي والإخاء في أشد أوقات الخلاف والعداء وليست وظيفة الشاعر أن يتناول الوجود مباشرة وإنما وظيفته أن يتناوله من الجانب الحسي وينفحه بالجمال ويمزجه بحياة الإنسان وعواطفه وأهوائه ومراغبه، وليست المكانة الأولى في الشعر لما قاله الشاعر في ذاته وإنما لكيفيَّة قوله وأسلوب أدائه»(١).

والأستاذ العقاد يجنح في شعره إلى التجارب التأملية التي تصبغ مشاعره ونتاجه الشعري كله بصبغة التأمل والفلسفة ولا نفتقد هذا الخيط التأملي حتى في ديوان «عابر سبيل» الذي أراده كما يقول في مقدمته «شعرا في كل مكان، فعابر السبيل يرى الشعر في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من دواعي الفن والتخيل، لأنها كلها تمتزج بالحياة فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد للتعبير عنه صدىً مجيباً في خواطر الناس»(٢).

وأول قصيدة في ديوان «عابر سبيل» عنوانها - بيت يتكلم، ومقدمتها تفسر الاتجاه التأملي في شعر العقاد، فهو يستنطق الجماد، ويتأمل قصة هذا البيت، ويطلق لفكره ولشعوره العنان في تجسيد مسيرة الحياة ولونها وحركتها كل ذلك على لسان هذا المكان الصغير الذي يعد صورة مصغرة من العالم الكبير.

يقول العقاد في مفتتح قصيدته «بيت يتكلم»(٣).

جميع الناس سكاني	فهل تدرون عنواني ؟!
وما للناس من سرٍّ	عدا آذان حيطاني
حديثي عجب فيه	خفايا الإنس والجان
فلم قضيت أيامي	بأفراح وأحزان !!
وكم آويت من بَرٍّ	وكم آويت من جان
فإن أرضاكم سرى	فهاكُمْ بعض إعلاني

وهذا الاتجاه في شعر العقاد غير منفصل عن شخصيته، وغير منفصل عن منهجه الفكري والنقدي! وبعض الباحثين يرى أن العقاد مفكر شمولي، وقد يعنون بالشمولي هنا أنه إذا تناول مشكلة من مشكلات الفكر أحاط بها وأحاطها بكل ما يمكن أن تتصل به من عناصر الفكر والعلم، فلا يترك ناحية يجد أنها قادرة على أن تعطيه ما يفيده في «موضوعه» وينير سبيله، ويوسع من أفق الحياة أمامه إلا عالجه معالجة عميقة حصيفة.

وربما عني البعض «بالشمول» أن الأستاذ العقاد يستجمع للفكرة التي يعالجها كافة النوعيات العلمية التي تتصل بها أو يرى أنها تتصل بها. وكأنه بذلك يبحث لفكرته عن «تأييد علمي» من العلوم والآداب المختلفة.

ومن الناس من يرى أن الأستاذ العقاد مفكر كبير فيوقرونه ويبجلونه، ويحلونه مقام الذروة بين مفكري العرب والإسلام. وقد يجمع الحب بأولئك الموقنين فيرون أن فكر الأستاذ العقاد محيط شاسع زخار لا يستطيع الإنسان أن يلمَّ بأطرافه وحدوده بنظرة واحدة، ولا يستطيع أن يستوعبه بعقله في تأمل سريع، ولو حاول ذلك فإنه سرعان ما يلقى نفسه وقد هوى وسط أمواجه العاتية الرهيبة(٤).

والأستاذ «المازني» من هذا الفريق الذي يجل عبقرية العقاد. ويعرف قدرها، ويبالغ في تقدير شاعريته. فيقول في مقدمة ديوانه واصفا شعر العقاد:

«بحر بلا انتهاء ! هذا هو الذي بين أيدي القراء: موج فوق موج، ودفاع

التجربة التأملية في شعر العقاد

بعد دفاع، ورغوة من ورائها رغوة، وحركة في إثر حركة وأواذي مصطفقة، ورياح مصطخبة، ومد وجزر وضوضاء»(٥).

وهذه الرؤية لشاعرية **العقاد** تركز على موقفه من الحياة، والذي يركز فيه العقاد على موضوع الشعور، وامتزاجه بكل مظاهر الحياة كما جاء في مقدمته لديوان عابر سبيل. وهو بذلك **يؤكد المنحى التأملي في شعره لأن التأمل هو مضمون الشعور**. ذلك المضمون الموحد الذي يتميز بدرجة كبيرة التركيب والذي يظهر من خلال الموقف الذاتي للشخص المدرك.

التجربة التأملية

والتجربة التأملية لا بد لها من الوحدة العضوية، وبالتالي التجربة الشعرية التي هي أهم أنواعها لا بد لها من الوحدة العضوية لنموها، ذلك النمو الذي يتغير فيه الكل تغيرا كيفيًّا دائما؛ ومصطلح **«الوحدة العضوية»** نادى به **العقاد**، وطالب بتوفر الوحدة العضوية في القصيدة حتى لا تبدو مفككة مضطربة متنافرة المكونات، وهذا دليل فني وعلمي على اتجاه **العقاد** التأملي في شعره.

وليست التجربة التأملية كما يشاع - خطأ - خالية من الشعور؛ مثقلة بالفكر الجاف، وبالتفنين العقلي الصارم. فالتجربة الجمالية كما يقول صاحب كتاب «الشمول والتأمل» مرادفة للتجربة التأملية فالجمال إذن هو التأمل يقول **«هاملتون»: «إن التجربة الجمالية الكاملة هي تجربة تأمل، لا يشتت فيها اهتمامنا فيتحول إلى ما هو عملي سواء كان ذلك إيحاء بحلول السعادة أو تأكيدا لأهمية واجب خلقي، أو يتحول إلى ما هو فكري، وتتضمن كلمة فكري هنا كل ضروب النشاط المتواضعة التي يمارسها العقل القلق... والجمال يوجد في موضوع التجربة الجمالية، فحينما تكتمل هذه التجربة نَنْسى أنفسنا، ويكاد يختفي التمييز بين الذات والموضوع. إذ نفقد ذواتنا في الموضوع ونستمتع بنشوة التأمل. بالمعنى الدقيق لكلمة نشوة»**(٦).

وللشعر قيمته في تنظيم الذهن على نحو مباشر، وعلى نحو غير مباشر؛ على نحو مباشر؛ لأن التجربة الشعرية ذاتها تتميز بالنظام البديع المتناسق؛ وعلى نحو غير مباشر؛ لأنه يشجع على إيجاد عادة التأمل في الذهن.

والتجربة التأملية في أسمى صورها ترتفع بمدارك الإنسان وتسمو به عن التدني إلى الأغراض الحسية التي تثيرها غرائزه الشهوانية، **ومن هنا كانت التجربة التأملية من أرقى التجارب الأدبية**. إذ تتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية، فتخرج مادة هي مزيج من القدرات والملكات كلها فترضى كل ذي فطرة نقية خالصة(٧).

ورأيُ **العقاد** في الشعر يفسر هذا الاتجاه التأملي في شعره.. فهو يرى أن الشعر **«حقيقة الحقائق، ولب الألباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين على لسانها... قد يخالف الشعر الحقيقة في صورته، ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها، ولا يمكن أن يشذ عنها»**(٨).

والشاعر المتأمل فيه من الفيلسوف حكمته، ومن الشاعر رقته، ومن الفنان حَدْسه ورؤيته المستقبلية.

التأمل يختلف عن الفلسفة

والعقاد في ضوء هذا المفهوم للتجربة التأملية هل نعده فيلسوفا؟

الواقع.. أننا لا نعد العقاد فيلسوفا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وإنما نستطيع أن نقول إن: «هناك علاقة موضوعية بين الفلسفة والتأمل، فهما يشتركان في موضوعات واحدة.. لكن التأمل يختلف عن الفلسفة في أنه لا يعنى بالقوانين الثابتة، ولا التعريفات المحددة التي تعطي منهجا متكاملا له صفة الثبات والتوحد، والفلسفة مصدرها العقل أما التأمل فيستضئ بوميض العقل الصافي الذي يكشف الطريق ولا يحدد الأبعاد مع مؤازرة الوجدان والشعور، وليس من غرائب الطبائع أن تتوفر لدى الفيلسوف قدرة الأديب، أو يستقر في أعماق الأديب ومض لَمَّاح من عقلية الفيلسوف».

«ونوفاليس» في أحد فصول **«الشذرات»** يتحدث عن الأدباء وعالمهم فيقول: **«إذا كان الفيلسوف ينظم كل شئ ويضعه في موضعه، فإن الأديب يفك كل القيود، إن كلماته ليست علامات عامة، بل هي أنغام ورقى سحرية تحرك حولها مجموعات جميلة»**(٩).

موقفان من الصلة بين الأدب والفلسفة

والأدب في جوهره يجمع بين عنصري الفكر والعاطفة، ويقدم إلى القارئ والمشاهد والمستمع في صورة فنية تسمو على التوجيه المباشر، وتبتعد عن السرد الجاف، واللغة التقريرية المحدودة.

ولمؤرخي الأدب ونقاده **موقفان من الصلة بين الأدب والفلسفة وهما**:

أولاً - ينظر فريق من النقاد إلى الأدب على أنه شكل من الفلسفة وأنه «أفكار يلفها الشكل، وهو يحلل بغية استخراج الأفكار الرئيسة منه، ومن المناصرين لهذا الموقف البحاثة الألماني المتخصص في تقويم أعمال **شكسبير «أولريتش»** وقد وضع الفكرة الأساسية لتاجر البندقية «على أنها حق كبير مبني على أذية كبرى»(١٠).

ثانياً - يرفض فريق آخر من النقاد أي تطابق فلسفي مع الأدب، ومن المناصرين لهذا الموقف «**جورج بواس**» حيث ألقى محاضرة عن الفلسفة والشعر فقال:

«تكون الأفكار في الشعر عادة ممتهنة وغالبا زائفة، وما من أحد تجاوز السادسة عشرة من عمره يجد أن قراءة الشعر لمجرد معرفة ما يقوله تستحق منه أي جهد. ويرى ت. س اليوت أنه «لا شكسبير ولا دانتي قاما بأي تفكير حقيقي»(١١).

ورأى **إليوت** يؤكد رفضه لوجود عنصر الفكر في الشعر وقد علل بعض المناصرين لموقف الرفض السبب في رفضهم لعنصر الفكر في الشعر بأن المضمون الفكري لمعظم الشعر «وبخاصة الغنائي» يقع في العادة تحت مبالغة مفرطة، وقالوا: إن القصائد الحائزة على الإعجاب بسبب فلسفتها عند تحليلها نجدها مجرد لغو يتعلق بفناء الإنسان أو قلق مصيره.

وقالوا: إن أكثر التساؤلات التي يثيرها الشعراء ذوو الرؤية التوقعية تنقلب إلى مجرد نسخ يمكن نقلها عن حقائق أولية.

والرأي السوي في حسم هذا الأمر هو أن **الصورة الفنية للعمل الأدبي تقدم على الفكر الفلسفي فيه، وإذا اجتمع الفن مع الفلسفة عثرنا على نتاج أدبي رائع متميز كما في شعر المتنبي، وشعر أبي العلاء، وشعر أبي تمام. وشعر عمر الخيام.. وبعض شعر العقاد، وأدب ميخائيل نعيمه.**

النقاد وشعر العقاد

ولم يسلم العقاد من النقد والتجريح، **فقد اتهمه أنصار الفريق المعارض** لتواجد العنصر الفكري في الشعر، **بجفاف العاطفة، وبأن غزله عقلي متميز بالفكرة المدروسة لا بالعاطفة المشبوبة**، ومن النقاد من صور هذه التهمة في صورة المعابة المتلفة، ومنهم من صورها في صورة موضوعية بحتة بعيدة عن القيم والتقييم، ثم أردفها بما يفهم منه أن الشعر في هذا وهذا، وأن **العقاد** قد تأثر في السبيل التي سلكها بما قرأه من أشعار الغربيين[١٢].

والرأي المنصف لشعر **العقاد** هو وضعه في إطار **«التجربة التأملية»** فالتأمل مرحلة شعورية تقودنا إلى منابع الفكر، وتقترب بنا من عوالم الفلاسفة، ولا نستطيع أن نقول مندفعين بعاطفة حبنا **للعقاد** وانبهارنا بفكره، إن شعره مشبع بالعاطفة الحارة، وخالٍ من النزعة الفكرية، **وهذا ما حاوله «أحمد إبراهيم الشريف» في تقديمه لديوان «العقاد» حيث أضفى الصبغة العاطفية على كل شعر العقاد.**

والعاطفة لا ترتبط باختيار الموضوع... ولكنها تنشأ من انفعال الشاعر بموضوع تجربته، وبطريقة التعبير وطبيعة الأسلوب؛ وللعقاد نفسه قصيدة بعنوان **«العقل والعواطف»** وفيها يمزج بين الاثنين؛ وقد أخذ مصطلح **«الوجدان»** وطوره على نحو ربطه فيه بالفكر على نحو وثيق، وجعله مرادفا لما يمكن أن يسمى بالبصيرة الشعرية، التي يتوازن فيها الفكر والشعور على نحو متكافئ في العمل الشعري، وكأن **العقاد** جرى في ذلك على ما جرى عليه الرومانسيون الكبار فبدأ «التأمل في شؤون قلبه» فقاده هذا إلى «التأمل في شؤون عقله»[١٣].

ويقول العقاد: «الأدب الرفيع لم يخل من عنصر التفكير»، وقد عبر عن ذلك شعرا في قصيدة العقل والعواطف.

ليس الذكاء على الحياة مهيمنا ... إن الحياة على الذكاء تهيمنُ
والعقل من نسل الحياة وإنما ... قد شاب وهي صغيرة تَــزَّيَّنُ
والطفل تصحبه الحياة وما له ... لبٌّ يصاحب نفسه ويلقن
والناس قد عاشوا وما كان الحجى ... إلا جنينا في الحشا يتكوَّن
إن العواطف كالزمام يقودنا ... منها دليل لا تراه الأعْيُنُ[١٤]

شعر العقاد يتحرك في إطار التجربة التأملية

وشعر **العقاد** في حقيقته لا ينفصل عن الفكر. ولا يتأتى عن الشعور الفلسفي، وهو مهما تعددت سبله - وتنوعت طرائق التعبير عنه فإنه يتحرك في إطار التجربة التأملية، إنه يوغل في الكشف عن أسرار النفس الإنسانية، ويمعن في إكتشاف حقائق الوجود، إنه يحاول التحليق فيما وراء الحس، ويستنطق كائنات الطبيعة. ويحيلها إلى كائنات عاقلة تدرك ما يدور في هذا العالم، إنه يبحث عن أسرار الحياة، ويتساءل عن حقيقة الموت، ويتخذ من الحب قناعا لفلسفة الوجود.

وهو يترجم هذه الرؤية التأملية إلى تجربة شعرية يفصح فيها عن **تأثره بأبي العلاء**، والقصيدة حوار بين المعري وابنه الذي لم يأت بعد ولم يولد!! والابن كما يتخيل **العقاد** يتوسل لأبيه «المعري» أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء في عالم العدم! وكأن **العقاد** يصور حقيقة مشاعره - ويعلن أنه مثل أبي العلاء لم يَجْنِ على أحد، وهي رؤية تشاؤمية.. سلبية.. ولا تتفق مع منهج **العقاد** بعد ذلك في إقباله على الحياة، يقول العقاد على لسان ابن أبي العلاء المعري:

يا أبي طال في الظلام قعودي ... فمتى أنت مخرجي للوجودِ
طال شوقي إليك فاحلل قيودي
لي جدود وليس لي أبوان ... ولئن شئت آن فيكم أواني
وتمليت قسمتي في الوجودِ

فيرد عليه أبو العلاء:

ولدي! إنني أبوك الرحيمُ ... أنا بالعيش يا بُنَيَّ عليمُ
لا تصدِّقْ مقالة من بعيد
ما حياة تشقى وتسعد فيها ... تتغنَّى لكن بما يعنيها
في عظيم تبلى به أو زهيد
قف بباب الحياة لا تَدْخلَنْها ... واعتصم يا بني ما استطَعْت منها
سوف ألقاكَ فانتظر بالوصيدِ[١٥]

وهذا المنحى الفلسفي عند العقاد يترجم إلى تجربة جمالية في قصيدته «الموسيقى» ويقول في مقدمتها «تلتقي الفلسفة العالية والموسيقى في أن كلتيهما تترجم للإنسان عن وحي البداهة ولغة الحياة في ضمائرها العميقة، فلا يعلم الإنسان لحقائق الفلسفة العالية برهانا أوثق من اقتناع البديهة، ولا يعرف الطرب الذي تنير به الموسيقى سرائر حياته تعليلا غير ذلك الإحساس البديهي، ولهذا التشابه قرنًا في هذه القصيدة بين المعرفة والموسيقى..» يقول في لغة عذبة، وإيقاع مؤثر. وفكر ناقد عميق:

أملهمة الإنسان ما لا يزيده ... فصيح ولا يزرى بمعناه أبكم
إليك تناخى كل علم ومنطقٍ ... فسيان منطق لديك وأعجم
إذا ما أبان القول مبلغ علمه ... فقولك عما ليس يدري مترجم
ويكذب إلا أنه حين ينتهي ... إلى الشدو لا يهفو ولا يتكتمُ
وما المطرب الشادي بمبدع لحنه ... ولكنه شبابةٌ تترنم[١٦]

الجمع بين الشعر والفلسفة

ولا غرابة حين يجمع العقاد بين الشعر والفلسفة، فحين نعيد قراءة التاريخ الأدبي نجد **المتنبي وأبا العلاء وأبا تمام**؛ وكذلك نجد **الخيام وابن سينا** وغيرهما من الشعراء الفلاسفة لهم نتاج متميز في هذا الاتجاه، وللفلاسفة المسلمين نظرية خاصة في الشعر. وتعد تجاربهم الشعرية من أعمق التجارب في مسيرة الشعر العربي. والآداب العالمية تمخضت مسيرتها عن كثير من الأدباء الفلاسفة.

فالأدب الأنجليزي في مسيرته يعكس تاريخ الفلسفة؛ وأفلاطونية عصر

التجربة التأملية في شعر العقاد

النهضة متغلغلة في الشعر الاليزابيثي، وقد كتب، «سبنسر» أربع ترنيمات تصف على طريقة الأفلاطونية الجديدة «المعراج من المادة إلى الجمال السماوي».

ونجد لدى «شكسبير» آثارا متعددة لأفلاطونية عصر النهضة. و«ميلتون» ولد نظرية رفيعة في علم اللاهوت والكون جمعت عناصر مادية وأفلاطونية، واستجابت لكل من الفكر الشرقي ومذاهب بعض الطوائف المعاصرة له كالأخلاقيين.

وقد كتب «درايدن» شعراً فلسفيًّا يؤول فيه مشادات عصره اللاهوتية والسياسية. وفي إيطاليا وضعت تفسيرات للاهوت «دانتي» لا تعد ولا تحصى. وفي ألمانيا توفرت دراسات غزيرة حول اعتناق «شيلر» لمذهب «كانت» وكان التزامل بين الفلسفة والأدب وثيقاً جدا، فجوته تأثر بمذهبي، أفلوطين وسبينوزا؛ وبعض الأدباء رأى فرضا عليه أن يتقن بشكل منهجي مسائل علم المعرفة والميتافيزيقا.

وفي روسيا: عومل دوستويفسكي وتولستوي معاملة الفلاسفة والمجتهدين في الدين (١٧).

آفاق التجربة التأملية

والآفاق التأملية التي حلق فيها العقاد بشاعريته الكبيرة ممتدة الأبعاد؛ تتجاذب فيها المشاعر المضيئة، والأفكار الموشاة، يعبق الرؤية الشاعرة الموغلة في الكشف عن أسرار الكون وخفايا الوجود.

ومن أهم هذه الآفاق:

أ - التصور العقدي ومناجاة الذات العليّة.

ب - الوجود. جـ - النفس الإنسانية.

د - الطبيعة. هـ - الحب.

و - الموت. ز - الحياة والإنسان.

وديوان العقاد مفعم بالتجارب التأملية السابحة في ضياء هذه الآفاق. وهو يصوغ ذلك أيضا نثرا في مقدمة قصيدة «فلسفة حياة».

ويقول العقاد: ... وقد طغى الفكر في قصيدته على ما عداه من مقومات التجربة.. فالقصيدة كما عنون لها «فلسفة حياة» ولذلك جاءت لغتها تقريرية بعيدة عن الإيحاء والجو الشعري:

الغرام المِلْك، والملك الضياعْ ... هات لي الحسن الذي ليس يضيعْ
ليلة قمراء، أو سحر سماعْ ... أو قصيد أراق، أو زهر ربيعْ
قال قوم: زينة الدنيا خداع ... قلت خير: بالذي نشري نبيعْ

* * *

زاهدالهند نعى الدنيا وصام ... أنا أنعاها ولكن لا أصومْ
ما وراء القبر في قول الثقاة ... حالة تحمد يوما سرها
لست بالراضي حياة كالحياة ... لا ولا ترضى حياة غيرها

يعبد الأقوام ما يخشونه ... وأنا أعبد ما لست أخافْ
ليس ينسى الله من ينسونه ... فعلام البحث فيه والخلافْ
إن وصلتم أو وقفتم دونه ... لم يقف دون مقام أو مطافْ (١٨)

* * *

وقصيدته «على بحر الحياة» نموذج رائع للتجربة التأملية التي يتآزر فيها الفكر مع الشعور، وتتعانق فيها العواطف والفلسفة.. ويصل فيها العقاد إلى قمة الحدْس. والبصيرة الشعرية. يقول متأملا حقائق الحياة والوجود والكون.. وأسلوب الاستفهام يجسد هذا القلق الوجودي:

أمن الآباد والمثل الأعلى ... إلى يوم بعد اليوم والنظرة العجْلي ؟
لقد كانت الأجيال عندي قريبة ... فقد عادت الساعات توسعُني ثقْلا
نظرت إلى عليا الحياة أرودها ... فألفيتُها صفرا، ولم أحمد السفلى
فآليت أقضيها كمن راح طافيا ... على اليمّ، لم يضرب يدا فيه أو رجلا
فإن شئت قل هذا غريق وإن تشأ ... فقل سابح لم يدْر أقبل أم ولَّى ؟ (١٩)

وديوان العقاد مفعم بالتجارب التأملية التي تغذي الوجدان، وتثري الفكر، وتحدث امتزاجاً أليفا حميا بين العقل والعاطفة وهما جناحا الرقي الإنساني، وارتياد الآفاق الفنية المتجددة.

الهوامش

(١) بين الفلسفة والأدب ص ١٠ علي أدهم.

(٢) ديوان العقاد مجلد ٢ ص ٥٤٩، مقدمة ديوان «عابر سبيل».

(٣) انظر نص القصيدة بديوان العقاد مجلد ٢ - ديوان عابر سبيل من ٥٥١ - ٥٥٦.

(٤) العقاد. فيلسوف التاريخ ص ٥ محمد عبدالواحد حجازي ص ٤، ٥.

(٥) ديوان العقاد جـ ١ مقدمة المازني ص (٢).

(٦) انظر روستر بفور هاملتون في كتابه «الشعر والتأمل» ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٧) انظر «النزعة التأملية في أدب المهجر» ص ٣٠ لكاتب الدراسة «رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة» وهي قيد الطبع بدار المعارف بالقاهرة.

(٨) انظر ديوان «عبدالرحمن شكري» مقدمة الجزء الثاني.

(٩) ثورة الشعر الحديث ص ٤٦ د/ عبدالغفار مكاوي.

(١٠) نظرية الأدب ص ١٤١ أوستن وارين، ورينيه ويليك وانظر «حول فن شكسبير الدرامي لهرمان أو لريتش» ١٨٣٩.

(١١) السابق ص ١٤١ وانظر «مقالات مختارة - «إليوت» نيويورك عام ١٩٣٢م.

(١٢) انظر مقدمة ديوان العقاد التي كتبها «أحمد إبراهيم الشريف» ص ٢٢.

(١٣) انظر: «مجلة الشعر» العدد ٧ - يناير سنة ١٩٩٠م. جمادى الثاني سنة ١١١٠هـ مقال «العقاد والشعر» د/ محمود الربيعي.

(١٤) ديوان العقاد جـ ١ ص ١٥٣.

(١٥) ديوان العقاد جـ ١ ص ٢١٦ - ٢١٨.

(١٦) السابق ص ٢٣٤.

(١٧) نظرية الأدب ص (١٤٤ - ١٤٥).

(١٨) ديوان العقاد جـ ١ ص ٩٤.

(١٩) السابق ص ٣٩٨.

الأمل.. ورحلة الوفاء

شعر: يس الفيل

يا رَوْضَةَ الحب.. ماللحب أَدْمَانَا
ونَحْنُ للحب، عِشْنَا فِيكِ عُنْوَانَا؟

فِيكِ التقينا، وفِيكِ الحُبُّ جَمَّعَنَا
وفِيكِ طَابَ الهوى، وانسابَ غُدرانا

وفِيكِ أورقتِ الأيامُ.. وارتحلتْ
بزورَق العمر للأحلام دنيانا

وفيكِ لَمْ نبْتَئِسْ، لم ينطَفِئْ أملٌ
وإنْ ظلامُ المدى ـ ليلاً ـ تغشانَا

وفيكِ أُبْرِمَ كلٌّ عهَده.. ومضى
قلبي على العهدِ ـ لم يبرحهُ ـ إنسانَا

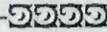
يا روضةَ الحب كانَ العهدُ.. أنَّ لنا
شأنًا.. أَقَمْنَا له في أرضنا شانَا

شِئْنَا وشَاءَ هَوَانَا.. غيرَ أنَّ يدًا
أَشَدُّ مِنا، وأقوى مِنْك.. سُلطانا

في ليلةٍ غابَ فيها النجمُ ـ وانحسرتْ
أمْوَاجُنَا، وانزوى فِي الشط مَرْفَانا

مَدَّتْ إلى زورقِ الأحلام قَبْضَتَهَا
فارتدَّ عَنْ رحلةِ الأيامِ خَزْيَانَا

.. لَمْ نَحْتَرِقْ.. سَارَ كلٌّ نَحْو غَايَتِهِ
لكنَّ عهدَ الهوى باقٍ كما كانا



يا روضةَ الحب.. ماللحب أنكرنَا
ونحنُ عشْنَا له فِي الأرض عُنوانا

لحنُ الوفاءِ على أَنْقَاضِ غربتنا
نَمَا وأَيْنَعَ، حتى فِي نوايانا

إذَا تَرَنَّحَ فوقَ الموج زَوْرَقُنَا
واستسلمتْ يَدُهُ للتيهِ.. نَادَانَا

وإن تدافَع سهمٌ.. واستباح على
أكبادِنَا، ونَزِيفُ الجرح أدمانا

لَمْ نَنْقضِ العهدَ، لم تنكرْ مشاعرنا
هوًى حملنَاهُ في القلبين ظمآنا

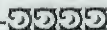
لوْ لَمْ نكنْ مِثْلَمَا كُنَّا، لمَا اقتحمت
جيادُه في دروب الحب ميدانا

لكننا.. ورياحُ الشوقِ تَلْفحُنَا
لَمْ نكترثْ بلظَاهَا فِي حنايانَا

ذُقْنَا على يَدِه ما لَمْ يَذُقْ بشرٌ
ولَمْ نقل مرةً: ما كانَ أغنانا

واليومَ عدنا إلى ما كانَ يحملنا
إليكِ ذكرى.. بها لَقَّتْكِ روحانا

فاستقبلينا. وفاءً عادَ.. وانتزعي
ثوبَ العنادِ.. وكوني أنتِ دنيانا



العلاقات العربية الصينية إبان العصر الوسيط

بقلم: حسني عبد الحافظ

ثمة علاقات ودية قوية تربط العرب بالشعب الصيني منذ زمن طويل. وتاريخ هذه العلاقات، يرجع إلى ماقبل ظهور الإسلام بقرون، وتشهد بذلك الحفريات والآثار التي تم العثور عليها، سواء في بلاد الصين أو في بلاد العرب.. إلا أن العلاقات العربية ـ الصينية شهدت أوج ازدهارها بعد ما بزغ نور الإسلام، وعم الأرجاء.

وقد شملت هذه العلاقات مجالات كثيرة ومتباينة.. منها السياسية والأمنية، ومنها الثقافية والاقتصادية، كما تبادل الصينيون مع العرب السفارات إبان العصرين: الأموي والعباسي، فكان لهم في بغداد سفراء ودبلوماسيون(1)، وذلك بهدف تنظيم حركة الابتعاث والتعليم، التي كان الصينيون يقومون بها، بغية نقل المعارف والعلوم الإسلامية.. كما استعان أهل الصين بالعديد من العلماء والمهندسين العرب، لإقامة المشروعات الصناعية والزراعية هناك.

طرق الاتصال

وقد كان هناك ممرات ودروب عديدة، مكّنت العرب من الاتصال بأهل الصين..

وكان من أهم وأشهر هذه الطرق: **طريق الحرير البري، وطريق الحرير البحري** (ويسمى أيضًا طريق التوابل أو البخور).

أما بالنسبة للطريق البري، فهو يتفرع من عند مدينة **دونهوانج**، الواقعة في غربي قانسو إلى ثلاث تفريعات.. إحداها شمالية، والأخرى جنوبية، والتفريعة الثالثة تقع بينهما..

والتفريعة الأولى تمتد شمال **بغداد**، وبلاد ما وراء النهر حتى تصل إلى مدينة **طشقند**، ومنها تنعطف ناحية الشمال؛ ناحية مدينة **تارس**، ثم تعبر نهر تشوخه، ونهر ايلي، لتصل إلى جبال تالكي، وتواصل التفريعة الشمالية اتجاهها ناحية الشرق، حتى تنتهي عند مدينة صينية صغيرة تعرف باسم «**هامي**».

أما التفريعة الوسطى فهي تبدأ من مدن الشام الساحلية ومنها تتجه إلى الشرق، فتصل إلى مدينة حلب في سورية، ثم مدينة بغداد، حاضرة الدولة العباسية، ثم تمر هذه التفريعة بالهضبة الواقعة في وسط فارس، وتواصل امتدادها ناحية الشرق، حتى تعبر **نهر جيحون**، وبعد هذا النهر مباشرة تلتقي هذه التفريعة مع التفريعة الشمالية.. وبعد عدة كيلومترات تنفصل التفريعة الوسطى بانعطافها ناحية الشمال الشرقي، لتجتاز **هضبة البامير**، ثم تعبر صحراء **تكلا ماكان**، وجبال تيانشان.. وتمر بكل من **كاشغو، وآكسو، وكوتشه، ويانتشي، وطروفان**، و كلها مدن داخل البلاد الصينية.

وتبدأ التفريعة الجنوبية من طريق الحرير البري من مدينة **البصرة، والمدائن**.. وتتجه شرقًا لتمر على عدة مدن فارسية، أهمها **شيراز، وفراه، وهرات**.. ثم تمتد فتصل إلى العاصمة الأفغانية **كابول**.. وتخترق بعد ذلك هضبة البامير، ومنها تزحف هذه التفريعة لتعبر جنوب صحراء **تكلا ماكان**، وتواصل امتدادها ناحية الشرق، فتعبر جبال تيانشان الجنوبية، وتنتهي عند بحيرة تعرف باسم «**لوب نور**».

وقد كان المسلمون، وكذلك أهل الصين، يستعملون هذه التفريعات الثلاث من طريق الحرير البري، في التبادل التجاري، كما سافر من خلالها العديد من الرحالة المسلمين أمثال: **ابن خرداذبه**، الذي وصف أجزاء عديدة منها، في كتابه المسمى «**المسالك والممالك**». كما وصف هذا الطريق أيضًا **ابن حوقل**، في كتابه «**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**».. ووصل **ابن بطوطة** إلى بلاد الهند والصين عن طريق التفريعة الجنوبية، إلا أنه ترك التفريعة قبل أن يدخل البلاد الصينية، واتجه جنوبًا نحو بلاد الهند، وقد وصف رحلته هذه في كتابه المسمى «**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**».

ويرجع اكتشاف طريق الحرير البري، إلى ما يزيد على ألفي سنة، وقد اكتشفته بعثة صينية بقيادة **تشانغ تشيان**، و عن ذلك يحدثنا **تش ون** في كتابه «**موجز أحوال الصين**» فيقول: «بدأت العلاقات الودية بين الشعب الصيني وشعوب البلدان الأخرى في وقت يعود إلى ٢٠٠٠ سنة، عندما أرسلت أسرة هان، تشانغ تشان إلى المناطق الغربية، فاتحًا بذلك الطريق إلى أواسط آسيا والفرس (إيران حاليًا). وهذا الطريق الذي كانت تنقل عبره الأقمشة الحريرية الصينية، وغيرها من المنتجات إلى جنوب غربي آسيا وأوروبا، أصبح معروفًا في التاريخ بـ «طريق الحرير». وقد طور هذا

من كتاب العدد



● **حسني عبد المعز عبد الحافظ**

ـ من مواليد النسايمة في محافظة الدقهلية بمصر عام ١٩٥٢م

ـ حاصل على دبلوم معهد إعداد المعلمين.

ـ يجيد اللغة الإنجليزية، ويلم بالفرنسية والروسية.

ـ نُشرت له في مجلات وصحف عربية مختلفة مقالات ودراسات وأبحاث في مجالي العلم والتراث العربي.

ـ له كتاب بعنوان "من أقطاب الفكر العربي الإسلامي".

الطريق العلاقات الاقتصادية والثقافية المتبادلة بين الشرق والغرب»[٢].

أما طريق الحرير البحري، أو طريق البخور والتوابل، فقد تم اكتشافه، لأول مرة، على يد الرومان والعرب، وكان ذلك حوالى العام ١١٦ ميلادية، وقد ذكر المؤرخ الإنجليزي **هدسون**، أن تجار الرومان في بلاد الشام وعرب الخليج، قد عرفوا طريقًا بحريًا يؤدي إلى بلاد الهند والصين. وقد وصف هذا الطريق بإسهاب كل من الرحالة والجغرافي الصيني **جيادان**، وذلك في كتابه المعنون **«الطريق البحري من قوانغتشو»**. والرحالة المسلم الكبير **المسعودي**، وكذلك **الإدريسي**، **وسليمان السيرافي**، **وأحمد بن ماجد**، والملاح الصيني الشهير **تشنج خه**.. وكذلك **تشوينج**، **ووانج دايوان**، **وسينج هو** (وهو ملاح صيني مسلم).

وهذا الطريق يمتد من المدن والموانئ العربية المطلة على الخليج العربي.. حتى ينتهي عند الموانئ الهندية، والصينية المطلة على المحيط الهندي مثل: ميناء **رأس كماري**، **وكهمبايت**، **وآسام**، **وجيجور**، **وسوباره**.. الطريق يحاذي السواحل الفيتنامية، ويمر على عدة جزر في الأرخبيل الأندونيسي، ولا سيما جزيرة **جاوه**، **وسومطرا**.. ثم جزر **نيكوبار**.. وجزائر سري لانكا.. ومصب نهر السند.

وفي عهد **أسرة يوان** (١٢٧١ ــ ١٣٦٨م)، حدث تطور كبير في هذا الطريق، فقد أخذ في الامتداد، من ناحية الشرق ومن ناحية الغرب على السواء، فوصل إلى الجزائر اليابانية شرقًا، وإلى السواحل الأفريقية وخليج السويس، **وحاضرة الدولة البيزنطية في ناحية الغرب**، ويقول **تشن يان**، الأستاذ في قسم اللغات الشرقية بجامعة بكين: «توسع طريق الحرير البحري الجنوبي في أسرة يوان، فانتقلت المراكب ووصلت إلى عدن.. وإلى زنجبار ومقديشو.. وعبر البحر الأحمر إلى مكة والقاهرة. ووجد حرير الصين حيثما توسع الطريق الجنوبي»[٣].

المسلمون في الصين

ويذكر التاريخ أن أول بعثة عربية إسلامية إلى بلاد الصين، كانت موفدة من قبل الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، (٦٤٤ ــ ٦٥٦م).. وقد وصلت هذه البعثة إلى حاضرة الإمبراطورية الصينية في يوم ٢٥ أغسطس (آب) عام ٦٥١م. وكان ذلك إبان حكم **أسرة تانج** (٦١٨ ــ ٩٠٧م).. وقد ازدادت البعثات الدبلوماسية الإسلامية إلى بلاد الصين، حتى وصلت في الفترة ما بين عامي ٦٥١ إلى ٧٥٨ ميلادية إلى ما يزيد على ثلاثين بعثة..

أما أول محاولة إسلامية لفتح مدن الإمبراطورية الصينية، وإدخال الدين الإسلامي إليها، فقد تمت في عهد الخليفة الأموي **عبد الملك بن مروان** (٦٨٥ ـ ٧٠٥م) حيث تمكنت الجيوش الإسلامية من دخول بلاد ما وراء النهر، ونَشْر الإسلام فيها، واتخذوا فيها بعد من مدينة **بلخ** عاصمة للصغد العظمى.. وقد واصل المسلمون زحفهم تجاه الشرق، حتى تمكنوا من ضم إقليم البنجاب، ومنه توغلوا في البلاد الصينية..

أما عن المسلمين الآن في بلاد الصين.. فالحقيقة أنه يوجد ثمة تباين كبير بين المصادر التي بين أيدينا، حول عدد سكان المسلمين هناك.. فجريدة **التايمز اللندنية** تذكر، في عددها الصادر بتاريخ ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٧٩م، أن عددهم يبلغ ١١٥ مليون نسمة.. وثمة مصادر أخرى تتفق في أن المسلمين في الصين يزيد عددهم على الستين مليونًا.. وهناك مصادر أخرى تقول إن عددهم يبلغ ٤٠ مليون نسمة.. وثمة إحصاء جديد عن الحكومة الصينية عام ١٩٨٢م، وقد جاء في هذا الإحصاء أن المسلمين يبلغ عددهم أكثر من ١٤,٥ مليون نسمة، يعيش منهم في قومية **دونجشيانج** ٢٧٩ ألف نسمة.. وفي قومية **هوي** تعيش ٧,٥ مليون نسمة.. ويعيش ٦ ملايين نسمة في قومية **الويغور**.. وفي قومية **القازاق** يعيش نحو مليون نسمة.. وفي **التبت** يعيش نحو ربع مليون نسمة، وقد دخل المسلمون التبت منذ وقت مبكر من دخولهم أرض الصين، وعن ذلك يحدثنا **شون مينغ تشن**:

«في أسرة تانغ، قبل ألف سنة، رحل عدد كبير من الفنيين والمهنيين والعلماء، من قلب الصين إلى منطقة التبت.. وكان من بين هؤلاء أناس يعتنقون الدين الإسلامي، الذي وصل الصين قبل وقت قليل.. أما في **أسرة يوان** (القرن الثالث عشر الميلادي) فقد ازداد المهاجرون من قلب الصين إلى التبت أكثر فأكثر، مع مرور الأيام، ومنهم المسلمون أيضًا. ومن الناحية الأخرى توافد المسلمون من آسيا الوسطى، وآسيا الجنوبية، إلى التبت لممارسة التجارة، والتبادلات الثقافية، وبدأ يستوطن بعضهم في التبت»[٤].

وعن المساجد في الصين تقول الإحصاءات، أن مدينة **بكين** وحدها يوجد بها ٦٥ مسجدًا.. وفي **شنغهاي** يبلغ عدد المساجد ٢٧ مسجدًا.. ويبلغ ما تحويه **مقاطعة يونان** من مساجد وزوايا أكثر من ٤٠٠ مسجد وزاوية.. ويوجد في مدينة **ختشو**، التي يطلق عليها أهلها اسم «مكة في الصين»، عشرات المساجد الكبيرة، وهذه المدينة تقع ضمن مقاطعة قانسو في شمال غربي الصين، وعن هذه المدينة الإسلامية الصينية، ودخول الإسلام فيها، يقول الباحث الصيني **ماتونغ**: «مساحتها ٨١٠٠ كيلومتر مربع، معظمها حقول مزروعة. وقد قال المسلمون المحليون إن أسلافهم جاؤوا إلى ختشو في أسرة تانغ الملكية (٦١٨ ـ ٩٠٧). ولأن ختشو كانت في طريق الحرير القديم والتجار الفرس والعرب من المترددين عليه، فمن المحتمل أن بعضهم استقروا في ختشو. أما التسجيلات الواضحة فأولها في أسرة يوان. إذ جاء في «تاريخ أسرة يوان» أن **جنكيز خان فتح** فيما بين ١٢١٨ و١٢٢٥م، أواسط آسيا، حيث أسر أكثر من ١٠٠ ألف رجل، نظم منهم، رئيسيًا، جيشًا أمره بالمرابطة في **شينيغ وختشو** بعد فتح تلك المناطق ومن المحتمل أن قومية دونغشيانغ التي تعيش في ختشو، وتعتنق الإسلام من ذراريهم.. وقد امتزج كل من الفرس والعرب مع قومية هان ومنغوليا المحلية، ومن ثم تشكلت قومية **هوي ودونغشيانغ وباوآن** الإسلامية.. وما زال في لغتهم إلى الآن كثير من الكلمات الفارسية والعربية»[٥].

رحلات متبادلة

وفي خلال الفترة التي ازدهرت فيها العلاقات العربية ــ الصينية.. قام عدد من الجغرافيين والرحالة العرب بزيارة البلاد الصينية، ووصفوا مدنها، وعاداتها، وغرائبها، وتقاليد أهلها.. كما

○○ أهل الصين اقتبسوا من المصنفات العربية مثلما استفاد العرب والمسلمون من الحضارة الصينية

قام كذلك نفر من الملاحين والرحالة في الصين، بزيارة الشواطئ العربية، وبعض المدن الداخلية من المعمورة العربية.. **فقد وصلوا إلى مدن الخليج، وبحر العرب، ومنطقة الأحساء، ودمشق، وحلب والقاهرة،** ووصلوا أيضًا إلى المدن والموانئ الشرقية لقارة إفريقيا.. وتحدثوا عما شاهدوه في هذه المناطق.. ودونوا مجموعة من الكتب الجغرافية والتاريخية عنها، وأسهبوا في وصف طبائع البشر، وأعيادهم، واحتفالاتهم.

وقد حملت الكثير من السفن الإسلامية الهدايا الثمينة إلى حكام الصين.. كما أرسل العرب أيضًا القوافل المحملة بالطنافس العربية الشهيرة، والعديد من الصناعات والمزروعات للمتاجرة فيها مع أهل الصين. وبالمثل فقد كان الصينيون يرسلون سفنهم المحملة بالمنتوجات الصينية، ولا سيما الحرير والخزف، إلى الموانئ العربية على الخليج، وسواحل شرقي أفريقيا. ومن بين الرحالة الذين زاروا البلاد العربية أكثر من مرة، البحار والملاح الصيني **تشنغ خه** (عاش إبان حكم يونغ لوه من أسرة مينغ) الذي جاء بأسطول بحري كبير، يتألف من حوالى ٢٠٠ قطعة بحرية، إلى موانئ **عُمان** (ميناء ظفار)، **واليمن** (ميناء عدن)، **والبحرين،** والموانئ الإفريقية وبخاصة ميناء **مالندي** (كينيا)، وميناء **مقديشو** (الصومال).. وقد بلغت رحلات هذا الملاح الصيني في خلال ٣ عقود من الزمن، ٧ رحلات، وكانت آخر رحلة منها في عام ١٤٣٣م، (في عهد شيوان ده ــ من أسرة مينغ).. ولم تكن مهمة خه، تقتصر على السياحة والتعرف على معالم العرب وحضارتهم، بل كانت بالإضافة إلى ذلك ترمي إلى الاتصال المستمر بين حكام العرب، وحكام الصين، وتنظيم تبادل السفارات.

كما زار المدن العربية الرحالة والجغرافي **فاشيان،** الذي ابتدأ زيارته هذه في أوائل القرن الخامس الميلادي، وقد ساح الجغرافي **قان ينغ** في منطقة الأحساء، وغرب السلطنة العُمانية.. وكتب ما رآه في كتاب كبير، يحوي معالم المناطق العربية التي زارها، وكذلك عادات وتقاليد سكانها، وقد أبدى إعجابه الشديد بالعرب وشجاعتهم وأخلاقهم وكرمهم.. وقد تحدث الملاح الصيني المعروف **داوان** عن بلاد العرب في مصنف، وضعه خصيصًا لذلك.. ومما قاله:

«إن تياوتشي ــ يقصد بلاد العرب ــ تقع غرب اشكانيان بعدة آلاف لي[٦]، وتطل على البحر الغربي، ويميل صيفها إلى الرطوبة، وتمارس فيها الزراعة، ويزرع فيها الأرز، وفيها طيور ضخمة، بيضها كبير.. وسكانها كثيرون جدًا، ويحكمها أمير..»[٧].

وقد توغل الجغرافي الصيني **تشوش ينغ،** في الأراضي العربية، فزار بغداد، والبصرة، ومدن وموانئ البحرين، ووصل حتى قلب القارة الإفريقية تقريبًا.. وقد رسم هذا الجغرافي خريطة لإفريقيا، وكان رسمه لها على هيئة مثلث رأسه في الجنوب، وقاعدته في الشمال.. والحقيقة أن الناظر لهذه الخريطة يجد ثمة تقاربًا كبيرًا بينها وبين خريطة **الإدريسي** الجغرافي والعالم المسلم.. مما يجعلنا نقول إن الرحالة الصيني اقتبس رسم خريطته من المؤلفات الجغرافية العربية، أو على الأقل فإنه اطلع عليها ودرسها دراسة وافية.

كما كان ثمة رحلات أخرى قام بها رحالة وبحارة من الصين للبلاد العربية، يضيق المجال عن ذكرها، ولم تكن الرحلات تتم من الطرف الصيني وحده.. ولكن العرب قاموا كذلك برحلات متعددة إلى البلاد الصينية، فكانت سفنهم تمخر عباب المحيط الهندي، كما كانت قوافلهم تعبر الفيافي والجبال حتى تصل إلى المدن الصينية.. ومن بين الرحالة العرب الذين زاروا الصين، الجغرافي والرحالة ابن بطوطة اللواتي.. وقد روى رحلته وزيارته هذه في كتابه المسمى «تحفة النظار».. وكتب عن المدن الصينية، وعادات أهلها وتقاليدهم، وقال عن الصين إنها بلاد عظيمة وواسعة.. وأهلها لهم بشرة مميزة.. ومما قاله عن إحدى مدنها: «إن مرسى مدينة الزيتون[٨] من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها، رأيت به نحو مائة (جنك) كبار، وأما الصغار فلا تحصى كثرة»[٩]. وكان ابن بطوطة قد بدأ رحلته من مدينة **طنجة** المراكشية، ومر بمدن الساحل الإفريقي، حتى وصل إلى **مصر،** ومنها اتجه إلى **فلسطين،** ثم **دمشق، فبغداد،** و مر بعد ذلك **ببخارى وخراسان وقندهار،** حتى وصل إلى **دلهي**، ومكث بها فترة، نال خلالها الكثير من الهدايا من حاكم الهند، كما أوفده الحاكم ضمن بعثة إلى حاكم بلاد الصين.. ولم يذهب ابن بطوطة إلى الصين برًا، بل أبحر موازيًا للسواحل الشرقية للهند، حتى وصل إلى موانئ الصين.

كما قام البحار المسلم **سليمان السيرافي** بعدة رحلات في جنوب شرقي آسيا، زار خلالها بلاد الصين.. وكانت بداية رحلاته هذه في عام ٨٥١م. ومن المدن الصينية التي زارها ميناء **هونغتشو،** وميناء الزيتون، ومدينة **هولين دادو،** وهذه المدينة تعرف الآن باسم مدينة بكين، كما كان يتردد دومًا على ميناء خانقو، وميناء لوكين، وختشو.. وعنه يقول المؤرخ الفرنسي **غوستاف لوبون:** «أبحر سليمان من مرفأ سيراف الواقع على الخليج.. حيث كانت تكثر المراكب الصينية.. وجاوز المحيط الهندي، وبلغ شواطئ بلاد الصين، وكتب رحلته في سنة ٨٥١م، ثم أكمل أحد أبناء وطنه وهو **أبو زيد** كتابة هذه الرحلة في سنة ٨٨٠م، وأضاف إليها معارف أخذها عن عرب زاروا بلاد الصين»[١٠]. وقد كان سليمان السيرافي.. أول من أطلع أوروبا على بلاد الصين، وعرفهم بها، وذلك من خلال كتابه الجغرافي الذي نقل إلى اللغة اللاتينية، ثم ترجم إلى بعض لغات أوروبا الحديثة، ومنها اللغة الفرنسية، وقد قام بترجمته إلى هذه اللغة **مسيو شيفر،** وكان الرحالة الأوروبي **ماركو بولو** قد حصل على نسخة من هذا الكتاب.. أفادته إفادة كبيرة أثناء زيارته للصين، التي قام بها بعد أكثر من أربعمائة سنة، من وصول سليمان إليها..

وقام الملاح المسلم **أحمد بن ماجد،** الملقب بأسد البحار، بعدة رحلات إلى بعض بلدان شرقي

آسيا، كان من بينها **أندونيسيا**، والهند، والصين، وقد وصف في موسوعته البحرية المسماة: **«الفوائد في أصول علم البحار والقواعد»**، مواقع الموانئ الصينية، وماهية كل ميناء، وكيفية التعامل مع سكان مدن الجنوب الصيني. . كما زار الصين ابن خرداذبه، وقد أسهب في حديثه عن أحوالها، وطبيعة الحكم فيها، وطبائع سكان مدنها، وذلك من خلال كتابه «المسالك والممالك»، الذي قام بترجمته **مسيو مينار** إلى اللغة الفرنسية، وطبع في باريس عام ١٨٦٥م. . وقام الرحالة والعالم المسلم **الينبوعي**، بعدة رحلات إلى بلاد الصين، ووضع مؤلفًا حوى وصفًا لبعض المدن الصينية. . ومما قاله عنها:

«مدينة التجار والأموال خانقو، وطولها أربعون فرسخًا. . وللصين ثلثمائة مدينة كلها عامرة، وعلى كل خمسين مدينة ملك من قبل البغبور. ومن مدنهم، **درصنوا وقانصوا**، ومدينة يقال لها **أرماتيل**، ومنها إلى بانصوا مسيرة شهرين. وبانصوا تتصل بناحية التبت والترك والتغز وغز، وهم لهم موادعون. ومن التبت إلى خراسان وساحل الصين على استدارة، يكون ثلاثة آلاف فرسخ. وفي بلد الصين، السيلا، وهي من أطيب البلاد وأجملها وأكثرها ذهبًا»(١١).

التبادل التجاري

وقد تبادل العرب مع أهل الصين العديد من الصناعات والسلع. . فقد كان الصينيون يأتون إلى بغداد، والبحرين، وعدن، ومالندي. . ليعرضوا في أسواقها بضائعهم ومصنوعاتهم، فكانوا يبيعون الحرير، والخزف، والورق، والأطلس، وعود الند، وفرو السمور، والزاج، والصمغ، وخشب الصندل، والملح، والشاي، والمخمل، والأواني الفضية، والحلي، والآلات الحديدية كبعض أنواع السيوف والسكاكين. .

وكان العرب يتخذون من مدينتي **قوانغتشو، وتشيوانتشو**، سوقًا رائجًا لمنتجاتهم الزراعية والصناعية. ويقول **قوه ينغ ده**:

«كان التجار الأجانب من العرب، وغيرهم، يتجمعون غالبًا في قوانغتشو، وتشيوانتشو، وكان العرب أغناهم. وكان في قوانغتشو وتشيوانتشو، حينذاك حي سكني للتجار الأجانب، يسمى


صلاة الجمعة في جامع دونغسي - بكين

«مجمع الأجانب» وكانت أسرة سونغ تعيّن من بين التجار الأجانب رئيسًا لهذا المجمع، وهو يلبس زيّ الصينيين، وكانت مهمته الإشراف على شؤون المجمع، وتشجيع التجار الأجانب على المجيء إلى الصين للتجارة»(١٢).

كما كان للعرب مركز تجاري هام في مدينة خانقو، وعن ذلك يقول **ابن الوردي**:

«ومجتمع تجارات العرب، ولهم بها رجل مسلم يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين القاصدين تلك الناحية، وفي العيد يصلي بالمسلمين، ويخطب ويدعو للسلطان».

وتشير بعض المراجع والمصادر التي بين أيدينا، إلى أن عدد التجار العرب الذين كانوا يفدون إلى الصين سنويًا كان يبلغ ٢٤٠٠ تاجر. ومن بين السلع العربية التي كانت رائجة في الأسواق الصينية. . المنسوجات الصوفية، واليشم، والعقيق، والبلسان، والزعفران، والجلد، والنصال، وخشب الأبنوس (كان العرب يجلبونه من بلاد الحبشة)، وبعض أنواع الأصباغ والدهانات، والتمور، والروائح، والعقاقير الطبية. . وكانت مدينة البصرة ــ إبّان العصر العباسي ــ مركزًا ومخزونًا للغلات الزراعية، ومن مينائها كان يصدر العديد من أنواع السلع الزراعية

إلى بلاد الشرق، ومنها الصين، ويقول الرحالة الأوروبي **نيوبري Newbery**.

«إن في البصرة مخازن كبيرة للقمح والأرز والتمور، وهي تموّن بغداد، وكل الأقطار الأخرى، مثل **هرمز**، وكل بلاد الهند، والصين»(١٣). كما كان العرب يبيعون للصينيين الجمال، والجياد العربية الأصيلة. . وقد انتعشت حركة التبادل التجاري، بين العرب وأهل الصين، ووصلت إلى قمة ازدهارها إبان العصر العباسي، الذي كان يقابله في الصين حكم أسرتي يوان، ومينغ. . وعن حركة التبادل التجاري هذه يحدثنا غوستاف لوبون فيقول:

«وكان التجار العرب يرسلون إلى بلاد الصين الحجارة، والمرجان، والخيل، والمنسوجات الصوفية، وأجواخ البندقية القرمزية، إلخ. . ويأخذون النسائج الحريرية والديباج والقاشاني والشاي»(١٤).

نقل الثقافة العربية

وقد استفاد المسلمون استفادة كبيرة من الحضارة الصينية. . فقد كان الصينيون أول شعوب الأرض التي عرفت الورق المصنوع من شرانق الحرير. . وقد اقتبس العرب هذه الصناعة منهم، وأقاموا من أجلها العديد من المصانع، إلا أنهم بدؤوا في تطوير صناعة الورق. . فأدخلوا عليه بعض التعديلات. . فكانوا أول من استعملوا القطن في صناعة الورق، وقد عثر المؤرخ الأوروبي **الغزنوي** في مكتبة الأسكوريال بمدريد، على مخطوطة يرجع تاريخ تدوينها إلى عام ١٠٠٩ ميلادية، وقد دونت على ورق عربي مصنوع من القطن، كما صنع المسلمون الورق من الأسمال. . وقد اقتبس الأوروبيون هذه الصناعة منهم.

وإن كان الصينيون قد اخترعوا البوصلة، إلا أن الحقائق التاريخية تشير إلى أن المسلمين كانوا أول من استعملوها في الملاحة، وفي هذا الصدد، تحدثنا المؤرخة الألمانية المنصفة **د. زيغريد هونكه**:

«فمن المعلوم أن الصينيين كانوا يعلمون منذ زمن بعيد أن الإبرة المغناطيسية تشير دومًا إلى الشمال. ولكنهم، في حديثهم نفسه، لم يستدلوا

على استعمال البوصلة إلا بواسطة «غيرهم». ولما كانت السفن التجارية تصل في ذلك الوقت - أي في القرن الحادي عشر الميلادي ـــ إلى المحيط الهندي، يرجح الرأي القائل بأن هؤلاء الغير هم العرب بالذات. وثمة مصادر عربية تؤكد استعمال العرب للبوصلة في ذلك العصر، وفي عام ١٢٦٩م نقل **بطرس فون ماريكور Petrus Von Maricoupt**، عن العرب مباشرة معلوماته عن المغناطيس، وعن كيفية استعمال البوصلة، و أدخل استعمالها إلى أوروبا في رسالته Epistole De Magnete [١٥].

وقد اقتبس أهل الشرق، وكذلك أهل الغرب العديد من اختراعات العرب المهمة. . ففي علم الفلك نقل أهل الشرق، ومنهم أهل الصين، العديد من المصنفات العربية في علم الفلك والهيئة، فقد نقل عالم الفلك الصيني **كوشوكنغ** رسالة **ابن يونس الصدفي المصري** - وهو صاحب الزيج الحاكمي، وأول من اخترع بندول الساعة، وكذلك أول من قاس خسوف القمر وكسوف الشمس - في علم الفلك، ونشرها في بلاده، وكان ذلك في عام ١٢٨٠ ميلادية. . وقد اقتبس الصينيون عددا من آلات الفلك العربية مثل الاسطرلاب، وذات المحلقة، وبعض أنواع الأزياج الفلكية، وطريقة حساب الكسوف والخسوف، وطول المدن وعرضها.

وكان ثمة حركة ترجمة من اللسان العربي إلى اللسان الصيني، وقد ابتدأت هذه الحركة في عام ١٢٨٠ ميلادية، وذلك بعد ما تمكن **قبلاي خان** (أخو هولاكو) من الحصول على بعض مؤلفات ومصنفات العرب العلمية، ولم يكتف قبلاي خان بالنقل والترجمة، بل قام بإحضار عدد كبير من المهندسين والصناع المهرة من بغداد، وبعض المدن الإسلامية الأخرى، ويقول المؤرخ العربي **رشيد الدين**:

« إن قبلاي خان كان قد تقدم إلى البلاط العربي بطلب، يرجو فيه إيفاد مهندس له، كان قد أتى من دمشق وبعلبك، وقد بنى أبناء هذا المهندس الثلاثة أبو بكر وإبراهيم ومحمد، مع الجماعة التي صحبتهم، سبع آلات ضخمة، وأتوا بها إلى المدينة»[١٦].

وقد عني الصينيون **بالطب الإسلامي** و علم الأقرباذين، ودرسوه دراسة وافية، ونقلوا منه الكثير من العمليات الجراحية، والعقاقير والأدوية الطبية، وبعض الآلات التي كان يستعملها الأطباء العرب في الطب، وعن ذلك يقول **قوه ينغ ده**:

« استعملت أوساط الطب الصيني والصيدلة الصينية، الأدوية العربية، وظلت أسماء بعض الأدوية العربية مستعملة، مثل المر والحلبة والأهليلج وغيرها. وبعدما نقل الطب العربي والصيدلة العربية إلى الصين، أغنت بصورة أكثر كنز الطب الصيني والصيدلة الصينية. وتأسست في المستشفى الإمبراطوري «دائرة النعمة الواسعة» التي كانت تقوم بدراسة الأدوية العربية، وصناعتها، واستعمالها. وقد ذكر **لي شي تشين** عالم الطب الكبير، من أسرة مينغ، في مؤلفه «الخلاصة الوافية في الأدوية الشافية» كثيرًا من الأدوية العربية»[١٧].

وكان الصينيون يفدون إلى حاضرة الدولة العباسية، وغيرها من معاقل العلم الإسلامية، للتتلمذ على أيدي علماء الحضارة الإسلامية، والنهل من بحور معارفهم. . ويذكر عالم الطب الكبير **محمد بن زكريا الرازي**، أن أحد التلاميذ قصده ذات يوم، وكان من أهل الصين، وقد علمه الرازي بادئ ذي بدء اللغة العربية، والطب الإسلامي، وقد نقل هذا التلميذ بعض مصنفات الطب إلى اللغة الصينية. . ويقول الرازي عن ذلك: «قصدني رجل من الصين، فأقام بحضرتي نحو سنة، تعلم فيها العربية، كلامًا وخطًا، في مدة خمسة أشهر، حتى صار فصيحًا حاذقًا سريع اليد، فلما أراد الانصراف إلى بلده قال لي قبل ذلك بشهر إني عازم على الخروج فأحب أن يُملى عليَّ كتاب جالينوس الستة عشر لأكتبها»[١٨].

وقد أسهب المؤرخ الفرنسي **جان جاك أما نويل** في كتابه «تاريخ العرب العام» في الحديث عن الدور الكبير الذي لعبته الحضارة الإسلامية في تقدم ورقي حضارات بلاد الشرق، ومنها الحضارة الصينية. ليس في علم بعينه. . ولكن في العلوم كافة. . وفي مجال العمارة والبناء ما يزال فن الأرابيسك (الرقش العربي)، له مكانة مرموقة في بناء القصور والمعابد الصينية.

المراجع والمصادر

١ ـ البغدادي، ابن النديم: الفهرست.
٢ ـ ابن الوردي، سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب.
٣ ـ سيديو: تاريخ العرب العام.
٤ ـ حسن محمد، ذكي: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى.
٥ ـ حوراني، جورج: العرب والملاحة في المحيط الهندي.
٦ ـ لوبون، غوستاف: حضارة العرب.
٧ ـ هونكه، د. زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب.
٨ ـ بروموهول، مارشال: الإسلام في الصين.
٩ ـ C.R, Beazley (ed) 1. Voyages and Travels Mainly Duting The 16th 17th Centuries.
١٠ ـ ون، تشي: موجز أحوال الصين.
١١ ـ إضافة إلى بعض الدوريات الصينية.

الهوامش

(١) كان الأمويون في الأندلس أيضًا يرسلون السفراء إلى بلدان أوروبا، كما أنهم كانوا يستقبلون السفراء من كافة ممالك ودول وإمبراطوريات أوروبا النصرانية (للمزيد انظر دراستنا: التمثيل الدبلوماسي الأوروبي في الأندلس إبان العصر الوسيط، مجلة المنهل، العدد ٤٣٣، س ٥١، م ٤٦، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ، ص ٣٤، ٣٨).

(٢) تشي ون: موجز أحوال الصين. ص ١٥٩، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين (بدون تاريخ).

(٣) تشن يان: طريق الحرير البحري، مجلة بناء الصين، ص ٦٨، بكين، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣م.

(٤) سون منغ تشن: المسلمون في التبت، ص ٣٤.

(٥) ماتونغ: ختشو «مكة» في الصين، مجلة بناء الصين، ص ٦، بكين، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣م.

(٦) كيلومتر واحد (١٠٠٠ متر) = ٢ لي = ٠,٦٢١ ميل = ٠,٥٤ ميل بحري.

(٧) تعرف هذه المدينة الآن باسم Chu an Chow. تشوان ـ تشو.

(٨) قوه ينغ ده: العلاقات الاقتصادية بين الصين والعرب قبل أسرة تانغ، مجلة بناء الصين، ص ٣٩، بكين، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م.

(٩) نقلاً عن: قوه ينغ ده: المصدر السابق، ص ٦٤.

(١٠) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٤٦٥، مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٩م.

(١١) ابن النديم البغدادي: الفهرست، ص ٤١٣، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.

(١٢) قوه ينغ ده: مصدر سابق، ص ٤٦.

(١٣) C.R. Beazley (ed) 1, Voyages and Travels Mainly During The 16th 17th Centuries. Vol. 1.P.311.

(١٤) غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص ٥٥٥.

(١٥) الدكتورة زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٤٧، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(١٦) الدكتورة زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص ٤٩.

(١٧) قوة ينغ ده: مصدر سابق، ص ٤٠.

(١٨) ابن النديم البغدادي: الفهرست، ص ١٩.



الشرق في عيون الغرب

تأمل CONTEMPLATION

ـ فردريك آرثر بريدجمان ـ المدرسة الفرنسية ـ رسم بالزيت

ابن بطوطة
أشهر الرحالة
قطع ٧٥ ألف ميل في ثلاثين عامًا

بقلم: توماس ج. ابيركوني • ترجمة: نجلاء حسن حامد


ابن بطوطة

قبل كريستوفر كولمبس بنحو قرنين من الزمان، قام الشاب المغربي ابن بطوطة مسلحاً بالقرآن ومتحليًا بروح المغامرة وحب الفضول بالسفر إلى الأركان البعيدة من العالم الإسلامي، بدأ رحلته من الشمال الأفريقي حيث ما زالت القوافل تجوب الفيافي الحارة حتى اليوم، وبلغ الصين ثم عاد ثانية إلى وطنه المغرب، وفي فترة ٢٩ عاماً هي عمر رحلته اجتاز قارتين وقطع مسافة ٧٥,٠٠٠ ميل زار خلالها ٤٤ دولة.

ورغم أن هدفه في البداية كان أداء فريضة الحج، أكرمه الله بزيارة مكة والحج عدة مرات وقد وصف أهل مكة بأنهم «أهل كرم.. جوادون مع الفقراء.. طيبون مع الغرباء..»

مكة بعد ستة قرون

في عام ١٩٩٠م وبعد مرور ٦٣٠ سنة على رحلة ابن بطوطة، قام الكاتب الصحفي الأمريكي توماس ج. ابيركوني بالترحال في نفس البلاد التي زارها ابن بطوطة، وأيضا قام بزيارة مكة وأداء فريضة الحج ثلاث مرات كان آخرها عام ١٩٨٩م وفي هذا كتب يقول:

«بعد مرور ستة قرون على رحلة ابن بطوطة مازلت أجد نفس الصفات التي أوردها عن أهل مكة من التواضع والتسامح والسخاء، فخلال أدائي الحج للمرة الثالثة دُعيت ومعي ٥٨٨ دبلوماسيًّا وصحفياً وزعيماً دينياً لتناول الغداء مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في قصره العامر الذي يقع على قمة تل خارج المدينة المقدسة..

وفي البداية قُدمت القهوة العربية للحاضرين في دلاء نحاسية براقة يحملها رجال يرتدون ملابس سابغة ويحملون خناجر مطلية بالذهب، وبعد أن صافح الملك فهد الحضور قام وزير الحج بتلاوة آيات من القرآن الكريم بعدها مُدت الموائد وعليها الطعام العربي التقليدي من خراف وأرز وفاكهة.

ولو أن ابن بطوطة كان معنا في هذا الوقت، - والكلام ما زال للكاتب الصحفي ابيركوني - لرأى تغييرات كثيرة لم يكن ليتصورها أو حتى يتخيلها في وقته، منها أن السعوديين أنفقوا بلايين الريالات لتسع بلادهم هذا المد المتدفق من الحجيج، فمثلاً وقفة عرفات التي تستغرق يوماً واحداً أقاموا لها نحو ١٠٠,٠٠٠ خيمة في منطقة عرفات أكثرها يشتمل على أجهزة مكيفات هواء حديثة، ورأيت بنفسي قافلة من الشاحنات تمتد مسافة ميل كامل توزع الماء المثلج المعبأ في زجاجات وأكياس مجاناً تحت اسم «مبرة خادم الحرمين الشريفين» كذلك رأيت مشروع التجميد الحديث في منى الذي يُعَبِئ ما يزيد عن مليون رأس غنم يضحي بها الحجاج، ناهيك عن المراكز الصحية المتطورة ومراكز علاج ضربات الشمس والطرق الحديثة التي شُقت عبر الرمال وتمر عبر الجبال المحيطة بمكة ومساجدها لتسهيل حركة السيارات والحافلات والمشاة..»

بداية الرحلة

بدأ ابن بطوطة واسمه بالكامل الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي رحلته عندما كان في الحادية والعشرين من عمره، وذكر في مذكراته التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية في باريس «لقد تركت طنجة - مسقط رأسي - في يوم ١٣ يونيه عام ١٣٢٥م بنية الحج.. وهذا يعني أن أترك كل أصدقائي رجالاً ونساءً.. أن أهجر وطني كما تهجر الطيور أعشاشها..» في ذلك الوقت كانت طنجة حاضرة هامة حكمها على التوالي الفينيقيون والرومان والعرب والأسبان، وربما كانت حكايا الرحلات التي يرويها التجار العابرون والجنود وقباطنة البحر قد غرست حبَّ الترحال في نفس ابن بطوطة الشاب حينذاك.

وبمجرد أن أنهى دراسته انطلق عبر الشمال الافريقي قاصداً مكة على مبعدة ٣٠٠٠ميل، ملتحقا بعدة قوافل. وقد استغرق عشرة شهور كاملة لكي يعبر الجزائر وتونس وليبيا ويصل إلى الاسكندرية في مصر وفيها خرج بوصفٍ دقيقٍ لمينائها الكبير ومنارتها الشهيرة التي كانت تعد واحدة من عجائب الدنيا السبع.



خريطة تبين خط سير ابن بطوطة في دول العالم المعروف آنذاك، واللون الأخضر يبين أراضي الدول الإسلامية في القرن ١٤م.

حلم بالمستقبل

في دلتا النيل القريبة من قرية فوه أقام ابن بطوطة في صومعة شيخ ذائع الصيت اسمه الشيخ أبو عبدالله المرشدي وبينما كان نائماً على فراش من الجلد فوق سطح الصومعة المتواضعة رأى مستقبله أمامه ويقول في هذا من واقع مخطوطات باريس **«لقد حلمت أني على جناح طائر ضخم كان يحملني في اتجاه مكة ثم اتجه بي إلى اليمن وأخيراً قام بطيران طويل في اتجاه الشرق، وتوقف في بعض الأقطار المظلمة الكثيرة الخضرة وتركني هناك»**.

وفي اليوم التالي قرر ابن بطوطة أن يسأل الشيخ المرشدي عن تفسير الحلم، فأخبره بأنه سيرحل حتماً في اتجاه الشرق وهذا ما أدهش ابن بطوطة واعتبره شيئاً مستبعداً وأمراً أقرب إلى المعجزات.

وكان ابن بطوطة قد بلغ القاهرة أثناء حكم المماليك والتي كانت على جانب كبير من الرخاء في ذلك الوقت وقد ذكر ابن بطوطة أن القاهرة وحدها بها ١٢,٠٠٠ سقّاء، ٣٠,٠٠٠ حمّال، ٣٦,٠٠٠ قارب ينتشرون على صفحة النيل، ومستشفى أو بيمارستان مجاني يقدم العلاج والدواء بالمجان. وبعد القاهرة سافر ابن بطوطة إلى صعيد مصر ثم عبر الصحراء إلى البحر الأحمر لكي يلحق بالحجاج عن طريق البحر وقد أصبحت مكة على مسافة ٢٠٠ ميل فقط بحراً، ولكن اتضح له أن كل السفن تم تدميرها في ثورة محلية وهو ماسبب له إحباطاً وكرباً شديداً.

في الشام

بعد أن أصيب ابن بطوطة بخيبة أمل من السفر بحراً قرر أن يلحق بقوافل الحجاج في دمشق لذا اتجه إلى سيناء ودخل فلسطين من واحة غزة وقد كتب عن غزة **«إنها مدينة واسعة وسكانها على مستوى جيد من المعيشة، لها ميادين جميلة ومساجد عديدة ولا تحيط بها أي جدران»** وفي فلسطين قام بزيارة بيت لحم مسقط رأس عيسى وقبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم جميعاً السلام وزار أيضاً القدس ووصف أشجار زيتونها، وأدى صلاته في القدس الشريف وقد أدهشته قبته الذهبية وقال عنها **«تومض ككتلة من النور وترسل أضواءً تشبه خفق النجوم»**.

ومن القدس تابع رحلته على ساحل البحر المتوسط إلى بيروت ثم طرابلس ومنها وصل إلى البرتقالية في حماه وقال عنها **«إنها مدينة أنيقة في سوريا.. تحيط بها البساتين والحدائق تمدها النواعير بالماء»** ومن أنطاكية في تركيا رحل جنوباً عبر اللاذقية وجبال لبنان لكي يلحق بقوافل الحج في دمشق.

وكانت قوافل الحج تسير ٥٥ يوماً في الصحراء العربية بدون توقف لكي تصل مكة باستثناء أيام قليلة تتوقف فيها لنيل قسط من الراحة في قلعة قديمة في الكرك بالأردن، وغني عن القول أن العطش وعصابات قطاع الطرق كانت تجعل الرحلة محفوفة بالمخاطر.

بلوغ مكة المكرمة

بعد فترة بلغ ابن بطوطة ورفاقه مكة وهم يرتدون ملابس الإحرام ويقول **«أسلمنا قلوبنا وأرواحنا لله رب السموات.. رأينا بأعيننا الكعبة المشرفة يحيط بها الحجيج.. طفنا سبعة أشواط.. قبلنا الحجر الأسود.. شربنا ماءً طاهراً من زمزم.. ثم حملنا أمتعتنا قاصدين منزلاً يقع بالقرب من باب إبراهيم»**.

ويصف بعد ذلك شعائر الحج جميعها وما شاهده إلى أن يصف أهل مكة بالكرم والسخاء خاصة مع الفقراء والغرباء، كذلك يتحدث عن قاضي مكة نجم الدين محمد فيذكر أنه يقوم بتوزيع كميات كبيرة من الطعام على المحتاجين في مناسبة العيد ويؤكد أكثر من مرة أن الأمن مستتبٌ وقد شهد بعينيه تنفيذ القصاص في لص كان يسرق الحجاج حيث بُترت يده.

ومرة أخرى انضم ابن بطوطة إلى قوافل الحجاج عائداً إلى بغداد متخلفاً عدة أيام قضاها في النجف ومن هناك اتجه جنوباً صوب نهر الفرات قاصداً البصرة.

وكانت بغداد آنذاك يحكمها الخلفاء العباسيون وقد أصبحت درة العالم المتحضر تزخر بالعلماء والشعراء، يحكم خلفاؤها امبراطورية أكبر من

وصل ابن بطوطة مكة بعد مغادرته طنجة بنحو ١٦ شهرًا (الصورة من أرشيف مجلة الفيصل).

امبراطورية روما وقد توصل العلماء في بلاطها إلى علم الجبر وحتى اليوم يعرف في اللغات الأجنبية باسمه العربي Algebra ، كذلك توصلوا إلى طريق لقياس خطوط الطول بينما - كما يقول أحد المؤرخين - كان شارلمان ملك فرنسا ورجال بلاطه ما زالوا يتعلمون كيف يكتبون أسماءهم.

ومن بغداد توجه ابن بطوطة إلى مكة للمرة الثانية لأداء الحج فظل بها سنتين للدراسة، وعن طريق جدة أبحر في رحلة طويلة إلى اليمن والساحل الأفريقي الشرقي حتى بلغ أقصى الجنوب في كلوة - أسفل خط الاستواء بنحو ٦٠٠ ميل - تنزانيا اليوم - ثم عاد إلى مكة للمرة الثالثة عن طريق عمان، الخليج العربي، البحرين.

الخوف من الأجراس

كانت حكايا الحجاج الهنود عن المكافآت السخية التي توهب للعلماء تلهب خيال **ابن بطوطة** ولكنه كان قليل الصبر على سفر البحر لذا قرر أن يصل الهند من الباب الخلفي: تركيا.

ويبدو أن الوقت كان غير ذي موضوع بالنسبة له بدليل أنه فضل السفر براً رغم ما يوفره السفر بحراً من سرعة واختصار للوقت، وطيلة ٥١ يوماً ظل ينتظر في ميناء سنوب الحصين على البحر الأسود في انتظار سفينة آتية ورياح مواتية للسفر إلى روسيا وهناك عاش في كابوس. ظل هو ورفاقه يصلون لله طلباً للخلاص.

وفي بلدة تسمى **فيودوسيا** أقام له الأمير المسيحي وليمة خاصة تكريماً له ثم أقام في مسجد صغير تحيط به الكنائس وكان يشعر بكرب كبير.. «**لقد سمعنا أصوات الأجراس تدق في كل مكان ولم نكن قد سمعناها من قبل وعندئذ أصابني الفزع أنا ورفاقي فأسرعنا إلى مئذنة المسجد وأخذنا نتلوا القرآن**» وعند الارتحال في مناطق روسيا الشاسعة دخل أراضي بدو رحل تخص «**محمد أوزبك خان**» وهو الامبراطور المغولي للحَقْلِ الذهبي ولدهشته الشديدة سافر هو ورفاقه في عربات خشبية كبيرة تسير على أربع عجلات تحمل خياماً من اللباد ويمكن للمرء كما يقول أن يجلس أو يقرأ أو ينام أو حتى يأكل فيها وكانت له عربة خاصة به وأخرى صغيرة لحزمه وثالثة كبيرة لرفاقه تجرها ثلاثة جمال. وفي مدينة بيش داجاه (اسمها اليوم بياتيجورسك) كان يشعر بالارتباك الشديد من اتساع المدينة وكانت تمتلئ بالمساجد والأسواق.

٢٥٠٠ ميل إضافية

كانت هناك علاقة صداقة بريئة بين **ابن بطوطة** وواحدة من زوجات أوزبك خان. وهي ابنة الامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثالث وعندما أرادت السفر إلى موطنها في القسطنطينية قرر **ابن بطوطة** أن يصطحبها عبر الطريق وقد كلفه هذا الطريق الفرعي ٢٥٠٠ ميل إضافية. ولأن جيوش الأتراك والعرب كانت قد سيطرت على القسطنطينية عدة قرون كان من الصعب على أي مسلم أن يزورها بدون تصريح ولذا لم يجد مفراً من أن يقابل الامبراطور وجهاً لوجه وحكى له عن انطباعاته عن بيت لحم في القدس، فما كان من الامبراطور إلا أن منحه ثوباً شرفياً وفرساً على سبيل التكريم ثم رتب له جولة في العاصمة تحت الحماية الملكية، وكان أي شخص يرتدي ثوب الشرف هذا يسير في الشوارع أو الأسواق تتبعه الأبواق والطبول والمزامير وهو الأمر الذي سبب له إحراجاً كبيراً.

وقد شاهد **ابن بطوطة** كنيسة **أيا صوفيا** - التي تحولت إلى مسجد فيما بعد - من الخارج فقط فلم يكن مسموحاً لأي شخص أن يدلف داخلها دون أن يسجد أمام صليب ضخم موضوع في إطار ذهبي وهو الأمر الذي رفض إتيانه بالطبع.

البرودة والتجمد

بعد قضاء خمسة أسابيع في عاصمة البيزنطيين «القسطنطينية» تابع **ابن بطوطة** طريقه عبر روسيا المتجمدة قاصداً التوجه إلى ساراي الجديدة عاصمة بلاد أوزبك خان، وقد سار بجوار نهر الفولجا

وعانى الأمرين من البرودة التي تبلغ حد التجمد فقد كان يسحق الثلج ليحصل على قطرات الماء وكان يرتدي ثلاثة معاطف من الفراء وزوجين من السراويل وجورباً صوفياً في قدميه وحذائين من بطانة من القماش القطني وفوقهما حذائين آخرين من جلد الحصان لهما بطانة من جلد الدب.

ومن نهر الفولجا وبعد قضاء ٤٠ يومًا في العربة الخشبية بلغ **ابن بطوطة** خوارزم وهي واحة مزدحمة بالسكان وعلى جانب كبير من الثراء تقع في جنوب بحر الأورال.

وقد تطلب منه الأمر ١٨ يوماً إضافيًّا على ظهر الجمال عبر صحراء أوزبكستان الخالية لكي يصل إلى مدينتي **بخارى وسمرقند** الرائعتين وقد وجد أن بخارى ما زالت تعاني من وحشية قوات جنكيز خان التي اجتاحتها منذ فترة طويلة فقد كانت مساجدها وأسواقها وجامعاتها لا تزال أطلالاً خربة. ومن سمرقند - يذكر **ابن بطوطة** - أنه هو وجماعته اتجهوا جنوباً عبر نهر أوكاز - نهر آموداريا الآن - في اتجاه الهند.

الهند أخيراً

بلغ **ابن بطوطة** الهند عن طريق فارس والهضبة الصحراوية الموجودة في جنوب أفغانستان وفي **كوندوز** أقام مخيماً لمدة ٦ أسابيع لكي تنال خيوله وجماله فترة من الراحة قبل الاتجاه إلى الممرات الضيقة التي تغطيها الثلوج في الطريق إلى الهند وصحارى ما وراء السند.

وفي «**مولتان**» على ضفاف نهر يفصل بين الهند والسند (حاليا باكستان) قام **ابن بطوطة** باستدانة بعض النقود من التجار المحليين لكي يرسل هدايا لسلطان المغول، ثم أرسل رقعة مكتوبة تنبئ عن وصوله إلى دلهي بواسطة رسل مخصصين وكان هؤلاء الرسل في منتهى السرعة حتى أنهم بلغوا مكان السلطان في خمسة أيام في حين أن **ابن بطوطة** بلغها في ١٥ يوماً.

وكان **ابن بطوطة** قد ارتحل مع جماعة من نبلاء فارس وعوائلهم يرافقهم العبيد والطواشي و٢٠ طاهياً يقدمون الدجاج واللحوم وفاكهة شجر الأبنوس وسارت الرحلة هادئة هانئة إلى أن هاجم



ابن بطوطة في الهند

الركب عصابة من الكفار قوامها ٨٠ من المشاة واثنان على ظهر الخيل.

وقد قتلت جماعةُ **ابن بطوطة** ١٢ من المشاة وواحداً من ركاب الخيل وفر الباقون، وهو نفسه أصابه سهم وكذلك حصانه ولكن الله نجاه.

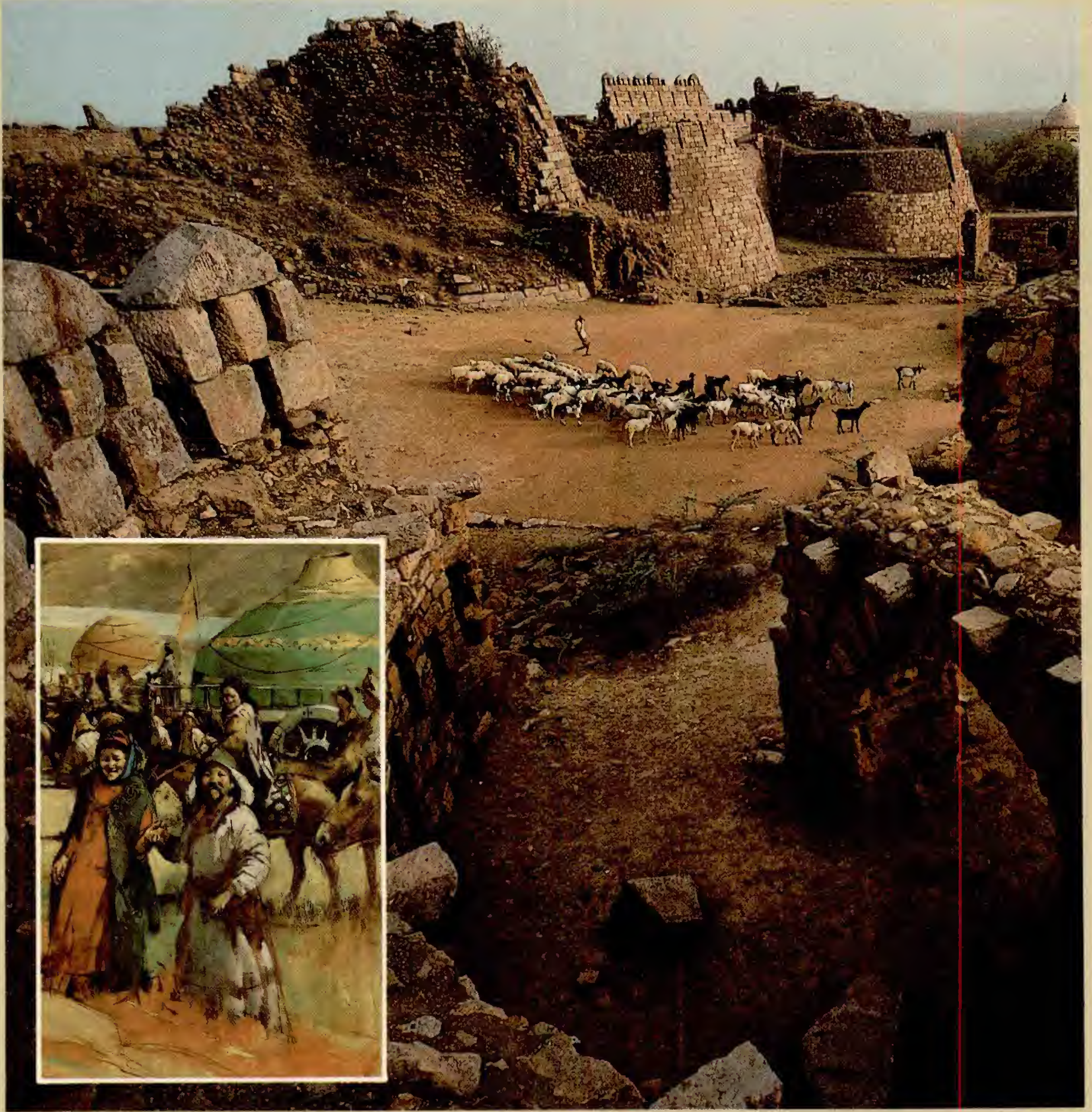
السلطان الدموي

في دلهي قابل **ابن بطوطة** السلطان الهندي محمد ابن توجلوق في قصره الكائن في «جهان نباه» وفي بهو الأعمدة الألف كان السلطان يحيط به وزراؤه وحجابه وكبار الرسميين وكذا العبيد بما فيهم الشخص الذي يدفع الذباب بعيداً عن السلطان بمراوح ضخمة ويقف أمام هؤلاء على الجانب الآخر ٢٠٠ جندي يرتدون ملابس واقية ومعهم ٦٠ حصاناً عليها أسرجة ملكية و٥٠ فيلا يكسوها الديباج والذهب.

وقد وصف **ابن بطوطة** سلطان دلهي بأنه تقي شجاع كريم ولكن غالباً لا يمكن التنبؤ بأفعاله **«باب قصره لم يكن يخلو أبداً إما من رجل فقير يحسن إليه أو رجل حي يُعدم»**.

ورغم «مزاج» السلطان هذا بقي **ابن بطوطة** في بلاطه نحو ٧ سنوات حيث أصبح قاضياً في دلهي وعندما عانى السلطان من الديون الضخمة بسبب إسرافه وتبذيره بيع ذهبه وفاءً لديونه، وفي توقيت غير مناسب ذهب **ابن بطوطة** لزيارة شيخ ورع يقيم في خلوة وهناك أدان الشيخ سلطان دلهي لتبذيره وعندما علم السلطان أوقف **ابن بطوطة** في منزله خمسة أيام، بعدها أعدم الشيخ وأطلق سراحه.

بعد هذا بخمسة شهور استدعى السلطان **ابن بطوطة** وعينه سفيراً للهند في الصين على سبيل الكيد له فيما يبدو، وهكذا وجد العالم الشاب المتجول الذي رحل من طنجة بنية أداء الحج في



أطلال مدينة سلطان دلهي التي يعتقد أن السلطان دُفِنَ فيها، والصورة الصغيرة رسم لمخيم الحاكم المغولي أوزبك خان

مكة، وجد نفسه في عام ١٣٤١م على رأس موكب ضخم يتألف من مائة حصان أصيل عليهم أحمال من السيوف والقفازات المطرزة باللآلئ وسائر الهدايا النفيسة، ومائة محظية وفتاة هندية راقصة إضافة إلى الصينيين العائدين إلى بلادهم، ومعهم ١٠٠٠ خيّال ملكي لحمايتهم يمتطون الجياد المطهمة.

كارثة في البحر

اتجه الركب صوب الجنوب في اتجاه المحيط الهندي، ومرة ثانية تعرض ابن **بطوطة** ومركبه للصوص الهنود الذين جردوه من ملابسه وسيفه ثم أطلقوا سراحه في البرية يكاد يوشك على الهلاك حتى قامت القوات الاسلامية بإنقاذه.

بعد إعادة تجميع ركبه المبعثر وضع **ابن بطوطة** سفارته الكبيرة في ٤ قوارب دَهْو في **جاندهار** على خليج **كامبي** وأبحر في اتجاه ساحل **مالابار** قاصدا «**كلكتا**» وقد أضاف إليها ثلاث سفن منهم سفينتين عملاقتين لكل منهما ١٢ شراعاً و١٠٠٠ بحار لشحن الهدايا السلطانية ثم سفينة أصغر له ولأتباعه.

وفي يوم الرحيل تخلف على الشاطئ لأداء صلاة الجمعة وهنا وقعت الكارثة فقد هاجمت عاصفة هوجاء اسطوله وشتت سفنه، السفن الصينية تحطمت وتناثرت كنوزها وغرق كل العبيد والخيل، والسفينة الأصغر التي كانت تحمل خدمه وابنه انطلقت على غير هدى ولم يسمع عنها ثانية.

وظل **ابن بطوطة** وحيدا على الشاطئ لا يملك سوى ١٠ دنانير وسجادة صغيرة للصلاة.

وخوفا من بطش سلطان دلهي قرر **ابن بطوطة** ألا يعود بشخصه إلى دلهي ليبلغ عن فشل بعثته وبدلاً من ذلك قرر أن يسافر إلى الصين على طريقته.



جزر المالديف التي وصفها ابن بطوطة بأنها أعجوبة العالم بقي فيها ثمانية أشهر وتولى القضاء

المالديف وسيلان

في البداية توجه **ابن بطوطة** إلى جزر المالديف على بعد ٤٠٠ ميل من الطرف الجنوبي للهند بهدف القيام بزيارة قصيرة ولكن عندما علمت خديجة ملكة المالديف عن عالميته اقنعته بالبقاء بتقديم هدايا قيمة من الذهب له.

ولفترة من الوقت عمل في السياسة المحلية وتزوج من ابنة ثري نبيل ثم تولى القضاء وأثناء ذلك جمع كل التفاصيل المتعلقة بالأشجار والأسماك والأصداف التي كانت تُستعمل بدل النقد وأزياء النساء وكتب في هذا «**الرجال والنساء يرتدون ملابس من جلد الأسود ويتجولون بها حتى في الأسواق.. وكقاضي في الجزر حاولت أن أصدر أمراً.. أن ترتدي النساء ثياباً كاملة ولكن لم أحقق أي نجاح**» وخلال إقامته القصيرة في المالديف تزوج وطلق ٦ مرات، وحتى اليوم يوجد في جزر المالديف أعلى معدل للطلاق في العالم وأقل معدل للجرائم.



صيادو الأسماك بالقرب من ساحل مليبار

ومن المالديف توجه إلى سيلان - سريلانكا - وزار جبل آدم وتابع رحلته فلم يحط الرحال إلا بعد أن غرقت إحدى سفنه واستولى عليها القراصنة ثم توقف في ميناء صغير اسمه «**سومدر**» - **سومطرة** - وكان البحارة الهنود قد ادخلوا الإسلام إليها قبل نصف قرن من وصول **ابن بطوطة**، وفيها قابل حاكمها مالك الزهير ووصفه بأن حاكم عادل يذهب لأداء صلاة الجمعة على قدميه

الصين أرض العجائب

عبر مضيق صغير في تايوان بلغ **ابن بطوطة** أرض الصين، هبط أولاً في كاثاي في «**كوانزهو**» على الساحل الجنوبي الشرقي للصين، وفي هذا الموقع كانت الصين قد أنشأت أول مقاطعة تجارية على «طريق البحر» على البحر، وقد أدهشه الميناء ووصفه بأنه أكبر ميناء رأته عيناه وخاصة عندما رأى ١٠٠ سفينة شراعية تقف في مياهه، وحتى اليوم يوجد بالمنطقة مسجد «**كوينج**» وهو أول مكان صلى فيه **ابن بطوطة** عند نزوله الصين.

ويبدو أن الصين كانت تمثل «أرض العجائب» **لابن بطوطة** الذي جاب العالم فهو يقول «**الصين هي أكثر الأقطار أمناً وتنظيماً للمسافر، فالرجل**

يستطيع أن يرحل بمفرده مدة تسعة أشهر حاملاً معه مبلغاً كبيراً من المال دون أي خوف».

وقد لاحظ أن الحرير تصنع منه ملابس الجميع حتى الفقراء والشحاذين وحتى الدواجن أثارت دهشته فهو يقول **«إن الدجاجة هنا أكبر من الأوزة في بلدنا»**.

ورغم هذا وجد الكثير أيضاً مما لا يعجبه، فالصينيون أنفسهم كفار يعبدون الأصنام ويحرقون موتاهم مثل الهندوس ويأكلون كل أنواع لحوم الحيوانات بما في ذلك الكلاب والحلاليف.

وقد أقام فترة في الصين ثم عاد ثانية إلى كوانزهو ووجد سفينة شراعية في طريقها للإبحار إلى الهند فركبها ورحل في الخريف في طريق العودة إلى الوطن.

رحيل بعد العودة

أخيراً بعد أكثر من ربع قرن اغتراب وترحال، عاد **ابن بطوطة** إلى بلده وقدم نفسه لسلطان المغرب متطوعاً للدفاع عن جبل طارق ضد تجمع القوات المسيحية فيه وسرعان ما رحل مع غيره من المتطوعين المغاربة إلى الساحل الجنوبي لأسبانيا، وعندما انتهت الأزمة سافر إلا **مالاجا وغرناطة** ثم عاد إلى المغرب لكي يستكشف البلدان المغربية مثل **سالي ومراكش**.

وبعد ثلاث سنوات من عودة **ابن بطوطة** من الشرق الأقصى رحل في قافلة جمال عبر الصحارى ربما بناءً على طلب السلطان أبو عينان فارس سلطان فاس قاصداً **«أرض الزنوج»** أو مالي كما يُطلق عليها، خاصة أن المغرب كان لها اهتمامات تجارية هناك.

وهكذا سار مع قافلة الجمال مسافة ١٥٠٠ ميل في بحر الرمال حيث بدأت المسيرة من سيجيل ماسا **«باب المغرب إلى الصحراء»** لمدة ٢٥ يوماً في اتجاه الجنوب قاصداً مناجم الملح في تيرهازا - في جمهورية مالي الآن، ويقول **«لا أحد يعيش هنا سوى العبيد.. يحفرون الأرض بحثاً عن الملح وبالفعل يعثرون عليه في شكل طبقات كثيفة.. بالإضافة إلى أن منازلهم ومساجدهم مشيدة من الملح ولها سقوف من جلود الجمال»**.

وفي تمبكتو قابل **ابن بطوطة** حاكمها **ماناسا سليمان** الذي حقق جده **ماناسا موسى** شهرة مدوية لنفسه بالهدايا الثمينة التي وهبها للناس أثناء مروره في مصر في طريقه لأداء فريضة الحج فقد وزع عملات ذهبية تُقدر بنحو طن ونصف من الذهب الخالص مما وجه ضربة قاصمة لسوق الذهب آنذاك. ولكن **ابن بطوطة** تعلم أن الكرم والسخاء والجود ليسوا من الصفات المتوارثة، فبعد عدة أشهر من الإقامة في مالي وصلت هدية الحاكم وكانت عبارة عن ثلاثة أرغفة من الخبز وقطعة من اللحم مطهية في نوع من الزيوت المحلية.

وبعد مالي بلغ **ابن بطوطة** أرض ما يعرف بدولة النيجر اليوم ثم اتجه إلى جبال الحجار الممتدة في جنوب الجزائر صوب حدود المغرب.

نهاية المطاف

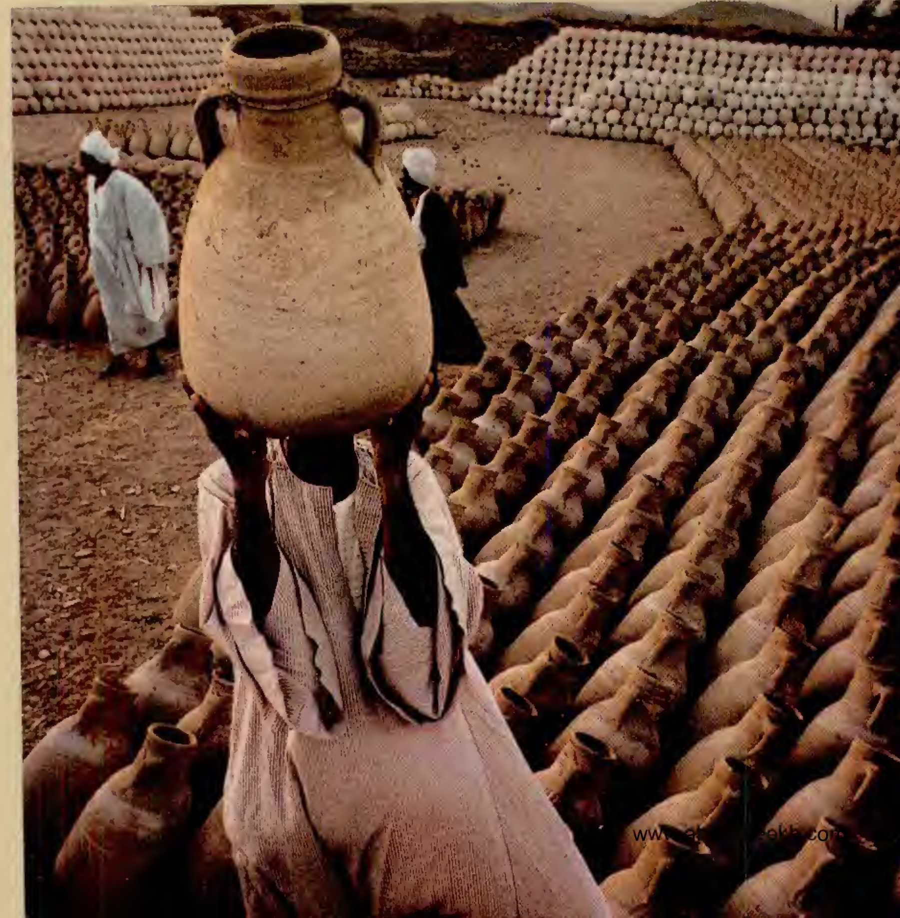
بعد قضاء عمر كامل في الترحال استنتج **ابن بطوطة** أن بلده هي **«أفضل البلدان.. فاكهتها كثيرة.. مياهها جارية وطعامها لا ينفد أبداً»**.

وبعدها انكب **ابن بطوطة** - بناءً على أوامر السلطان - ومعه شاعر من الأندلس يُدعى ابن الجوزي في تأليف كتابه المدهش الذي عُرف باسم الرحلة.

ومن المصادر العربية نعرف أن **ابن بطوطة** قضى سنواته الأخيرة في هدوء يعمل قاضياً في مكان ما بالقرب من فاس إلى أن توفي عام ١٣٦٩م في عمر ٦٤ سنة وقد بقي المكان الذي دُفن به غامضاً وهناك من ينسب إليه قبراً صغيراً في طنجة ولكن هذا غير مؤكد، وفي هذا يبدو أن **ابن بطوطة** يتفق مع المتصوف التركي **«ميفلانا»** الذي كان معجباً به أشد الإعجاب فهو يقول **«عندما نموت لا توجد قبورنا في الأرض ولكن في قلوب الرجال»** والغريب أن **ابن بطوطة** لم يتحدث أبداً عن السبب الذي دفعه للقيام بهذه الرحلة الطويلة.. هل هو الفضول وحب المعرفة؟ ربما، ولكن السبب الأكثر احتمالا هو طلب المعرفة.. وعلى أية حال فإن الحياة نفسها رحلة.. مشوار للاستكشاف.

هذا المقال مترجم عن مجلة «ناشيونال جيوغرافيك»، عدد ديسمبر ١٩٩١م.

زار ابن بطوطة الدير الغربي في مصر حيث لا يزال السكان يعملون في صناعة الأواني الفخارية







بقلم الشيخ: حمد الجاسر

من الفلبين إلى ماليزيا مرورًا بسنغافورة

تجول بنا الشيخ حمد الجاسر ـ في الحلقة السابقة ـ في هونج كونج، ثم غادرها إلى الفلبين.

هبطت به الطائرة في (منلاّ) ليفاجأ بالحرّ الشديد رغم الحدائق وبرك الماء من حوله، وكان لا بدّ له من زيارة القنصلية السعودية فاستأجر سيارة أجرة وانطلق إليها.

في القنصلية

وفي بناية ضخمة تقع القنصلية في الطابق الثامن منها في إحدى الشقق الواسعة ولم يمانع البواب في إدخالي حين رأى جوازات السفر التي أحمل، مع كثرة الواقفين عند الباب، وبجوار شاب يظهر أن كثرة عمله حالت دون سماعه تحيتي ـ جلست، وقدمت له الجوازات لتسجيلها، فسألني بهدوء: **(كيف الحال)**؟ فكان فاتحة الحديث الموجز، وعلمت أن الرجل من بلدة **ينبع**، وأن القائم بالأعمال من هذه البلدة أيضا هو حبيب **علي سالم شاهين**، فترحمت على **سالم** ـ رحمه الله ـ وذكرت بلدة **ينبع** وأهلها بخير، وحاولت التزلف إلى محدثي فقلت: لقد ألفت كتابا عن **بلاد ينبع** ثم أردفت ـ حين لم أر لقولي وقعًا في نفسه: إنه الكتاب الوحيد الذي أُلّف عن هذه البلدة. فهز صاحبي رأسه قائلا: **(قريته)!!** ووقع في الجوازات بعد أن أحضرت إليه مسجلة، وقدمها لي. ولكنني أردت أن آخذ (كل غريفه) فسألته عن حالة المسلمين في هذه البلاد فأشار إلى مصور جغرافي معلق أمامي (خريطة) قائلا: (هم في الجنوب ولا نعرف عنهم شيئًا ولكن الحوادث مستمرة، بحيث إن الإنسان لا يستطيع الخروج من منزله إلى السوق لقضاء حاجاته) قال هذا راويًا عن أحد المدرسين الذين ندبتهم وزارة المعارف للتدريس هناك وسمّاه لي. وانصرف الرجل للحديث مع أحد زملائه في شؤون عمله، فاكتفيت بأن طلبت منه إطلاعي على آخر ما وصل من صحف بلادنا، فطلب إحضار ذلك بعد أن اعتذر بقلة ما يصل، فلما وعدته بإرجاع ما يقدم لي قال: لا، ولكن نعطيك نسخًا سافر صاحبها إلى المملكة، وكنا قد أبقيناها له من الصحف التي وصلتنا هذا الأسبوع. فشكرته وانصرفت منه بما لم يفدني.

وقيل لنا: من الأماكن التي تزار في هذه المدينة **(بركان)** يبعد عنا نحو ستين ميلا، ولكن الرحلة إليه مريحة، فالسيارة مكيفة الهواء. وفي الطريق ما يبهج النفس، خضرة وماء، ورفقة حسنة، فكان الذهاب باختراق المدينة على امتدادها، ثم السير بمحاذاة البحر، بين أكواخ تحيط بها المستنقعات الكثيرة وهي وسط أوحال تبعث رؤيتها في النفس لا الاشمئزاز بل التعجب كيف يوجد إنسان يستطيع البقاء فيها، ومع قربها من البحر فإنها بين غابات من الأشجار وأرضها خضراء مكسوة بالنبات وبينها أحواض مربعة، يمدها خليج من البحر، يستخرج من تلك الأحواض الملح، بعد أن تبخر الشمس الشديدة الحرارة الماء، وتجفف الأملاح، ثم هذا مصنع للسيارات فالهياكل والمحركات ترد من **اليابان**، وهنا يقومون بتركيبها وإكمال ما تحتاج إليه من أغطية وغيرها، ولكن بطريقة تنقصها الآلات الحديثة، ولهذا تبدو تلك السيارات ـ وهي الحافلات الصغيرة المستعملة داخل البلاد ـ تبدو بمظهر غريب. ما أجمل هذه الغابات الكثيفة الشجر وهذه الحدائق ذوات الفواكه من **موز ومنجة وعنب ونارجيل**، وهذه التلال الخضر الممتدة بامتداد النظر. ساعتان مضتا لم يشعر المرء بمرورهما، وها نحن ارتقينا فوق تل عال مطل على شاطئ البحر، وهناك شبه بحيرة في جانب الشاطئ، يفصلها عن البحر جبل يبدو بشكل نصف دائرة ذو ثلاثة رؤوس بارزة، يرتفع من قمة صغيرة من وسطها دخان، قيل لنا: إنه بقايا البركان، وأن هذا المكان المشابه للبحيرة، كان بركانا فخمد، وعلاه ماء البحر، ولم يبق منه سوى الفوهة التي لا نشاهد منها إلا الدخان ـ وبعد الاستراحة، وتناول فاكهة مثلجة إناؤها قطعة من جوز الهند، غضة وبقية الجوز طري حلو حين يخلط بما معه.

واستراحة أخرى في حديقة جميلة لبيت فلبيني مكون من الخشب وفراشه من القصب وآنيته من الفخار ولا شيء غير ذلك، وهذه آلة ضخمة من آلات الطرب، مصنوعة من القصب أيضا، تعزف عليها فرقة عزفا فيه صخب، وله روعة في القلب هي إلى الحزن أقرب، ولم ينس أحد الإخوة من **طرابلس** الغرب

○ شعرت بالغربة بين المعابد الغريبة، وأحسست بجمال المكان حين رأيت المسجد الجامع بمنارته البيضاء الشامخة.

أن ينمق صحيفة كاملة في دفتر البيت الفلبيني، اكتفيت بأن كتبت له - تحت ثناء صاحبنا الليبي على هذه البلاد وإطرائها بالجمال الرائع:

ولكن الفتى العربي (فيها) غريب الوجه واليد واللسان

الحدائق والفنادق في هذه البلاد، ولا شيء غيرها، فأرضها خضراء كلها، ولكن حرارة الشمس تحول دون الاستمتاع بجمال مناظرها، ولعل هذا من الأسباب التي دفعت أصحاب الفنادق إلى التباري بإعدادها ملائمة لحالة من يفد إلى هذه البلاد. ليجد داخلها ما يعوضه عما لم يستطع الاستفادة به، ولهذا تكثر البرك والحدائق المنسقة في تلك الفنادق الفخمة.

إن مما يضايق المرء كثرة من يتعرض له حين يخرج من الفندق، فهذا صاحب سيارة يعرض عليه إيصاله إلى المكان الذي يريد. وهذا يلح بطلب مرافقته وإرشاده، وذاك يكلمه هامسا بما يبعث في النفس الريبة منه، وخاصة من لا يعرف ما يقول.

ومع الرغبة في معرفة الكثير من أحوال هذه البلاد حباها الله بقسط من جمال الطبيعة فبواعث البقاء فيها كانت ضعيفة.

في سنغافورة

لم تزد مدة الطيران بين منلا (1) وبين هذه المدينة على ثلاث ساعات، وفي المطار اقتصر سؤال موظف الجمرك على الدخان والمشروبات، وكان السكن في فندق مزدحم بالسكان، ولكنه كان مريحًا، ولم تتجاوز أجرته ٥٥ دولارا أمريكيا (١٢٠ من عملة هذه البلاد، إذ الدولار يساوي نحو ٢٠/ ٢ منها) وهو واقع في منطقة كثيفة الأشجار، مخضرة الأرض، حديثة العمران.

هذه المدينة جميلة حقا، بل رائعة الجمال، لا تقع العين إلا على ما يبهجها، أو هكذا بدت لي من أول نظرة، الأشجار، الزهور، الحدائق، نوافير المياه، ها أنا في الطابق الخامس من الفندق، وها هما بركتان تفهقان بالماء الصافي، يتعالى ضجيج الأطفال في صغراهما وتنتشر الأجسام العارية في الكبرى، وفوق السور المنضدة حولها، وتزدان جوانب المكان بالأزهار والأشجار. الحياة هنا تختلف عن الحياة في البلدة التي غادرناها صباح هذا اليوم إنها أشبه بنشاطها ومظهرها بالحياة في (هنغ كونغ) والجو، ألا يكون ملائما لطبيعة هذه المدينة التي تبدو كالبستان العظيم، الذي يلي البحر بأحد جوانبه، وتنتشر التلال العالية الخضر، والأدوية التي يحجب تكاثف أشجارها ونباتها أشعة الشمس؟

كنت منذ غادرت (اليابان) قد اكتفيت بأخف ما أحتاج إليه من اللباس، ومع ذلك لا أرتاح إلا داخل غرفة الفندق المكيفة الهواء، مع ما يسبب لي ذلك من الصداع، أو الزكام.

إن الوقت الآن الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ٨/ ٥/ ١٣٩٩هـ (٥ أبريل ١٩٧٩م) أتراني بحاجة إلى تغيير ملابسي بأقل منها لاستقبال برد الليل؟

لا داعي للاستعجال فبقرب الفندق أمكنة تعج بالناس من معارض لمختلف الأشياء ومقاهٍ ومطاعم لن أعدم بينها ما أقضي فيه جزءًا من الوقت بعيدا عن جو الفندق، الذي أحسست بشيء من الضيق لبرودته. ولكنني ما كدت أخرج من الباب حتى لفحني هواء حار، أشبه بلفح حرارة الحمام البخاري الشديد الحرارة (السونا) مما جعلني أفكر في العودة إلى الفندق، مع أن الغيم قد حُجِبَ بكثافة أشعة الشمس التي قد شارفت على الغروب، إن لم تكن غربت.

هذه حديقة واسعة فيها مطعم فليكن فيه العشاء. ومع معارضة الرفيقين **أمّ محمد وابنتنا** كان ذلك. أترى هذا الندل مصابًا بالزكام؟ إنه كثير العطاس وهو الذي سيقدم لنا الطعام، ولكن (لا عدوى ولا طيرة) ومع ذلك بقي الإحساس بها يومًا كاملاً وما أسرع ما ينسى الإنسان!! لقد نصحت بعد مغادرة **اليابان** بعدم السكنى في غير الفنادق المعروفة بنظافتها — وأن يقتصر الأكل في مطاعمها، ولكن:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم؟!

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وكانت جولة في المدينة في حافلة مكيفة الهواء، والرفاق من أجناس الناس، فيهم **الأمريكي والهندي والهولندي والصيني، والعرب ثلاثة**.

مشاهدة الميناء من تل مرتفع، فيه مقهى واسع، ومعرض لمختلف مصنوعات هذه البلاد، **وحاو هندي** ينفخ في مزماره ويرقّص حنشا أرقط يقارب المتر طولاً، ويعرضه على المشاهدين لمن يرغب حمله، إنه لا أنياب له، وها هو لسانه الطويل يلحس يد صاحبه، وهذه حديقة واسعة يزرع فيها نوع من النبات وزهور مختلفة الألوان، من أحمر وأصفر وأزرق وأبيض، وبينها أشكال متعددة وهو مما اشتهرت به هذه البلاد.

وهذه منطقة من أجمل المناطق لا يسكنها إلا الأثرياء وفيها بعض السفارات **كسفارة المملكة العربية السعودية**، فالتفت - عند سماع الاسم - يميني فإذا علم بلادنا معلق أمام دار تتوسط حديقة صغيرة وبقربها متحف أنشأه الثري الذي عني باستنبات الزهور في تلك الحديقة التي تقدم ذكرها.

وشاهدنا **مسجدًا صغيراً** من بعد، **والمسلمون** هنا قليلون، فنسبتهم بين مجموع السكان الذين يدينون بمختلف الأديان ٥٪. ووسط المدينة يتمايز سكانه، فهذه الناحية سكانها صينيون، وهذه يسكنها **الهنود**، وهكذا بقية السكان.

لقد عرفت اسم الشارع الذي تقع فيه سفارتنا، إنه (**شارع نسيم**) أو (**نسيم رود**) كما يقولون وليس بعيدًا عن الفندق، إنه لن يبعد أكثر من سير ساعة، فلتكن رياضة هذا الصباح إلى جهته، لمعرفة موقع السفارة.

هؤلاء الذين ينظفون الشوارع، إنهم يلقون بأوراق الشجر المتساقطة في هذه السواقي الممتدة بامتداد الشارع، ألا تتراكم فيها؟ الجو صحو، والسماء زرقاء

صـافيـة، وأشعة الشمس تتخلل أغصـان الأشجـار الكثيفـة، حسنا هـا أنـا تجاوزت المتحف الـذي مررت بـه بالأمس، ولكن لم أر مـا أبحث عنه، أتـرى المثل الذي يتندر به ابن البادية : (ضيعة الحضري قصره) صحيحـا، لا بأس فأنـا لم أسر الآن إلاّ نحـو ثلث سـاعة، لا قصـدًا بل كنت أحـاذر من طـرق السيارات، فأبعـد كثيرا، و(الحضري ينشد) وهـذا بواب قصر فخم، لا يستر جسمه سـوى إزار خلق، وقدماه حـافيتان، مالي ومالـه، إنّ له لسانـا، وهذا يكفي. لقد أمرني بالرجـوع من الشارع الذي أتيت منه، وأخبرني بأن السفارة تقع فيـه، ورقم دارها (١٠). هـا هو العلم لا يـزال معلقا ـ صبـاح السبت ـ ولكن الساعة لم تبلغ بعد الثامنة، لقد اهتديت الآن.

لقد بدأ المزن ينتشر في السماء حتى حجب الشمس، وتكاثف، وبدأ يسود بعـد أن كان أبيض، وهـا هـو رذاذ المطر يتسـاقط والمشـاة ما لهم؟ إن أكثـرهم يجري! لقد اشتـد المطر، إن الأسـواق وهي مرصـوفة مبلطة يكـاد سيلها بقـوته يجرف الماشي، ثم هـذه السواقي التي رأيت الأوراق والأوسـاخ تطرح فيهـا إنها أشبه بالأنهار.

ثـلاث ساعـات كـاملـة، والديمـة متـواصلـة، ثم تفتّق الغيم، فأشرقت الشمس، في مكتب **الأخ محمد أمين ولي**، الساعة الثانية عشرة جففت ما أصاب ملابسي من المطر، وكان استقبالا حسنا، ومجموعة من صحف بلادنا، وأخبار طيبة عن تلك البلاد، واجتماعًا **بالأخ محمد القاضي من موظفي وزارة الخارجية** ثم عودة إلى الفنـدق في سيارة الأخ **محمد أمين**، وقـد قلت له ــ حين ألحّ عليّ بالدعوة للعشاء : إننا سنسافر في المساء، وما كنت كاذبًا، غير أن رفيقيَّ رأيا التأخر إلى الغد ـ أي يوم الأحد ١١/ ٥/ ١٣٩٩هـ ـ ٨/ ٤/ ١٩٧٩م.

إلى كوالا لمبور[٢]

قاعدة بلاد **الملايو (ماليزيا)** أول ما فكرت فيـه حين عزمت على المرور بهذه المدينة زيارة أبي سليمان **الشيخ محمد الحمد الشبيلي**[٣] سفيرنا في هذه البلاد، لقد قلت قبل عشرين عـاما ـ فيما كتبت ــ إنّ أكره شيء إلى نفسي رؤيـة بلدة يحل فيهـا أحـد صـديقين اثنين ــ سمَّيتهما ــ وكـان ذلك أول معـرفتي لهذا الـرجل العظيم، ، ثم اتضح لي فيما بعد معنى قول المتنبي :

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

وقوله :

ليس التكحُّل في العينين كالكحل

فكنت أتعمد عدم السفر إلى بعض البـلاد التي فيها، مع رغبتي في زيارتها وأتباعد عن زيارته إذا علمت بقدومه إلى بلد أنا فيها، كما كان يفعل **زهير بن أبي سلمى** حين يمر بقوم فيهـم ممدوحه **هرم بن سنان المري**، فيخصهم بالتحية دونه : (**عموا صباحا سوى هرم بن سنان**) ثم يضيف (**خيركم استثنيت**)!

وإن من الجفاء، ومن عـدم الوفاء أن أحلّ ببلـدة فيها هذا الـرجل فلا أراه لأحييه، ولكن هناك ما هو أشد ألمًا في نفسي مـن ارتكاب هذه الخلة الذميمة، لقد أثقلني بصـلاته الكـريمة، حتى أصبحت أخجل من رؤيتـه، وأنا ممن لا يتحمل المعــروف من كل أحـد، بل أتحاشـى أن أحمل فضل كل متفضل، ولا أبعد كثيرًا عما قصده الشنفرى بقوله :

وأستف ترب الأرض كيلا يرى له ... علي من الطول أمرؤ متفضل

ولولا اجتناب الـذم لم يلف مشرب ... يعـاش به إلاّ لـدى ومـأكـل

هما أمران أحلاهما مر، وهذه المدينة لا تبعـد عن البلدة التي أنا فيها سوى ساعـة، بل أقل، وهذا الأخ أمين ولي في **سنغفورة** ـ يستغرب منـي عدم زيارة هذه المدينة الجميلة، فأفيض في الحديث عن **أبي سليمان** حين كان في **البصرة**، ثم في **كراتشي (باكستان)** ثم في **بغداد** وأخيرا في **الرياض**. لا أريد المرور بـ**(كوالا لمبور)** هذا ما قلته للأخ، بعد أن عـزمت على التوجه إليها مع زيارة أبي سليمان وهي الغاية في الواقع. وكان النزول في فندق **(فدرل)** وسط المدينة، ولم تستغرق الرحلة منـذ الإقلاع من مطار **(سنغفورة)** إلى الوصـول إليه أكثـر من ساعتين لسهولة المعاملة في المطار. الفندق نظيف وفخم، والشوارع تنتشر على جوانبها الأشجار، والمدينـة ـ كما أشاهدهـا من نافذة الغرفـة ـ كأنها غابة، تكثـر فيها التلال والوهـاد، وكأنها كلها مفروشة ببساط سندسي والفنـدق فوق تل عال، تشاهـد منه أعالي المباني المرتفعـة. والوقت غير ملائم للتجول خـارج الفندق هـذا المسـاء والطعـام فيـه شرقي وغـربي، ففضلت الأول عنـد اختيـار طعـام العشاء، ولكنني تجرعت أكثره وأطيبه مغمض العينين من شدة حرارته لكثرة ما فيه من الفلفل، وقلت ـ بعد أن ملأت الوطاب : لعله كما قرأت في بعض كتب المتقدمين : (حار في الأولى معتدل في الثانية، بارد في الثالثة) غير أنني اكتفيت بتلك الأكلة الطيبة من ذلك النوع من الطعام إلى الآن.

ومن خلال جولة قصيرة حول الفندق في الصباح أدركت شدة حاجة المرء في أكثر هـذه المدن الجميلة إلى العناية بصحتـه حين يزورها، وذلك بارتيـاد ما فيها من أمكنة جميلة، كالحدائق والفنادق الكبيرة والأماكن المهيأة للزيارات.

ومن فوج من السياح داخل حافلة مكيفـة الهواء كانت مشاهدة أبرز معالم المدينة في اليوم الثاني ابتدأت الجولـة بضحكات حين أشارت الدليل إلى مكان تـتوسطه قبـة عاليـة، ويحيط به سـور مرتفع مـريح ظننته أول الأمـر مقبرة فلم يذهب بي الظن بعيدًا، إنه مقبرة الأحياء (السجن) وهذه حديقة واسعة تنسب إلى **(تنقو عبد الرحمن)** الذي كـان رئيسًا لوزراء هـذه البلاد، ثم **أمينا للمؤتمر الإسلامي** عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) وبقربها ملعب قد زانه اخضرار أرضه والمياه هنا غزيرة، فهذه البحيرات منتشرة أينما سرت.

أجمل مكان

وديانة هـذه البلاد **الإسلام**، ولكن للأديـان الأخرى معـابد وأمـاكن يزار بعضهـا، فهذا معبد **(بوذي تايلندي)** لا يدخله سوى من خلع نعليه، وداخله أشبه **بمعابد النصارى**، ولكن لا صلبان هنـا بل تمثال إنسان جميل الـوجه، لا أدري من أي الجنسين، والراهب أو السـادن، جالس تحته لعلـه يتقبل الهدايا والنذور.

وخاتمة المطاف رؤية أجمل مكان شاهدته في هذه المدينة، إنه **المسجد الجامع**، يقع تقريبا عما حوله في مساحة واسعة من الأرض تتوسطه منارة شامخة في السماء بيضاء، رقيقة، وفي صحن المسجد بحيرة مستطيلة صافية الماء تحيط بها نوافير يرتفع ماؤها فينتشر رذاذ. ويحيط بصحن المسجد أروقة واسعة، في جوانبها أمكنة ملحقة بالمسجد منها بهو واسع (صالة) للمحاضرات فيما يظهر لأنني رأيت في صدرها منصة، وفي أحد جوانبها كراسي كثيرة مصفوفة، وفي الجانب الآخر من صحن المسجد من الأمكنة مكتبة وجدت بابها غير مغلق ففتحته، ودخلتها فرأيت فيها كتبا قليلة وأمامها داخل صحن المسجد بحيرة مربَّعة نظيفة الماء، وفي شرقي المسجد باب واسع يفضي إلى أرض مفروشة بالرخام الجميل يتوسطها قبران مرتفعان عن الأرض قيل لنا: إن هذا المكان (يقبر) فيه الوزراء، والقبران حديثان.

ويحيط بالمسجد حديقة واسعة جميلة التنسيق، ذات زهور مختلفة الألوان ويتوسط المسجد قبة يعجب المرء من سعتها وليس في داخلها من الأساطين ما يقوم بناؤها عليه.

ما أروع هندسة هذه المباني وما أجملها، لقد احتفلت حكومة هذه البلاد بافتتاحه في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٨٥هـ (٢٧ أغسطس ١٩٦٥م) ودعت لذلك عددا كبيرا من مشاهير **العالم الإسلامي**، وتحدث عنه صديقنا **الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي** في الحلقة الثالثة من سلسلة الكتب التي يصدرها بعنوان (**المكتبة الصغيرة**) في كتاب «خمسة أيام في ماليزيا»[٤]. إن التاريخ الذي قرأته مكتوبا على جدار القبة الخارجي لبناء هذا المسجد هو ٨ ربيع الآخر. ثم سنة ٩٦٣(؟) ويظهر أن التاريخ الهجري لم يوضع، وأن المسجد بني سنة ١٣٨٣هـ (سنة ١٩٦٣م)، واسم الذي أنشأه (**السيد فترا ابن المرحوم جمال الليل**) كما في الكتابة التي قرأتها، ولعل هذا أحد المساهمين في نفقات بنائه، وقال لنا الدليل: إن أقدم مسجد أنشئ في هذه المدينة يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٨٥٧م، وأشار لنا إليه وهو واقع على مقربة من وزارة التعليم في وسط المدينة.

نعمتان خصت بهما هذه البلاد الواقعة في المنطقة الاستوائية: شدة حرارة الشمس واستمرار هطول الأمطار في كل فصول العام، فالحرارة تعين على القضاء على كثير من جراثيم الأوبئة التي لا تزال تجد في تلك البلاد مرتعًا خصبًا، والسيول القوية تصرف المياه الراكدة في المستنقعات وعامة القوم هنا - فيما يظهر - تكاد عنايتهم بالنظافة تعتمد عليهما.

يحار المرء تفكيرا حين يشاهد بعض المنازل، وقد أحاطت بها المستنقعات الراكدة المتغيرة الرائحة والمياه الوسخة تجري في جوانب الشوارع والأسواق، وخاصة في الأحياء المنزوية عما اعتاد القادمون إلى هذه المدن المرور به، أو الذهاب إليه.

لقد خرجت مساء هذا اليوم من أحد أبواب الفندق الخلفية، حين شاهدت هناك حديقة كبيرة وهذا الفندق من خيرة فنادق هذه المدينة، يقع في محلة ليست قديمة العمران، تقع فيها أشهر الفنادق وفي أعلاه مكان مطل على المدينة، في الدور الثامن عشر منه يشاهد المرء أبرز معالمها، لأنه يدور خلال ٤٥ دقيقة إلى كل الجهات، ولهذا يقصده كثير من السياح وغيرهم - خرجت من الباب الخلفي لأشاهد الحديقة، ولكنني بعد أن تجاوزت الباب، وبلغت مدخل الحديقة صدمت بأبشع منظر، مياه راكدة في مجاريها، تنبعث منها الروائح العفنة وأوساخ متراكمة تحت أشجار لم تمس أغصانها المتشابكة يد التشذيب والإصلاح، أترى القوم اعتبروا مدينتهم حديقة كبيرة فاستغنوا بها عن إصلاح الحدائق؟ لا أدري ولكن ينبغي أن يلاحظ أن الفندق يقع فوق تل مرتفع وتلك الحديقة - أو المكان الذي وصفته - في حضيض ذلك التل، وما حوله يقل فيه العمران.

وآن وقت السفر من (كوالالمبور) ظهر اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى (٢٠/ ٤/ ١٩٧٩م) وبعد مغادرة الفندق اتجهت إلى السفارة ومنها اتصلت بالهاتف **بأبي سليمان** حين علمت بأن مكتبه في بيته لضيق مقر السفارة وكان في استقبال **السفير الكوري** فتحدث مع الأخ **فايز الأسمري** أحد موظفي السفارة لكي آتي معه بعد زيارة أجمل ما يزار في هذه المدينة وهو مسجدها، ولكنني وقد حاولت التخلص من **أبي سليمان** فلم أستطع. تخلصت من الأخ **فايز** فنزلت قبله في المصعد ثم سلكت طريقًا ضيقًا لا تستطيع السيارة سلوكه. وبعد ذلك كان الذهاب إلى المطار بعد ساعتين من عودتي من السفارة.

ولكن أتراني أفلت من هذا الرجل؟ لقد اتفق وقت السفر ووصول رئيس حكومة (**بنجلاديش**) إلى المطار، وقد استقبل - كعادة استقبال الرؤساء - في المكان المعد لخروج المسافرين إلى الطائرة قبل إقلاعها بدقائق، ما شعرت إلاّ بالرجل الذي هربت منه واقفا ينهال علي بعبارات العتاب، ولم يجد الاعتذار، هنا مكان نستطيع الجلوس فيه (أبرد) من هذا المكان، ولن تقلع الطائرة بدون أن نعلم، و(أمر الله من سعة)

وفي أحد الأمكنة المخصصة لجلوس القوم، ترددت عبارات التأنيب، مع تردد ما يقدم للضيف المكرم من شراب وطعام.

ورعى الله **أبا سليمان**، إنه فرد في عصره، في النبل وكرم الخلال، فماذا أقول عنه؟!

(لقد أصيب - رحمه الله - بداء عضال أقعده وأثر في سمعه ولسانه، وتردد على أشهر مستشفيات العالم - فلم يكتب له الشفاء، فاختار الله له جواره).

للحديث صلة

الهوامش

(١) بعضهم يكتبها (مانيلا) ويمد الميم ويشدد اللام ولكن ما سمعته من أهل هذه البلاد يتفق مع ما كتبت لأن حرف A هو حركة الميم المفتوحة و I علامة كسر النون.

(٢) رأيت الاسم مكتوبا بحروف عربية (كوالا لمفور) أما في النطق فسمعته ينطق بباء فارسية (ب).

(٣) ما أيسر أن أقول (صاحب المعالي) ولكن الرجل عندي أرفع من الألقاب التي ابتذلت بكثرة إطلاقها على من لا يستحقها، ثم إنها بدعة أعجمية مما خلفه لنا الأتراك وصنائعهم.

(٤) طبع هذا الكتاب سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

نحن شعب واحد

شعر: حسين علي الهنداوي



لا تَقُلْ عهدٌ مضى في غَيْهَبِ   إنّهُ وعْدُ الرسولِ العربي

نستمِدُّ الحبَّ مِنْ أطيابِهِ   حينَ غنّتهُ عذارى يثربِ

«طلع البدْرُ علينا» حاملاً   نفحاتِ الخيرِ بعد الكُرَبِ

قُلْ لِمَنْ ظنَّ بأنّا أُمّةٌ   شرذمتْها ضرَباتُ الأجنبي

نحنُ ما زلْنَا يداً واحدة   نَتَغنّى بتعاليمِ النّبي

إنْ يكنْ مزّقَنا في غفلةٍ   غدرُ غازٍ حاقدٍ مُغْتَصِبِ

فلقد عدْنا لنبني دولةً   مجدها مجْدٌ عريقُ النّسبِ

من ربا المشرق يعلو صوتُها   هاتفاً باسم ربوعِ المغربِ

نحنُ شعبٌ واحدٌ يجمعنا   دربُ طه من قديمِ الحقبِ

يا ربا القدسِ فمي في حَيْرَةٍ   حينَ أدعوك بأمي وأبي

إنْ يكنْ أقصاكِ قَدْ كبّلَهُ   غاشمٌ أعمتْهُ نارُ الغضبِ

فلكم مَرَّ به من حاقدٍ   سحقتْهُ ثورةٌ مِنْ لهبِ

زعموها دولةً باقيةً   في رؤانا رغمَ أنفِ العربِ

يا ربا لبنان إنّي عاشقٌ   لأغاني الحبِّ رغم التّعبِ

موطنٌ وحّدَهُ جرحٌ لنا   حين غنّتْهُ بطاحُ النّقبِ

يا بلادي أقسم المجد بأنْ   يسحقَ النّسْرُ غرورَ الثّعلبِ

دونَ عينيكِ رجالٌ جُلّهم   يركبونَ الموتَ أشهى مَرْكبِ

حملوا السيفَ وفي أحداقهم   رقصَ الموتُ بأزهى القُشُبِ

أمة قدْ قَدّرَ الله لها   أن تعاني لبلوغِ الأربِ

لن يموتَ الحبُّ في آمالِنا   فهوانا يَعْرُبِيٌّ يَعْرُبي

من عباقرة العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية العربية

بقلم: د. محمود فيصل الرفاعي

حدث تقدّم علمي واسع حيث انتشر الإسلام. بدأت النهضة العلمية العربية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) وهناك من يتوسّع في ذلك فيمدّده حتى القرن التاسع الهجري.

تمت هذه المرحلة من التفوّق العلمي الإسلامي العربي في ثلاث مراحل: المرحلة الأولى نفذ فيها المسلمون العرب الأمر القرآني الأول (اقرأ)[١] فانكَبُّوا على قراءة المراجع وشملت هذه المرحلة حركة نقل وترجمة وتعريب عن اليونانية والهندية واللاتينية والسريانية، ثم دخلت الثانية وهي الإبداع الإسلامي العربي والانتاج الأصيل في مجال العلوم الأساسية والطبية، تلتها المرحلة الثالثة وهي الاختراع والبناء والصناعة والأعمال المبتكرة في مجال الأعمال الهندسية.

نفذ المسلمون **العرب** في المرحلتين الثانية والثالثة الأمر القرآني الثاني **(اقرأ وربُّك الأكرم الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم)**[٢] والحديث الشريف **(قيدوا العلم بالكتابة)** فدوَّنوا أفكارهم وتجاربهم ونظرياتهم ونتائج أبحاثهم ووصفوا أعمالهم بأدق التفاصيل وهذا ما يفسِّر وجود الثروة الضخمة من المصنَّفات القيّمة التي خلَّفها علماء السلف على الرغم مما فقد وأحرق وأتلف بنتيجة الحروب، فقد ابتليت الأمة في أواخر القرن السابع الهجري بإعصارين مدمّرين هما **الزحف الصليبي** من الغرب **والهجوم المغولي** من الشرق مما اضطرها أن تُسَخِّرَ على مدى قرنين معظم طاقاتها لصد الغزوات التي كانت تستهدف القضاء على أصل وجودها، وما أن سعدت بقطع دابر الغزاة حتى أُسلمت إلى سُباتٍ عميق لعدة قرون على حين كان الغرب يفتح عينيه وينهض متقدماً في طريق حضاري جديد، معتمداً على عمله وعلى ما اكتسبه من الحضارة العربية الإسلامية.

عوامل تقدّم المسلمين

هناك أربعة عوامل ساعدت العلماء العرب المسلمين على تحقيق انجازاتهم العلمية المتفوّقة:

● **العامل الأول**: حرّية الرأي العلمي فلم يتعرّض عالم لمحنة أو اضطهاد بسبب رأيه العلمي. يقول **«الدكتور غوستاف لوبون»** المؤرخ الفرنسي في كتابه **(حضارة العرب)** **«إن فلاسفة العرب والمسلمين هم اول من علَّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين»** ولا يدخل في هذا السياق ما روي عن الاختلافات الفكرية والعقائدية.

● **العامل الثاني**: إكرام الإسلام للعلم والعلماء واهتمامه بما يعتبره أصل الحضارة وقوّتها الدافعة فقد جاء في سورة العنكبوت **(وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاس وما يعقلُها إلاّ العالمون)**[٣]، وفي سورة المجادلة **(يَرْفَعِ اللّهُ الّذين آمنُوا مِنكُم والّذِينَ أُوتُوا العِلمَ درجات)**[٤]، وقد ظهر هذا العامل واضحاً في رعاية الحكّام والولاة للعلم والعلماء وانفاقهم بسخاء في هذا المجال، وتشير بعض الدلائل إلى أن **أكاديمية العلوم التي أسّسها الخليفة العباسي المامون في القرن الثاني الهجري في بغداد وهي (بيت الحكمة)** كانت تملك مخصّصات للبحث العلمي جعلت المشرفين عليها يمنحون كل عَالِم يترجم كتاباً علمياً عن لغة أجنبية وزن الكتاب ذهباً كمكافأة له.

● **العامل الثالث**: الاستعداد الذهني مع الصبر والمثابرة حتى أن أعمال العالم الواحد منهم تُعد بالعشرات وكان العالم يفخر بالدور الذي يؤديه لأنه يرضي الله عزّ وجلّ أولاً، ثم يساهم في توسيع المعرفة الشاملة إضافة إلى زُهد العالم في الترف والسلطان.

● **العامل الرابع**: هو الانتشار الذي حصل في العالم الإسلامي لمصنّفات العلماء العربية والتداول على الرغم من صعوبات الاتصال.

إن هدف البحث في التراث العلمي العربي يجب أن يتركّز على بعث الأمل في النفوس مع اليقين بأن القوة الدافعة التي قادت السلف إلى أعلى الدرجات لا تزال حيّة وهي تنبع من الجذور ومن روح الأمّة ولكنها كامنة وهي بحاجة إلى من يحيلها إلى قدرة حركية وبذلك يقترن الماضي بالحاضر كما قال الشاعر **عبدالغني حسن**:

ما قيمة الماضي الدفين ومجده ... إن لم يقس بالحاضر المتوقّد
هذا زمان لا تقام فيه كرامة ... فيه لماض غائب لم يشهد

أو كما قال **محمد المبارك** في كتابه **(الأمّة العربية في معركة تحقيق الذات)**.

«واصبح للعرب مصدران يستمدون منهما القوة أحدهما خارجي يجدونه في نماذج الأمم الاوروبية، وثانيهما داخلي وهو تاريخهم وحضارتهم وكان هذا المصدر يتزايد قوّة ويتّسع افقاً».

سنعرض اعمال اربعة علماء من المهندسين العرب المسلمين الذين لمعت انجازاتهم في العلوم التطبيقية فاضاءت الحضارة. هؤلاء هم بنو موسى بن شاكر (٨٥٠م)، الخازني (١١١٥م)، الجزري (١٢٠٠م)، وتقي الدين الدمشقي (١٥٥٠م).

من كتاب العدد

● د. محمود فيصل الرفاعي

- من مواليد دير الزور بسورية عام ١٩٤٠م.
- دكتوراه في الهندسة المدنية.
- يجيد الإنجليزية والفرنسية.
- عمل في المجال الأكاديمي، ويعمل حاليًا رئيسًا لقسم الهندسة المائية بكلية الهندسة المدنية بجامعة حلب، ورئيسًا لقسم تاريخ العلوم التطبيقية بمعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب.
- له العديد من الكتب والأبحاث في مجال تخصصه باللغتين العربية والإنجليزية
- له دراسات تراثية علمية، ودراسات لغوية عربية، إنجليزية، فرنسية في الترجمة والتعريب.

بنو موسى بن شاكر

ثلاثة اخوة لمعوا في **مجال العلم التطبيقي** عاشوا أثناء العصر العباسي من القرن التاسع الميلادي . بدأوا حياتهم العلمية بأن درسوا في (**بيت الحكمة**) ببغداد وهناك نمت مواهبهم العلمية . وقد تألقوا في **أبحاثهم الرياضية والفلكية وعلوم الأنواء والهندسة والعلوم التطبيقية** . وقد تحمّلوا على حسابهم الخاص نفقات ترجمة كُتب يونانية إلى اللغة العربية ، كذلك كانوا ينفقون مبالغ طائلة لإرسال بعثات إلى **بيزنطة** لشراء كُتب علمية ولدعوة العلماء للعمل في بغداد لإجراء البحوث فيها .

ويمكن سرد بعض انجازات بني موسى بن شاكر في مجال الأعمال الهندسية بإيجاز :

★ **تصميم قناة الجعفري** والإشراف على تنفيذها وتصميم قناة عمود بن المنجم وكلا القناتين قُرب البصرة .

★ **حل بعض المسائل الهندسية** التي لم تكن قد حُلّت حتى وقتهم في الهندسة الاقليدية كتنصيف الزوايا ، وإنشاء القطع الناقص (الاهليلج) باستعمال طريقة الخيط والمحارق .

★ **ابحاث في حركة الكواكب السيّارة** .

★ **قياس محيط الأرض** بتعيين طول القوس الموافق لدرجة واحدة .

★ **كتابة عشرين مصنّفاً علمياً قيّماً** في الهندسة والفلك والرياضيات .

★ **تصميم اجهزة وآلات وانشاؤها وتشغيلها** ، وقد وصفت هذه الآلات في كتابهم الشهير (**الحيل**) .

هذا الكتاب يمكن أن يعد الأول من نوعه في مجال التكنولوجيا يكتبه عالم عاش في عصر النهضة الإسلامية . يضم هذا الكتاب وصفاً لآلات وأجهزة تدلّ على الذهن المتوقّد والمهارة الصناعية والخبرة العلمية التطبيقية .

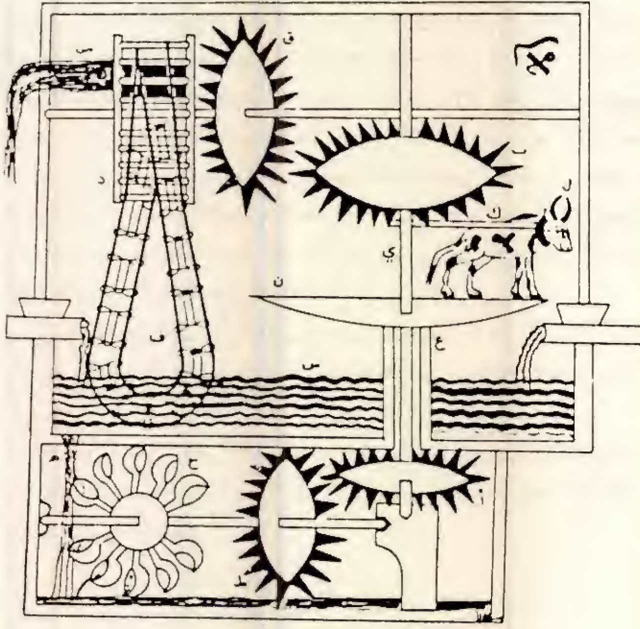
من المحتمل أن بني موسى بن شاكر قد استعانوا بعدد من المراجع في كتابهم ، ككتاب **هيرو** (الميكانيك ـ القرن الأول الميلادي) والمكتوب باليونانية وكتاب **فيلو البيزنطي** (القرن الثالث قبل الميلاد) ، وبأبحاث **ارخميدس** لكن الآلات التي وصفت في كتابهم كانت فريدة من نوعها بالمقارنة مع ما كتبه المهندسون من قبلهم .

كانت المبادىء العلمية التي استعملوها في تصميم الآلات تعتمد على علوم توازن السوائل (**الهيدروستاتيك**) ، وعلى علم جريان الهواء (**الايروديناميك**) ، وقد **استعملوا نظام الصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء** (Automatic valves delayed action system) ، كما **استعملوا التحكُّم الآلي والتشغيل عن بُعد** ، وهناك نموذجان لتصميمين ظهر فيهما ما يشبه الجذع المعكوف[٥] .

بدأ الاهتمام في الغرب بكتاب «الحيل» لبني موسى بن شاكر منذ نهاية القرن التاسع عشر وقد كتب **«فيد مان»** و**«هاوسر»** بالغة الألمانية ترجمات عن هذا الكتاب ، وقام **«هيل»** بترجمة الكتاب كاملاً إلى اللغة الإنجليزية .

الخــــازني

هو أبو الفتح عبدالرحمن المنصور الخازني عاش في القرن الثاني عشر الميلادي وتلقّى علومه وثقافته الفلسفية في **مرو** وهي اليوم في إيران . **وهو عالم فيزيائي ومهندس تطبيقي**. وقد أجرى بحوثه وتجاربه في **الميكانيك** وعلم سكون السوائل والفيزياء ، وسجّل نتائج أعماله في أكثر الكُتب تقدّماً وعمقاً بالنسبة لما كان يوجد في العصور الوسطى وهو كتاب (**ميزان الحكمة**) . قاس



آلة لرفع الماء كما وردت في مخطوطة الجزري
«الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل»

الخازني الوزن النوعي[٦] لعدة مواد وقد توصّل إلى قيم من قياساته قريبة جداً من القيم التي نعرفها اليوم ؛ تبيّن بدقة أن قياسات الوزن النوعي للذهب والزئبق التي أجراها الخازني توافق قياسات الأوزان النوعية التي نعرفها اليوم . وقد استعمل الخازني مقارنة الوزن النوعي للمادة في الهواء والماء لاستنتاج القيمة الفعلية . **وقد أشار في كتاباته ايضاً إلى قوة الثقّالة[٧] على أنّها القوّة الكونية الموجّهة نحو مركز الكون (الأرض) ، وكان هذا قبل ثلاثمائة عام من توصّل اسحاق نيوتن إلى معرفة قوة الجاذبية[٨]** .

كما أشار الخازني في كتاباته إلى الخاصة الشعرية[٩] واخترع بعض الموازين للقياسات الدقيقة وأجهزة لضبط الأفقية لمستوى . ويبدو من كتاباته انه تعرّف إلى تأثير بعض خواص الجريان كاللزوجة[١٠] والسرعة والتدفّق والضاغط .

وقد تميّزت ابحاث الخازني بالدقة وباستعمال التجارب وبوضوح الحلول وبسهولتها العملية التنفيذية .

الجــــــزري

هو بديع الزمان الجزري عاش وعمل في **ديار بكر** (الأناضول الشرقي في تركيا اليوم) بين القرنين السادس والسابع الهجري (الثاني عشر والثالث عشر الميلادي) . كان الجزري عالماً وممارساً للمهنة التطبيقية ، وقد أصبح كبير مهندسين وتبوأ مركزاً عالياً بما كان يملكه من معرفة علمية عميقة ، وبما كان عليه من مهارة عملية صناعية . صنع الجزري ووصف آلات على جانب كبير من الإبداع والدقة .

وقد أشار في كتاباته إلى أهمّية إجراء التجارب وإلى الملاحظة الدقيقة للظواهر والتي تُكوّن أساس الاستنتاجات العلمية ، ولم يَكن يقبل اي نظرية إذا لم تثبتها التجربة . كتب الجزري كتاباً يمكن اعتباره من امّهات الكُتب في العلوم التطبيقية هو (**الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**) ، وقد كتب عنه **«جورج سارتون»** وهو أحد أعلام تاريخ التكنولوجيا في القرن

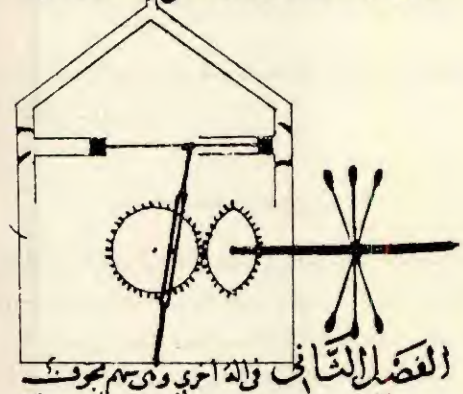
العشرين (**هذا الكتاب هو أكثر الكُتب من نوعه وضوحاً ، ويمكن اعتباره الذروة في هذا النوع من إنجازات المسلمين**) يضُم الكتاب عدة أقسام أطولها قسم **الساعات المائية** وقسم آخر يعالج موضوع **آلات رفع الماء** ، وقسم يبحث في آلات مفيدة كالأبواب والأقفال . تبيِّن الأشكال آلات لرفع الماء ، كما وردت في كتاب الجزري والقوة المحرِّكة فيها الماء الجاري أو الحيوان . وتضم هذه الآلات عناصر كالجذع المعكوف والمسننات الأفقية والشاقولية والصمامات ، وقد رسمت نفس الرسوم التي رسمها الجزري من قبل الحسن اليوم بالطريقة الحديثة التي نستعملها في الرسم الهندسي .

إن الفرق بين المضخَّات المكبسية الحديثة الموصولة على التوازي[11] ، والمبيّنة في الأشكال والمضخات التي وصفها الجزري هو في مصدر القوة المحرِّكة .

كما تبيّن الصور بعض الآلات المائية التي رسمها الجزري في كتابه وهي ذات تصاميم مختلفة لتناسب العلو الذي يجب رفع الماء إليه والتدفقات المطلوبة لتلبية الحاجة .

تقي الدين

ولد في **دمشق** عام ١٥٢٥م وانتقل إلى **مصر** ثم استقر في **استنبول** ، وهناك تلقَّى علومه ، وقد **صمَّم عدة أجهزة فلكية وعمل في مرصد استنبول** . **اخترع عدة أجهزة ميكانية** وتمثِّل أعماله استمراراً لأعمال سابقيه من العلماء العرب المسلمين . وقد كتب تقي الدين عدة كُتب أهمها **(الطُرق السنية في الآلات الروحانية)** وصف فيه الآلات والأجهزة التالية : الساعات الآلية ، الساعات المائية والرملية ، الروافع بالبكرات والمسننات ، آلات رفع الماء ، النافورة المائية ، وآلية الدوران باستعمال مبدأ العنفات البخارية التي نعرفها اليوم[12] ، وقد استعمل محوراً عليه نتوءات موزَّعة على محيطه بشكل منتظم لضمان الحركة المتواصلة للمكابس تبيّن الأشكال المضخة كما ظهرت في مخطوطة تقي الدين .



المضخة ذات الاسطوانتين المتقابلتين

عن مخطوطة تقي الدين الدمشقي

الخلاصة والنتيجة

تبيّن أعمال بني موسى بن شاكر والخازني والجزري وتقي الدين أمثلة عملية على تأصّل أسس العلوم التطبيقية لدى العرب المسلمين خلال سبعة قرون . لقد أضاف العرب المسلمون من عبقريتهم واختراعاتهم العديد من الآلات والأجهزة الميكانيكية الفريدة من نوعها والتي تتميّز بالأصالة والإبداع ، وقد صنعت هذه الآلات والأجهزة وركبت وشغلت في مواقع عديدة من أرجاء العالم الإسلامي. وصفت بعض هذه الأجهزة والآلات في العديد من الكُتب التراثية للرحلات والأدب وعلوم البلدان والتاريخ .

هذا الوصف ضم دواليب الهواء والنواعير والدواليب المائية والغرَّافات ومكابس قصب السكر وعصر الزيت والساعات الميكانيكية والمائية والرملية . لقد ساهم المهندسون العرب بأعمالهم العلمية التطبيقية في ترسيخ أسس الحضارة ، وقد أتقنوا العلوم الأساسية ومهروا في التطبيقات العملية وكان معظمهم يلجأ إلى التجريب وإلى صناعة الأجهزة باليد . وقد تبوأ قسم منهم مناصب عالية بفضل علمهم ومهارتهم التطبيقية .

لقد كان العالم الإسلامي بين القرنين التاسع الميلادي والخامس عشر للميلاد أكثر تقدمًا من أوروبـا ، وقد انتقلت العلوم التطبيقية منذ بداية القرن الرابع عشر نحو الغرب من الشرق الأوسط . لا يمكن تقدير التأثير المباشر لأعمال المهندسين العرب المسلمين على أوروبا بشكل دقيق إلا أنه يعتقد بأن ذلك مهد الطريق نحو التقدّم الذي سبق عصر النهضة الصناعية ، بل إن «هيل» يرى بأنَّ تأثير اختراعات الجزري يمكن أن يلمسه أي متعمّق في أعمال الهندسة الميكانيكية المعاصرة .

الهوامش

(١) سورة العلق الكلمة الأولى من الآية ١ .

(٢) سورة العلق الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) الآية ٤٣ .

(٤) الآية ١١ .

(٥) crankshaft محور يحوّل الحركة الترددية لمكابس الاسطوانات إلى حركة دورانية وهو يستعمل في السيارات .

(٦) الوزن النوعي هو وزن وحدة الحجم للمادة ، فمثلاً الماء وزنه النوعي ١ كيلو غرام/ لتر واحد .

(٧) الثقّالة هي قوة جذب الأرض متأثرة بدوران الأرض مما يعطي قوة تنحرف قليلاً عن الشاقول .

(٨) الجاذبية هي القوة التي تجذب الأرض بها الأجسام وهي قوة شاقولية .

(٩) الخاصة الشعرية هي خاصة صعود السوائل الموجودة في أنابيب رفيعة جداً وهي خاصة تعاكس فعل الجاذبية .

(١٠) اللزوجة خاصة مقاومة السوائل والموائع للتغيير .

(١١) الوصل إلى التوازي طريقة لربط المضخات مع بعضها بحيث تعطي هذه المضخّات من أجل نفس الارتفاع قيمة تدفّق تساوي إلى مجموع التدفّق الذي تعطيه كل مضخّة .

(١٢) العنفات البخارية آلات تستعمل بصورة خاصة في توليد الكهرباء تستمد القدرة الدورانية من اندفاع بخار ماء ذي حرارة عالية يصدر عن فوّهة ليدفع دولاباً ركبت عليه اكواب او دلاء فيدور هذا الدولاب مدوراً المولد الكهربائي .

المراجع

(١) محمود فيصل الرفاعي «إسهام العرب في تطوّر العلوم التطبيقية» باللغة الإنجليزية الندوة الرابعة للأجهزة العلمية (الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم وفلسفتها) امستردام ٢٣ ـ ٢٦ اكتوبر ١٩٨٤م .

(٢) محمود فيصل الرفاعي (عبقرية الحضارة العربية) حديث في محطة الإذاعة البريطانية BBC أذيع في ٢٢/١٢/١٩٨٦م ، و٢٣/١٢/١٩٨٦م ، ثم كرّر في ١٦/٢/٨٧ ، و١٧/٢/٨٧م . اعدّته بتعليقها السيدة سهام الكرمي .

(٣) أحمد يوسف الحسن تحقيق كتاب (الحيل) لبني موسى بن شاكر ، نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨١م .

(٤) أحمد يوسف الحسن «تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية» نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨١م .

(٥) دونالد هيل «الساعات المائية العربية» باللغة الإنجليزية نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨١م .

(٦) دونالد هيل «ترجمة كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» للجزري نشر دور درشت ـ ديدل ١٩٧٩م .

(٧) جورج سارتون «مقدمة في تاريخ العلم» ١٩٢٧ و١٩٤٧م بالتيمور ولندن .

عزيزي المستثمر الصناعي ..

طريق الاستثمار المجدي ..
يبدأ ببناء الانسان السعودي

فهل تبدأ؟



مع تحيات



سابك

الشركة السعودية للصناعات الاساسية

والشركات التابعة لها

سابك للتسويق

سابك للخدمات التسويقية



حديد صلب سافكو سماد ابن البيطار الرازي ابن سينا صدف كيميا ينبت بتروكيميا شرق غاز ابن حيان ابن زهر

أبو فراس الحمداني.. وبطولة الشعر

بقلم: أحمد سويلم

بنـو حمـدان

ينتمي فارسنا إلى الحمدانيين ، أو بني حمدان ، أو الدولة الحمدانية التي تنسب إلى **حمدان بن حمدون** من قبيلة تغلب ؛ وكان حمدان هذا عاملاً على الموصل للمعتضد بالله العباسي ، فاستقل عنه وبسط نفوذه على ولايته منذ عام ٢٦٠هـ (٨٧٣م) .

ثم يشمل **المعتضد بالله** حمدان بن حمدون بعفوه ، ويقرّبه إلى بلاطه ، ويعهد إليه جانبًا من إخماد الحروب الأهلية التي كانت قائمة بين **بني العباس ، وبني بويه والبريديين والترك** ، ويتسع نفوذ الحمدانيين ويخلف حمدان أبناؤه : **أبو الهيجاء محمد عبد الله** ـ على الموصل ـ **وأبو العلاء سعيد** ـ على نهاوند ـ ، **والحسين بن داود** ـ على ديار ربيعة .

ثم تنقسم دولة الحمدانيين إلى إمارتين مستقلتين ، الأولى بالموصل ويتولى عليها **حسن بن أبي الهيجاء** ، الملقب بناصر الدولة ، حيث انتهج سياسة التوسع الإقليمي ، فيستولي على بغداد نفسها ، ويأوي الخليفة المتقي ووزيره وطبيبه ورجال دولته ، إلى أن يسري الضعف في هذه الإمارة على يد **المقلد بن المسيّب العقيلي** عام ٣٨٦هـ (٩٩٤م) . أما الثانية فهي حلب، ويتولى عليها **علي بن أبي الهيجاء الملقب بسيف الدولة ، والذي دام حكمه ثلاثة وعشرين عاماً بلغت فيها دولة بني حمدان أوج عزها وسلطانها ، وأشاد التاريخ والشعر بفتوحاته وغزواته ضد الروم** ..

وفي عهد ناصر الدولة ـ أمير الموصل ـ يولد الحارث بن سعيد ابن حمدان عام ٣٢٠هـ ، **فيكنيه أبوه بأبي فراس وهي كنية الأسد** ..

ولم تمض سنوات ثلاث على مولد الصبي ، حتى قُتل أبوه ، قتله غدراً ابن أخيه ناصر الدولة ، فيتربى أبو فراس يتيماً في أحضان أمه الجارية الرومية ، وتبدأ رحلة عمره ـ هكذا ـ بمأساة مريرة تشحذ همته ، وتثبت جنانه أمام كثير من المصائب المنتظرة .

معتـرك الحيـاة

حملت الأم طفلها الصغير فوق صدرها متنقلة بين مواطن بني حمدان ، تبكي فقيدها ، وتربي وليدها ، حتى بلغت **سيف الدولة في** حلب ، فعطف على الصغير ، وأخذ يرعاه ويحنو عليه ، ويعهد به إلى معلمي الحرب والبيان ، فيأخذ عنهم ، ويتفوق تفوقاً ملحوظاً بين معاصريه ، وتكتب عليه مقارعة الخطوب في ذلك العصر الذي عرف بالعلم والأدب والحروب ..

وهكذا تضع الأقدار أبا فراس إلى جانب ابن عمه سيف الدولة ، وفي قلب الحياة العامة ، يشارك فيها بكلمته وسيفه ، ويعاف حياة اللهو والمتع الأخرى ، ويغزو غزوات الحمدانيين :

وإني لجرار لكل كتيبة ... معوَّدة أن لا يخل بها النصر
وإني لنّزال بكل مخوفة ... كثير إلى نزالها النّظر الشّزْر
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا ... وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ويشغف أبو فراس بخوض المعارك ، شغفه بتحصيل العلم والأدب وقول الشعر ، ويقود حملات تأديبية ضد المتمردين على حكم سيف الدولة ، من القبائل العربية : **كعب وكلاب ونمير وقشير** ، إلى أن استسلمت وعادت إلى حظيرة الدولة .

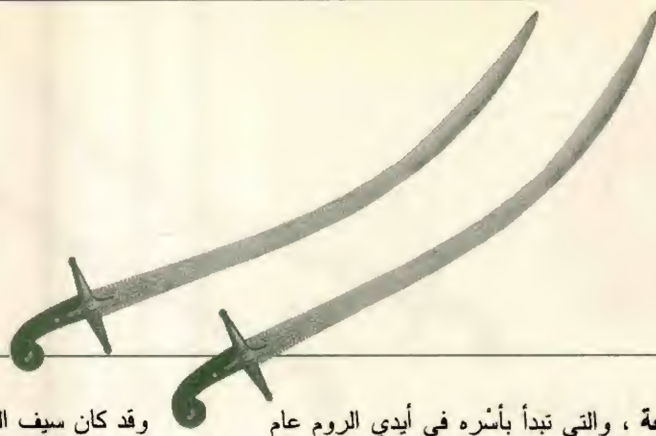
وينازل **الروم في** مواقعهم الحصينة ، ويواجه قوادهم وفرسانهم بالشجاعة والإباء ، حتى إنه كان يأبى أن يقعد عن الغزو والقتال .

ويذكر **ابن خالويه** أن سيف الدولة كان قد عزم على استخلاف أبي فراس على الشام يرعاها ، ورأى أن رعاية أبي فراس هذه لا تقل عن غزوه إلى جانبه في ميدان القتال .. لكن أبا فراس غلظ عليه القعود .. وكان خليقاً بغيره أن يسعد بهذا التقدير ، فسرعان ما سئم قعوده ، فكتب إلى ابن عمه متوسلاً أن يأذن له بالعودة إلى مصاحبته في غزواته ، ولا يحرمه المشاركة في شرف النضال ومقاومة الأعداء ..

حقاً ، لقد ساءني أمر ذكرت له ... لولا فراقك .. لم يوجد له ألم
لا تشغلني بأمر الشام أحرسه ... إن الشآم على من حلّه .. حرم
فإن للثغر سوراً .. من مهابته ... صخوره من أعادي أهله .. قمم
لا يحرمني سيف الدين صحبته ... فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره ... لكن سألت ، ومن عاداته .. نعم

ويقسم كثيرون حياة **أبي فراس** إلى مراحل خمس : تبدأ **أولاها** بمرحلة الطفولة ، حيث تتفتح عيناه على مقتل والده ، وتردد أمه في مواطن بني حمدان .

أما **المرحلة الثانية** فهي مرحلة تعرُّف العالم من حوله.. فهو يثقف نفسه ، ويتدرب على الفروسية وفنونها تحت رعاية سيف الدولة الذي لمس فيه نجابة وفطنة ، وفي هذه المرحلة كذلك يتفجر الشعر على لسانه ، وتمتد هذه المرحلة إلى السادسة عشرة من عمره (٣٣٦هـ) حيث تبدأ **المرحلة الثالثة** ، فيقلده سيف الدولة إمارة (**منبج**) أهم وأخطر حصون حلب ، ويخوض في هذه المرحلة معارك ضارية ضد الروم والقبائل المتمردة ، ويحكي ذلك في شعره ، ويسجله تسجيلاً حياً نابضاً .

ثم تجيء **المرحلة الرابعة** ، والتي تبدأ بأسْره في أيدي الروم عام ٣٥١هـ وتستمر أربع سنوات بعيداً عن سيف الدولة ، وعن أمه ، وعن الحرب والفروسية ، لكنه كان أقرب ما يكون إلى الشعر ، إذ تعد هذه المرحلة من أثْرى فترات حياته التي كتب فيها أنضج وأفضل قصائده ، التي عرفت **بالرُوميّات** ، والتي تعد من عيون الشعر العربي .

وتنتهي هذه المرحلة ـ بعد مماطلة مريرة من سيف الدولة في افتداء أبي فراس ـ ويعود الفارس الأسير إلى وطنه ، ليجد الدولة الحمدانية في النزع الأخير ، ويجد سيف الدولة يودع الحياة مريضاً ، تاركاً أمور الدولة إلى حاجبه التركي (**قرعويه**) والوصي على ابنه **أبي المعالي** .

وينشأ صراع خفي بين الأمير الشاعر أبي فراس ، والحاجب الوصي (قرعويه) ، فيوغر الوصيّ صدر أبي المعالي ضد خاله أبي فراس ، لتنتهي الحال بمقتل أبي فراس لليلتين خلتا من جمادى الأولى عام ٣٥٧هـ (٩٦٧م) **في قرية صدد** قرب حمص .

هكذا يقسم المؤرخون حياة شاعرنا إلى مراحل خمس ، محاولين التقاط ملامح كل مرحلة وتميزها من غيرها، وربطها بشعره وحياته معاً .

وسواء أكان هذا التقسيم منطقياً أم عفوياً ، فإن المؤكد أن حياة أبي فراس حياة حافلة جادة ، ينتظمها منهج رسمه لنفسه صاحبها ، قوامه الإخلاص للشعر والوطن على السواء ، وممارسة حياة النضال التي تُميز الرجل وتجعله نسيجًا وحده بين أقرانه ومعاصريه .

بطولة شاعر

إذا ذُكر ملوك الشعر ـ وأبطاله ـ ، ذُكر أبو فراس خاتماً لهؤلاء الملوك ، ويشهد بذلك قول **الصاحب بن عباد** : بُدِئ الشعر بملك ، وختم بملك ـ يعني امرأ القيس وأبا فراس .

ويستهل صاحب **اليتيمة** أخبار أبي فراس بما لم تستهل به أخبار غيره :

فأبو فراس كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة .

ثم يقول ـ **الثعالبي** ـ : كان **المتنبي** يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ، ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً له ، لا إغفالاً وإخلالاً .

وقد كان سيف الدولة شغوفاً بالشعر والشعراء ، وكان بلاطه ميداناً يتنافس فيه المتنافسون ، وكان ناقداً ذَواقة للشعر إلى جانب قرضه إيّاه ، ومن **ثم اعتبر عصر سيف الدولة عصر ازدهار أدبي لكثرة أحداثه ووقائعه وغزواته التي سجلتها الكلمة بألوانها المختلفة .**

وحين كان **المتنبي** متخذاً جانب التسجيل والمدح والإشادة ببطولات سيف الدولة ، كان أبو فراس ممارساً معبراً من داخل المواقف نفسها ، يعلق كلمته على سيف ، ويمتشقه ، خائضاً معارك النضال إلى جانب سيف الدولة، فيفتخر بالنصر ـ وهو لا يفتخر إلا بنفسه وبطولته، ويدافع عن دولة بني حمدان . وهو لا يدافع إلا عن نفسه وأهله ومجده ؛ لذا كان الصدق والجودة والعذوبة والجزالة والفخامة والمتانة ـ جميعاً ـ سمات نلمسها في شعره دون عناء ، حتى إن إخلاصه في افتداء الكلمة والسيف كان يجره إلى مآزق كان يمكنه ألّا يتورط فيها ـ وهو الأمير الشريف ـ إذا أراد .

ولعل قصة أسره توضح لنا ذلك .. فحين ولاه سيف الدولة على منبج بعد أن استولى عليها أبو فراس من الروم ، خرج (**بردس الأسطرطيجوس**) ابن اخت ملك الروم في ألف من وجوه الأرمن والروم إلى نواحي منبج ، فصادف أبا فراس يتصيد في سبعين فارساً ، فأراده أصحابه على الهزيمة ، فأبى وثبت يقاتل حتى أثخن بالجراح وأسر .

وكان في مجلس سيف الدولة ابن بردس الأسطرطيجوس ، أسره سيف الدولة حين هزم جده **الدمستق** ، فلما أسر أبو فراس ، كتب قصيدة إلى سيف الدولة يسأله ويستحثه المفاداة به منها هذه الأبيات :

دعوتك للجفن القريح المسهد	لدي ، وللنوم القليل المشرد
وماذاك بخلاً بالحياة ، وإنها	لأول مبذول لأول مجتدِ
وماالأسر مما ضقت ذرعاً بحمله	وماالخطب مما أن أقول له قدى
أناديك لا أني أخاف من الردى	ولا أرتجي تأخير يوم إلى غد
فلا تترك الأعداء حولي ليفرحوا	ولا تقطع التسآل عني وتقعد
فإن تفتدوني ، تفتدوا شرف العلا	وأسرع عوّاد إليها معوَّد

هكذا يخاطب الأمير أبو فراس الأمير سيف الدولة ، ويتودد الفارس الأبي إلى ابن عمه الذي يعرف فضله معرفة كاملة ، لكنه خطاب في غير خوف ، وتودد في غير جبن ، وسؤال في غير مذلة ، ويواصل أبو فراس قصيدته مؤكداً ذاته ، موازناً بين فضله وفضل سيف الدولة ، ويوقعه ذلك كله في مأزق خطير ، وتجني عليه صراحته ومفاخرته ونسيانه نوازع الحكم وسيادة السلطان ، فيبطئ سيف الدولة في افتدائه ، وتلعب الوشاية بينهما دورها ، ويتحاوران باللين تارة ، وبالعنف تارة أخرى .



أبو فراس الحمداني .. وبطولة الشعر

وحين تتدخل أم أبي فراس لدى سيف الدولة ، تلقى العنت والتنكر ، فتموت بحسرة على ابنها الأسير الغائب .

وعلى الطرف الآخر أيضاً ، كان الروم يتخذون من أسره أحياناً فرصة للنيل من شجاعته وبطولته ، لكنه لم يترك الخور يسري إلى نفسه ، وكان يرد عليهم في إباء وشمم .

فقد جرت بينه وبين قائد الروم (الدمستق) مناظرة في أثناء الأسر ، إذ قال له الدمستق :

ـ إنما أنتم كتّاب ولا تعرفون الحرب .

فرد عليه أبو فراس قائلاً :

ـ نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف لا بالأقلام .

ثم وجه قصيدة إلى هذا القائد الرومي ، يرميه فيها بترهل الجسم ، ويذكره بهزائمه المتكررة السابقة ، ويشيد فيها بشجاعة العرب وبيانهم المعجز ، وفيها يقول :

أتزعم ياضخم اللغاديد أننا
ونحن أسود الحرب .. لا نعرف الحربا
فويلك مَن للحرب إن لم نكن لها
ومن ذا الذي يمسي ويضحى لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته
ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه
فكنا بها أُسْدًا وكنت بها كلباً
بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا
وأُسْدَ الشرى قدنا إليك أم الكتبا

وتتأزم الحال بين أبي فراس وقائد الروم ، ويعاني فارسنا الأسير مزيداً من الشقاء والعذاب ، لتمسكه بموقفه وأنفته وعزته ـ حرًا وأسيراً ..

وبعد انتظار مرير، تتم مفاداة أبي فراس، لكنها مفاداة جاءت بعد موعدها بكثير ، وقد حاول سيف الدولة الاحتفال بعودة فارسه إلى وطنه ، لكن أبا فراس لم يكن يشعر بصدق هذه الحفاوة ، ولم يكن يحس عذوبة في استئناف حياته إلى جانب سيف الدولة الذي جحد كل فضل لأبي فراس .

أحس أبو فراس بعد خروجه من الأسر بغربة قاتلة ، ووحدة قاسية ، وأخذ يكتب حزناً على مصير دولة بني حمدان التي تهالكت وشاخت في وقت مبكر .

شاعرية أبي فراس

من المسلم به أن التجربة الشعرية ترتبط بيقين اللحظة التي يعانيها الشاعر ، بما يجعله يغيِّر من موازينها ، ويعدِّل من قسماتها ، ويخضعها لتلك الرؤية التي يلتزمها في منهجه الحياتي والفني معاً .

ومن أصدق المحاولات الشعرية ، تلك التي يعبر فيها الشاعر عن ذاته ، فينخلع من الأسر الخارجي ، وما تفرضه عليه إطارات الحياة بألوانها وأقنعتها ، فيسري الصدق إلى أوصال التجربة ، وتغدو نفس الشاعر محور العالم والأشياء .

وأبو فراس واحد من هؤلاء الشعراء الذين شُهد لهم بالإخلاص في التعبير ، والصدق في الرؤية الفنية ، فهو شاعر لم يقل الشعر كاسباً ، ولم يقله تقية أو خوفاً أو رهبة ، لكنه في كل ما يكتب يصدر عن نفس تواقة ، ورؤية خاصة ، وشعور حاد صادق في كل ما يبدع .

ولأن أبا فراس نتاج عصره ، فإن قيمته الفنية تكمن في مدى ما يعكسه في شعره تعبيراً عن ذلك العصر ، ومن هنا فقد تنبه شاعرنا إلى هذه المعادلة ، وراح يمارسها في قدرة وشاعرية ، **ينطلق من الذات إلى العالم ، ومن الخاص إلى العام ، ومن الحس الداخلي إلى الحس الجماعي .**

وربما يكون ذلك ما يميز أبا فراس عن معاصريه ، فهو في قلب معترك السياسة ، يرى بعينه ، ويشعر بوجدانه ، وليس له أن ينفصل ـ لو أراد ـ عن هذه الساحة .

وهو يحمل سيفه ليخوض معارك النضال المستمر للحفاظ على ماء وجهه أولاً ، ذلك الماء القادم من نهر الدولة الحمدانية ذات التاريخ الطويل ، وواجبه هنا لا يجعله غافلاً أو متكاسلاً .

وهو يسهم في بناء الدولة بالكلمة والسيف ، فمن حقه إذن أن يقول كلمة حق حتى لو أطلقها في وجه سيف الدولة نفسه ، دون جبن أو خوف أو رياء ، وإن كان ذلك يوقعه دائماً في مآزق وأزمات لا يحسد عليها .

وهو شاعر مطالب أن يقف على نفس الأرض التي يقف عليها شعراء معاصرون **كالمتنبي والبحتري**، وغيرهما، ممن حازوا شهرة خاصة، لانتمائهم إلى بلاط خليفة أو حاكم ، أو ترددهم على أكثر من موقع أو مجلس أدبي ، أو إجادتهم لوناً معيناً من ألوان الشعر ... ثم هو يعيش أيضاً في قلب النقد واللغة والثقافة ، وأمامه تحد صارخ يكمن في ترحيب أساتذة النقد واللغة بكل شاعر يأتي بالبديع والصنعة في شعره ، ويعدونه من كبار الشعراء آنـذاك .

وهو شاعر أمير ، ومن باب الإمارة يكتب ويتعامل مع غيره ، فليس له أن يتدنى في مهاوي التعبير .

كل هذه الظروف التي أحاطت بأبي فراس جعلت منه شاعراً يحسب لنفسه حسابها ، ويتخذ لها منهجاً في الحياة يتواءم مع منهج الكرامة والحس الصادق ..

وتكاد تكون **روميات أبي فراس** ، يجمع بينها هذا الجو النفسي الخاص الذي عاناه وهو في الأسر . لنقف أمام شاعريته قليلاً مع قصيدته (**أراك عصي الدمع**) إذ تستبد به أحوال الحب والألم ويظل أمامها معانقاً الإباء والحرية بوجدانه :

معللتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

ثم ما يلبث أن يفاخر ويبرر أسره حتى لا يبدو أمام محبوبته ضعيفاً في أسره :

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ، ولا ربه غَمْرُ
ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمر ان أحلاهما مرُ

بهذه العبارات المجنحة العذبة ، يبوح أبو فراس بشجنه وشكواه ، وقد طوع أبو فراس **البحر الطويل** في هذه القصيدة ، وأضاف إليه من نفسه ، فجاء بحرًا هادئًا تأخذ أمواجه بعضها برقاب بعض في دعة وألفة ، وفي تدرج وإبداع ، معبراً بالنغم الموسيقي المألوف عن وحشته وغربته وأحزانه ، وهو يقصد تماماً أن تصل معاناته دون عناء عبر كلماته وصوره البسيطة الصادقة .

ومن هنا نجد شاعريته في المجال الوجداني قائمة على التحاور والاستفهام وأساليب الشرط والاستدراك والتمني .. بما يحمل تجربته القاسية ويجسدها أمام عين المتلقي ووجدانه .

وفي خضم المعاناة النفسية ، يحرم القدر أبا فراس آخر شعاع أمل في حياته ، فتموت أمه ، ليزداد شقاءً على شقاء ، ويكتب مرثيته المريرة .. **ومنها هذه الأبيات** :

أيا أم الأسير سقاك غيث بكره منك ما لقي الأسير
وقد ذقتِ الرزايا.. والمنايا.. ولا ولد لديك .. ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكان ملائكة السماء به حضور
لَيبكِكِ كلُ يوم صمت فيه مصابرة ، وقد حمى الهجير
نسلّي عنك أنا عن قليل إلى ما صرت في الأخرى نصير

وهي قصيدة ذات معان قريبة إلى الوجدان ، صادقة الحس ، بسيطة في ألفاظها وتراكيبها وصورها الفنية ، صادرة عن قلب مكلوم ، وزفرات مريرة .

وحين يلجأ إلى عتاب سيف الدولة ، يختار أيضاً خط التماس الذي يحدث التوازن بين ما يريد من ابن عمه ، وما يمكن أن يحفظ عليه اعتزازه وكرامته .

وربما سبب موقفه هذا ، ذلك الجفاء الطويل بينه وبين سيف الدولة ، ذلك الجفاء الذي أكسب أبا فراس مزيداً من الاعتزاز والأنفة .

أبت لي همتي وغرار سيفي وعزمي والمطية والقفار
ونفس لا تجاوزها الدنايا وعرض لا يرف عليه عار
وقوم مثل من صحبوا كرام وخيل مثل من حملت خيار

وهنا نجد أيضاً تلك الصور والرؤية الفنية القريبة إلى النفس ، بحيث لا تجد غير شاعر مطبوع يخالف كثيرين من معاصريه من الشعراء ، لا صنعة لديه ولا تكلف ولا حشو .. وإنما سلاسة وطبع وقرب إلى الوجدان الإنساني العام ، حتى إن الكثيرين يتهمونه بضعف الإبداع ، وكأن الإبداع يكمن ـ دائماً ـ في الصنعة والتكلف .

وفي تصوري أن منهج أبي فراس هذا أكد له شاعرية متفردة خاصة ، تختلف عن غيره ـ مذاقاً وفناً .. وإبداعاً .

فألفاظه كأنها تأتي إليه متى يشاء .

وصوره حاضرة دقيقة غنية ..

ومعاصرته تمتد إلى الوجدان الإنساني العام دون أن تنحصر في إطار الذات القاسي .

ومن ثم فإن شاعريته فريدة متميزة لا يمكن إنكارها وجحودها .

وبعـد

فقد كان أبو فراس في عصره بطلاً في الحرب والبيان ، لم يمارس الهجاء أو الرثاء أو المديح وغيرها من الألوان السائدة في زمانه إلا من خلال منظوره الفني الخاص الذي التزمه وجمع مادته من تجربة النضال التي كانت تشغله عن أمور كثيرة .

وقد مكنه **وضعه الاجتماعي** من قول الشعر من موقع السيادة ، فلم يقل الشعر كاسباً أو ملحًا على **رجاء** .

وهو يؤكد في كل ما يكتب كذلك أن شعره تسجيل حي لحركاته وسكناته ، وترجمة أمينة لشقائه ومعاناته ، لذا لم نجده متكلفاً متصنعاً .. بل وجدناه سهلاً في معظمه ، شفافاً خالياً من التعقيد ، تسمو فيه العاطفة ، ويرتفع عن الدنايا والمذلة .

الشكُّ في أسرار الكنيسة قادَ إلى الإسلامِ

الطريقُ إلى الله

كانت أمنيته منذ صغره أن يصبح **قسّاً يُقَبِّل الناس يده**، ويعترفون له بخطاياهم لعله يمنحهم صك الغفران ويغسل ذنوبهم بسماعه الاعتراف، كان الفتى **فوزي صبحي سمعان السيسي** - وهذا اسمه - يقف منذ طفولته الباكرة خلف قس **كنيسة ماري جرجس** في مدينة **الزقازيق** عاصمة محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية، فهو واحد ممن سعدوا وسعد آباؤهم بأن يكونوا خدماً للكنيسة، ليشبوا نصارى «صالحين» طبقا لاعتقادهم.

ولم يخالف الفتى رغبة والديه، بل أسعده أن يكون خادماً للكنيسة يسير وراء القس حاملاً كأس النبيذ الكبيرة، أو دم المسيح كما يدعون، ليسقي رواد الكنيسة وينال هؤلاء «بركات» القس.

لم يكن أحد يدري أن هذا الفتى الذي يعدونه ليصير قساً سوف يأتي يوم يكون له شأن آخر غير الذي أرادوه له، وأن العناية الإلهية سوف تتدخل لإنقاذ روحه، وتغير مسار حياته ليصبح داعية إسلامياً يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

أسئلة حائرة

رغم إخلاص الفتى في خدمة القس والكنيسة، إلا أنه منذ صباه. كانت تؤرقه ما يسمونها «**أسرار الكنيسة السبعة وهي: التعميد، الاعتراف، شرب النبيذ** (يزعمون أنه دم المسيح)، **أكل لحم المسيح** (قربان عبارة عن خبز يصنع من الدقيق)، **الأب، الابن، والروح القدس**.

ولطالما توقف فوزي ملياً يفكر في **فكرة الفداء**، أو صلب المسيح - عليه السلام - افتداء لخطايا البشرية كما يزعم قسس النصارى وأحبارهم، ورغم سنه الغضة إلا أن عقله كان قد نضج بدرجة تكفي لأن يتشكك في صحة حادثة الصلب المزعومة أحد الأركان الرئيسة في عقيدة النصارى المحرفة، ذلك أنه **عجز عن أن يجد تبريراً واحداً منطقياً لفكرة فداء خطايا البشرية، فالعدل والمنطق السليم يقولان بأن لا تزر وازرة وزر أخرى، فليس من العدل أو المنطق أن يعذب شخص لذنوب ارتكبها غيره**، ثم لماذا يفعل المسيح عليه السلام ذلك بنفسه إذا كان هو الله وابن الله كما يزعم القسس - تعالى الله عما يقولون - ألم يكن بإمكانه أن يغفر تلك الخطايا بدلاً من القبول بوضعه معلقاً على الصليب؟!

ثم كيف يقبل «إله» - كما يزعمون - أن يصلبه عبد من عباده، أليس في هذا مجافاة للمنطق وتقليل بل وامتهان لقيمة ذلك الإله الذي يعبدونه من دون الله الحق؟ وأيضا كيف يمكن أن يكون المسيح - عليه السلام - هو الله وابن الله في آن واحد - تعالى الله عما يزعمون؟

كانت تلك الأفكار تدور في ذهن الصبي وتتردد في صدره، لكنه لم يكن وقتها قادراً على أن يحلل معانيها أو يتخذ منها موقفاً حازماً، فلا السن تؤهله لأن يتخذ قراراً، ولا قدراته العقلية تسمح له بأن يخوض في دراسة الأديان ليتبين الحق من الهوى، فلم يكن أمامه إلا أن يواصل رحلته مع النصرانية، ويسير وراء القسس مردداً ما يلقنونه له من عبارات مبهمة، وأسرار أكثر إبهاماً.

لمن يعترف القس؟!

كبر **فوزي صبحي**، صار رجلاً، وبدأ في تحقيق أمنيته في أن يصير قساً يشار إليه بالبنان، وتنحني له رؤوس الصبية والكبار رجالاً ونساء ليمنحهم بركاته المزعومة، ويجلسون أمامه على كرسي الاعتراف لينصت إلى أدق أسرار حياتهم وحياتهن، ويتكرم عليهم بمنحهم الغفران نيابة عن «الرب»!!

وكم حسدهم على أنهم يقولون ما يريدون بينما هو عاجز عن الاعتراف لأحد بحقيقة التساؤلات التي تدور في داخله، والتي لو علم بها الآباء القسس الكبار لأرسلوا به إلى الدير أو قتلوه.

وكثيراً ما كان **فوزي** يتساءل: إذا كان **البسطاء يعترفون للقس، والقس يعترف للبطريرك، والبطريرك يعترف للبابا، والبابا يعترف لله، فلماذا هذا التسلسل غير المنطقي، ولماذا لا يعترف الناس لله مباشرة،** ويجنبون أنفسهم شر الوقوع في براثن بعض المنحرفين من القسس الذي يستغلون تلك الاعترافات في السيطرة على الخاطئين واستغلالهم في أشياء غير محمودة؟

صراع داخلي

لقد كان القس الشاب يحيا صراعًا داخليًا عنيفًا، عاش معه لمدة تصل إلى تسعة أعوام، كان حائرًا بين ما تربى عليه وتعلمه في البيت والكنيسة، وبين تلك التساؤلات العديدة التي لم يستطع أن يجد لها إجابة رغم دراسته لعلم اللاهوت وانخراطه في سلك الكهنوت. وعبثًا حاول أن يقنع نفسه بتلك الإجابات الجاهزة التي ابتدعها الأحبار قبل قرون ولقنوها لخاصتهم ليردوا بها على استفسارات العامة، رغم مجافاتها للحقيقة والمنطق والعقل.

كان في صدره بركان لا تخمد ناره، فطبقًا لموقعه في الكنيسة لم يكن سهلاً عليه أن يسأل عن دين غير النصرانية، حتى لا يفقد مورد رزقه وثقة رعايا الكنيسة، فضلاً عن أن هذا الموقع يجبره على إلقاء عظات دينية هو غير مقتنع بها أصلاً لإحساسه بأنها تقوم على غير أساس، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول وأد نيران الشك التي ثارت في أعماقه ويكبتها.

تسعة أعوام ظل خلالها على هذه الحال، لا يملك فكاكاً من النداء الذي ينبعث من داخله، ولا شجاعة للجهر بما يهمس به لنفسه سراً، خيفة أن يناله الأذى من الأهل وإخوة العقيدة، ولم يجد أمامه في حيرته هذه إلا أن ينكب بصدق وحماسة سراً على دراسة الأديان الأخرى.

البحث في الأديان

بحكم وجود فوزي في مجتمع مسلم كان من السهل عليه أن يجد ما يحتاج إليه من كتب إسلامية متوفراً وبأثمان زهيدة، فضلاً عن أن مخالطته للمسلمين قد أعطته فكرة لا بأس بها عن جوانب مهمة من العقيدة الإسلامية، لذا لم يجد صعوبة في تفهم الكتب التي قرأها. كما اطلع على القرآن الكريم اطلاع الراغب في استكشاف ظواهره وخوافيه. وتوقف ودمعت عيناه وهو يقرأ قوله تعالى **﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾** (المائدة ١١٦ - ١١٧).

قرأ فوزي كلمات الله وأحس بجسده يرتعش، فقد وجد فيها الإجابات للعديد من الأسئلة التي طالما عجز عن إيجاد إجابات لها، وجاء قوله تعالى **﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾** (آل عمران ٥٩) لينير بصيرة القس الشاب، الذي قارن بينها وبين وصف **الإنجيل** لعيسى عليه السلام في أكثر من موضع بـ **«ابن الإنسان»** ووجد أن الوصفين منطبقان، إلا أن **القرآن الكريم قدم إيضاحات لم يقرأها في الأناجيل المحرفة المعتمدة لدين النصارى، تقود إلى التأكيد على بشرية عيسى عليه السلام** وأنه - أي عيسى - نبي مرسل لبني إسرائيل، مكلف برسالة محددة كغيره من الأنبياء الذين سبقوا بعثة محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

إشهاره إسلامه

كان **فوزي** خلال تلك الفترة قد دخل الجيش لتأدية الخدمة الإلزامية، وأتاح له بعده عن القرية والكنيسة فرصة مراجعة النفس، وقادته قدماه ذات يوم لدخول كنيسة في مدينة الإسماعيلية، ووجد نفسه دون أن يشعر يسجد فيها سجود المسلمين، فيما اغرورقت عيناه بالدموع، وهو يناجي ربه سائلاً أن يلهمه الصواب، وأن يهديه إلى الدين الحق، ولم يرفع رأسه حتى كان نور الإيمان قد غمر قلبه، فقد هداه الله للإسلام.

اختار **فوزي** أن يشهر إسلامه بعيداً عن قريته وأهله خشية بطشهم وإيذائهم، وتسمى باسم «فوزي صبحي عبدالرحمن المهدي» وهرب إلى مدينة أخرى بعدما انتهت فترة تجنيده، وهو يدعو الله من قلبه أن ينقذ أهله من ضلال الشرك ويهديهم إلى صراطه المستقيم.

إسلام شقيقته ووالده

وقفت أسرة فوزي موقفاً شديداً منه ساندتهم فيه الكنيسة وبقية الرعايا النصارى، الذين ساءهم أن يشهر إسلامه، ومن جانبه لاقى **فوزي** مقاطعة أسرته وعداءها له بالمزيد من الدعاء والابتهال إلى الله أن ينقذ والده وإخوته ويهديهم للإسلام وقد ضاعف من ألمه أن والدته كانت قد توفت على دين النصرانية.

ولأن الدعاء مخ العبادة، وسهام الليل التي لا تخطئ مهما طال الأمد، فقد استجاب الله لدعاء القلب المؤمن، واستيقظ ذات يوم على صوت طرقات على باب شقته، وحين فتح الباب **وجد شقيقته أمامه تعلن رغبتها في اعتناق الإسلام، ولم يلبث أن جاء والده بعد فترة ولحق بابنه وابنته على طريق الحق.**

وفوزي يعمل الآن مدرساً للدين الإسلامي في مدارس منارات جدة بالمملكة العربية السعودية، أما والده فقد توفاه الله بعد إسلامه بعام ونصف، وتزوجت شقيقته من شاب هداه الله للإسلام فاعتنقه وصار داعية. وهو يعمل حالياً إماما لأحد المساجد بمدينة الدوحة عاصمة قطر، حيث يعيش مع زوجته في أمان الله ونعمته.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ

• د. صالح بن سعد اللحيدان

الظلم مرتعه وخيم

● **هل ما نسمعه كثيرًا من القول (البادئ أظلم). مثلاً أو حكمة وهل أيدها نص صحيح؟**

حمود بن ضبار البلقمي ـ الإمارات العربية

□ الظلم مرتعه وخيم وللظالم يوم ولو تأخر إلى حين فإنه ملاقيه ومن هذا قول العربي الحكيم: **والظلم مرتعه وخيم** وهو عجز بيت جيد سرى مثلاً وصدقه واقع الظالم في كل زمن وحين ومن هذا قولهم **(على الباغي تدور الدوائر)** فتلتقي تلقائيًا حيث قد ينسى الظالم ظلمه أو يتساهل بخطئه أو يتكبر فحينئذ تدور عليه الدوائر من كل حدب وصوب.

والذي وقفتُ عليه أن كلمة (البادئ أظلم) جزء من كلمة عظيمة لمن انتصر لنفسه بحق بسبب دعوته على الظالم الغشوم أو الحقود فنصره الله عليه والكلمة هي «هذه بتلك والبادئ أظلم» ورد الظلم مما أوجبه الشرع إذا كان رده يُفضي إلى استخلاص الحق حسب طرقه الشرعية الصحيحة العاقلة، لكن إذا لم يكن من حيلة أبدًا فالصبر عظيم والله ناصر هذا المظلوم من ذلك الظالم بسبب ما من الأسباب والله على ما يشاء قدير.

وقد بين: **ابن قيم الجوزية**، و بين كتاب السِّير أمثلة من هذا كثيرة، خاصة: **الطرق الحكمية ـ وزاد المعاد ـ والحلية**، ولعل الذي علمته مما يتطلبه الجواب في هذا المقام ما أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المستبّان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم) اهـ**

وهذا النص دلَّ على دفع الظلم لكن بحق إذ لا يجوز للمظلوم تهويل الأمر، فقط يدور مع حقه فيدفع الأذى بسبب مادي صحيح شرعي أو ينتصر بالله إذا كان الظالم لا يُدفع ظلمه للعجز من المظلوم.

وقد قالَ تعالى: **﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾** (سورة الشورى آية / ٤٣).

ولعل السائل الكريم يعود إلى تفسيرها في **تفسير ابن كثير** وكذا **تفسير الشيخ ابن سعدي** ففي ذلك بيان جيد لمعنى الآية وما تدل عليه.

هل على من صلت الجمعة ظهر؟

● **إذا حضرت المرأة صلاة الجمعة مع الإمام فهل تصلي الظهر أو يكفيها ذلك؟**

● **هل يجوز لي أن أصلي مقتدية بالتلفزيون إذا أقيمت الصلاة وعرضت فيه؟**

هدباء. م. ل. الأردن معين

□ إذا حضرت المرأة صلاة الجمعة مع الإمام وصلت معه خلف الرجال فتكفيها صلاة الجمعة عن صلاة الظهر فيما أعلم في هذا.

لا يجوز لمُريد الصلاة فرضًا أو نفلا رجلاً أم امرأة أن يقتدي بصلاة تعرض من خلال التلفاز سواء كان يعرض فيه صلاة تقام في بلده أو سواها وذلك لبطلان شروط الائتمام حال متابعة التلفاز والله أعلم.

حكم بول الإبل والغنم

● **بول الإبل إذا جاء على الثياب هل تغسل؟**

مناحي وفهد.. م.ل.. عفيف

□ بول الإبل وما يؤكل لحمه كالغنم والبقر فأبوالها طاهرة، فلا يتوضأ منها ولا يغسل ما وقع على الثياب منها ــ لكن من باب النظافة وأخذ الزينة فتغسل خاصة إذا أراد المسلم الذهاب إلى الصلاة في المسجد أو كان يصلي في بيته كحال البدو الرحّل الذين يتفرقون حسب موقع الربيع فالنظافة هنا لازمة كما قال سبحانه وتعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** أي عند كل صلاة ـ والله أعلم.

ردود خاصة

● الأخ: **بدر الدين مصطفى** جاد.. ج. م.ع، أسوان: لعله يوجد في مكتبات **الفجالة**.

● الأخ / د/ **علي بن حمود سليم النَّاصر**، الريصة: الماسونية وليدة الصهيونية.

● الأخ: د.م. ل.. الأردن عمان: هذا أمر يخص وزارة الأوقاف طرفكم فاكتب لهم.

● الأخت: **هيا. ن.ن.ن..** القصيم، بريدة: لعلك تراجعين بلدية بريدة لأن الموضوع ليس طلب فتوى بقدر ما هوطلب تحديد مكان القطعة الخاصة بك لإخراج صك، وسوف تأخذ المعاملة مجراها في مثل هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

● الأخ: **سعود بن ناجم بن ناهض العجاجي**، نجران: لا زكاة على السيارات المستعملة، ما لم تعرض للبيع فإذا حال الحول عليها فتخرج الزكاة بقدر قيمتها.

● الشيخ: **سليمان العلي السدادي** جيزان: **المُحَلَّى** دقيق العبارة أمين النقل والمجموع **للنووي أعم** منه وأدق وكلاهما العالم بحاجة إليهما مع **«المغني» و«المبسوط» و«الفتاوى» لابن تيمية**. والذي تسأل عنه: لا أعرفه.

● الأخ **علي. م. ل. ط..** حائل: **امرؤ القيس**، من كندة فهو قحطاني، ووصفه مسفٌّ جدًا، ولعله وُجِدَ قبل **طرفة بن العبد**، والأخير أميل إليه أكثر، وقائل هذا البيت:

ستبدى لك الأيامُ ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ

... إلخ.

طرفة بن العبد.

● **سعود بن محمد آل راشد ـ البحرين ـ**

أبو علي

يسقط طواف الوداع عن المعتمر إذا لم يتمكن.

● **فهد. خ. ل. ل. ل.** مكة

لم يقع الطلاق اكتب لي شخصيًا على ص/ ب ٣ أو ص/ ب ٥٩٨١. الرياض

● **م م. ط اللحيدان ـ البكيرية**

آمل توضيح السؤال.

تجربتي في الشعر

بقلم: أ. د. عبده بدوي

- ١ -

في البدء كان ما يمكن أن يُسمَّى الرّغبة في تحقيق الذّات، وقد كان هذاطبيعيا للوجود في دُنيا مُخاصمةٍ للفنون، ومجافية للفرح والرّفاهية، بالإضافة إلى اليُتم المبكر الحارق، وإلى المعاناة اليومية من أجل مواصلة التّعليم في عالم ريفي غير متعلم، بل أكاد أقول: لا يحبّ العلم والمتعلمين، ولعلّ الفتى قد تنبّه تلقائيا بعد ذلك، أنه كان وراء عالم إبداعه الفطري المبكر، الرغبة الجارفة في تحقيق الذّات، وفي ضوء هذا كان إبداعُه الفطري هو الصلة الحميمة بالعالم، والأمل في التفوّق - ما أمكن - على من حوله، في ضوء ما أكّده غولد شتاين، وماسلو، وروجرز، فما أكثر الذين قالوا: إن الإبداع يصدر أساساً عن إحساس بغربة عند الإنسان تعمل على تحقيق ذاته، وأن الإنسان يكافح تلقائياً لكي يرى نفسه من خلال ما يسمى الإبداع المحقق للذات.

- ٢ -

ولقد كان الإبداع في قُرانا الجهمة يتمثل أساسا في أشياء بسيطة وساذجة، مثل تقليد الأصوات، وصناعة التماثيل من الطين، وترديد ما يقوله «شاعر الرّبابة». . ثم يقف وراء ذلك الاجتهاد في حفظ القرآن الكريم، وتجويده من غير فهم، وبالطبع ما كاد ينتظم في الدراسة - على كره من أهله - حتى يشغل نفسه برئاسة اللّجان، وبالقراءة، وبأوَائِل الورد المسمى الشّعر، ثم يكون التّخرج من كلية دار العلوم، ويكون قد عُرف في هذه الفترة بتأليف عدد من الأغاني لبعض المطربين والمطربات، وحين يتم تخرجه من معهد التربية العالي للمعلمين عام ١٩٥٤م، يجد نفسه في مواجهة ظاهرتي الظُّلم والقهر، فقد رأى نفسه وهو المتخرج بتفوق في التربية العملية، يُعَيَّن في بلدةٍ تسمى «شِرْبين» في الوقت الذي رأى فيه بعض زملائه الذين حصلوا على أهون الدرجات يُعيَّنون في التعليم النموذجي الإعدادي والثانوي بالقاهرة، وقد شعر بشيء من المرارة لأنه كان ينشر شعره في هذه الفترة بجريدة المصري، وكان قد حصل على جائزة القصّة على مستوى الجامعة، وعلى المركز الأول في مجلة تسمَّى **الأمانة**، ومع أنه أقام شهراً في «منفاه» كما كان يسميه، إلا أنه ارتكب حماقة أن يكتب للمسئولين، وللمشرف على اللغة العربية الذي سبق أن درّس له مادة العبرية: هذا ظُلْم إمّا أن تقبلوا استقالتي، وإما أن أُعيَّن في القاهرة ويستجاب له، ويقال: لا مكان إلاّ في مدرسة ابتدائية نموذجية افتتحت حديثا لأبناء رجال الثورة، ولبعض الصّفوة، ويقبل بفرح، ويهرول إلى القاهرة ليحقّق حلمه في حضور السّنة التّمهيدية للدراسات العليا، وحين يطلب من المشرف على مادة تاريخ الأدب موضوعاً، يقول له لقد وزعت الرسائل الخاصة بي، وحين يعلم أن الدكتور أحمد هيكل تنازل عن موضوعه لسفره في بعثة إلى أسبانيا، يبدي رغبته في أخذ موضوعه عن الشعر الحديث في السودان، ولكن كيف يخرج من مصر ولم تمضِ عليه ثلاث سنوات، ويحلُّ قريبٌ له هذه المشكلة، وهكذا يرى أن موسم هجرته يبدأُ إلى الجنوب من الشمال.

ويقضي في التعليم المصري بالسودان ثلاث سنوات، ينتهي فيها من جمع المادة، وعندئذ يكتب رسالة إلى الأستاذ فتحي رضوان، الذي سرعان ما كتب إلى الأستاذ كمال الدين حسين بأنّه بصدد تحويل وزارة الإرشاد إلى وزارة الثقافة، وإنه في حاجة إلى بعض الكفاءات الشَّابة، وأراني في هذه الفترة أشق طريقي إلى القاهرة، وفي يدي ديواني الأول «شعبي المنتصر» ويبالغ الأستاذ فتحي رضوان في تكريمي فيكتب له مقدمة شادية ١٩٥٨م، ولكن إلى أين؟

لقد عرض عليَّ العمل في مكتب الوزير، ولكن كلمة الثقافة كانت تشغلني، ومن هنا كان اختياري إدارة صغيرة تُسمَّى «إدارة الثقافة»، وهناك قيل لي: إن من عرف السودان يكون قد عرف أفريقية، وأنه توجد نشرة سياسية صغيرة تسمَّى «نهضة أفريقية»، ومع أن وزارة الخارجية تشرف عليها سياسيًّا، إلا أن وزارة الإرشاد هي التي تمولها وتصدرها، وما أكاد أعمل فيها حتى أجد أنه لا رقابة على المجلة من وزارة الخارجية، وأن كلّ صلتها بالمجلة هي إرسال الافتتاحية، ومن هنا أراني أحوّلها إلى دراسات، وأعمال إبداعية عن أفريقية - شعراً ومسرحا وقصة وفنا تشكيليًّا. وينبهر القراء بهذا اللون الجديد الذي لم تكن له سابقة، وحين تزدهر المجلة، ويكثر الطلب عليها، ويتوالى الحديث عنها، تلتفت إليها وزارة الخارجية، وتكون الرّغبة في الاستئثار بها، وإبعادها عن وزارة الإرشاد، وينتهي الصّراع بين الوزارتين بإغلاق المجلة، وفي هذه الفترة المشتعلة أكون قد تعرفت بصفة خاصة على الشعراء الأفريقيين **كسنغور وأرماتو، وميشيل دي أنانج**، ورأيت فيهم إيقاعا جديداً، ورؤيا جديدة، وكان أن قدمت كثيراً من شعرهم في المجلة وفي ديواني الثاني «**باقة نور**» وفي الوقت نفسه كتبتُ أوبرا «**الأرض العالية**» التي تتحدث عن مشكلة الأرض والإنسان في كينيا، كما أصدرتُ كتابي الأول من عشرة كتب عن أفريقية

- ٣ -

حين تمَّ إغلاق مجلة «نهضة أفريقية» - رأيْتُني

من تجاربهم

تجربتي في الشعر

○ الشعر بالنسبة لي غرفة إنعاش، كلما أحس بالموت ألجأ إليه!

○ النقد لم تعد له أرض ولا سماء في حياتنا العربية

أُعيّن مديراً لتحرير مجلة **الرّسالة** في إصدارها الثاني، وقد كـان السُّكون مخيما عليهـا بالإضـافة إلى خمس مجلات تتبعُ جميعــاً إدارة المجـلات بمصلحـــة الاستعـلامات، وكـان أن حدَّثتني نفسي بإشعـال النّار في هذا السكون المخيّم، وقـد ساعد على هذا الأستـاذ أحمد حسن الزيـات الذي وضع كلَّ أمـور المجلة في يدي، ثم كانت سفرته الطويلة للعلاج في أسبانيـا، ومن ثم رأيتني أدخلُ في صراع مـرير مع الكبار كالـدكتور محمد مندور، والدكتـور لويس عوض، والدكتور محمد النويهي، وكان الوصول إلى المناطق المحرمة، فقد أثرتُ قضايا شعراء الرّفض، واستكتبتُ المعـزولين سياسيًّـا، وهـاجمت جريـدة **الأهرام**، وعدداً من المجـلات البيروتية في مقـدمتها حوار، وانتهيت إلى مـا سميتـه الافتعـال في تبني الرمـوز المسيحية، فمن خلال احصـائيات تبينَّ لي أن كلّ من كان ينشر شعراً في هذه الفترة، لا بدّ أن يبـدأ وينتهي بمفهــوم ورمــز مسيحي، ومع أن الحديث كان مـوضوعيًّـا، وكانت وراءه الـرغبةُ في الانفتاح على الرموز العربية والإسلامية والأفريقية، إلا أنـه سرعـان مـا صــور الأمـر على أنـه انتصـار للطائفية، وكان أن وصل الأمر إلى أعلى مستوى في الـدولة، ويجئ أمـر بإدماج مجلـة الرّسـالة في مجلـة الثقـافـة، وأراني أوسّط في الأمــر الأستــاذ **كامل الشناوي**، وينجح في وقف الإدمـاج، ولكن الموج يعلو، وينتهي الأمر بإغلاق المجلات الخمس بجرة قلم واحدة، ولقد كانت المجلات هي: **الرّسالة، الثقافة، الشِّعر، الفنون الشعبية، القصة**، ثم يعقب ذلك الضغط على الـذين كـانـوا يعملـون بالمجلات، وتشتيتهم، والشماتة فيهم!

– ٤ –

وكـان أن طُلب منّي أن ألـزم بيتي، ولا أذهب للعمل إلاَّ في اليــوم الأول من كل شهــر، ويجئُ مسئول يطلب عودتي للتكيـل بي، ويكون أمر بأن أوقِّع في الصباح وفي المسـاء - مع أن درجتي المالية كـانت تُعفيني من هـذا - وأن أظلّ طول الـوقت واقفـاً، لأنّـه لن يكـون لي مكتب، أو استنـاداً إلى مكتب زميل خـوفاً من اضطهـاده، وفي هذه الفترة البائسة، وجدتني أكتب دواوين: **كلمات غضبى، والحب والموت، السيف والـوردة، دقـات فـوق الليل**، بالإضافة إلى مسرحية **«ثم يخضرّ الشجر»**، **والقصيد السيمفوني «محمد»**.. وقد وجدتني أذكر أنني حصلت على درجـة الماجستير عام ١٩٦١م، فقلت: لم لا أكمل المسيرة وأعد رسالة الدكتوراه؟، وكان أن تحايلتُ على وضعي الوظيفي، فكنت أوّل من يـوقّع في الثامنـة صبـاحـا، وآخر من يـوقع في الثّانية مساء، وبين ذلك كنتُ أتسلّل للذهاب إلى دار الكتب، وحين حصلـتُ على الـدكتــوراه، أطلقت صرخات في أكثر من مكان - كالسفن التي تغـرق! - وجاءت الاستجـابة من السـودان، ومع أنني وُعدت بالتعيين في كليـة دار العلوم، إلاَّ أنني رغبت في البعــد عن القـاهـرة، وكـان أن عملتُ بالتـدريس في جامعتي أم درمان والخرطـوم، وبعد سنوات ثلاث رأيت على مائدة الإفطـار إعلاناً عن وظيفـة في جامعـة عين شمس، وقلت: فلأجـرب حظي؟ وبعــد أن قُبلـت بحماس من الـدكتــور عبدالقـادر القط، الذي كـان يعمل عميـداً لكلية الآداب بجامعة عين شمس في هذه الفترة، طالبتُ بضم الفترة السـابقــة لي في التـدريس الجامعي - كزملائي جميعا - وكنت أول مـن أُوصد هذا الباب في وجهه، وقد شغلتُ نفسي وحزني باقتراح إصدار مجلة **«الشعر»**، وكان كفـاح مرير انتهى باصـدارها عام ١٩٧٦م، وقد عُيّنت رئيسا لتحـريرها، ولكن جـامعــة الكـويت طلبتني للتــدريس بها، وقـد أصررتُ على الذّهاب لأنـه كان هناك من أصر على عـــدم ذهـــابي، ورفع اسمـي من محضر اجتماع القسم، والكلية - على الرغم من أحقيتي - وأراني أذهب للكـــويت عـــام ١٩٧٧م، وحين أردت التخلّص من مجلة الشعر قيل لي: لا عليك، فلتبق رئيسا للتحرير بعد تنازلك عن مرتبك من المجلة، وعليك أن تُرسل المادة فَصْليا، وسيتم إخراجها على أكمل وجه، وقبلتُ هـذا، واستمر عملي بـالمجلة إحدى عشرة سنة، لم يتأخر فيها عدد عن الظهور، وقد كـان الاحتفاظ بعملي في المجلة تكـريما صحبه فـوزي بجائزة الـدولة في الشعـر، وبالحصـول على



أ. د. عبده بدوي



فتحي رضوان





وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وبحصولي على الجائزة الأولى في التأليف لأعضاء هيئة التدريس بجامعة عين شمس.

- ٥ -

وبقيت في الكويت ثلاثة عشر عاما، أخرجتُ فيها ديوان «**الجرح الأخير**» بمقدمة أكدتُ فيها أنني لن اقترب من الشّعر بعد ذلك، ثم كان اجتياحُ الكويت، واجتياح أشياء كثيرة في النّفس، وكان أن طلبت العودة إلى مكاني في جامعة عين شمس، وذكرت أنني أتنازل عن الأستاذية، وأقبل العمل في وظيفتي القديمة كأستاذ مساعد، ولكن الجامعة - بوساطة قسم اللغة العربية - راوغتني، ومع أن عدداً من زملائي في الكويت قد عاد إلى الأقسام التي خرج منها، إلاّ أنني لم ألحّ في طلبي حتى لا أعمل في مناخ مُعاد بقسم اللغة العربية، ويمر عام كئيب بالمنزل، وتجئُ النجدة من العالم العربي - كالعادة - فقد طلبتني جامعة الكويت بعد فترة طويلة، ولكن جامعة الإمارات العربية المتحدة قد سبقتْ، ووقعت العقد معي. . وقد وجدتني مجروحا أنزف في هذه الفترة، وبخاصة في الفترة التي رغبت فيها الاستقرار بالوطن، ولكن الظروف كانت تدفعني بعيداً عن هذه الأمنية، ومن ثمّ لم أملك إلاّ أن أنزف ديوانين في هذه الفترة، يدوران حول الغربة والاغتراب في هذا الزمان الرديء، والبائس بكل الموازين، ولكن الشعر يعلم الله كان غرفة الإنعاش دائماً، فكلما كنت أحسُّ بالموت كنت ألجأ إليه، ودائما كان كريما معي.

- ٦ -

وعلى كل فمن خلال هذه الإقامة الجبرية حاولت التجديد قدر الإمكان ابتداء من ديواني الأول الذي أقمت بعض قصائده على نسق هرمي، يبدأ بعدد من التفاعيل، ثم يقلّ إلى أن ينتهي بتفعيلة واحدة، وكما ركّزت على القصيدة القصة، والقصيدة الحوارية، عالجت الأوبرا، والأوبريت، والمسرحية القصيرة والمسرحية الطويلة، ولأول مرة في العربية كتبت القصيد السيمفوني.

لقد حافظت قدر الإمكان على عروض البحر، وعلى عروض التّفعيلة، فقد هالني أن تقوم الحركة المسماة بالشعر الحر على إعدام ثمانية بحور، معتمدة على ما يُسَمّى «البحور الصافية» التي تتشكّل من تفعيلة متماثلة، ثم تقوم بعد ذلك قصيدة النثر بإعدام البحور الثمانية الأخرى، وبهذا أصبح الشعر العربي جميعه في دائرة المحاق، ولم تنفعه العلوم الثلاثة التي ابتدعتها العقلية العربية، وهي العروض والقافية والضرائر، والمقولة التي تقول: «**إنه إذا مات الشعر مات العرب، وإذا ازدهر الشعر ازدهر العرب**».

- ٧ -

ولعلي أكون الاستثناء الوحيد من الشعراء الذين عملوا في الميدان الأكاديمي، دون أن يصمتوا، أو أن يجفّ الشّعر عندهم، فعلى الرغم من أن لي خمسة وثلاثين مؤلفاً، ولي إسهام واضح في مجال الدراسات في المجلات، إلاّ أنني أزعم أنني بعدتُ بشعري عن الذبول والجفاف في كل ما كتبت.

وقد يقال: ولكن اسمك لا يدور - كوكباً - في سماء النقد، والجواب أن هذه المشكلة ليست مشكلتي، ثم إن النقد لم تعد له سماء، ولم تعد له أرض في حياتنا العربية.

من كتاب العدد

- مواليد كفر الدفراوي مركز شبراخيت - البحيرة ١٩٢٩م - مصر
- صدر له اثنا عشر ديوانًا: شعبي المنتصر، باقة نور، لا مكان للقمر، كلمات غضبى، الحب والموت، السيف والوردة، دقات فوق الليل، أوبرا الأرض العالية، محمد (قصيد سيمفوني)، الجرح الأخير، ثم يخضر الشجر.
- نال جائزة الدولة في الشعر
- نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى
- نال جائزة البحث العلمي بجامعة عين شمس
- له أكثر من عشرين مؤلفاً في الدراسات الأدبية والفكر الإسلامي.
- عمل مديراً لتحرير نهضة أفريقيا ومجلتي الرسالة والثقافة في إصدارها الثاني ثم رئيساً لتحرير مجلة الشعر لثلاثة عشر عاماً.
- عمل في العديد من الجامعات العربية ويعمل حالياً بجامعة الإمارات العربية.

قصة قصيرة

الأرملة

بقلم: فرج حكيم

خرج من عندها وهو يلعن أحلامه الهشة ، ويحطم تلك القصور المزركشة التي شيَّدها على الرمال .

وعندما أفاق قليلا ، ألفى نفسه يجلس على حافة ساقية مهجورة ، وشجرة جميز عجوز ، تطل عليه في سخرية مرة ، تتفرج على هذا المخلوق الساذج ، الذي مازال يفكر في الحب وهو في خريف العمر ... كانت السماء قد غامت ، وبدأ الإحساس بالبرد يحيط بالمكان .

تلفت حوله في دهشة : ماالذي أتى به إلى هذا المكان ؟ بل ماالذي دفعه أصلا إلى التفكير في العودة ثانية إلى هذه البلدة بعينها ، بعد أن غاب عنها أكثر من ثلاث سنوات ، قضاها مدرساً في محافظة البحر الأحمر .. ؟

إنه يذكر الآن ، زيارته الأولى لأقاربه في تلك البلدة ، وكيف ساقه القدر إلى التعرف على أرملة حسناء ، تسكن في جوارهم قصده ابنها طالب الثانوية العامة ، ليشرح له بعض دروس اللغة الإنجليزية ، عندما سمع أنه يدرس تلك اللغة الصعبة .

أخذ يتردد على منزل الأرملة الحسناء ، طوال أشهر الأجازة الصيفية وكانت تلك الأشهر كافية ، لأن يتوطد الحب النقي العفيف ، بين الأستاذ « ماهر » والسيدة **« حسنية »** . تبادلا الإعجاب في صمت ، وارتضى كل منهما بصاحبه، توءمًا لروحه، رغم الأعتاب الخريفية التي بلغها الأستاذ « ماهر » منذ قليل . أما « الست حسنية » فكانت ماتزال في ربيع عمرها ، إذ تزوجت وهي صبية ، كما هي عادة أهل الريف في ذلك الوقت ، وانجبت ابنها الوحيد ثم مات الزوج تاركا إياها ، تكد وتشقى وحدها ، من أجل ذلك الابن . تفرغت له ووضعت فيه كل آمالها ولم تفكر أبدا في الارتباط برجل آخر ، إلى أن ساق لها القدر الأستاذ « ماهر » ، قريب جيرانها . استراحت له واستراح لها ، وتعلق به ابنها تعلق الابن بأبيه ، وربط الحنان والتعاطف بين الثلاثة برباط قوي

كانت « حسنية » تحلم بأن مركبها سوف يرسو أخيرا إلى بر الأمان وأنها يوما ، سوف تزف في موكب للحب ، فيتحقق لها حلم الزمان الأول .. إنها تجد في « ماهر » حصن الأمان لها ولوحيدها .

ياليت الزمن يكون كريما الآن ، فيدفعه ، كي يخطو الخطوة الحاسمة ، قبل فوات الأوان فيتقدم ماهر للزواج منها ، لتجد في عطفه وحبه ، ما يعوضها عن سنين الشقاء والحرمان .. إنها تحس بمشاعره المتدفقة .. إنه في حاجة إليها ، لتشاركه خريف عمره ، وتخفف عنه وحدته ، وسط أمواج الحياة العاتية .. وها هي أمام نظراته الحانية ، تعاهد نفسها ، أن تكون له زوجة بارة .

رباه ! .. لماذا تردد في أن يخطو الخطوة الحاسمة ، ليلتقي بالحبيبة ، التي تدعوه بنظراتها أن يتقدم .. إنها له منذ الآن ، بل منذ هذه اللحظة .. ؟ هل كان ينتظر حتى يتأكد من مشاعرها نحوه ؟ .. وهل كان ينكر تلك **النداءات** الواضحة في عينيها .. ؟ لماذا انتظر حتى استدعته مهام عمله المدرسي بصفة عاجلة ، لأن يترك بلده الحبيبة ويسرع إلى البحر الأحمر ، ثم تبتلعه دوامة الحياة ويغيب عن الحبيبة الغالية ، ثلاث سنوات كاملات . صحيح أن طيفها لم يفارقه لحظة واحدة ، فقد كان يشاركه وحدته ليلا ونهارا ، يجول معه كل أركان الدنيا ، ويقطع إليه الفيافي والقفار . وكثيراً ما كان يتوجه إلى الحبيبة ، في حديث روحي صامت ... وكان يثق أنها تسمعه عبر المسافات الشاسعة . لقد ملك عليه حب « **حسنية** » كل مشاعره وحناياه .

ونجح أخيرا في السيطرة على مقاليد أموره ، واتجه بأحاسيسه وكيانه كله نحو الحبيبة، وجهته بلدة الحبيبة المنتظرة على أحر من الجمر ... وبعد سبع ساعات قضاها في السيارة من **الغردقة** إلى **القاهرة** .

البيوت والشجر . بعد قليل ، وقفت قبالته عربة ، يدعوه قائدها ، إذا كان متجهاً نفس وجهته ، فركب معه شاكراً ، يبادله الحديث والمزاح . إنه لا يصدق أنه قد تخطى سن الشباب . كان يشعر أن الدنيا كله تشاركه سعادته ، الطيور والعصافير ، الزقزقة ، والزرع الأخضر على جانبي الطريق ، بل إن قلبه في

داخله ، كان يغني كطير.

ودون توقف استقل القطار السريع إلى « **بركة السبع** » كان خياله يسابق القطار ، بل إن قلبه كان على وشك أن يحطم صدره ، ويخرج منه ..

إنه سعيد بكل الركاب ... إنه يسلم ويبتسم ابتسامة عريضة لكل من يراه ويقابله ، حتى الباعة والعمال يحييهم ويمازحهم . إنه يريد أن يعلن للجميع فرحته بلقاء الحبيبة ، وقرب ارتباطه بها . يريد أن يقول لهم ، إن حبه لحسنية فوق إدراك المشاعر والعقول ، وإنه سوف يزف لأرق وأجمل امرأة في الوجود .. ولسوف يصبح أبا لأذكى الشباب .. !

ما يدريه .. ؟ هل التحق ابن الحبيبة بالجامعة ، وفي أية كلية ؟ كلية الهندسة .. ؟ لا ، بل كلية الطب .. وافرحتاه ! سوف يكون موضوع فخره وفخر الحبيبة ، أمام كل الناس ، وسوف يناديه بتلك الكلمة الساحرة « عمي » .

من شباك القطار ، كان يرى الأغصان الخضراء ، مشرقة ، باسمة ، تملأ الدنيا عبيراً ، وتنادي كل قلب حائر .

عند خروجه من المحطة ، لم يستطع أن ينتظر سيارة أجرة أو عربة ، تحمله إلى حيث الحبيبة في انتظاره .. أخذ يسير قفزاً يريد أن يلتهم الطريق إلى منزلها . أحس كأن جسده قد تحول إلى طائرة ، تحمله فوق هامات طليق ، ويشدو بترانيم الحب .

عندما وصل إلى قرب منزل الحبيبة ، آثر أن يذهب إليه ، من طريق خلفي ، حتى لايمر بمنزل أقاربه ، قبل أن يلتقي بالحبيبة ويطفىء نيران الشوق والحب المتأججة داخله .

أقبل على الفتى الغالي ، ابن الحبيبة الغالية ، يأخذه بين أحضانه مهللاً في صخب عارم ، ويهزه بقلب يضطرم بنيران الشوق ولوعة الفراق .. الابن يستقبله بوجه متخاذل ، وعينين حائرتين ، فيهما دمع وشجن .

ـ ماذا جرى ... ؟ هل حدث مكروه للحبيبة .. ؟!

إنه لا يجد جواباً من الشاب المقهور ، إلا تلك النظرة الحزينة الصامتة ، والرأس المنكس .. ! اصطحبه الشاب الحزين المتخاذل إلى الداخل .

ياللطعنة القاتلة .. سكين حامية تغوص في قلبه .. إنه يشاهد أمامه ، فوق حشية قديمة قذرة ، ماذا .. ؟ كلا كلا .. ليست هي الحبيبة .. أين ذهبت الأرملة الحسناء التي فتنته وأسرت قلبه منذ سنوات ليست بعيدة ؟ .. قطعا ، هذه امرأة أخرى .. هل خدعه الوهم .. ؟ عيون مكدودة حائرة ، فيها عتاب ، وفيها غيظ مكتوم .. ولكن نظراتها تتكلم بوضوح ، نظرات جريئة ولكنها متكسرة : **أين .. أين كنت كل هذا الوقت لماذا تخليت عني ، وتركتني للمرض يذيقني عذاب الذل والهوان .. ؟ آه لو كنت هاهنا .. ؟!**

أنصاف كلمات غير واضحة المعاني ، تخرج متعثرة ، من الفم المشلول المتكسر (الملتوي) .. حاول أن يتفرس فيها ثانية ، يريد أن يذكر تلك العينين الساحرتين الظامئتين .. منذ سنوات قريبة كان يرى فيهما طموحاً بعيداً ، وحلماً لم يتحقق بعد .. كان فيهما حنان الأنثى ، التي ظلمتها الأيام ، فتزوجت في عمر الزهور ، وترملت وهي مازالت في ربيع العمر .. أما الآن .. فقد ظهرت التجاعيد والأخاديد على وجهها المتغضن .. شفتاها ترتعشان ، وكذا أطرافها ، أما هو فالتجاعيد داخل قلبه كانت أكثر ، وكيانه كله كان يرتعش ، حتى تفكيره كان يهتز بغير وعي .. !

... انحنى على جسدها المسجى أمامه .. يربت عليه بيد مترددة .. ! كومة من ملابس قذرة ، تفوح منها روائح العرق والعفن !!

رحماك ياإلهي .. لقد وجد امرأة أخرى ، بل نصف امرأة ... ضاعت منها حمرة الخدود ، وغاصت العينان ، تاركة هالات من السواد حولهما .. رباه .. حتى هذا الأمل الوحيد ، الذي جاء متأخراً ... يتحول إلى سراب .. ؟ وهل هذه السنوات الضئيلة في عمر الزمن . **تصنع كل هذا التبديل المريع** .. ؟ بالقسوة الأيام .. سهام حامية انغرست في صدره .. ولكنه كتم آهاته الحزينة داخل قلبه .. !

إنه .. في هذه اللحظة .. يواجه نفسه في صراع مرير .. هاهو يشمئز من رائحة أنفاسها .. أليست هي زوجة له ، التي كان يتلقى عبق أنفاسها على وجهه في خدر لذيذ .. إلى آخر لحظة كان يتمناها بل يشتهيها ويحلم بها .. ! أين حلم الزمان المنشود ؟ .. رد أصابعه إلى صدره .. لم يحدث اللقاء .. لم يتحقق حلمه الكبير .. إنه يرى أمامه امرأة محنطة .. ضاعت سنوات الذكرى الغالية .

سرعان ما تبلد شعوره ، لا يدري ما أصابه فجأة .. ؟ هل هو شعور بالضيق ، باليأس أو بالكآبة ، أو هو شعور بالذنب .. إنه لا يدري .. أمواج عاتية تتصارع في داخله .. لغير هذه المرأة الراقدة أمامه ، كالجثة المشوهة ، لم يضطرم قلبه ، ولكن ، حتى لو انكشف حبه الآن ، فسوف يبدو كشيء سخيف أحمق ...

... إذن فليتحرك ، لينصرف ، غير نادم على لحظات حبه الضائع وليطوي قلبه على حزنه الدفين .. لقد كانت سنوات عمره كلها تافهة واهية ..

... عند الباب ، ودع بنظرات بلهاء .. وانصرف إلى الطريق .. يكمل مشوار الضياع ... !

من المكتبة السعودية



● **الكتاب : رسالة في الفرائض**

● **المؤلف : عبدالرحمن بن عبدالله بن داود**

● **النــاشر : نــادي الطـائف الأدبي ط ١ ، ١٤١٢هـ - ٢٣٥ ص .**

عِلْمُ الفرائض من أجلّ العلوم الإسلامية ، وقد حثّ الشارع العظيم على تعلّمه وتعليمه في قوله ﷺ : «تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس ، فإني امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنـان في الفـريضـة فـلا يجدان من يفصل بينهما» .

وقد اهتمّ الصحابة رضوان الله عليهم بتحصيل علم الفرائض كسائر العلوم وتعليمها لذويهم ، ونبغ منهم فيه واشتهر أربعة من الصحابة وهم : زيد بن ثابت وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود .

والفرائض - جمع فريضة - مأخوذة من الفرض وهو التقدير ، ومنه قوله تعالى : ﴿وإن طلّقتموهن من قبل أن تمسوهن وقـد فرضتم لهن فريضة ، فنصف مـا فرضتم﴾ (سورة البقرة - آية ٢٣٧) أي قدرتم . هذا في اللغة ، أما في الشّرع فـالفـرض والفـريضـة «نصيب مقدّر شرعـاً لمستحقّه» ، ومنه قـوله تعالى : ﴿للرجـال نصيب مما ترك الوالـدان والأقربون ، وللنسـاء نصيب مما ترك الـوالدان والأقربون ، مما قلّ منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً﴾ (سورة النسـاء - آيـة ٧) . ذلك أن النـاس كـانـوا في الجاهليـة يورثـون بالحلف ، كما كانـوا يورثون الرجـال دون النسـاء والكبـار دون الصغـار ، واستمـرت المواريث على ذلك حتى نزلت الآيـة وما تلاها من آيـات المواريث في سورة النسـاء ، فقـال رسول ﷺ : «إنّ الله عـزّ وجلّ قد أعطى كل ذي حق حقّه ، ألا لا وصية لـوارث» وقال : «ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما أبقت الفروض فالأولى رجل ذكر» ، وفي روايـة بلفظ «اقسمـوا المال بين أهل الفـرائض على كتـاب الله» ، وهذا الحديث من جـوامع كلمه ﷺ لأنـه يشتمل على أحكـام المواريث ويجمعهـا ، فيبيّن كيفيـة قسمة المواريث المذكورة في كتاب الله بين أهلها ، وقسمة ما فضل من المال عن تلك القسمة مما لم يصرح به القرآن من أحـوال أولئك الـورثـة وأقسـامهم ، كما يُبيِّن كيفيـة تـوريث بقيّـة العصبـات الـذين لم يصرِّح بتسميتهم في القرآن ، فإذا ضم هـذا الحديث إلى آيات القـرآن استوفى ذلك معـرفـة قسمـة المواريث بين جميع ذوي الفـروض والعصبات .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينـا «رسالة في الفرائض» مختصر جليل في علم الفرائض ، وعلم الحساب الموصل إلى تعيين أسهم الـــوارثين ، جـــاء في تـــرتيب منسّق وأسلوب سهل . وقـد بلغ الغـايـة في حُسن الضبط والتنـزّه عن التشـويـش والخلط ، وفي تجلية الأحكـام والقـواعـد والأنصبة والتطبيق بـالمثـال ، حتى قـرب من مسـائل الفـرائض وحسـاب الأسهم ما عـزّ حصـولـه ، وسهَّل من طُرقها ما صعُب الوصول إليـه ، بحيث يجد طـالـب العلم بغيتـه ، لأنـــه يجنّبه مـؤونــة البحث في المطولات ، وعناء فهم أساليبها ، وقـد قام بالتعليق عليه الأستاذ حافظ محمد عمر الذي شرح - في الهامش - كل ما يمكـن أن يغمض على القارئ ، ويساعـده على فهم المسألة المطروحة .

والكتاب لم يترك مسألة خاصـة بالميراث إلاّ وطرحها ونـاقشها وبيّن كيفيـة تقسيم الميراث على من يستحقـه ؛ فشرح أسبـاب الميراث ومـوانعـه والـوارثين من الـذكـور والوارثـات والفروض المقدرة في كتاب الله تعـالى والثابت منها بـالاجتهاد ، وقدّم مسـائل يعرف القارئ منهـا ورثة النصف وورثة الرُّبع وورثة الثمن ، والثلثين ، والسدس ، والعَصَبَات وكل ما يتعلّق بهذا العلم الجليل .





عمران بن محمد العمران

● **الكتاب : من أعلام الشعر اليمامي**

● **المؤلف : عمران بن محمد العمران**

● **النــاشر : دار الشبل للنشر والتــوزيع - الـرياض - ط ٢ ، ١٤١٣هــ - ١٩٩٢م . ٢٠٩ص**

صدرت الطبعـة الأولى من هذا الكتاب منـذ ستة وثلاثين عامـاً ، ويقول المؤلف إنه أعـاد النظر - في هذه الطبعة الجديدة - في بعض المضامين ، مستدركاً ما كان في الطبعـة الأولى من أحكـام أو أخطاء ، مضيفـاً إليهـا الكثير من الـزيادات والشروح ، حـاذفاً منهـا ما تقتضي الضرورة حذفه .

الكتاب يرصد حياة شعراء اليمامة ، مع تقديم نماذج من أشعارهـم مع التعريف بخصائص كـل منهم ، وقد رتّبهم ترتيباً زمنيًّا .

يعتذر الكاتب - وهو من أبنـاء اليمامة - بأنه ليس «إقليميًّا» لأنه من أشدّ عبـاد الله كراهية للنظرة الإقليمية الضيّقة ، التي يرى أنها أصـل أدواء المجتمعات والمؤدية إلى الفرقة في كل زمان ومكان - مع أنه ليس في حاجة إلى هـذا الاعتـذار ، فحبّ الإقليم الـذي نشأ فيـه الإنسـان يُحسب لـه - مـا دام لم يتعـال على غيره - ولن يحبّ المرء الإنسـانيـة ما لم يحب مـوطنـه الأصلي أولاً ، ثم إنـه أدّى خدمـة للدارسين حين رصد هـذه الكوكبـة من الشعراء أبنـاء اليمامة - وبعضهـم يعتزّ بـه أدبنـا العـربي قديمـه وجـديـده - في كتـاب واحـد .

بدأ الكـاتـب بالشـاعر فِنْد الـزِّمّاني الـذي عاش في العصر الجاهلي واشترك في حرب البسـوس - التي دارت بين بكر وتغلب وقيل إنها استمرت لأربعين عامـاً - وأورد نماذج من شعـره . وللـدهشـة فإن شعـره من السهـولـة والوضوح بحيث يشـك المرء في أنه من الشعر الجاهلي . والمؤلف يتحقّق في قوله إن كثيراً من شعره نُسب إلى غيره لهذا السبب ويضيف أنـه ربما كان بعض هـذا الشعـر - السهل البسيط - من اختلاق الرواة الـذين نسبوه إليه ، وإن كانت هذه القضية تحتاج إلى حيِّز غير هذا .

ينتقل بنا بعد ذلك إلى الأعشى ، ويعتذر مرة أخرى بأن الأعشى ليس في حاجـة إلى تعريف ، لكن لا بـدّ مما ليس منه بدُّ ، فهـو من أبناء اليمامة ومن قريـة (منفوحة) بالذات التي أصبحت الآن أحد أحيـاء مدينة الرياض ، وعلى كل حـال لـو لم تنجب اليمامة مـن الشعـراء غير «صنّاجة العـرب» لكفاهـا هذا ، وإلاّ من الـذي يجب الشعر من النـاطقين بالضاد ولا يردِّد أبياتـاً - سواء وعى أنها لـلأعشى أو لم يع - مثل : «ودِّع هُـرَيْـرَةَ إنّ الـرَّكْب مرتحلُ» أو «كناطح صخرة يوماً ليوهنها» ؟

على أن إعجاب الكـاتب بالأعشى لم يمنعـه من أن يكون موضـوعيًّا معه ، حيث سلّط الأضواء على طريقته في التكسُّب بشعره ، فقـد كان يرفع من يجزل لـه العطاء فيعطيه أكثر مما يستحق من الثنـاء ، ويخفض من يبخل عليه فيجرِّده من فضائله ، ورغم هذا العيب - الأخلاقي

- فإن دارساً - أو متذوّقاً - للشعر العربي، سواء في القديم أو الحديث، لا يستطيع أن ينكر أن الأعشى - من الناحية الفنية - هو من الصفّ الأول .

نترك الأعشى لنعيش مع **قتادة بن مسلمة الحنفي**، الزعيم الأبيّ الذي يُضرب به المثل في الكرم والشهامة والذي أجار «الحارث بن ظالم المُرّي» وأسبغ عليه حمايته بعد أن رفضت القبائل حمايته .

وأورد الكاتب نماذج من شعره الذي يتميّز بالحماسة والفخر حتى لكأننا نخوض معه المعارك ويثور من حولنا الغبار. ثم يأخذ الكاتب بيدنا ليعرفنا بشاعر يمامي آخر هو **موسى بن جابر الحنفي** الذي كان مترفعاً لا يطرق باب أمير أو كبير، والذي نأى بنفسه عن «الفتنة» فلم ينضم إلى أي من الأحزاب التي قامت مثل الأموية والهاشميّة أو القحطانيّة والعدنانيّة، لكنه وصف في شعره المعارك الأولى التي خاضها، بالذات معركة «أباض» التي دارت بين جيش خالد بن الوليد وجيش مَسْلَمة، ويرى المؤلّف أن في شعره خشونة البداوة .

وبعد أن يعرّفنا الكاتب بالشاعر اليمامي **نُوَيْب السَّلولي** يصل بنا إلى جرير فشهد مولده في قرية «الوشم» التي أصبحت الآن جزءًا من الرياض، وبعد أن نستمتع بموهبته الشعرية الأصيلة - ونقائضه الرائعة مع الفرزدق - يسلّط المؤلّف الضوء على جانب من جوانب جرير - الإنسان - فيرينا عفّته وتديّنه وتهجدّه وقراءاته في القرآن الكريم، واستقامته حيث لا يمدح اليوم من هجاه بالأمس، ولا يهجو اليوم من مدحه من قبل. ثم يملأ نفوسنا شَجَنًا حين يعرض علينا مأساة الشاعر **يحيى بن طالب الحنفي** الذي عاش في القرن الهجري الثاني، وكان فارساً كريماً، سيداً في قومه يحمل عنهم الكثير من الأعباء والمغارم والأثقال والديَّات ثم أخنى عليه الدهر وركبته الديون فهاجر إلى ولاية الري (قريبة من طهران اليوم) ويقول شعراً ينضح مرارة وحزناً على فراق وطنه :

أريد رجوعاً نحوكم فيصدّني
إذا رمتُـــــــه دينٌ عليّ ثقيلُ

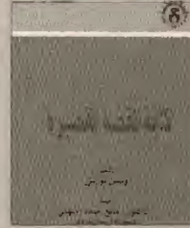
ويستمع هارون الرشيد إلى شيء من شعره فيطرب له ويسأل عن صاحبه، وحين يعرف حكايته يبعث إلى والي الريّ أن يقضي دَيْنه ويعطيه نفقة رجوعه، لكن شاعرنا توفيّ في اليوم الذي وصل فيه رسول الرشيد .

ينتقل بنا الكاتب إلى شاعر يناقض سابقه هو **بكر النّطاح** الذي مرّت به فترة من حياته كان فيها من صعاليك العرب الذين يتربّصون بالمسافرين، ثم تاب الله عليه واتصل بالوالي أبي دلف العجلي فعيّنه في حرسه الخاص وأجرى عليه راتباً مجزياً، لكن تغلّب عليه مزاجه المتقلّب فقال قصيدة مدح فيها ربيعة - التي ينتمي إليها - وفضّلها على مُضَر - وقُريش من مُضَر - فغضب هارون الرشيد فاضطر شاعرنا إلى الهرب ولم يظهر ثانية إلاّ بعد وفاة الرشيد حيث أُعيد إلى وظيفته، ولا أحد يدري ماذا كان يفعل في فترة هروبه، وإن كان بيتاً واحداً من شعره يدلّنا عليه :

وَمَنْ يفتقر منّا يعش بحسامه
ومن يفتقر من سائر الناس يسأل !

عشنا بعد ذلك مع الشاعر اليمامي **يحيى بن أبي حفصة** ثم مع حفيده **مروان بن أبي حفصة**، وهي أسرة مشكوك في نسبها لكنها عاشت في اليمامة وكانت موالية للأمويين وتولّت الكثير من المناصب العالية في زمانهم، حتى أن مروان هذا كان لسان حال الأمويين يدافع عنهم بشعره ضد خصومهم، لكن عندما انتصر العباسيون صار لسان حالهم أيضا، حيث إنه من ذلك النوع الذي يميل مع الريح حيث مالت !

ثم انتقلنا إلى العباس بن الأحنف الذي اقتصر شعره على النسيب، وصاحبنا الشاعر عمارة بن عقيل - وهو حفيد جرير - الذي اتصل بالمأمون، ومررنا بمجموعة من الشعراء غير المشهورين في زمانهم. وكانت الخاتمة مع الشاعر اليمامي محمد بن عثيمين الذي عاصر الملك عبدالعزيز آل سعود ووصف في شعره الكثير من معاركه وفتوحاته .





د. مانع حماد الجهني

● **العنوان : كتابة القصّة القصيرة**

● **المؤلف : ولسن ثور نلي**

● **المترجم : د. مانع حماد الجهني**

● **النـاشر : النـادي الأدبي الثقـافي بجـدّة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م**

تعود أهمية هذا الكتاب إلى ندرة الكُتب العربية التي طرقت كيفيَّة كتابة القصة القصيرة. فباستثناء كتب أربعة للأستاذ يحيى حقي والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور رشاد رشدي والأديب حسين القباني فلا يوجد كتاب - في حدود علمنا - يُعلّم كاتب القصة القصيرة الناشئ قواعد هذا الفن الأدبي الذي فرض نفسه على حياتنا الثقافية منذ بداية هذا القرن العشرين، اللهم إلاّ كتاب تُرجم أخيراً للدكتورة منى مؤنس .

يتميزّ هذا الكتاب عن الكتب المذكورة في أنه يبدأ مع الكاتب الناشئ من الصِّفر، حيث إن الكتب الأخرى تخاطب كاتب القصة الذي تمرّس على كتابتها أو الذي قطع شوطاً بعيداً في مجالها .

ويتواضع المترجم - الدكتور مانع حماد الجهني - فيقول في المقدّمة إنه ليس بقاصّ ولا ناقد أدبي ولا يجد الوقت للمشاركة الجادة في الساحة الأدبية ويعتقد أن مكتبتنا العربية في حاجة إلى هذا الكتاب، وأنه قرأ كتاب حسين القباني (فنّ كتابة القصة) بعد أن انتهى من الترجمة، ولو كان قد قرأه قبل ذلك لما أقدم عليها، مع أن كتابه المترجم هذا يختلف عن كتاب حسين القبّاني حيث سلّط أضواء جديدة على قواعد القصّة القصيرة يحتاج إليها الناشئون - كمرحلة أولى - قبل الولوج إلى الكتب المذكورة الأخرى ومنها كتاب القبّاني .

لم يبدأ الكتاب بالصراع أو أبعاد الشخصية أو الحوار، لكنه بدأ بشرح كيفية كتابة (المشهد) وخيراً فعل، حيث إن كثيراً من الناشئين الموهوبين تفوتهم أشياء مهمة يجب أن يتضمنها (المشهد) لتكون قصصهم مكتملة النمّو من الناحية الفنية. من ذلك أن يُراعي الكاتب الناشئ وجود أحد عشر عنصراً يجب أن تكون في قصّته هي : الزمان، المكان، الضوء، الغرض، الشخصية، وجهة النظر، فضلاً عما يشبع الحواس الخمس من سمع ونظر وذوق وشمّ ولمس .

ولكي يدلل على ما يقول، يقدم إليه «مشهداً» من قصة قصيرة لكاتب معروف ويضع يده على العناصر الأحد عشر التي تضمنها المشهد.

والكتاب يُحذِّر الكاتب الناشى عندما يصف شيئًا أن يقول إنه (جميل) أو رائع، فهذه أحكام وليست وصفاً، ويطلب منه أن يشبّهه بشيء آخر ليرتفع به - عن طريق التشبيه - إلى اللغة الأدبية الراقية من ناحية، وليقِّر به من ذهن القارئ من ناحية أخرى .

بالنسبة للضوء - مثلا - يطلب المؤلف من الكاتب الناشئ أن يحمل في يده مفكرة صغيرة ويقف على رصيف أحد الشوارع ويصف ما أمامه مع التركيز على الضوء والظلال، ثم بعد ذلك يصعد إلى سطح إحدى العمارات

العالية ويطلّ على نفس الشارع ويصفه مرة أخرى من هذا الارتفاع الشاهق مع التركيز على الضوء والظلال .

قطعاً سوف يكتشف أن للشارع منظرين متباينين وإضاءتين مختلفتين ، هذه «النظرة التشكيلية» من أهم عناصر القصة القصيرة الناجحة .

ويطلب المؤلف من كاتب القصة الجديد تجنُّب استعمال الأفعال المجرّدة في سرده ، فلا يجب - مثلا - أن يقول إنه رأى «النّجار» منهمكاً في العمل ويكتفي بهذا كلمة «العمل» هنا لا تزيد عن فعل مجرَّد قد تصلح للكتابة العلمية لكنها لا تعني شيئًا في الكتابة الفنية . المطلوب أن يقول إنه رأى النّجار يدقّ مسماراً طوله عشرة سنتيمترات ، هنا تجسّم «الفعل» في مخيّلة القارئ فرأى النّجار والمسمار وسمع صوت الدقّ فأشبع حاستي السمع والنظر ، وربما حاسّة اللمس إذا وصف نعومة المسمار أو خشونة الخشب .

وعلى الكاتب الناشئ أن يتجنّب التعبيرات الجاهزة التي تتداولها الكتابات الصحفية ، فهو مطالب بأن تكون له لغته الخاصة بحيث إذا قرأنا له بضعة سطور قُلنا هذا أسلوب فلان دون أن يكون اسمه موجودا . ولن يصل إلى هذا إلاّ بعد قراءات واسعة في الشّعر المتفق على جودته ، وللنماذج القصصية التي أجمع النُقّاد على قيمتها .

والكتاب حافل بكل ما يهمّ كاتب القصة ، حيث يتناول وسط القصّة ونهايتها وطريقة البناء ورسم الشخصية وإدارة الحوار ، فيخصّص لكل جانب فصلاً أو جزءا من فصل مع ما يحتاجه من شرح وتحليل بالإضافة إلى إيراد نماذج قصصية لكتّاب كبار مع تسليط الضوء على مواطن الجمال فيها .

في الحوار مثلا على الكاتب أن يراعي المستويات الثقافية والعقلية والمهنية للشخصيات المتحاورة بحيث تكون متمايزة في اهتماماتها وفي معاجمها اللغوية .

- **العنوان : الإعلام وتأثيراته**
- **المؤلف : دنيس ماكويل**
- **تعريب : د. عثمان العربي**





د. عثمان العربي

يُعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي قُدمت في مجال النظريات الإعلامية ، وفي طبعته هذه - الثانية التي عرّبها المترجم - حاول مؤلفه دنيس ماكويل أن يطّور محتوياته بإضافة الجديد الذي طرأ في هذا العلم . وقد نقله إلى العربية الدكتور عثمان العربي أستاذ مساعد الإعلام في جامعة الملك سعود بالرياض

يقع الكتاب في خمسة فصول ، يستعرض أولها مفهوم وساطة وسائل الإعلام في المجتمع ، والثاني : يهتم بالإطار التصوري العام لنظريات وسائل الإعلام ، والثالث : يستعرض نماذج من نظريات مرسل الرسالة الإعلامية ونظريات المضمون الإعلامي ونظريات جمهور وسائل الإعلام ، والرابع : يقدم تأثيرات وسائل الإعلام في المجتمع ، أما الفصل الخامس فيجمل خصائص النظرية الإعلامية الحالية وتطوراتها .

يقول المعرّب في تقديمه الكتاب : إن التنظير يمثل جانبًا هاما في الدراسات الإعلامية ، فالنظرية تمثل البداية والانطلاق والقيادة للبحث ، كما تمثل في الوقت نفسه نتائج البحث واستنتاجاته الخاصة بتفسير الظاهرة المدروسة ، وهي - النظرية - تعنى تفكيرًا منطقيًا ومنظمًا عن العلاقة بين العوامل الرئيسة المسببة للظاهرة محل الدراسة ، ومن هنا كان الإقدام على تعريب هذا الكتاب لعالم الاتصال المعروف دنيس ماكويل .

يتحدث الكتاب عن خصائص الوسيلة الإعلامية ، ويذكر أن أهم مساهمة لهذه الوسائل الإعلامية تتمثل في تكوين بيئة رمزية مشتركة في المجتمع ، فرغم أن لكل منا عالمه الخاص من خبرات وتصورات وإدراكات ؛ إلا أنه من ضرورات الحياة الاجتماعية وجود درجة معينة من التصورات المشتركة للواقع ، وهنا تلعب وسائل الإعلام دورًا رئيسًا في تكوين التصورات بشكل تدريجي وغير محسوس من خلال عملها اليومي المستمر ، كما أن هذه الوسائل تقوم بدور «الوسيط» بين الواقع الاجتماعي الخارجي والتجربة الشخصية ، وتقوم هذه الوساطة في مجالات مختلفة : فهي تكون وسيطة بيننا وبين التجارب والخبرات البعيدة عن إدراكنا المباشر ، كما تكون وسيطة بين العديد من المؤسسات الاجتماعية التي نتعامل معها ؛ مثل مؤسسات الدولة ، والمؤسسات الصناعية والمؤسسات القانونية .. وغيرها . كذلك تمثل وسائل الإعلام قنوات اتصال بين أفراد المجتمع ، وعن طريقها تشكل تصوراتنا عن الجماعات والمؤسسات والأحداث المختلفة ، وتؤثر على تصورات الآخرين عنا .

ويتناول المعّرب الدكتور عثمان العربي مفهوم النظرية الإعلامية ويشير إلى أنها - النظرية - تغذي البحث العلمي عن الإعلام وأن التنظير يجب أن يرتبط بالواقع ، وأنها - النظرية الإعلامية - إدراك كامل وفهم مستنير لحقيقة ما يحدث في المجتمع بسبب عمليات وسائل الإعلام وأنشطتها ، والتطورات والتغيرات التي تطرأ عليها وفهم حقيقة ما يحدث في وسائل الإعلام بسبب أنشطة المؤسسات الاجتماعية وتغيراتها وتطوراتها .

وبعد ذلك يعدد المعّرب بعض نظريات وسائل الإعلام ؛ مثل :

- نظرية المجتمع الجماهيري
- النظرية السياسية الاقتصادية لوسائل الإعلام
- النظرية الناقدة ومدرسة فرانكفورت الإعلامية
- نظرية استخدام وسائل الإعلام لتحقيق الهيمنة
- النظرية الثقافية
- النظرية البنائية الوظيفية
- النظرية الوظيفية الفردية

ويقول إن هذه النظريات ليست في المستوى نفسه أو الدرجة من حيث اعتبارها نظرية علمية ، وأن بعضها نتاج مجهودات جماعية ، والبعض الآخر ثمرة جهود فردية ، كما أن بعض هذه النظريات تحتوي على تشعبات وتفرعات عديدة لا يجمعها ولا يوحدها إلا فرضياتها المسبقة ، أو نوعية المشكلة التي تتصدى لها ، أو الطريقة أو المنهج الذي تتبعه في دراسة المشكلة .

إن هذا الكتاب جهد ملموس لمؤلف معروف في الأوساط الأكاديمية الإعلامية وله وجهات نظره التي يجب أن يُعرّف بها على الأقل .



الساعات البيولوجية الموجودة في رؤوسنا هي التي تنظم مواعيد نومنا ويقظتنا

النوم

أسـرارُه وخفـايـاه

إعداد: عدنان عضيمة

كلّ منا يستطيع أن يدرك مغزى الحكمة التي تنصّ على أن (النوم سلطان) من خلال الاستمتاع اليومي بسلطان النوم، والتلذّذ بمتعة الغياب العميق عن الوعي بمعناه الصحّي الطبيعي. وبالرغم من الاختلاف الجذري بين الموت والنوم من النواحي الفسيولوجية فإن النوم يعدّ موتاً مؤقتاً يجدّد النشاط ويثري الحياة. وما من شكّ في أن إفراط الأطفال حديثي الولادة في النوم يؤكد أنه يلعب دوراً هاماً في نمو الجسم والدماغ وتطوّر الوعي والإدراك.

على أن المعلومات التي تمكّن العلماء من جمعها حول النوم خلال العقود الستة الماضية تفوق تلك التي تمّ جمعها حوله خلال الآف السنين الماضية. ومع ذلك، فإن النوم ما زال يُعدّ الظاهرة الفسيولوجية الأكثر تعقيداً التي تتحدّى في غموضها كبار علماء النفس ووظائف الأعضاء بأجهزتهم وتقنياتهم العالية. وخلال هذه الفترة القصيرة المذكورة، اكتشف الباحثون أن النوم سلوك نشيط وليس مجرّد زوال لحالة الاستيقاظ. إنه نشاط من نوع خاص يمارسه الدماغ وهو محكوم ومنظم بآليات دقيقة ومتقنة.

وليس النوم مجرّد حالة إسترخاء وراحة، بل هو جملة وظائف إيجابية لها مميزاتها الخاصة. وليس هناك شك في أن دراسة النوم والأحلام قد غيّرت في هذه الآونة نظرة الجنس البشري إلى طبيعته وألقت الضوء على الطرق التي تحكم سلوكه الشخصي اليومي وإدراكه ومشاعره وأفكاره بالإضافة إلى توضيح العمل الآلي لمائة مليار من الخلايا العصبية التي توجد في رأس كل منا. وهذه الخلايا تفرز العصارات وتصدر الإشارات الكهربائية المشفّرة وتختزن المعلومات والبيانات من خلال تنسيق مستمر على مدار الساعة.

والنوم ظاهرة لا تحدث إلا في الحيوانات ذات الأدمغة عالية التطورّ. وخلال النوم يبقى الدماغ نشيطاً ولكنه لا يعالج المعلومات الواصلة إليه من الأحاسيس على النحو الفعّال. ولهذا يمكن القول إن الحيوانات ذات الدماغ الأقل تطوراً لا تتوقف عن التفاعل والاتصال مع العالم الخارجي، فهذه الحيوانات ترتاح ولكنها لا تنام نوما حقيقيًا.

النوم والدماغ

كان الرئيس الأمريكي ابراهام لينكولن (١٨٠٩م - ١٨٦٥م) أول من وضع تعريفاً واضحاً للعلاقة بين النوم والدماغ حين قال: (النوم فعل يحدث في الدماغ وبسبب الدماغ ومن أجل الدماغ). ومما يسوّغ القول بأن النوم يحدث في الدماغ أن الدماغ نفسه يُعَدّ مركز التغيرات الحيوية الأساسية التي تتحقق خلال النوم. والأعراض السلوكية للنوم، كوضعية الاضطجاع وغلق العينين وغياب الاستجابة للمؤثرات الخارجية، تكون مصحوبة بتغيّرات طفيفة في النشاط الكهربائي للدماغ بما تتولّد عنها حالة النوم. وبقياس النشاط الكهربائي للدماغ يتم تمييز النوم عن باقي حالات الغياب عن الوعي كتلك الناتجة عن ضربة مطرقة خشبية على الرأس يبدو معها وكأن الشخص المصاب دخل طور النوم، إلا أن النشاط الكهربائي لدماغه ينخفض بشكل كبير، وللحد الذي لا يلاحظ أبداً في حالة النوم العادي. وعلى أن النشاط الكهربائي للدماغ الذي يستمر خلال النوم يختلف عنه في حالة اليقظة، ولهذا يقال: إن النوم يحدث في الدماغ.

ولقد أصبح من المعروف علميًا أن الدّماغ يكيّف نفسه بالطريقة التي ينتج بها حالة النوم بما يؤكد أن النوم يسبّبه الدماغ. والميقاتات



ينام الأطفال الرُّضع أكثر من آبائهم. ولوحظ أن أغلب فترات نومهم من نوع النوم ذي حركة العينين السريعة (REM) مما يحمل على الاعتقاد بأن هذا النوع من النوم له علاقة بنمو الدماغ.







أثناء النوم يتغير النشاط الكهربائي للدماغ (١) نتيجة الاستجابة للإشارات الواردة من شبكة خلايا عصبية دماغية (٢) وتتمثل النتيجة بتجدد نشاط الإنسان (٣).

(الساعات) التي تُحْضِرُ النومَ وتُذْهِبُهُ تتألف من شبكات من الخلايا الدماغية التي لا يقتصر عملها على حساب الزمن أثناء النوم واليقظة بل إنها تتولى أيضا برمجة التعاقب المعقد للأحداث الحاصلة في الدماغ أثناء النوم. وتستمر كل هذه الأحداث نحو ساعة كاملة يكون الدماغ خلالها أكثر نشاطاً من المعتاد للدرجة التي تؤدي بالنائم إلى الأحلام. وهكذا يمكن القول أن الأحلام هي نتيجة مباشرة للنشاط الزائد للدماغ أثناء النوم. وعلى أن هذه الأحداث تتحقق وفق تعاقب زمني دوري أثناء النوم يتراوح بين ٩٠ و ١٠٠ دقيقة.

وهناك الكثير من الدلائل التي تؤكد مقولة **لينكولن** من أن الدماغ هو المستفيد الأول من النوم. حيث تنخفض القدرات الذهنية للإنسان عندما يخلد إلى النوم، ولعل في ذلك راحة للدماغ دون أن يفقد نشاطه. **وبيّنت التجارب على أن الإنسان الذي يمتنع عن النوم لمدة تفوق خمسة أيام فإن دماغه يفقد محتواه دفعة واحدة (يصاب بفقد الذاكرة)، ويصبح مجنوناً، كما تظهر عليه أعراض غريبة كأن يسمع أصواتاً لا مصدر لها. ويقتضي الأمر هنا الإشارة إلى أن معظم الأعراض الناتجة عن نقص النوم سرعان ما تزول عندما يسارع الإنسان إلى تعويض ما فاته من فتراته.** وحتى الآن، يمكن القول إن العلم لم يتوصل لاكتشاف الآلية الدقيقة التي تجعل من النوم الكافي شرطاً أساسيًّا لقيام الدماغ بوظائفه على النحو الصحيح.

نظرة تاريخية

على الرغم من أن **الإغريق والرومان** كانوا قد

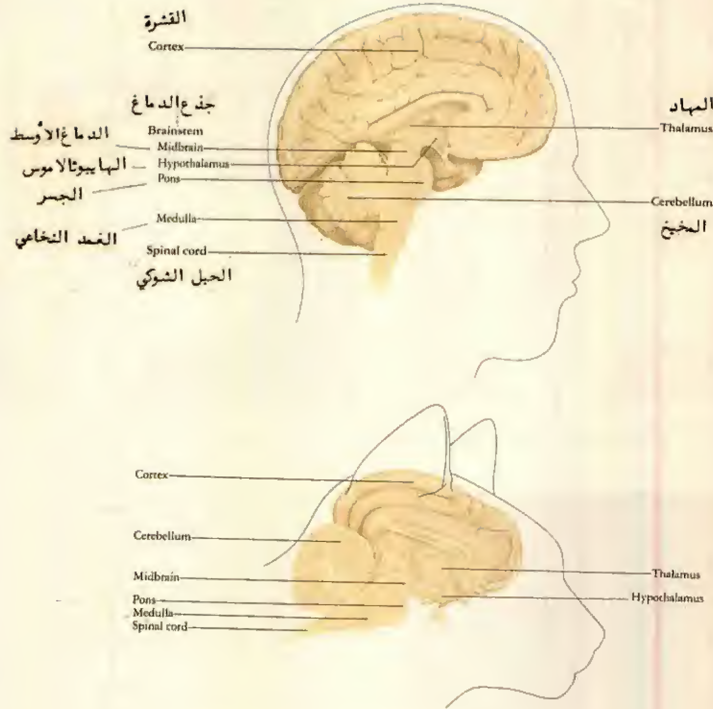


قسطنطين فون ايكونومو

عرفوا بأن النوم والأحلام يأتيان كنتيجة لنشاط الدماغ إلا أنهم لم يتمكنوا من إثبات ذلك، ولم يتمكن العلماء من قياس النشاط الكهربائي للدماغ أثناء النوم إلا خلال الربع الثاني من القرن العشرين.

وفي غياب الأجهزة المناسبة لدراسة النوم، لم يكن للبيولوجيين من وسيلة لدراسة النوم إلا من خلال مراقبة النائم. **ولم تكن أولى هذه المحاولات فعّالة لعدّة أسباب من أهمها أن البشر ينامون في أوقات متشابهة نسبيًّا بحيث يصعب على المراقب أن يؤدي عمله لمدة طويلة في الوقت الذي يكون هو بذاته بحاجة إلى النوم.** ولقد أدى ذلك إلى نزوع بعض العلماء إلى مراقبة نوم الحيوانات التي تنام عندما تكون أدمغتنا مستيقظة، إلا أن المعلومات التي تمّ جمعها بهذه الطريقة ضئيلة جدًّا لسبب بسيط يكمن في أن نوم الحيوانات يجعلها هادئة للدرجة التي لا تبقى على أية ظواهر تسمح بالملاحظة والاستنتاج. ويضاف إلى ذلك الاستيقاظ المتكرّر للحيوانات النائمة بما يطمس الظواهر والأعراض الخارجية المرافقة لنومها.

واستمر الباحثون الأوائل في محاولاتهم لتفسير ظاهرة النوم، وكان منهم من ظنّ أن اليقظة وحدها توافق حالة نشاط الدماغ، وهذه الفرضية سرعان ما تم دحضها فيما بعد. وفي عام ١٨٠٩ نشر عالم وظائف الأعضاء الإيطالي **لويجي رولاندو Luigi Rolando** بحثاً حول تأثيرات انتزاع الأجزاء الأمامية من أدمغة الطيور، كالبط والنسور، فأشار إلى أنها سرعان ما تدخل في حالة السبات، واستنتج من ذلك أن الدماغ هو مركز اليقظة. وفي مطلع القرن التاسع عشر، تمكن عالم وظائف الأعضاء التشيكوسلوفاكي **جان إيفانجيليستا بوركينجي Jan-Evangelista Purkenje** من تطوير الفرضيات التي تنص على أن بعض أجزاء الدماغ العليا لا يمكنها أن تنشط إلا بتأثير مراكز الدماغ السفلى. وبذلك حاول **بوركينجي** أن يثبت أن الدماغ الأسفل هو الذي ينشط الدماغ الأعلى لتحقيق حالة الاستيقاظ. وكان **بوركينجي** ميّالا للاعتقاد بأن اليقظة وحدها - وليس النوم - هي التي توافق حالة نشاط الدماغ بكل آلياته ووظائفه.



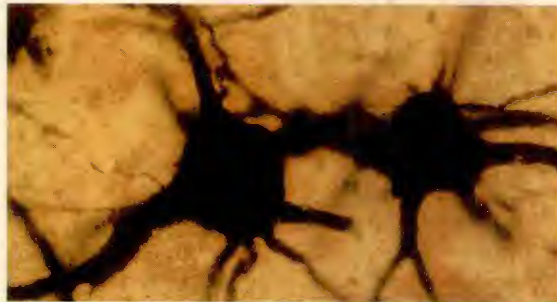
يوضح المخططان أوجه التشابه والاختلاف بين دماغ الإنسان والقط

وشهد القرن التاسع عشر أيضاً ابتكار تقنيات آلية متنوعة مكنت من تطوير البحوث المتعلقة بالنوم من أهمها التصوير الفوتوغرافي الذي مكّن الباحثين من الحصول على بيانات مسجلة ومستمرة حول النوم. ولم يمض وقت طويل حتى ابتدع المخترع الإنجليزي **إدوارد مايبريدج Edward Muybridge** طريقة التسجيل السينمائي بالصور المتتابعة لحركات الحيوانات النائمة. ولقد أثبتت الصور المسجلة أن النوم حالة من حالات النشاط المنظم والموقوت للدماغ.

وبدءً من نهاية القرن التاسع عشر انصرف رهط من الفسيولوجيين إلى محاولة التثبت من الفرضية التي أشار إليها **بوركينجي** من أن نشاط الدماغ الأسفل هو الذي يحقق حالة الاستيقاظ. وفي عام ١٩١٨م قام العلماء بدراسات بيولوجية موسعة على الدماغ عقب انتشار وباء الأنفلونزا في **أمريكا** اختبروا من خلالها فرضية جديدة تقضي بأن كلاً من النوم واليقظة يمكن أن يكونا محكومين بتركيب دماغي يدعى جذع الدماغ brainstem.

وجذع الدماغ هو الامتداد الأعلى للحبل الشوكي Spinal Cord، وهو يعد همزة الوصل بين الدماغ الأعلى والحبل الشوكي الذي تتفرع منه الأعصاب الحاملة للنبضات الكهربائية إلى ومن الجلد والعضلات. **ويتولى جذع الدماغ تنظيم الوظائف المعقدة كدرجة حرارة الجسم ونوع الجنس وخصائصه والشعور بالجوع والعطش والشهيّة كما يتكفل بتنظيم حركات الوجه والعينين والتحكم بوضعية الجسم وتوتر العضلات ويحدّد درجة الاستيقاظ وينظم الوظائف القلبية والرئوية.**

وكان عالم الأعصاب النمساوي **قسطنطين فون إيكونومو Constantin Von Economo** أول من أثبت خلال العشرية الثانية من القرن العشرين بأن



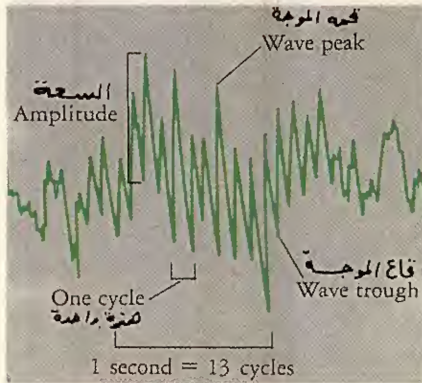


يمثل الشكل الأيمن جذع دماغ فأر. وفي الصورة الأخرى يبدو القطاع البرتقالي المطابق لمركز الجذع مكبرا وتظهر فيه خليتان عصبيتان من النوع الذي ينشط أثناء الحلم.

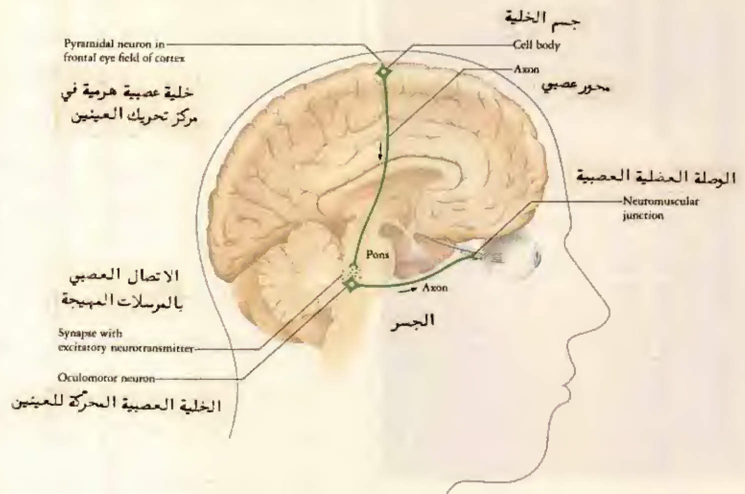
جذع الدماغ يتضمن نظاما لتنظيم حالة الاستيقاظ وآخر لتنظيم حالة النوم. وفيما بعد أشار **إيكونومو** إلى أن هذين النظامين (أو المركزين) يعملان بتأثير المواد الكيميائية.

وسرعان ما تمّ قبول الفكرة التي تفيد بأن المواد الكيميائية تلعب دوراً هاماً في تحديد درجة الاستيقاظ أو النوم. وفي الحقيقة، فإن فكرة **(مادة النوم) التي تدور مع الدم أو السائل الشوكي بدأت بالانتشار منذ مطلع القرن التاسع عشر. فالعضلات المجهدة وتحلّل مصادر الطاقة تنتج موادّا كيميائية معيّنة تدور مع سوائل الجسم إلى أن تطرح عن طريق الكليتين أو تذهب إلى الكبد ليعالجها ويحولها إلى مركبات أخرى. وكان من الطبيعي أن يفترض العلماء بأن جزيئات هذه المواد تتجمع خلال النهار وتقوم بالتأثير المتزايد على الدماغ حتى تتحقق حالة النوم.**

ومن أجل اختبار هذه الفكرة، قام العالم الفسيولوجي الفرنسي **هنري بيرون Hanry Peirin** بنقل السائل الشوكي لكلاب نائمة إلى كلاب مستيقظة فلاحظ أنها أصبحت على حالة كبيرة الشبه بحالة النوم. وعلى الرغم من هذه النتيجة وانقضاء وقت طويل على إثباتها فإن العلم ما زال عاجزا عن التعرّف على التركيب الحقيقي للمادة الكيميائية التي تسبب النوم والتي أصبحت تدعى



مخطط كهربائي رأسي يظهر الموجات الدماغية لشخص نائم. أهم عناصره: التواتر (عدد الاهتزازات في الثانية) والسعة (مقدار الانفراج الشاقولي). والسعة تتناسب طرديا مع فرق الكمون الدماغي.



عندما نعمد إلى تحريك عينينا أو إغماضهما ترسل الخلايا العصبية الموجودة في مركز تحريك العين في القشرة الدماغية نشاطا كهربائيا كمونيا عبر محورها العصبي إلى الجسر الموجود في جذع الدماغ، ومن هناك تنتشر المرسلات العصبية المهيجة التي تنبه الخلايا العصبية المحركة للعينين فيرحّل أمر الحركة لعضلات العين.





في مختبر دراسة النوم يوصل قطبان إلى الرأس بحيث يمكن تسجيل النشاط الكهربائي للدماغ والعضلات والعينين على شكل مخطط يدعى المخطط الكهربائي الرأسي

(عامل النوم) Sleep Factor.

وعلى أن التطوّرات المحسوسة المسجلة حتى الآن في بحوث النوم، والتي تمثل اهتمامنا الأساسي في هذا المقال، سمحت بكشف النقاب عن العديد من الحقائق التي تعد ألغازاً ولكنها بقيت قاصرة عن تفسير العديد من التساؤلات المتعلقة بالموضوع. وقبل التطرّق لأحدث التقنيات المستخدمة حاليًا في بحوث النوم والنتائج التي تمخضت عنها، نرى من الجدير الإشارة إلى أن المختصين المهتمين بهذه البحوث لا يتوقعون حدوث قفزة نوعية كبيرة في هذا الصدد إلاّ بعد تحقيق نوع من التنسيق والتوازن بين دراسات الدماغ (علم الأعصاب Neurology) والعقل (علم النفس Psychology) والسلوك (الإثولوجيا ethology).

تسجيل إشارات الدماغ

بين عامي ١٩٢٨م و ١٩٥٣م سجلت بحوث النوم خطوة واسعة نحو كشف أهم ألغازه وخفاياه حين لجأ العلماء إلى دراسة الدماغ باعتباره مستعمرة من الخلايا العصبية وبات بإمكانهم قياس الخصائص الكهربائية والكيميائية لنشاط كل منها على حدة ولنشاطها المتكامل دفعة واحدة. والتصوّر الحديث للدماغ المبني على اعتباره مستعمرة من الخلايا العصبية يستند من حيث الأصل إلى العمل الذي أنجزه عالم التشريح العصبي (سانتياغو رامون ساجال) عام ١٨٩٠م وأثبت من خلاله أن الخلية العصبية هي الوحدة التركيبية والوظيفية للدماغ.

يتضمن الدماغ مليارات الخلايا العصبية التي تصل كل منها بالخلايا الأخرى بواسطة الإشارات الكهربائية والكيميائية، وكل خلية عصبية دماغية تحتفظ بشحنة كهربائية عبر الغشاء المحيط بها، ولهذا يمكن اعتبار كل واحدة من هذه الخلايا مصدراً للطاقة الكهربائية. وعندما تتهيّج الخلية بشكل كاف بواسطة رسالة كيميائية آتية من الخلايا المجاورة لها فإن الدقائق المشحونة بالكهرباء والتي تدعى الشوارد أو (الأيونات) تتدفق فجأة عبر

الغشاء نصف النفوذ للخلية مما يؤدي إلى تغير محسوس في كمونها الكهربائي فيقال بأن الخلية (تُشحن) أو (تُفرّغ). ويطلق على تغير الكمون الكهربائي (كمون النشاط) **action potential** الذي ينتشر من جسم الخلية العصبية إلى المحور العصبي axon وهو ليفة تشبه السلك تنتهي بنقطة اتصال مع خلية أخرى. وعند نقطة الاتصال، أو السيّالة Synapse، تسبب الشحنة الكهربائية إفراز مواد كيميائية تدعى المرسلات العصبية neurotransmitters التي تزيد أو تنقص من احتمال جعل الخلايا المجاورة قادرة على توليد كمونات نشاط أعلى بحسب ما إذا كانت هذه المرسلات من النوع المُهيّج أو المثّبط. وعلى أن توليد كمون النشاط يستمر ليلاً ونهاراً بحيث تقوم بعض الخلايا العصبية بتوليده نحو ١٠٠ مرة في الثانية. والاتصال القائم بين الخلايا على هذا الشكل يحقق سلسلة اتصال تدعى الدارة Circuit. ويبين أحد الأشكال المدرجة في هذا المقال واحدة من هذه الدارات التي تتحكم بحركة العينين.

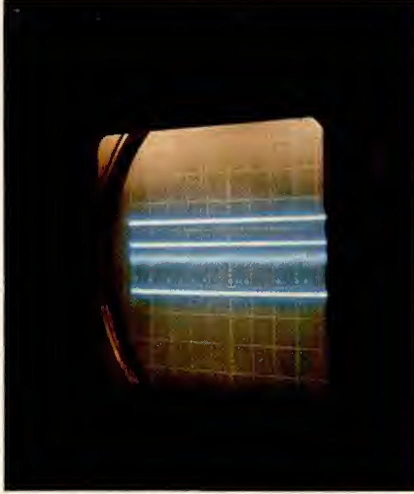
والتطورات التقنيّة في علم الالكترونيات سرعان ما مكنت العلماء من قياس النشاط الكهربائي للدماغ ومؤلفاته من الخلايا العصبية. ففي عام ١٩٢٨م تمكن العالم النفسي الألماني **هانز بيرجر H. Berger** من تسجيل النشاط الكهربائي المستمر من فروة رأس إنسان. وتمكن بيرجر من إقامة الدليل على أن النبضات التي سجّلها وأطلق عليها اسم **(المخطط الكهربائي الرأسي) electroency phalogram** والتي أصبحت معروفة اختصارا بالأحرف اللاتينية (EEG) ذات مصدر دماغي.

عندما يتم زرع قطبين كهربائيين في فروة الرأس ويتم توصيلهما إلى مسجل مضخم amplifier recorder **(جهاز التخطيط الكهربائي الرأسي)** فإن فرق الكمون بين القطبين يمكن تسجيله باستمرار. ويتشكل المخطط الكهربائي الرأسي بتحريك ورقة بسرعة ثابتة تحت قلم يمسها وبحيث تتحدد وضعيته الأفقية بقيمة فرق الكمون الدماغي. وللمخطط الكهربائي الرأسي قيمتان مميزتان هما: التواتر Frequency أو عدد النبضات أو الاهتزازات في الثانية الواحدة ويعبّر عن سرعة الاهتزاز، والسعة amplitude أو مسافة انفراج المخطط في كل لحظة وهي تتناسب هنا مع فرق الكمون بين القطبين. وتغير هاتين القيمتين ينطوي على معلومات دقيقة من شأنها توضيح مغزى تغير النشاط الكهربائي لمئات الخلايا العصبية الدماغية.

وأول ما استشفّه بيرجر من هذه التقنية هو أنه عندما يكون الإنسان الموضوع قيد التجربة مستيقظاً مفتوح العينين فإن مخططه الكهربائي الرأسي يتميّز بالسرعة الكبيرة **(التواتر العالي)** والسعة المنخفضة **(الكمون المنخفض)**، ووجد أن مثل هذا المخطط يوافق دائما حالة اليقظة. ولعل التواتر العالي للمخطط يعكس المستوى العالي للنشاط العصبي، ومن ثمّ فهو يعبر عن الدرجة العالية لتفريغ شحنات العديد من الخلايا. ويعود سبب تغيّر الكمون المنخفض إلى أن التفريغ لا يتم وفق إيقاع زمني محدد ومضبوط. وهذا النسق للموجات غير المتواقتة يؤكد أن كمونات النشاط الكهربائي للدماغ هي المسؤولة عن توليد الإشارات التي يتضمنها المخطط وفي كافة الفترات الزمنية.

وعندما أغمض البشر الذين أجرى عليهم بيرجر تجربته أعينهم، أظهرت المخططات الكهربائية لرؤوسهم اتجاهاً واضحاً نحو التواقت syncronization، أي نحو مخططات أبطأ أو أقل تواتراً، وسعة أعلى توافق تغيرات أكبر في الكمون. وعلى أن هذه التغيرات في المخطط أثبتت أن من أهم فوائد المخطط الكهربائي الرأسي باعتباره معياراً لحالة الدماغ هو أنه يكشف مدى حساسية الدماغ للتغيرات الأساسية في نشاطه.

وسرعان ما تم تطوير آلة بيرجر إثر اختراع المنواس oscilloscope الذي يتألف من راسم اهتزاز مهبطي تسقط فيه حزمة الكترونات على



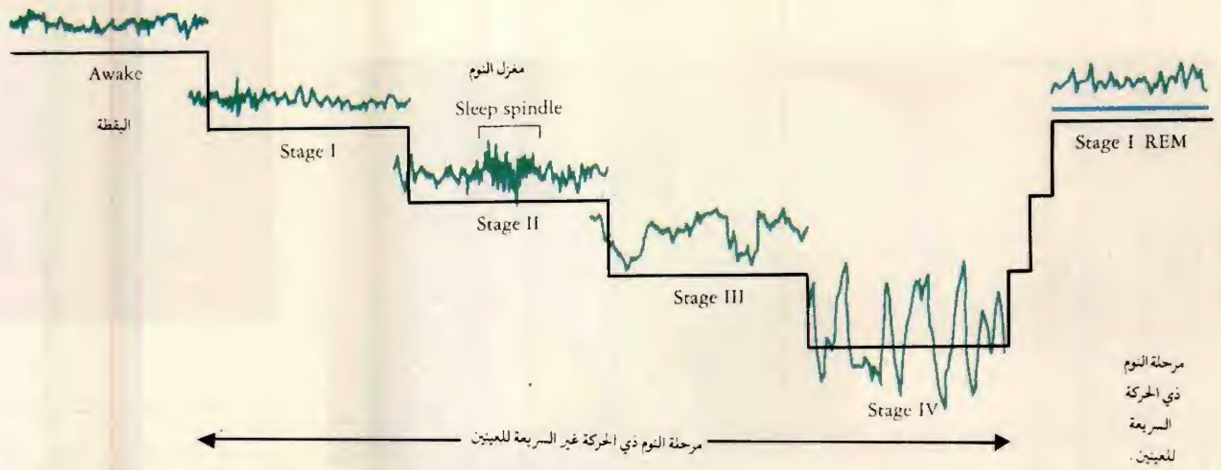
شاشة المنواس (راسم الاهتزاز المهبطي) الذي يرسم المخطط الكهربائي الرأسي EEG الآتي من الدماغ ويسجله.

شاشة (فلورسنت) لتخطّ عليها بإضاءتها ذبذبات تتوافق مع تغيّرات الكمون الكهربائي. وتميزت هذه الآلة الجديدة بدقة تسجيلها للإشارات وباستجابتها السريعة والحادة للتغيرات الطفيفة في الكمون. ويعود اختراع هذه الآلة **لادغار أدريان E. Adrian وبرايان ماثيوس B. Matthews** وذلك عام ١٩٣٣م.

ولم يقتصر استخدام المنواس على مجرّد التحقق من صحة اكتشافات بيرجر بل تعدى ذلك إلى الانطلاق في خطوط متنوعة في البحث بما فيها دراسة النوم عند الحيوانات. وكانت أهم الاكتشافات التي تحققت باستخدام تقنيات المخطط الكهربائي الرأسي بواسطة المنواس الحديث هي دورة النوم عند الإنسان والتي قادت بدورها إلى تفهّم مفّصل لكافة الأطوار والمراحل التي يمر بها النائم.

دورة النوم وأطواره

لقد أثبتت تقنية المخطط الكهربائي الرأسي أن **انتقال الإنسان التدريجي من حالة اليقظة إلى حالة الاسترخاء ثم النعاس ثم النوم الخفيف ثم النوم العميق يكون موافقاً لميل مخططه الكهربائي الرأسي نحو التناقص التدريجي في التواتر والتزايد في السعة. ويمكن أن نلخص ونوضح كافة هذه النتائج بالإشارة إلى أن فترة نوم الليل بالنسبة للإنسان العادي والتي تتراوح بين سبع وثمان**



المخطط الكهربائي الرأسي لأطوار النوم المختلفة: عند بداية النوم يتغير المخطط تدريجيا من حالة الكمون المنخفض والتواتر السريع إلى حالة الكمون العالي والتواتر البطيّ والأطوار الأربعة للنوم ذي حركة العينين غير السريعة **non - REM** تظهر في الشكل على هيئة أربع فترات متتابعة تحدث خلال الخمسين إلى السبعين دقيقة الأولى. وبعد ذلك تتحقق مرحلة النوم ذي الحركة السريعة للعينين **REM** التي يحدث خلالها الحلم.

ساعات تقسم إلى نحو أربع وخمس فترات زمنية متساوية ومتشابهة الأطوار يدعى كل منها (دور النوم) ويستمر لفترة تتراوح بين ٩٠ و١٠٠ دقيقة. ويقسم كل دور إلى مرحلتين متميّزتين:

١ - مرحلة النوم ذي الحركة غير السريعة للعينين non-Rapid Eye Movement :

تعرف هذه المرحلة في بحوث النوم بالعبارة المختصرة(non-REM) وتستمر لفترة زمنية تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ دقيقة من بداية كل دور من أدوار النوم. وتتألف هذه المرحلة من أربعة أطوار متعاقبة تتزايد خلالها موجات المخطط الكهربائي الرأسي في الطول تدريجياً حتى يصل النائم إلى أعمق درجات النوم في الطور الرابع. وأهم ما يميز المخطط في هذه المرحلة هو مغزل النوم Sleep Spindle الذي يتحقق في الطور الثاني حيث تتزايد سعة الموجات تدريجياً حتى تبلغ قيمتها العظمى ثم تأخذ في التناقص تدريجياً بعد ذلك. ولم يعرف لهذه الظاهرة سبباً حتى الآن بالرغم من أنها أثبتت أن الدماغ يمر أثناء النوم بفترات يفوق خلالها في نشاطه ذلك المسجّل أثناء اليقظة.



فهد نائم

٢ - مرحلة النوم ذي الحركة السريعة للعينين : REM-Sleep

تستمر هذه المرحلة نحو ٢٠ دقيقة بدءً من نهاية الطور الرابع للمرحلة الأولى، وتعد من أكثر فترات النوم تميّزاً لأنها الفترة التي تحدث خلالها الأحلام. ويُظْهِرُ الجهاز العصبي المركزي للنائم خلال هذه الفترة من النشاط حدّا جعل الدكتور **فريدريك شنايدر F. Snyder من المعهد الوطني للصحة العقلية في أمريكا (NIMH)** يصفها بأنها (الحالة الثالثة للتواجد الأرضي)..؟. وأثناء هذه المرحلة يتغير إيقاع القلب فتزداد سرعة النبض أو تنقص ويتغيّر ضغط الدم تغيراً محسوساً، وتزداد سرعة الأيض، وتعمل الكليتان بمعدل أقل ولكنهما تنتجان بولاً عالي التركيز، ويزداد تدفق الدم إلى الدماغ بمعدل ٤٠٪، ويولد الدماغ أثناءها أحلاما حيّة مصحوبة بالحركة والأوامر بالجري أو القفز أو الضرب إلا أن معظم هذه الأوامر يتم إلغاؤها قبل أن تتولى العضلات ترجمتها إلى حركات

حقيقيـة . وقـد تصل بعـض هـذه الأوامـر إلى العضلات عند بعض مـرضى النوم فتحثّ النـائم على مغادرة سرير ليمشي أو يعدو أو يلاكم الحائط أو النائمين قـريباً منه . وعقب هذه المرحلـة ينتقل النائم من جـديد إلى مـرحلة النوم ذي الحركة غير السريعـة للعينين وفق دورة دائمـة التكـرّر خـلال النوم .

ساعات بيولوجية تنظم نومنا ويقظتنا

أصبح معظـم علماء النـوم مقتنعين بأن **النوم واليقظة هما ظـاهرتـان تنظمها ساعـات بيولـوجية توجد في رؤوسنا** . ويرى العديد من الخبراء بأن النوم يمكن أن يكون السبب الأساسي والوحيد للكوارث النـووية التي حـدثت في (تشيرنـوبيل) **في الاتحاد السوفييتي** (سابقا) و **(ثري مايلز آيلاند) في الولايات المتحدة** بـالإضـافـة لحوادث العمل الخطيرة كما في حادثـة تسرّب الغاز القاتل من مصنع (بـوبال) في الهنـد . ودليلهم على ذلك أن كل هـذه الحوادث حدثت خلال الساعات الأولى من الصباح عندما كانت ساعات تنظيم النوم تعمل عملها في رؤوس الخبراء المشرفين على مراقبـة عمل أجهـزة المحطات خلال الليل .

ويقول بعض البيولوجيين **بوجود عدة ساعات في دمـاغ كل منـا ، تتولّى تنظيم إيقـاعـات الجسم بأجمعهـا كإفـراز الهورمونـات ، وتغيير حجم الـدم الـذي يضخّـه القلب ، والتحكم في مواعيـد النـوم واليقظة** . وساعة النوم هي التي تعلم الدماغ بموعد حلولـه وتقوم بتنظيم مـراحله وأطـواره زمنيًّا ، وهي التي تحدد المدة التي ينامها كل منا . وبالرغم من أن العلم ما زال عاجزا عن إثبات وجود هذه الساعات أو مكان وجودها إلا أن الإثبات النظـري لوجودها يعـد الآن واحداً من أهم الاكتشـافات في بحـوث



طفل معـرّض لمراقبـة الكترونيـة للعـديـد من وظـائفـه الحيـويـة كسرعـة النبض والتنفس أثنـاء نـومـه في محاولـة للتعـرّف على أسبـاب ظـاهـرة الموت المفـاجئ لـلأطفـال أثنـاء النـوم


فأران في سِنَةٍ من النوم


أسد ولبؤة مستغرقان في نوم عميق

النـوم . ولعل في وجودهـا تـوضيحـاً للصعوبـات الكبيرة التي يصـادفهـا أولئك الـذين يعملـون ويكدحـون في الليل عاصين بذلك أوامر سـاعات النـوم الموجـودة في رؤوسهم . ولقـد بيّن الـدكتـور **تشارلز شـايزلر C. Czeisler** من مـدرسة **هارفارد للطب في أمـريكا** بأن الجزء الأخير من الليل هـو الوقت الأصعب لمقاومة الرغبة في النوم .

ولقد أثبت الفلكي الفرنسي **جان جاك دورتوس J.J. d'ortous أن للنباتات أيضا ساعات بيولوجية تنظم إيقـاعات نشـاطـاتها البيولـوجية المختلفـة** . وأجرى **دورتوس** تجربة على شجرة السنط (الميموزا) Mimosa **حيث حجب عنهـا الضـوء لعـدة أيـام فلاحظ أن الشجرة أبقت على عادتها المتمثلة بتنقيح أوراقها عند الصباح وغلقها عنـد المساء بالرغم من عزلها عن الإحساس بالتغيرات الضوئية** .

وعلى أن العلماء الـذين راحـوا يبحثـون عن التنظيم الزمني للنشاطات البيولوجية في العديد من أنواع الأحياء سرعان ما اكتشفـوا وجود ساعات في كل الأحيـاء التي درسـوهـا كالفطـور والطحـالب والأشجـار العمـلاقـة والحشرات . ولـدى إجـراء دراسات مماثلة في الفئـران تمكّن العلماء من تحديد مـوضع ساعـة الجسم ، حيث تبيّنوا أنها عبـارة عن نواتين صغيرتين من الخلايـا الدماغية الجاثمـة فوق نقطة اتصال العصبين البصريين . وبعد ذلك وجد بـاحثـون من جـامعـة هارفـارد تجمعـا ممـاثـلا من العصبونـات في الخلايا الـدماغيـة للإنسـان إلا أن الآلية الحقيقية لطريقة عمل هذه الساعات مازالت مجهولة ، ويتوقع الكثير من الخبراء إماطة اللثام عن ألغازها من خلال أبحاثهم المتواصلة .

المرجع : ملخص عن كتاب بعنوان :

1 - (SLEEP) by J. ALLAN HOBSON.

W.H. Freeman and Company, New York, 1989.

الساعة

شعر: ماجد الراوي



غَيْداءُ دَقّتْ بوَقعٍ هادئٍ حسنٍ — يكادُ يغلبُني من صَوتِها وسَني

رَبطتُها بيَدي اليُسْرى وقُلتُ لها: — عُدّي دقائِقَ عُمْري يابْنَةَ الزّمنِ

أنا وأنتِ لنا قلبانِ قَدْ نبضا — لِكنّ قلبكِ لا يَخْشى مِن المحنِ

ولا يئنُّ كقلبي حين يُتعِبهُ — كدُّ الحياةِ وطُولُ الهمِّ والحزنِ

يازينةَ المعصمِ الزّاهي بطلعتِها — كالطّوقِ في الجيدِ أو كالقرطِ في الأُذنِ

ومن تُصاحِبُ كُلّ النّاسِ قاطبةً — في الكُوخ والقصرِ والأريافِ والمُدنِ

فلا الفقيرُ تناءى عنكِ من عوزٍ — ولا الغنيُّ بذي الأيّام عنكِ غني

عقارب لعبتْ دوماً فما تعبتْ — ولمْ تقف لضنى جسمٍ ولا وهنِ

فذا يمرُّ كلمحِ البرق خطوتُه — وذاك يزحفُ كالمربوطِ في قرنِ

تُعيدُ دورتَها مِنْ حيثُ ما انطلقتْ — تحكي مسيرة (ماجلان) في السُّفُنِ

يامنْ تصُونُ المواعِيد التي وعدت — لم تسهُ عَنها ولم تغدُر ولم تخُنِ

أنت الوفيّة من تحلُو شمائِلُها — ولا تبيعُ وفاء العهدِ بالثمنِ


يبتلع الخفاش ثمرة الفاكهة دفعة واحدة


شكل الفك والأذنين أعطى للخفاش اسم الثعلب الطائر


أثناء امتصاص الرحيق بعسل الزهرة جيدًا



حقائق وغرائب: خفافيش الثعالب الطائرة.. تجدد الغابات

خفافيش الثعالب الطائرة. . أطلق عليها هذا الاسم بسبب شكل الفك والأذنين التي تجعلها قريبة الشبه من الثعالب. . شديدة الشراهة للفاكهة تضع الواحدة كاملة في فمها وتمضغها وتبتلعها ببذورها. . يأكل الخفاش في الليلة الواحدة ما يماثل وزنه مرتين ونصف ويُهضم في ربع ساعة فقط. . تناقصت أعدادها بسبب الإقبال الشديد على لحومها في بعض البلدان.

ألف نوع

● الخفافيش عامة هي الثدييات الوحيدة في الأرض التي تطير، تنتشر في كل مكان من العالم تقريباً ما عدا الصحاري البعيدة والمناطق القطبية وتقل أعدادها في الجزر المنعزلة، وحتى الآن تم التعرف على حوالي ١٠٠٠ نوع للخفافيش تمثل تقريباً ربع كل أنواع الثدييات

وفي الغابات التي لم تُدمر أشجارها يفوق عدد الخفافيش عدد الثدييات من أي نوع آخر، وقد أدى الخوف من انتشار مرض السعار – ينتقل عن طريق العض – والأساطير المخيفة المرتبطة بها في القصص الشعبي إلى القضاء على أعداد كبيرة منها.

أما خفافيش الثعالب الطائرة – وهي محل موضوعنا الحالي – يطلق عليها أحياناً اسم «ذوي هُداب الكتف» وهي من أكلة الخضرة والنباتات، يرحلون مسافات طويلة للعثور عليها.

وتلعب خفافيش الثعالب الطائرة دوراً هاماً في تجدد وإنتاج النباتات، فهم يلتهمون عدداً لا حصر له من أنواع الفاكهة والنباتات أثناء الطيران من زهرة إلى أخرى لامتصاص الرحيق، ومن ناحية أخرى يساعدون على نشر البذور في كافة الاتجاهات بسبب عاداتهم الغذائية التي تقوم على هضم عصائر الفاكهة والتخلص من بذورها في الغائط أثناء الطيران.

ومن هذه الفاكهة الموز، التين، المانجو، البلح.

احتيال الذكور

● تبلغ المسافة بين جناحي خفاش الثعلب الطائر نحو ٥٠ سنتيمتراً، ويخصص الذكر الساعات الأولى من الليل للدفاع عن منطقة النفوذ وعندما يقترب ذكر دخيل ويبدأ في إطلاق صيحات مرتفعة يرد الخفاش صاحب الحق في المنطقة بترديد نداءات أكثر سرعة، هذا وتقتصر الساعات الأخيرة من الليل على التزاوج.

تعيش الخفافيش أحيانا بشكل فردي أو في مجموعات صغيرة داخل الأشجار، وتعيش غالباً داخل جدران مداخل الكهوف المهجورة، وتشتمل المستوطنة على ١٥٠ فرداً أو أكثر يشغلون أماكن في فجوات



هكذا تتناثر الخفافيش في إحدى الشجيرات ـ كينيا.



الأم تعلم صغيرها طعم الفاكهة المقبولة

منتظمـة، تفصل عـادة بضعـة سنتيمترات قليلـة بين الخفـاش والآخر.

ويبـدو أن الذكـور يحتالـون على بعضهم لشغل الأمـاكن القريبـة من الإناث وعنـدما يظهـر نوع مـن عدم الاتفاق يلجـأ الخفاش إلى المصـارعة لكـي يكيـل اللكمات واللطمات غير المؤذيـة للخصم في اختبـارات لبيـان القوة. وتلد الأنثى صغيراً واحداً مرة أو مرتين في العـام وفي بعض المناطق يـرتبط هـذا الأمـر بـالمطر إذا كـان شحيحاً أو غـزيراً، وفي أثنـاء النهار تحمل الأنثى صغيرها أسفل جناحيها بطريقة غير مرئية، كذلك تحمله عند خـروجها للبحث عن الطعـام وقت الغسق، والغريـب أن الصغير الذي يبلغ وزنـه ٢/٣ وزن الأم يكـون قـادرًا بـالفعل على الطيران بمفرده، وأكثـر من هـذا عنـد الاقتراب من الطعـام يطير بمفرده بجانب أمه وينافسها في التهام الطعام، ونفس الصغير يلجأ للـرضـاعـة من الأم عنـد العـودة إلى الكهف.

شراهة للطعام

● تعتمـد هـذه الخفـافيش في غـذائهـا على عـدد كبير مـن أنـواع الفاكهة ولديها حس شـديد للرائحة حتى أنها تشم رائحـة الطعـام على مسـافـة ميل أو أكثـر، ويبـدو أن الخفافيـش الصغيرة تحتاج إلى الكثير لكي تتعـرف على أنـواع الروائح لـذا تحضر الأمهـات الطعام في أفـواههـا لتعلمهم روائح الأطعمـة المقبـولـة. وقـد لاحظ د. دون تـومـاس أستـاذ مادة البيولوجيا في جامعة كويبك أن الخفـاش الواحـد يأكل في الليلة مـا يماثل وزنه مرتين ونصف ويهضم كل هـذا خلال ١٥ دقيقـة فقط، وأثنـاء طيرانـه ينشر نحـو ٩٥٪ من بـذور الفاكهة التي أكلها عن طريق الجو، وعلى هـذا يستقبل كل متر مـربع من الأرض مقطوعة الأشجار مائة وأحياناً مئات من البذور كل عام.

وبهذا تـوصل دون تـومـاس إلى حقيقـة أن هـذه البـذور تعمل على إعادة الإخضرار بشكل مكثف، وفي غابـات غرب أفريقيـا يعتبر الخفاش هـو الكائن الـوحيـد المعروف الـذي يبذر بذور شجرة Iroko التي يساوي خشبها ملايين الدولارات سنوياً.

لحم شهي

● يعتبر لحم خفـاش الثعلب الطائر في مناطق عـديدة من اللحوم الطيبـة التي يقبل عليهـا السكـان، ويمكن لطلقة بندقية واحدة أن تقتل عـدداً يتراوح بين ٢٠ و ٦٠ خفـاشـاً معلقـاً ويمـوت عـدد أكبر بسبب الجروح.

وفي ساحل العاج وبسبب نقص المصادر الأخـرى للبروتين يعد سـوق صيـد الخفـاش على جـانب كبير من الأهميـة، يـزداد رواجـاً وإقبـالاً كل عـام، كذلك في آسيـا وبعض جـزر المحيطين الهادي والهنـــدي يعتبر خفاش الثعلب الطـائر مادة غـذائية هامة تلقى إقبالاً شديداً، وفي جزيرة جوام يـدفع الفرد ١٠ أو ١٥ دولاراً وربما أكثر مقابل لحم الخفاش، ويتم تصـديـر عشرات الألـوف من الخفافيش المذبوحة عبر طريق الجو. وبهذه الطريق أوشك خفـاش ساموا الضخم الـذي تبلغ المسـافـة بين جنـاحيه نحـو متراً على الانقـراض، أيضـاً انخفضت أعـداده في كل من أستراليـا وجنوب شرق آسيـا والمحيط الهادي الشمالي بنسبة ٩٠٪.

عن مجلة Lookout

آفاق علمية



إعداد: مصطفى الجابري

تلفزيون يكشف جوانب الصورة !!

أنتجت إحدى الشركات تلفازا بتقنية جديدة أطلق عليه اسم «كتاب» حيث إن شكله الخارجي يشبه الكتاب. ويعد هذا الاختراع أول تلفاز من نوعه فهو يختلف عن جميع الأجهزة التقليدية بأنه يتيح إمكانية إمالتِه من الأعلى إلى الأسفل ومن اليسار إلى اليمين وذلك حسب منظور الصور المعروضة على شاشته التي طولها ٣٧سم. بحيث ينسجم المشاهد مع جوانب الصور المعروضة التي تناسبه.

جهاز كومبيوتر بدون أزرار أو مفاتيح..!!

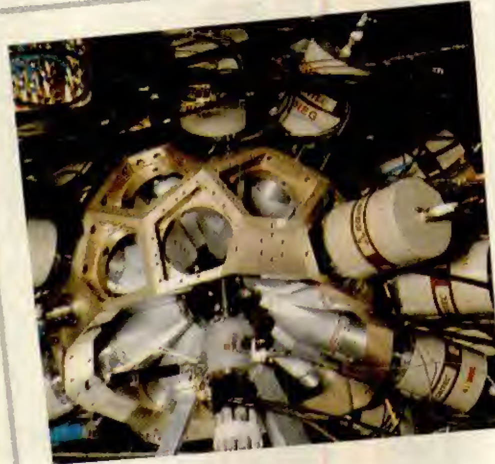
أول جهاز كومبيوتر صغير الحجم وبدون مفاتيح أو أزرار قد طورته إحدى الشركات اليابانية وقد ضرب الرقم القياسي في صغر حجمه إذ يبلغ وزنه ٦٠٠ جم فقط ويمكن وضعه في الجيب. وقد جهز بآلات إلكترونية تتيح إدخال المعلومات إلى شاشته مباشرة ويمكن لهذا الكمبيوتر أن يتعرف على صحة الوثائق والمخطوطات بشرط أن تكون الأحرف منفصلة حيث يستنسخها فوراً على شاشته. وتدعم شركات كبرى هذا النوع من أجهزة الكومبيوتر وتتوقع أن تتضاعف مبيعاتها إلى مئة ضعف خلال خمس سنوات يباع فيها أكثر من مليون جهاز.



أكبر مرايا العالم

سوف يتم صقل أكبر المرايا في العالم في إحدى المدن الفرنسية الصغيرة التي تم تدشين مشغل فيها في شهر نيسان (أبريل) الماضي من أجل صقل المرايا الأربع التي يبلغ قطر كل منها ٨,٢٠م وسماكتها ١٧سم لتركيبها في المرصد (التلسكوب) - الذي صممه علماء أوربيون - في تشيلي. هذا المشغل يمكن رؤيته من مسافات بعيدة بفضل البرج الذي يبلغ ارتفاعه ٣٥متراً والذي يطل على هذا المشغَل.

هذا الارتفاع يعد ضرورياً من أجل رؤية المرايا من أعلى بغية التأكد من مطابقتها للمواصفات المرسومة بعد أن تتم مراقبة سطوح المرايا من على بعد يبلغ (٩ - ١٠) أمتار. إن هذا المشغل الذي يتألف من: - أجهزة صقل المرايا يوجهها الربوت Robot، و١٥٠ رافعة هوائية، ووسائل قياس، وأجهزة عزل ضد التغيرات الحرارية والهزات الأرضية والمناخية سوف تجعل من هذه المرايا الأربع والمرصد الذي ستضاف إليه سبقا عالميا في مجال تكنولوجيا الفضاء.



البحث في قلب ذرة !!

ماذا يمكن أن يجري في قلب ذرة حين بحثها الطويل والملتوي عن الاستقرار. إن الجهاز "Earogam" الذي تم ابتكاره وتصميمه مؤخراً هو جهاز يكشف أشعة جاما وهو الأكثر حساسية في العالم ويمكن أن يجيب على هذا السؤال فقد صُمم وتم صنعه خلال عامين في إطار اتفاقية وقعت في شهر شباط (فبراير) ١٩٩٠ بين «مجلس العلوم والبحوث الهندسية» و«المعهد الوطني للفيزياء النووية» وتم تدشينه بتاريخ ١٤ نيسان في مخبر Daresbury في المملكة المتحدة. إن الطيفية (علم يبحث في طيف النور) في أشعة جاما تنتج بملاحظة ديناميكية نواة الذرة وهي نواة غير مستقرة ناتجة عن انصهار ذرتين في التفاعل، هذه النواة تميل إلى الاستقرار بسبب ضياع الطاقة المتعاقب وذلك راجع إلى إشعاعات «جاما» المتميزة وبفضل الجهاز المبتَكر المذكور سوف يتمكن الباحثون من كشف هذه الإشعاعات وبذلك يحددون المراحل المختلفة التي تمر من خلالها النواة.

وقد بلغت تكاليف الجهاز ٥٥ مليارًا فرنسيا وقد تم التمويل من الجهتين المذكورتين.

الزلازل

إعداد المهندس : أيوب عيسى أبوديّة

تَقعُ أكثرُ مناطق العالم تعرُّضاً لضربات الزلازل على طول حزامين مترابطين معاً يقسمان القشرة الأرضية إلى إثني عشر جزءاً . ويتألف كلُّ جزء من هذه الأجزاء، التي تستقر فوق طبقة متصلة وليّنة نسبيًا في باطن الأرض، من مساحات مختلفة من سطح القشرة الأرضية الصلبة تتراوح سماكتها من عدة كيلو مترات إلى حوالى ٢٥٠ كيلو مترًا.

ويشطر الحزام الأول المحيطين الأطلسي والهندي إلى نصفين تقريباً ، ثم يستمر في المحيط الهادىء حتى يصل إلى خليج كاليفورنيا في أمريكا الشمالية .

ويُطوِّق الحزام الثاني المحيط الهادىء ، ماراً بجزر الهند الشرقية والفلبين واليابان وشواطىء الامريكتين الشمالية والجنوبية . وتمتد له فروع حول أندونيسيا ، وتمر في كل من جبال هيميلايا الآسيوية ، وشرقي البحر الابيض المتوسط ، وجبال الالب في أوروبا .

ويتسم هذا الشريط الزلزالي ، الذي ينجم عنه أسوأ الزلازل في العالم وأشدها دماراً ، بخنادقه العميقة في أرضية المحيط وصدوعه الجيولوجية دائمة التغير- الصدع الجيولوجي هو عبارة عن شق في قشرة الأرض الصلبة - كتلك التي تمر في الأراضي التركية ؛ إذ تعتبر اكثر من ٩٠٪ من الأراضي التركية مناطق زلزالية نشطة .

وتتقارب أجزاء القشرة الأرضية من بعضها أو تتباعد بصورة مستمرة . وينجم عن تباعد أجزاء القشرة الأرضية ، الواقعة على امتداد الخط الزلزالي الذي يمر في أعماق المحيطات ، اندفاع **الحمم البركانية Lava** من جوف الأرض وتفجر ينابيع المياه الحارة والغازات وما إلى ذلك .

ومن الجدير بالذكر أن **المنطقة العربية** تتباعد بصورة متواصلة عن نظيرتها **الإفريقية** . ومن المتوقع أن يزداد تباعدها حتى يصبح **البحر الأحمر** محيطاً .

ويؤدي تقارب أجزاء القشرة الأرضية إلى اصطدامها معاً ، ومن ثم إلى تكوُّن ضغوط عالية وحرارة مرتفعة ، الأمر الذي يؤدي إلى تكوُّن البراكين

الزلازل

وسلاسل **الجبال المثنية Folded** ، كجبال الأنديز في أمريكا الجنوبية ، **وجبال الهيمليايا Himelayas** : إذ تكوّنت الجبال الأخيرة بفعل اصطدام الكتلة الهندية بالكتلة الآسيوية

كما يؤدي احتكاك أجزاء القشرة الأرضية ببعضها وتحركها في اتجاهات مختلفة إلى تكوّن إجهادات عالية في الصخور على طول الصدع الذي يفصلهما . وهذه الاجهادات في الصخور هي مصدر الطاقة الكامنة التي تطلقها الهزات عندما تصل الإجهادات إلى ذروتها ، أي عندما تبلغ الحد الذي لا تقوى عنده الصخور على مقاومتها . وبالإضافة إلى النشاط الأخير في أجزاء القشرة الأرضية والذي يسبب أغلب الزلازل وأشدها دماراً ، فإن هناك عوامل أخرى تؤدي إلى حدوث الزلازل ، كحركة المواد المنصهرة في باطن الأرض ، وانفجارات البراكين ، وغيرها من العوامل التي سنأتي على ذكرها لاحقاً .

ويسمى مركز الهزة ، أي **مركز حدوث الانزلاق** ، **البؤرة Focus** ، **أو المركز السفلي للزلزال Hypocenter** . أما النقطة التي تقع على سطح الأرض فوق البؤرة عمودياً ، فتسمى **المركز العلوي للزلزال Epicenter** .

كيف تتولّد الهزة الأرضية ؟

يؤدي الاحتكاك بين صحيفتين متحركتين من **القشرة الأرضية الصلبة Plates** إلى تكون إجهادات مرتفعة في الصخور الممتدة على طول خط الصدع الذي يفصلهما . وتتراكم **الانفعالات Strains** في الصخور المذكورة مع مرور الزمن ، وذلك نتيجة المحاولات المستمرة لصحيفتي القشرة الأرضية على الحركة ، بفعل الحرارة والضغط الشديدين . وعندما تصل الانفعالات في الصخور إلى حدٍّ لا تقوى عنده الصخور على مقاومتها ، تنزلق أجزاء القشرة الأرضية عن بعضها على خط الصدع الذي يفصلهما . فتحرر بذلك الطاقة المختزنة في الصخور على هيئة هزة أرضية مركزها نقطة تشقق الصخور وانهيارها .

وفيما يبلغ معدل بُعد مركز الهزة عن سطح الأرض حوالي ٣٠ كيلو متراً ، فإن أكبر عمق معروف لمركز الهزات عن سطح قشرة الأرض يبلغ (٧٥٠) كيلو متراً ، وتبلغ المسافة التي يحدث عليها الانزلاق ، على طول خط الصدع ، مئات الكيلو مترات .

والحق أن نظرية انزلاق أجزاء القشرة الأرضية ، التي تعلل حدوث الزلازل ، لا تستطيع أن تفسر سبب حدوث الهزة العنيفة التي ضربت وادي المسيسيبي عام ١٨١٢م . فعلى الرغم من أن مركز الهزة كان قريباً من مدينة **«مدريد» الجديدة بولاية ميسوري Southeastern Missouri** التي تُبعد مسافة كبيرة عن الصدوع التي تفصل صفائح القشرة الأرضية ، إلا أن قوّة هذه الهزة بلغت ثمان درجات على **مقياس ريختر** . كذلك بلغت شدتها ، عند مركزها العلوي على سطح الأرض ، أقصى درجة ممكنة من الدمار (الدرجة ١٢ على مقياس ميركالي XII) .

أسباب أخرى لتكون الزلازل

ثمة أسباب أخرى لحدوث بعض الزلازل ، كالنشاطات البركانية ، وانفجارات المواد المصهورة وتحركها في داخل الأرض ، ونشاطات الإنسان نفسه ؛ إذ ينجم عن الانفجارات النووية تحت الأرض اهتزازات مماثلة لاهتزازات الزلازل الطبيعية .

كذلك تساهم عملية تعبئة السدود الضخمة بالماء في خلق حالة عدم اتزان في صفائح القشرة الأرضية ، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث هزات قوية أحياناً . فقد تم رصد العديد من الزلازل في مناطق في **اليونان وزامبيا والهند** ، وذلك إثر تعبئة سدود كبيرة بالماء أو إثر تغيّرات مفاجئة في منسوب الماء فيها .

كذلك يخِلُّ تغيُّر منسوب المياه في الآبار العميقة ، بفعل عمليات الضخ المستمرة ، بالاتزان الطبيعي لطبقات الأرض العميقة . الأمر الذي يؤدي إلى نشاطات زلزالية ملحوظة .

أنواع الاهتزازات وخواصها

عند لحظة الانزلاق يطلق مركز الهزة **موجات Waves** أو اهتزازات في جميع الاتجاهات . **وتقع هذه الاهتزازات في ثلاثة أنواع** :

(١) الاهتزازات الطولية Longitudinal Vibrations : وهي أسرع الاهتزازات في الوصول إلى سطح الأرض . وتنتقل في أوساط القشرة الأرضية ، الصلبة والسائلة والغازية ، بفعل هزِّها لجزيئات المواد في اتجاه مماثل لاتجاه حركتها . **ومن هنا جاءت تسميتها بالاهتزازات الطولية** . وهي في واقع الحال بمثابة **موجات صوتية Sound Waves** .

(٢) الاهتزازات العمودية (العرضية) Transverse : وهي أبطأ من الأولى في السرعة . وتنتقل في أوساط القشرة الأرضية الصلبة بفعل هزها لجزيئات المواد في اتجاه يتعامد مع اتجاه حركتها . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الموجات لا تنتقل في الأوساط السائلة والغازية .

(٣) الاهتزازات السطحية Surjace : وهي تشابه **الاهتزازات العمودية (العرضية)** ، لكنها تتميز عنها بفترة اهتزاز أطول .. وبطبيعة الحال ، فإن الاهتزازات السطحية تكون أشد ضرراً على المنشآت من الاهتزازات الأخرى .

هذا ، ويؤدي الاختلاف في سرعتي الموجات الطويلة والأخرى العمودية إلى تباين في زمني تسجيلها على **جهاز السيزموغراف في محطات الرصد الزلزالي** .

وتساهم معرفة الفارق الزمني بين وصولهما في تحديد المسافة بين محطة الرصد ومركز الزلزال ، حيث إن مركز انطلاقهما هو بؤرة الزلزال ذاتها .

ويتم تحديد مركز الهزة برسم عدة دوائر على خارطة العالم ، مركز كل منها محطة من محطات الرصد الزلزالي المتعددة في العالم ، ونصف قطر كل منها - المسافة - بين مركز الزلزال ومحطة الرصد الزلزالي . وتكون بؤرة الهزة هي نقطة التقاء أوتار الدوائر جميعها .

الحركة الناجمة عن الهزة

تتحرك القشرة الأرضية على جانبي الصدع الجيولوجي ، بعد الهزة مباشرة ، وذلك نتيجة الانزلاق الذي يحدث على طول خط الصدع .

وقد لوحظ ، اثر الزلزال الرهيب الذي ضرب **مدينة سان فرانسيسكو** عام ١٩٠٦م ، أن نقطة تقع على سطح الأرض شمالي المدينة المنكوبة تحركت عدة أمتار (٢١ قدماً) نسبة إلى نقطة ثابتة على خط الصدع .

أما الانزلاق الذي نجم عنه الزلزال الأخير فقد حدث على مسافة طولها (٢٠٠) ميل من خط **صدع القديس اندرياس St.Andreas** ، والذي يبلغ طوله الكلي حوالي ٦٠٠ ميل للصدع المذكور من الجو عند منتصف المسافة بين مدينتي **(سان فرانسيسكو ولوس انجيلوس)**.

ويجب ألا يخلط القارىء هنا بين الانزلاق الذي يحدث على خط الصدع ، ويبلغ في بعض الأحيان عدة أمتار ، **والازاحة Displacement** الناجمة عن الاهتزاز المصاحب للهزة الأرضية ، والتي لا تزيد على بضعة سنتمترات .

وتتبع الهزة الأولى ، في العادة ، هزات أضعف منها . وهي تنجم عن حدوث انزلاقات جديدة على خط الصدع ذاته ، أو عن **ردود الفعل للزلزال الأول Re-bound** . ففي هزة اليمن (صنعاء) عام ١٩٨٢م ، تم رصد ٨٠٠ هزة صغيرة لم تتجاوز شدة أعنفها ٣ على **مقياس ريختر** ، وذلك خلال مدة خمسة أيام بعد الهزة الأولى المدمرة .

وأخيراً ، تجدر الإشارة إلى انه كلما طالت الفترة الزمنية بين حدوث زلزال وآخر ، في المنطقة ذاتها وعلى خط الصدع ذاته ، زادت كمية الطاقة المختزنة في الصخور الدنيا ، ومن ثم كان الزلزال اللاحق اشد عنفاً من سابقه .

مقياس ميركالي

مقياس ميركالي هو مقياس لحجم الضرر الناجم عن







الهزات الأرضية . وهو يختلف في ذلك عن **مقياس ريختر** الذي يُعنى بشدة هذه الهزات . وينقسم مقياس ميركالي إلى ١٢ درجة يُرمز إليها بالحروف الرومانية القديمة . وتناظرها أحجام الأضرار الآتية

(١) I- هزة أرضية لا يشعر فيها الناس .

(٢) II- هزة أرضية يشعر فيها سكان الطوابق العليا في الأبنية وهم في حالة سكون .

(٣) III- هزة أرضية يشعر فيها السكان في داخل الأبنية . وتؤدي إلى تحرك بسيط في الأجسام المعلقة ، كالمصابيح .

(٤) IV تُحرِّك هزة بهذه الشدة الأجسام المعلقة بصورة جلية . وهي تماثل في شدتها الاهتزازات التي تنجم عن مرور شاحنة ثقيلة في جوار المباني . ويُسمع في أثناء فِعْلها صوت اهتزاز النوافذ ، والأبواب ، والصحون ، وما إلى ذلك . كذلك تؤدي إلى اهتزاز المركبات المتوقفة .

(٥) V تُوقظ هذه الهزة السكان من نومهم ، وتغلق الأبواب المفتوحة ، وتحرك الصور على الجدران . ويشعر فيها الواقفون على أرض مكشوفة .

(٦) VI تبثُّ هذه الهزة الرعب في القلوب ، فيهرع على إثرها سكان الأبنية إلى الخلاء ، وتؤدي إلى كسر زجاج النوافذ وأدوات المطبخ الهشة ، وسقوط الصور عن الجدران ، وتحرك الأثاث ، واهتزاز الأشجار وتُشقق أبنية **الصنف الرابع**[١]

(٧) VII يصبح الوقوف صعباً في هزة بهذه الشدة . ويشعر فيها سائقو المركبات المتحركة . وتؤدي إلى تكسُّر أثاث المنازل ، وتشقق أبنية **الصنف الرابع**[٢] (وربما تدمرها) ، وتدمر المداخن وتصوينات السطوح والبروزات المعمارية الضعيفة ، وتشقق أبنية **الصنف الثالث**[٣] ، وقنوات الري الاسمنتية .

(٨) VIII تؤدي شدة هذه الهزة إلى صعوبة ضبط استقامة المركبات في أثناء سيرها ، وانهيار أبنية **الصنف الثالث**[٤] ، وتشقق أبنية **الصنف الثاني**[٥] ، وتساقط المداخن القوية والأبراج العالية وخزانات الماء العلوية ، وتحرك الأبنية الخفيفة ، كالأبنية الجاهزة وحظائر الهياكل المعدنية التي لم تثبت مسبقاً في قواعدها .

(٩) IX تؤدي شدة هذه الهزة إلى انتشار رعب عام في قلوب الناس ؛ إذ يصل الدمار إلى أبنية **الصنف الثاني**[٦] ، وتتأثر **السدود المائية Dams** ، وتمديدات المواسير الأرضية على أنواعها.[٧]

(١٠) X تدمر هزة بهذه الشدة كافة انواع الأبنية والسدود ، وتؤدي إلى انزلاقات كبيرة في التربة ، وثني طفيف في قضبان السكك الحديدية .

(١١) XI تنحني قضبان السكك الحديدية وتتدمر كافة تمديدات المواسير الأرضية ، بالإضافة إلى ما سلف ذكره من دمار .

(١٢) XII تدمر هزة بهذه الشدة كل ما يتصل في سطح الأرض ، وتحرك الصخور الضخمة من أماكنها ، وتلقي بالأجسام الخفيفة في الهواء ، وتحرف خط نظر الإنسان .

مقياس ريختر

مقياس ريختر هو المقياس الذي وضعه **الدكتور تشارلز ريختر** لسعة اهتزاز **القشرة الارضية Amplitude of Ground Vibrations** والتي يسجلها **جهاز السيزموغراف Seismograph** . وهو يتدرج من صفر إلى ٩ على أساس لوغارتمي . ويعني ذلك أن هزة مقدارها ٦ درجات على مقياس ريختر تُحرِّر من الطاقة عشرة امثال ما تحرّره هزة شدتها خمس درجات . كذلك ، تحرر هزة شدتها سبع درجات من الطاقة مئة مرة قدر ما تحرره هزة بشدة خمس درجات . **والحقُّ أنه لا توجد علاقة مباشرة بين كمية الطاقة المتحرِّرة عن الهزة والرقم الريختري . فكل ما يشير إليه ارتفاع الأرقام الريخترية هو زيادة كمية الطاقة الناجمة عن الهزة ، لا أكثر** .

ومما يجدر ذكره هنا أنه يمكن وجود هزات بشدة سالبة على **مقياس ريختر اللوغارتمي** ، حيث تحدث في الطبيعة هزات خفيفة جداً أدنى من مستوى شدة الهزات الذي اعتبره ريختر بداية تدرُّج مقياسه . ويعود سبب انتهاء درجات المقياس عند (٩) إلى أن قدرة الصخور على اختزان الطاقة تتوقف عند هذا الحد : إذ لم يسبق أن حدثت هزة بشدة أكبر من ٨,٩ درجة ، بيد أن بعض العلماء يميلون إلى اعتماد فكرة النهاية المفتوحة لعنف الزلازل !

وكما ألمحنا سابقاً ، **فإن درجة الزلزال على مقياس ريختر لا تمثّل حجم الضرر الناجم عنه ، كما تمثّله الدرجات الاثنتا عشرة لمقياس ميركالي . ففي هزة سان فرناندو** ، على سبيل المثال ، وبرغم أن شدة الهزة كانت ٦,٦ على مقياس ريختر ، إلا أن الضرر الذي نجم عنها لم يقل عن الضرر الذي نجم عن هزات أخرى بدرجة ٨ على المقياس ذاته . ويعود السبب في ذلك إلى الارتفاع الاستثنائي لتسارع القشرة

الزلازل

الأرضية : الأمر الذي أدى إلى زيادة فترة الهزة ، ومن ثمَّ إلى زيادة حجم الضرر ودرجة شموله .

هذا ، وقد بلغ تسارع القشرة الأرضية في أثناء **هزة سان فرناندو** ، الذي تم قياسه **بجهاز رسم منحنى التسارع Accelerogram** ، في منطقة تبُعد ثلاثة أميال فقط عن المركز العلوي للهزة Epicenter ، ١,٢٥جـ (جـ = **الجاذبية الأرضية** = ٩,٨١م/الثانية٢) . وفيما بلغ ٠,٢٧ جـ في الدور الأرضي لبناء يبُعد ١٤ ميلاً عن المركز العلوي للهزة ، فإنه بلغ ٠,٤٠ جـ على سطح البناء ذاته في الدور السابع . بذلك ، فقد دلت هذه القياسات على أن تسارع القشرة الأرضية يزداد كلما اقتربنا من المركز العلوي للهزة .

وكمثال آخر نذكر الهزة ، التي ضربت **مدينة اغادير في المغرب العربي** في شباط عام (١٩٦٠م) بقوة مقدارها (٥,٨ ريختر) ، والتي أدت إلى تدمير المدينة وقتل ١٢,٠٠٠ من سكانها (ما يعادل ثلث عدد السكان) ؛ إذ تكوَّنت بؤرة الهزة ، التي وصلت شدة دمارها إلى الدرجة XI على **مقياس ميركالي** ، تحت المدينة المنكوبة مباشرة .

كذلك نذكر الهزة التي **ضربت اليمن** عام ١٩٨٢م بقوة ٥,٨ على **مقياس ريختر** ، والتي أحدثت دماراً واسعاً (IX **ميركالي**) ؛ إذ تكوَّنت الهزة على عمق عشرة كيلو مترات تقريباً تحت المناطق المنكوبة مباشرة .

التربية الزلزالية

لما لم يكن لدى الناس متسع من الوقت لإبداء ردود الفعل السليمة بالسرعة المطلوبة عند لحظة وقوع الزلزلة الأولى ، جاءت أهمية تدريب الناس على التصرف السليم الذي قد يساهم في إنقاذ حياة الكثيرين ، في الحالات التي يتبع الزلزال الأول زلازل أخرى .

ومع أن أغلب الهزّات ، التي تتبع الهزة الأولى ، تكون أخف منها شدة ، إلا أنها قد تؤدي إلى إحداث أضرار مماثلة لأضرار الهزة الأولى ، لأن بعض الأبنية تكون قد تشققت وتداعت بفعل تأثير الهزة الأولى ، فتأتي الهزات اللاحقة لتكمل ما بدأه الزلزال الأول .

ومن هنا تتضح ضرورة إخلاء المباني بالسرعة الممكنة ، عند الشعور بهزة قوية ، سواء أحدثت أضراراً في المباني أولم تحدث . فقد تتبع الهزة الأولى هزات أخرى وتؤدي إلى إنهيار المباني أو أجزاء منها .

وتُعد أكثر المناطق أماناً خارج المباني هي الساحات المكشوفة البعيدة عن مرمى شظايا الزجاج المتطاير ، ومواد تلبيس الأبنية ، والأبراج ، وأعمدة الكهرباء ، وما إليها .



أما فيما يختص بسائقي المركبات المتحركة ، فإنهم يشعرون بالهزة عند الدرجة السابعة على **مقياس ميركالي** . وعندما يشعرون بهزة شديدة في أثناء سيرهم ، يجب عليهم متابعة السير حتى يصلوا إلى أرض صلبة منبسطة . ويحذر من التوقف على القناطر Bridges فقد تكون عرضة للإنهيار . كما يحذر من التوقف في جوار منحدر أو سفح جبل ، فقد تتعرض التربة إلى انزلاقات وانهيارات تؤدي إلى انزلاق الشارع أو ردمه .

وتؤدي الزلازل العنيفة إلى **انهيار السدود المائية Dams** ، حيث تتشكل عند ذاك موجات مائية ضخمة تجرف ما في طريقها من منشآت . وتكون المناطق المنخفضة ، نسبة إلى منسوب السد ، أكثر تضرراً من غيرها من المناطق .

وتؤدي الزلازل العنيفة كذلك إلى جفاف مياه الآبار أو ردمها ، كما حدث في **زلزال اليمن** عام ١٩٨٢م . وتمتد أضرار الزلازل العنيفة لتصيب المشروعات الزراعية وقنوات الري ومياه الشرب وما إلى ذلك .

ولا تتوقف أهداف التربية الزلزالية على تخفيض حجم الضرر الناجم عن الزلازل العنيفة ، بل إنها تساهم أيضاً في إنقاذ الأشخاص المحجوزين تحت الأنقاض ؛ إذ تعتمد نجاتهم من الموت على دقائق معدودة ومهارات خاصة . ومن هنا تظهر أهمية إنشاء فرق إنقاذ مدربة للبحث عن المفقودين المدفونين تحت الأنقاض . فقد أدّت **بعثة الإنقاذ السويسرية** المتخصصة والمزودة بأحدث المعدات **والكلاب المدربة** ، بعد أيام من وقوع **كارثة الأصنام** عام ١٩٨٠م ، إلى إنقاذ حياة ٢٢ شخصاً .

التنبـؤ بالــزلازل

يُعد الزلزال الذي ضرب إحدى **مقاطعات الصين** عام ١٥٥٦م من أسوأ الزلازل العالمية وأشدّها دماراً ، حيث أدى إلى مقتل (٨٣٠) ألف نسمة .

وفي السبعينيات من هذا القرن ، طالبت السلطات الصينية السكان بمراقبة التغيّرات في الظواهر الطبيعية من حولهم ، كمنسوب مياه الآبار وتصرف الحيوانات وتحركات القشرة الأرضية ، وذلك للتنبؤ بحدث الزلازل .

وقد لفتت تغيّرات في هذه الظواهر الطبيعية انتباه السكان ، فسارعوا إلى إخبار المسؤولين بهذا الأمر الخطير . وما أن مضت بضع ساعات حتى كانت أجهزة الإعلام المختلفة قد نبَّهت سكان بعض المناطق إلى إمكانية حدوث زلزال عنيف في غضون ساعات وإلى ضرورة إخلاء الأبنية والابتعاد عنها .

وفعلاً ، ضرب زلزال بشدة ٧,٣٠ على **مقياس ريختر مدينة هايشنغ Haicheng** في شباط عام ١٩٧٥م ، إلا أنه لم يسفر عن حدوث أضرار بالغة ، ولم يقض سوى على المسنين الذين لم يتركوا منازلهم ، وعلى أولئك الذين لم يتركوا منازلهم تحدّياً «لأكذوبة التنبؤ الزلزالي» .

بيد أنه لم يتم رصد مماثل للتغيّرات في الظواهر الطبيعية قبل لحظة حدوث الزلزال الذي ضرب **مدينة تانغ شان Tang Shan** في العام الذي تلاه . لذلك لم يتنبأ بحدوثه أحد ، الأمر الذي أدى إلى مقتل أكثر من نصف مليون شخص عند وقوع الزلزال .

وتجرى حالياً أبحاث كثيرة حول التنبؤ بالزلازل . فمن العلماء من يدرس **الموجات الزلزالية الدقيقة** التي تطلقها بؤر الهزات في وقت يسبق حدوث الهزة . ومنهم من يلاحق فترة السكون الزلزالي (الهدوء الذي يسبق العاصفة) . وذهب بعضهم الآخر إلى دراسة الحيوانات المعروفة بحساسيتها المفرطة للذبذبات والهزات ، كالسلاحف وتلك المعروفة بحساسيتها للتغيّرات الجوية ، كطير الخطّاف .

وإني لأعتقد جازماً بأن العلم لن يعجز في النهاية عن اكتشاف وسائل تمكّنه من التنبؤ بالزلازل قبل وقوعها ، وتحديد موقعها وشدتها بدقة كافية . ومهما يكن من أمر فقد ينقذ التنبؤ بالزلازل حياة الملايين من الناس ، بيد أنه لن يساهم في إنقاذ المشروعات ، التي تمدُّ الناس بمصادر الدخل ، من الدمار ، ما لم يتم تصميمها وإنشاؤها وفقاً لأسس علمية سليمة .

المراجـــــع

١) عيوب الأبنية - ١٩٨٦م - المهندس ايوب ابو ديّه - ص . ب : ٨٢٠٣٠٥ عمان - الاردن .

2) Earthquake Resistant Building Design and Construction N. Green- VNR Company 1978.

3) Earthquake Relief in less Industrialized Areas S. Schuppiser and J. Studer - Balkema 1984.

4) Encyclopaedia Britannica International ltd. London 1975.

5) Building Failures
W. Ransom - Spon 1981.

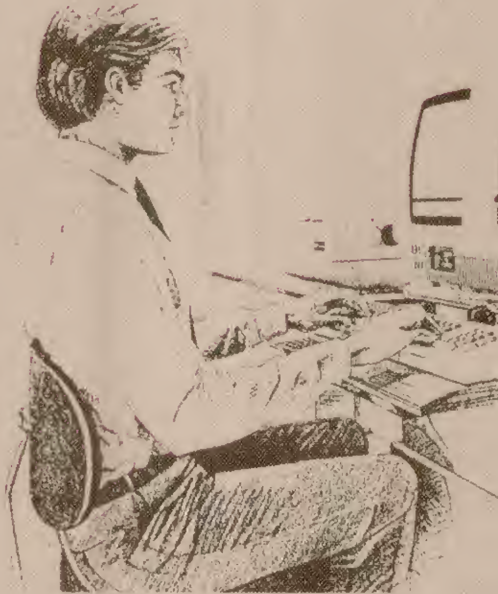
6) Construction Today
I.C.E - Thomas Telford - several Editions

7) Proceedings of the Institution of civil Engineers London - several editions

الحاسوب وأحلام الدوائر

شعر: أحمد فضل شبلول

ها هو الحاسوبُ يهمي
بمرايا المعرفة
وغدًا نسهو عن البحر ونجري
فوق أشواكِ النجوم الزائفة
تصعدُ الشمسُ من البرج الأخير
تغربُ اليومَ على سطح الدهور
وتعادي الحدقاتِ المرهفة
وتدورْ . . .
حول أكوانِ الصخور
وتهادي الدفءَ للمدفوءِ شمسا
وغدًا . . .
نتبارى كالحيارى
حول إشعاع العبير
وبقايا ما تبقى من هجير
ونهاجرْ
لتلالٍ من أوامر
تمرحُ الآنَ على صَدْرِ الدفاتر
وغدًا . . .
نتحاورْ
حول جدوى الحبِّ والإحساسِ فينا
حول معنى اللانهاية
وأغاني الصبحِ والأحلامِ والذكرى الجميلة
إنها الأيامُ تستفْتي قلوبَ الأجهزة
إنه الحاسوبُ يستدعي سلوكَ الذاكرة
ويخوضُ البحرَ نارًا
ويداوي العشق بترا
إنه الحاسوبُ كالعنقاء تختالُ انْصهارا
إنه . . .
لعبةُ العقلِ المبين



أبدًا لا يستكين
وينادي شوق ظمآن إلى جسر لدائن
هكذا تسري جراحاتُ المدائن
في خلايا الياسمين
هكذا تحكي الرطوبة
عن شتاءِ الضائعين
هكذا تدخلُ «طوبة»
في دموعِ الراحلين
إننا الآن نُحاورْ
هذه الأضلاع فينا
ونبيحُ البيع فيها
تحت أنَّات المجاهر
إننا الآن نُغادرْ
لقناةٍ من دوائرْ
وشُعاعٍ من زئير
وغدًا
نتباكى . . نتآمر
حول خيطٍ من حريرْ
شدّه الأصبعُ من خصرِ الجذور
ورماهُ . .
في ليالي الزمهرير
فارتعشنا
تحت مصباح الأسارى
وانتفضنا كالعذارى
فلماذا . . .
يرحلُ الحاسوبُ في عمقِ البصائر
ويصادرُ . .
كلَّ أحلامِ الدوائر؟!

○ ○ ○

نظرية الأصل والفرع في النحو العربي

بقلم: عبد الرحمان بودرع

إن الحديث عن نظرية الأصل والفرع في النحو العربي[١] هو حديث عنها في العلوم اللغوية والشرعية المجاورة له لأن ظروف النشأة متجاورة[٢] ولأنه ما من كتاب متقدم أُلف في علم من هذه العلوم إلا وفيه ما يتصل بهذه العلوم جميعها ، ولا أدل على ذلك مما قيل في كتاب سيبويه : فقد ذكر ياقوت الحموي عن صاعد الجياني الأندلسي أنه «لا يعرف كتاباً أُلف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي[٣]...» .

يتحصل من ذلك أن نظرية الأصل والفرع في النحو جزء من نظرية الأصل والفرع في باقي المباحث والعلوم المتصلة فيما بينها . ففي العلوم الشرعية نجد مفهوم الأصل والفرع ماثلاً في أصول الفقه على وجه الخصوص ، وفي اللغة والمعجم نجد المفهوم ماثلاً في تنظيم الألفاظ إلى مجرد ومزيد ، أما في النحو فإن بعض التأمل في النظر اللغوي القديم يظهرنا على أن هناك نمطين من مظاهر الأصل والفرع .

(أ) نمط نظري مجرد

النمط النظري المجرد قوامه أن الأصول والفروع نظام يمسك ظواهر اللغة ويشد بعضها إلى بعض ويربط الأفراد بالكليات والفروع والآحاد بالأصول ، ويربط الأصول بالأصل الأعلى والأقدر على شد الظواهر كلها إليه وإلحاقها به .

وتزعم **النظرية اللغوية العربية** أن نظام الأصل والفرع له واقع نفسي عند المتكلمين مثله في ذلك مثل كثير من الأنظمة اللغوية كنظام الأشباه والنظائر .. فنظام الأصل والفرع قائم في عقول العرب حسب النظرية اللغوية ، وهو ما ذهب إليه **ابن جني** في قوله : «واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن ، وأنه منها على أقوى بال..»[٤] .

وهنا نتساءل عما إذا كان المقصود بقوة عناية العرب بحمل الفرع على الأصل أنها عناية واعية إرادية أو عفوية فطرية ، والظاهر أن الذي دفع النحاة إلى افتراض معرفة العرب بالأصل والفرع واستحبابها حمل الفرع على الأصل ومعرفتها بمواقع كلامها وقيام علل اللغة في عقولها ، هو ملاحظتهم وجود نظام موضوع تقوم عليه اللغة العربية سابق على النظام المصنوع الذي بناه النحاة واعتبروه نموذجاً لقدرة المتكلم العربي وإن النظام اللغوي يظل جسماً قائماً بذاته مستقلاً عن نظر النظار وله خصائص الوحدة والكلية والاتصال بظواهر أخرى غير لغوية ، ولقد نبه **ابن جني** على وجوب **التمييز بين نظر النحاة وبين واقع اللغة** حين عقد باباً في «مراتب الأشياء وتنزيلها تقديراً وحكماً» أي افتراضاً ونظراً «لا زماناً ووقتاً» أي لا حقيقة وواقعاً، يقول :

«هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته ، وذلك كقولنا : الأصل في قام قَوَمَ وفي باع بَيَعَ ... فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها مما يُدّعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه قد كان مرة يقال ؛ حتى إنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد قَوَمَ زيد ... وليس الأمر كذلك بل بضده . وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه ... فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك ثم انصُرِف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحدٌ من أهل النظر»[٥] .

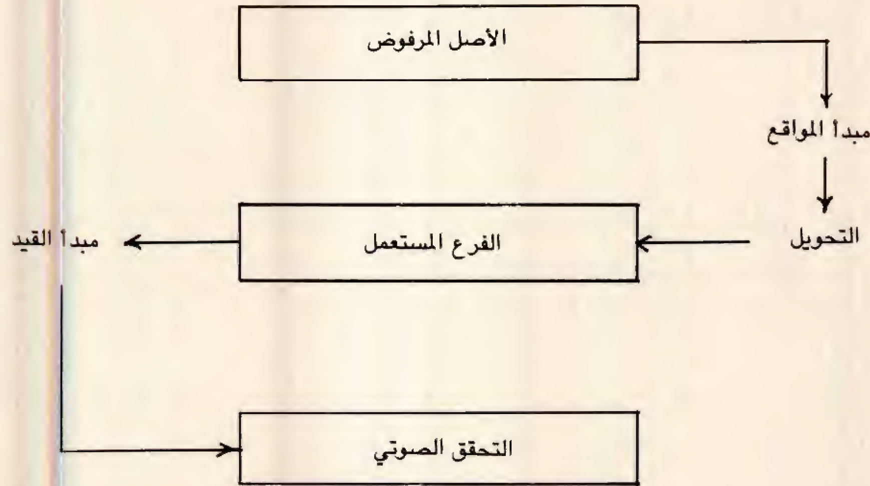
واضح هنا أن **ابن جني** يضع الحدود بين واقع اللغة وحالها وهو ما نطقت به العرب على سجيتها وطباعها وبين التقدير والحكم والنظر ، وأنه من الخطأ سحب مقررات النظر والتصور على ظواهر الواقع والخلط بينهما . فمقررات النظر هنا صناعة نظرية مفترضة لقياس الواقع وتقسيمه بطريقة من الطرق .

وبناء على هذه المفارقة يمكن ان نعتبر نظام الأصل والفرع بناء نظرياً قام على قراءات للواقع اللغوي وتأملات فيه على نحو مخصوص .

(ب) نمط عملي جارٍ في التحليل

وأما النمط العملي الجاري في الدرس النحوي فبيانه أن تعليل ظواهر اللغة بأن بعضها أصل وأن بعضاً آخر فرع إدراكٌ مخصوص لعلاقة الظواهر بعضها ببعض . **نظام الأصل والفرع إذاً ركن من الاركان التي تصدر عنها الدراسة النحوية وتتحكم في حركة المستويات النحوية من معجم وصرف واصوات وتركيب ومعنى** . ويمكن ان نميز في هذا النمط بين نوعين من الأصول في النحو : **الأصل التقديري.. والأصل التنظيمي** .

فأما **الأصل التقديري** فهو الذي تندرج تحته الأصول المرفوضة أي الالفاظ والتراكيب التي يقيس بها النحاة ظواهر اللغة ويعتبرون أن هذه الظواهر قد خرجت عن تلك الأصول فبقي للغة ظواهرها المستعملة وبقي للنحاة الأصول القياسية . وقد حاول النحاة إيجاد مسوغ من واقع اللغة



لتبرير صحة النظر والادعاء وللاستدلال على أن ذلك عند **العرب** معتقد مثلما أنه عند أهل النظر مراد معتقد ، وذلك حين ذهبوا إلى أن الأصل المرفوض قد يخرج إلى الاستعمال مع الضرورة مثل قول الشاعر[٦] :

صَدَدْتِ **فاطْوَلْتِ** الصدود وقلما وصالٌ على طول الصدود يدوم .

وقول الشاعر[٧] :

مهلاً أعاذِلَ قد جرّبْتِ من خلقي اني أجودُ لأقوام وإن **ضَنِنوا**

وقد سمى **المبرد** هذا الضرب من الخروج مرة ببلوغ الأصل[٨] وأخرى بالدلالة على أصل الباب[٩] وسماه ابن جني بالمنبهة على أصل الباب لما فيه من دلالة على أولية أحوال امثاله[١٠] وسماه **ابن الانباري** بالتنبيه على الأصل[١١] .

وكما ذهب النحاة إلى أن الأصل المرفوض قد يخرج إلى الاستعمال مع الضرورة ، ذهبوا كذلك إلى أن هذا الأصل المرفوض قد يظهر في اختلاف اللغات . فحين نجد في **التميمية** فعل الأمر المضاعف إدغاماً نحو شُدَّ وضَنَّ وفِرَّ ... نجد في **الحجازية** فكاً للإدغام نحو اشْدُدْ واضْنَنْ وافْرِرْ[١٢] . وقد جاء الإدغام في قوله تعالى : «فَشُدّوا الْوَثَاقَ»[١٣] ، وفي حديث ساعة الجمعة : «فقلت له أخبرني بها ولا تضن عليّ»[١٤] ، وفكّ الإدغام في قوله تعالى : «اشدد به ازري»[١٥] ، وروي الحديث السابق بفك الإدغام : «فقلت أخبرني بها ولا تضنن بها عليّ»[١٦] ، وفي قول الشاعر : وإن ضَنِنوا.. .

ويظهر الأصل التقديري بوضوح في مجموعتين من الظواهر : مجموعة من الظواهر الصرفية والصوتية ومجموعة أخرى تركيبية .

فاما الأصل التقديري في الصرف

وبيان ذلك أن **الأصل المرفوض** قد يكون أصلاً مقدراً لما جرى عليه حذف او قلب او إبدال فقد يكون هذا الأصل المرفوض ناتجاً عن اجتماع الواو بين ياء وكسرة مثل الحال في (يَوْعِد) ، وظهور عين الأجوف الثلاثي في بعض صيغ فعل الأمر مثل الحال في (اقْوُلْ ، ابْيِعْ ، اوْعِدْ ، اوْزِنْ) . فهذا كله من قبيل «الأصل المستثقل»[١٧]، فتحذف الحروف التي تسبب الاستثقال أو التعذر .

وقد يكون الأصل المرفوض ناتجاً عن استثقال النطق بحرف علة متحرك فيقلب الحرف الذي يسبب الثقل من صورة إلى صورة كما هو الشأن في قَوَلَ وبَيَعَ ورَمَيَ ، وقد يكون الأصل المرفوض ناتجاً عن استثقال النطق ببعض الحروف المتقاربة أو المتماثلة كما هو الشأن في تَقَضَّضْتُ التي تُبدل إلى تَقَضَّيْت ،وتاء الافتعال التي تبدل طاءً مثل (اضطجع) أو دالاً مثل (ازدهر)..

أما **مبدأ المواقع** فيظهر في أن هناك مواقع ممتنعة يتعذّر ظهور بعض الحروف فيها إذا أدّى الظهور إلى الاستثقال ، فالواو في (اُقْوُلْ) وقعت في موقع ممتنع.. ويظهر هذا المبدأ أيضاً في أن هناك مواقع مشتركة ، ومعناه وحدة المكان المشترك بين الحرف قبل القلب وبين الحرف نفسه بعد القلب .

كما يظهر هذا المبدأ أيضاً في أن هناك مواقع تناوبية حيث يتناوب الحرفان البدلُ والمبدلُ منه الموقع ، فإذا اختفى المبدل منه ظهر البدل في مكانه وناب عنه في الحلول فيه .

أما **مبدأ التحويل الصرفي** فهو ما تؤول إليه الكلمة بإخراجها من صورتها المستثقلة إلى صورة مستعملة ، ومنه الحذف والقلب والإبدال .

ومبدأ الفرع المستعمل هو الصورة الناتجة عن التحويل الصرفي .

أما **مبدأ القيد** فمفاده أن هذه التحويلات لا تتم بصورة مطلقة ولكنها مقيدة بشروط تفيد أن التحويل لا يتم إلا في حدود معينة . فالاسم المقصور مثلا يظهر حرف علته المتحرك إذا ثُنّي مثلا كقولك في قفا قَفوان وفي رحى رَحَيان ، ومعنى ذلك أن التحويل هنا مقيد بأنْ يكون الاسم مفرداً لا مثنى .

ومبدأ **التحقق الصوتي** فمعناه الصورة الأخيرة المستحصلة من التحويل الصرفي بشروطه وقيوده .

الظواهر التركيبية

هذا عن الأصل التقديري في الظواهر الصرفية . أما في **الظواهر التركيبية** فيمكن أن نقسم فيه الجمل ـ في تصور النحاة ـ إلى جمل أصلية ثابتة وجمل فرعية محولة عن الأصلية ، وبين الأصول والفروع علاقة تصيير وتفريع وأداة الربط بينهما هي التقدير . والتقدير أداة يجتلبها النحاة ليزنوا بها الجمل الفروع ، وتكون الجمل المقدرة أصلاً تقديرياً فَتُجْتَلَبُ للتفسير والتقدير فقط ، وقد تكون مستعملة كما في قولنا : «اقائماً وقد قَعَدَ النّاس ؟... والتقدير أَتَثْبُتُ قائماً ؟...»[١٨] . وقد تكون أصلاً مرفوضاً لا يستعمل وإنما يقاس به فقط ولا يجمع بينه وبين الفرع المستعمل : «فإن جاز الجمع بين شيئين فليس أحدهما عوضاً من الآخر ، ألا ترى أنك تقول : عليك زيداً ، وإنما المعنى : خُذْ زيداً .. فإن قلت : عليك ،لم تجمع بينها وبين فعل آخر لأنها بدل من ذلك الفعل»[١٩] . وقد عبّر **سيبويه** في بعض مواضع كتابه بأن بنية التقدير ـ أو الأصل التقديري ـ محال أن ينطق بها ولا يؤتى بها إلا للتمثيل : «وهذا محال ولكن أردت أن أمثّل لك .»[٢٠] .

الأصل التنظيمي

وأما **الأصل التنظيمي** فمهمته ترتيب حركة الظواهر اللغوية وتنظيمها وضبطها . وتتصور **اللغة العربية** وفق هذا الأصل التنظيمي نظاماً من الأصول والفروع بين أفراده وأحاده علاقات عمودية تندرج من أعلى إلى أسفل . وتعليل النحاة الظواهر اللغوية بأنها أصل لغيرها أو فرع عن غيرها تعليل بالوضع لا بالمنطق . فنظام الأصول والفروع مسلمات وضعية غنية عن التعليل والتبرير ، والوضعيات لا تُعلَّل[٢١] ، وغنية عن الدليل لأن «من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل ، لعدوله عن الأصل»[٢٢] .

ويشتمل هذا الأصل التنظيمي عند النحاة على قسمين :

●● **أحدهما نظري مجرد** : وهو عبارة عن قواعد تنظيمية عامة .

●● **والثاني إجرائي** : مهمته تنظيم علاقة الظواهر اللغوية بعضها ببعض وتوليد بعضها من بعض .

فأما القسم الأول فيحتوي القواعد النظرية الأولى لعمل نظام الأصل والفرع وحركته ، ومدار هذه القواعد على أن **الأصل والفرع لا يستويان** :

● **من ذلك أنه لا يسوي بين الأصل والفرع**[٢٣] .

● **وأن الفروع تنحط أبداً عن درجة الأصول**[٢٣] .

● **وأنه يثبت للأصل ما لا يثبت للفرع**[٢٤] .

● **وأن الأصل أقوى من الفرع والفرع أضعف**[٢٥] .

● **وأن الفرع يدور فيه الأصل وزيادة**[٢٦] .

● **وأن تقدير الأصل أولى من تقدير الفرع** ..

وأما القسم الثاني ففيه يسري عمل القواعد السابقة ، ويتحول الحديث عن علاقة الأصل والفرع من الناحية التجريدية إلى حديث عن العلاقة بينهما داخل الظواهر اللغوية فمن أصول المقولات النحوية أو أقسام الكلام أن «الإفراد أصل والتركيب فرع»[٢٧] أي أن معرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب[٢٨] .

ومن هذه الأصول أيضاً أن «**الأصل هو المظهر وإنما المضمر فرعه**»[٢٩] .

وأن «الاسم أصل والفعل فرع»[٣٠] .

و«الأصل في الأسماء التنكير»[٣١] والصرف[٣٢] و«الأصل في الأفعال البناء»[٣٣] و«الإفراد أصل والجمع فرع عليه»[٣٤] .

ومن أصول الدلالة أن الأصل في وضع الكلام تحصيل الفائدة[٣٥] . ومن ثم كان حمله على ما فيه فائدة أولى من حمله على ما لا فائدة فيه[٣٦] . وتتخرج على هذه القاعدة أمور منها أن الأصل في كل حرف أن يدل على ما وضع له في بابه فقط[٣٧] ، وأن الحمل على اللفظ والمعنى معاً أولى من الحمل على المعنى دون اللفظ[٣٨] .

ومن أصول العمل النحوي أن الأصل في العمل للفعل[٣٩] لا للاسم[٤٠] ولا للظرف[٤١] وأنه لا يدخل العامل على العامل[٤٢] ، ولا يجتمع عاملان على معمول واحد[٤٣] ، وأن الأصل في العامل التقدم على معموله[٤٤] ، وأن عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال[٤٥] .

ومن الأصول الصرفية الصوتية أن الصحيح أصل والمعتل فرع[٤٦] ، وأن الساكنين لا يجتمعان[٤٧] ، وقلب الأثقل إلى الأخف أولى من قلب الأخف إلى الأثقل[٤٨] .

والذي يبدو من حركة الظواهر اللغوية أنها تترابط . وقد عبر النحاة عن عملية ربط الفرع بالأصل بمجموعة كبيرة من المصطلحات منها الحمل (**حمل الفرع على الأصل**) ، والإلحاق ، والتنزيل (**تنزيل الفرع منزلة الأصل**) والقيام (**قيامه مقامه**) والإجراء (**اجراؤه مجراه**) ،، وتكون العلاقة بين المحمول والمحمول عليه أو الملحق والملحق به أو المنزل والمنزلة علاقة شبه أو نظير أو تشاكل أو مضارعة أو غير ذلك .. ومن ذلك التناظر بين التنوين في المفرد والألف والنون في المثنى ، وبينه وبين الواو والنون في الجمع[٤٩] ، واستواء الجر والنصب في جمع المذكر السالم كما استويا في المثنى[٥٠] واستواؤهما في جمع المؤنث السالم «لأن هذا في المؤنث نظير ذلك في المذكر»[٥١] ومن ذلك إسكان لام يفعلْن حملاً لها على لام فعلْن على الرغم من انتفاء علة الإسكان في الفرع (يفعلْن) . وقد حملوا الفعل المضارع على اسم الفاعل في الإعراب حمل مضارعة ، وحملوا أخوات يَعِدُ (أعِد ، تعِد ، تَعدين..) على يعِدُ في حذف الواو (في الأصل : يَوْعِدُ) وإن انتفت العلة في المحمولات (أخوات يعِد) ، وذلك لتحصيل التشاكل بين المحمول عليه والمحمولات والفرار من نفرة الاختلاف .

فالغاية من هذا الضرب من نظام الأصل والفرع هي تصنيف ظواهر اللغة ومدّ الأسباب بينها كأن يكون السبب أو العلةُ علةَ تشبيه أو علة نظير أو علةَ

نقيض أو علة مشاكلة أو علة معادلة ... وهذا التصور مخالف للتصور الذي جرى قديماً على اعتبار هذا الضرب من النظام ـ نظام الأصل والفرع ـ عللاً ثواني أو عللاً للعلل أو عللاً نظرية . فالعلة النظرية هي مثلا تعليل نصب إن لإسمها ورفعها لخبرها بأنها أشبهت في ذلك الفعل في رفعه للفاعل ونصبه للمفعول إلا أنها أشبهت الفعل الذي تقدم مفعوله على فاعله . فشبه إنَّ للفعل في العمل هو الذي جوّز إلحاقها به في اللفظ . وهذا ضرب من التنظيم اللغوي ناتج عن النظر النحوي وليس مُلْزماً اللغة بشيء لأن الأنظار ليست موجبة وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس وليست كالموجب للشيء المسبب له .

الفرع ... والأصل

هذا عن **إلحاق الفرع بالأصل وترتيب الظواهر** . أما عن **توليد الفرع من الأصل** فتدل عليه مجموعة أخرى من المصطلحات مثل **الإخراج والإدخال والزيادة والحذف** والنقل.. ومعنى ذلك أن ملامح توليد الفرع من الأصل ظاهرة في الفرع نفسه لأنه يتكون من الأصل وزيادة . وتلك الزيادة هي التي ميزته عن الأصل وحطته عنه درجة . لأن «الفروع أبداً تنحط عن درجة الأصول»[٥٢] .

وفي ذلك يرى **النحاة البصريون** أن المصدر أصلٌ والفعل فرع عليه . والدليل أن الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر . مع زيادة الدلالة الزمنية[٥٣] . ومن ذلك أن الفعل أصل في العمل وتحمل عليه في ذلك أسماء جارية مجراه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة والمصدر واسم الفعل .

ومن ذلك أن **الإعراب أصل في الأسماء وهو في بعض الأفعال فرع . والصرف أصل وعدمه فرع عليه . والإظهار أصل والإضمار والإبهام فرع . والإفراد التركيبي أصل والتركيب فرع . والإفراد العددي أصل والتثنية والجمع فرع . والتنكير أصل والتعريف فرع . والتذكير أصل والتانيث فرع ..**

وإذا تتبعنا خصائص الأصل الذي تتولد عنه الفروع وجدناها تتلخص في مجملها في **الخفة والتمكن والقلة والتجرد والعموم** . فالإعراب الذي هو في الأسماء أصلٌ يفيد الخفة والتمكن والتجرد . والتنكير يفيد الخفة والتمكن والعموم[٥٤] . والتذكير يفيد الخفة[٥٤] . والإفراد العددي يفيد التمكن والتجرد[٥٤] . ووقوع الإسم على مسمى واحد دليل على خفته . والإفراد التركيبي يفيد القلة . وكلما خرج الإسم عن هذه الخصائص إلى الفرع **«احتاج إلى ما يدل به عليه كما احتاج التعريف إلى علامة .. لأنه فرع** التنكير . والتأنيث إلى علامة .. لأنه فرع التذكير ..»[٥٥] . وهكذا تتفرع الأصول وتنحدر عن فروعها فروع أخرى وتتولد منها . ويظل الأصل ثابتاً والفروع منتسبة إليه متشكلة منه عن طريق أداة من أدوات تشكيل الفروع التي رأيناها كالحذف أو النقل أو الزيادة أو الدخول أو الخروج أو غير ذلك .

ومن الأمثلة على هذا التولد أو التفريع كذلك ما يلاحظ في الجمل :

يعرف **سيبويه** الأصل في الجمل بقوله : «**هذا باب المسند والمسند إليه** . وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدًّا . فمن ذلك **الإسم المبتدأ والمبني عليه . وهو قولك : عبدالله اخوك . وهذا اخوك . ومثل ذلك يذهب عبدالله..»[٥٦] ثم يستخرج فروعاً جملية تتنزل منزلة الأصل . يقول : «ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك : كان عبدالله منطلقا وليت زيداً منطلق . لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده..»**[٥٦] . **فالجامع بين الأصل (أي الإسم المبتدأ والمبني عليه) والفرع (ما يكون بمنزلة الإبتداء) شيء ثابت هو الإسناد (الاحتياج . بمصطلح سيبويه) ويختلفان في صورة هذا الإسناد إذ يفوق الفرع الأصل بدخول لفظ جديد يحدث معنى جديداً (كان . ليت..) . وهذه الزيادة الجديدة هي أداة التفريع .**

إن فكرة الأصل والفرع واضحة في كتاب سيبويه وكتب النحاة بعده . وهي عنده ظاهرة في استعمال المصطلح نفسه (الأصل) ومصطلحات أخرى تدل عليه مثل كلمة «اول» . يقول : «اعلم انهم مما يحذفون الكلم وإن كان **أصله** في الكلام غير ذلك»[٥٧] . ويقول : «النكرة أول.. الواحد **أول** .. المذكر **أول**...»[٥٨] . ومصطلح آخر مثل «الوجه» . يقول : «فهذا ضعيف (أي الرفع في قول الشاعر : ثلاثٌ كلُّهن قتلت عمداً...): **والوجه الأكثر الأعرف** النصب»[٥٩] .

أما أداة التفريع كما رأينا فقد عبر عنها مرة بالدخول : «واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء . وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ...»[٦٠] ومرة بالخروج : «وإنما يخرج التانيث من التذكير..»[٥٨] .

تصور النحاة

واخيراً . فإن النحاة تصوروا اللغة نظاماً عمودياً يتشكل من أصول وفروع أي من مراتب متدرجة من أعلى إلى أسفل . وما ذلك إلا لأنهم لاحظوا أن بين ظواهر اللغة علاقات شبه وتناظر وأن بين المتشابهات فروقاً تثبت أن وجه الخلاف زيادة زيدت على الأصل أو شيء حذف منه . وبقي بين الأصل والفرع قدر مشترك هو الرابط الذي يشد أحدهما بالآخر . وبقي الأصل متميزاً عن الفرع أو المشبه به عن الشبه . وما نظام الأشباه والمفارقات أو الأصول والفروع إلا دليل على أن النحاة أدركوا ضرورة التمييز بين الظواهر اللغوية وتجنبوا خلط بعضها ببعض واعتبروا أن الشيء قد يشبه الشيء لكن «المشبه بالشيء يكون دون ذلك الشيء في الحكم»[٦١] . وقيمة الشبه في الدرجة والنوع معاً . فالدرجة هي قوة شبه الأصل بالفرع أو ضعفه والنوع هو خصوص الشبه أو عمومه إذ إن الشيء إذا أشبه الشيء أُعْطِيَ حكماً من أحكامه على حسب قوة الشبه . وليس كل شبه بين شيئين يوجب لأحدهما حكماً هو في الأصل للآخر ولكن الشبه إذا قوي أوجب الحكم وإذا ضعف لم يوجب . فكلما كان الشبه أخص كان أقوى وكلما كان أعم كان أضعف[٦٢] . ولقد صرح **المبرد** ـ من نحاة القرن الثالث للهجرة ـ بأن «**الشيء لا يشبه الشيء في جميع حالاته وإنما يشبهه من حيث تشبهه به**»[٦٣] . وإلى ذلك التفت **البلاغيون** أيضاً حين اعتبروا «**أن افضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد**» . وحين اعتبروا أن «**حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك**» . ولكنهم مع ذلك اشترطوا الا يحصل اتحاد كلي بينهما : «**التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته . لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه**»[٦٤] .

إن نظرية الأصل والفرع أو الأشباه والمفارقات نظام نحوي يسعى إلى تفسير الواقع اللغوي وتأويله . وقد يقال إن هذا التأويل ليس مُلْزماً لأنه إسهام في قراءة الواقع اللغوي ولأن للنص الواحد تخريجات لا حصر لها فتتعدد القراءات والتأويلات وتختلف ولن تفرض على الواقع تبعية بل هي التي تعتبر

تابعة له ، وهذا أمر صحيح ولكن تلك التأويلات كلها قراءات تقريبية او قُربات تسعى إلى النفوذ إلى حقيقة النظام اللغوي وكليته في مادته الوضعية ، وبقدر ما يقترب التأويل من كلية النظام بقدر ما يؤهل لأن يكون انعكاساً لمنطق ذلك النظام ونسقه .

الهوامش

(١) قبل الخوض في هذا الموضوع لابد من الإشارة إلى أن هناك دراسة قيمة للدكتور تمام حسان بكتاب «الاصول» حول موضوع الأصول والفروع ولا أنكر اني استفدت من بعض إحالاته على كتاب الإنصاف لأبي البركات الأنباري . أما تصور الموضوع وتقسيمه والتصرف في المادة اللغوية المدروسة فهو خاص بصاحب هذه المقالة .

(٢) في خصوص هذا التجاور ذهب الاستاذ محمد عابد الجابري في كتابه «بنية العقل العربي» إلى أن الإمام الشافعي هو أول من حدد الأصول في الفقه فوضع بذلك علم الأصول (ص١١٠) ، ورأى أن الشافعي وقف عند هذا الحد في عملية بناء الأصول .. وأن الأصوليين من النحاة والفقهاء والمتكلمين سيأتون لينظروا في هذه الأصول ويصنفوا وفقها أصولهم إلى نص وإجماع وقياس مجردين منها صورة موحدة عامة تحدد طريقة تفكيرهم (ص١١١) ، وانتهى من تحديد هذه المنطلقات إلى أن عقل النحاة والفقهاء والمتكلمين عقل بياني محكوم دوماً بأصل ، أي أن هذا العقل البياني فاعلية ذهنية لا تستطيع ولا تقبل ممارسة أي نشاط إلا انطلاقاً من أصل معطى (=نص) أو مستفاد من أصل معطى (ما ثبت بالإجماع او القياس...) ١١٢ .

والذي يبدو أن فكرة تأثر أصول النحو بأصول الفقه أو «التفكير النحوي» «بالتفكير الفقهي» فيها نظر لأن المصادر تخبرنا بأن بعض المتقدمين من النحاة عرفوا بعض الأصول النحوية وعملوا بها كالقياس النحوي . ومنهم عبدالله بن ابي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة (١١٧هـ) . فقد روى أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ) في كتابه «أخبار النحويين البصريين» أن الحضرمي كان أشد تجريداً للقياس (ص٢٠) وروى أبوبكر الزبيدي (ت: ٣٧٩هـ) في «طبقات النحويين واللغويين» أنه «أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، وكان مائلاً إلى القياس في النحو» (ص٣٥) . أما الخليل بن احمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ) فقد روى عنه أنه كان «الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه» (ص٣٠) . أما القياس عند الفقهاء فقد ظهر عند أبي حنيفة أول الأمر (توفي ابو حنيفة سنة ١٥٠هـ) أي بعد الحضرمي النحوي (ت ١١٧) وقبل الشافعي الفقيه (ت: ٢٠٤هـ). فقد روى أن أبا حنيفة «كان إمامًا في القياس..» وفيات الأعيان لابن خلكان : ٤٢/٥ ، وقال عنه الشيخ محمد أبو زهرة : «فهو يأخذ بالقياس إذا لم يكن نص من قرآن أو سنة أو قول لصحابة... ولقد سماه (أي القياس) بعض العلماء تفسيراً للنصوص ، وأبو حنيفة قد بلغ في الاستنباط بالقياس الذروة..» تاريخ المذاهب الإسلامية : ١٦٢/٢ .

(٣) معجم الأدباء - ياقوت الحموي : ١١٧/١٦ .

(٤) الخصائص : ١١١/١ .

(٥) الخصائص : ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

(٦) الخصائص : ٢٥٧/١ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المقتضب : ١٢٤/٣ .

(٩) المقتضب : ٩٨/٢ .

(١٠) الخصائص : ٢٥٧/١ .

(١١) الإنصاف : ٣٩٨ .

(١٢) الخصائص : ٢٥٩/١ - ٢٦٠ .

(١٣) سورة محمد (ﷺ) الآية ٤ .

(١٤) موطأ الإمام مالك ص٨٣ .

(١٥) سورة طه - الآية ٢١ ، وكذا قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : «ربَّنا اطْمِس على أموالهم واشْدُدْ على قُلوبهم..» يونس/٨٨ .

(١٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : ١٠٤/٣ .

(١٧) المقتضب : ٨٣/١ .

(١٨) المقتضب : ٢٢٩/٣ .

(١٩) المقتضب : ٣٢٢/٢ .

(٢٠) الكتاب : ٣٠٠/١ .

(٢١) همع الهوامع : ٥٦/١ .

(٢٢) الإنصاف : ٣٠٠ .

(٢٣) الإنصاف : ٦٠ .

(٢٤) الإنصاف : ١٥٥ .

(٢٥) الإنصاف : ١٢٧ .

(٢٦) الإنصاف : ٢٢٨ .

(٢٧) الإنصاف : ٣٠٠ .

(٢٨) الممتع في التصريف : ٣٠/١ .

(٢٩) الإنصاف : ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٣٠) الإنصاف : ٢٤٦ .

(٣١) المقتضب : ٢٠/٤ .

(٣٢) الإنصاف : ٥١٤ .

(٣٣) الإنصاف : ٥٣٤ .

(٣٤) الإنصاف : ٨٠٧ .

(٣٥) الخصائص : ١٧/١ .

(٣٦) الإنصاف : ٢٥٩ .

(٣٧) الإنصاف : ٦٣٤ .

(٣٨) الإنصاف : ٥١٠ .

(٣٩) الإنصاف : ١٦٢ .

(٤٠) الإنصاف : ٤٦ .

(٤١) الإنصاف : ٥٢ .

(٤٢) الإنصاف : ٤٨ .

(٤٣) الإنصاف : ١٨٧ .

(٤٤) الإنصاف : ٤٨ .

(٤٥) الإنصاف : ١٩٦ .

(٤٦) الإنصاف : ٥٤٣ .

(٤٧) الإنصاف : ٦٨١ .

(٤٨) الإنصاف : ١٤ .

(٤٩) المقتضب : ٥/١ .

(٥٠) الكتاب : ١٨/١ .

(٥١) المقتضب ٧/١ .

(٥٢) الإنصاف : ٦٠ .

(٥٣) الإنصاف : ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٥٤) الكتاب : ٢٢/١ .

(٥٥) الأشباه والنظائر في النحو : ٩٧/١ .

(٥٦) الكتاب : ٢٣/١ .

(٥٧) الكتاب : ٢٤/١ .

(٥٨) الكتاب : ٢٢/١ .

(٥٩) الكتاب : ٨٦/١ .

(٦٠) الكتاب : ٢٣/١ - ٢٤ .

(٦١) شرح المفصل : ٨٢/٦ .

(٦٢) شرح المفصل : ٥٨/١ - الأشباه والنظائر : ٢٥٧/١

(٦٣) المقتضب : ٢٧٤/٢ .

(٦٤) العمدة : ٢٨٦/١ - ٢٨٩ .

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم .

(٢) الأشباه والنظائر في النحو — جلال الدين السيوطي [١] ط. حيدر أباد بالهند ١٣١٦هـ،

(٢) ط. دار الكتب العالمية - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

(٣) الأصول - د. تمام حسان - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - ١٩٨٠م .

(٤) الإنصاف لأبي البركات الأنباري. ت. محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت.

(٥) بنية العقل العربي - د. محمد عابد الجابري - المركز الثقافي العربي - المغرب : ١٩٨٦م .

(٦) الخصائص لابن جني - ت.د. محمد علي النجار - ط. دار الهدى بيروت - ط. الثانية .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت ومكتبة المتنبي - القاهرة .

(٨) العمدة لابن رشيق القيرواني - ط. أمين هندية بمصر - ط. الأولى : ١٩٢٥م .

(٩) الكتاب لسيبويه. ت.د. عبدالسلام هارون - عالم الكتب - بيروت .

(١٠) المقتضب للمبرد - ت.د. عبدالخالق عضيمة - ط. لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(١١) الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي - ت.د. فخر الدين قباوه - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ث. الثالثة ١٩٧٨م .

(١٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ، والمعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب نشر مرجليوث - مط . دار المأمون بمصر .

(١٣) الموطأ للإمام مالك - رواية يحيى بن يحيى الليثي - شرح وتعليق أحمد راتب عمروش دار النفائس - ط١/ ١٩٧١م .

(١٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - ت. طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - ط. مصر .

(١٥) همع الهوامع لجلال الدين السيوطي - تصحيح بدر الدين النعساني - دار المعرفة بيروت .

من أغاني العمل عند العرب

بقلم: عبد المجيد محمد الإسداوي

احتاج **الإنسان منذ القدم إلى الشعر والغناء بوصفهما وسيلة فنية مؤثرة تخفف عنه التعب والآلام المتعلقة بأعماله اليومية وتحضه على بذله الجهود المضنية الشاقة التي يبذلها في تلك الأعمال التي تعينُه على الحياة وتُسهِّلُ له أسبابها.**

والعربي - ابن الصحراء - قد عبَّر مصوراً عما يجيش بصدره وما يختلج بأعماقه خلال أدائه لعمله اليومي. وذكر الدكتور حسين نصار أن بعض الباحثين المنقبين قد عثر على أحد النقوش بآشور يانيبال من القرن السابع قبل الميلاد ويذكر هذا النقش أن الأسرى من العرب كانوا دائمي الغناء وهم يعملون لآسريهم، وكان غناؤهم من الجمال بحيث أُعجِب الأشوريون به وكانوا يطلبون إلى الأسرى مواصلته وإعادته [1] معلقا على ذلك بقوله: ويدلنا هذا دلالة واضحة على أن الشعر المتعلق بالعمل وبذل الجهد قديمٌ عند العرب [1].

والدارس لما وصل إلينا من أشعار العمل عند العرب يلاحظ أن العربيَّ كان يرى في العمل وسيلةً لتفريج الهمِّ وتحقيق التكافل الاجتماعي بين الأفراد وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:

لا يأخـذُ الليلُ عليك بـالهم … والبس لـه القميص واعتم
وكُنْ شَريكَ نـافعٍ وأَسْلَمْ … ثم اخـدم الأقـوام حتى تخدم [2]

ومع أن الشعرَ المتعلق بالعمل وبذل الجهد قديم عند العرب فإننا إذا بحثنا عنه فيما بين أيدينا من مصادر لم نجد منه شيئا. ومن الطبيعي أننا نستطيع وضع الشعر الذي قالوه وهم يحفرون الآبار لاستنباط المياه، والشعر الذي أنشدوه عند قيامهم بالحداء لقوافلهم، والذي أنشدوه عند ممارستهم لأعمال الصيد مع هذا اللون الذي يصدره العمال المشتغلون بالهدم والبناء فيكون الشعر الممثل لهذا اللون من العصر الجاهلي.

وعندما ننتقل إلى العصر الإسلامي نعثر على بعض الأشعار التي تنتمي إلى هذا النوع كقول أحدهم.

إن الكـريمَ وأبيكَ يعتمِلْ … إن لم يَجِدْ يـوماً على مَنْ يتّكِلْ [3]

وكان الشعر لسان حال المسلمين يتقدمهم النبي صلوات الله وسلامه عليه وهم يبنون دعائم دولتهم بدءً من إقامة المسجد النبوي بقباء إذ كانوا يعملون دائبين في بناء المسجد وهم يرتجزون مترنمين بقولهم:

لئن قعـدنـا والنبيُّ يعمـل … لـذاك منَّـا العملُ المضلـلُ

والنبيّ عليه الصلاة والسلام يقول:

لاهُم لا خيرَ إلا خير الآخـرة … فـارحم الأنصـارَ والمهـاجـرة

والنبيُّ يضرب في الخندق ويتمثل بقول ابن رواحة رضي الله عنه:

بـاسم الله وبـه بـدينـا … ولـو عـبدنـا غيره شقينـا
حبـذا ربَّـا وحُبَّ دِينَـا [4]

وواكب الشعر العربيُّ، مثلاً في الرجز، تطهير المجتمع العربيّ من الأصنام والأوثان ذلك التطهيرُ الذي تمَّ بعد فتح مكة (٨هـ) إذ بعث النبي ﷺ الطفيل ابن عمرو الدوسيَّ إلى صنم (عمرو بن حممة) ليحرقه فخرج إليه وجعل يُوقد عليه النيران وهو يتغنى مُنشدا:

يـا ذا الكفين لست من عبـادك … ميلادنـا أقـدم من ميـلادكـا
إنِّي حَشَـوْتُ النـار في فُـؤادِكَـا [5]

وكان الإمام عليّ كرَّم الله وجهه قد بنى سجناً من قصب فسماه (مانعا) فنقبه اللصوص ثم بنى سجناً من مدر فسماه (مُخَيَّساً) ثم قال:

أمـا تـراني كيِّسـاً مكيسـا … بَنَيْتُ بعـد نـافـعٍ مُخَيَّسـا
بـابـاً حصينـاً وأمينـاً كيسـا [6]

وكان الزُّراع والتجار يستعينون بالرجز أداة تخفف عنهم أعباء أعمالهم وتروِّج لبضاعتهم وسلعهم.. من ذلك ما راح يترنم به أحدُ تجار الحنطة، مصوراً عمله في كيل الحبوب:

جـاءت بـه ضـابطـة التجـار … صـافيـة كقطع الأوتـار [7]

وعندما كان الصحابة يحفرون الخندق حول المدينة دفاعاً ضد قوى الظلم والطُّغيان من مكة وغيرها تغنَّى المسلمون برجل منهم يقال له «جُعَيْل» وسماه رسول الله ﷺ عمرا فقالوا:

سَمَّاهُ مِنْ بَعْـدِ جُعَيْـلٍ عَمْـرَا … وكَـانَ للبَـائِسِ يـومـاً ظَهْـرَا [8]

ويلاحظ القارئ لهذه الأشعار ما كانت ظروف العمل تفرضه على أصحابها من لجوء إلى الإيجاز والبساطة في التعبير إلى جانب ما نلاحظُه على بيتي الفاروق من هنَةٍ عروضيةٍ تتلاءم مع عدم التخصيص في قول الشعر، وفي الاستجابة لأجواء العمل التي قد لا تُتيح للعامل فرصة المراجعة أو التمحيص.

الهوامش

(١) الشعر الشعبي العربي د. حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٢م ص ٦٤.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار. القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥ والبغدادي، تاريخ بغداد. دار الكتاب العربي، بيروت ٦/ ٣٣٣.

(٣) الشعر الشعبي العربي ٦٤ - ٧٥.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ط. شقرون ٢/ ١٠٢ وصحيح البخاري، الحلبي ١/ ٨٦ وديوان عبدالله بن رواحة. الرياض، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٥) الأصنام لابن الكلبي، القاهرة، ٣٧ وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٤.

(٦) الفائق في غريب الحديث للزمخشري، الحلبي، ١/ ٣٧٩.

(٧) الشعر الشعبي العربي ٦٨.

(٨) طبقات ابن سعد، صادر ٤/ ٢٤٦ والسيرة لابن هشام ٣/ ١٢٩

في رثاء أبي ريشة، وهي مهداة للصديق الشاعر الدكتور حسن الإمراني الذي قال في أبي ريشة رائعتيه «النسر» و «يقظة النسر»

مآتم الشعر

شعر: حيدر الغدير



أبو ريشة

الشعــرُ أنتَ وأنتَ النـاي والوتـرُ ... والشمس دارك والأفلاك والقمـرُ

والشعـر خِدْنُ الـدراري في تألقهـا ... وأنت خـدن القـوافي العـزِّ يـا عُمَـرُ

وأنـت فـارسُهـا في كـل معترَكٍ ... وفيك مـن مترفيهـا الـزهْـوُ والظَّفَـرُ

أنت الأصـالـةُ والفصحى ومـأرزهـا ... وجـذوةٌ بـالبيـان الثَّـرِ تَسْتَعِـر

وشعـرك الشعـر أطيـاف مجنحـة ... هـن العـرائس والأبكـارُ والـدرر

وغُـرةٌ أنت في سفـر الخلـود لها ... سبـق المجلي ووجـه بـالسنـا نضِرُ

يمنـاك في مـوكب التـاريخ ظـافـرة ... وملء يسراك مـا العليـاء تفتخـر

شعـر وعِطْـرٌ وإنشـاد وأغنيـة ... يهفـو لها النـاس والأطيـار والشجـر

إذا تـرنمت قـال النـاس في ولـه ... اليـوم ينشـد في ألحانـه عمـر

بيـانـه السحـر والإبـداع معـدنُـه ... أصخْ بسمعك هـذي آيَـةُ الغُـرر

قـد زانها الله بـالإلهام تبـدعـه ... قـريحةٌ حيـة كـالغيث تنهمـر

مـرحى أبـا شـافع يـا شـاعـراً غَـرِدًا ... المترفـاتُ على بستـانـه زُمَـرُ

زفتـه للمجـد والـدنيـا تبـاركهـا ... ومهـرجـانُ العـلا والسمعُ والبصر

وحـولـه الـرمـل والصحـراء شـاهـدة ... ودونـه الطل والخضراء والشجـر

ومـوكـب الشعـر تَيَّـاه بسيـده ... والشعـر يملي ويملي الـدهـر والسير

هـذا الأمير، أمير الشعـر فـارسـه ... قَلَّـدْه في عـرسـه التـاجَ الـذي ضَفـروا

يـا حـارسًـا رايَـة الفصحى وفـارسَهـا ... طـابت وطبت وطـاب الـورْدُ والصَّـدَرُ

لأنْتَ بلبُلهـا الصـداحُ أيكتـه ... في كـل رابيـة مـن طيبهـا أثـر

غنيتهـا بـالقـوافي الـزُّهْـرِ ملحمـةً ... مـن الـوفـاء تهادت وهـي تنتصر

وتغلب الكـارهين الضـادَ من نفـر ... زرقِ العيـون، غنـاءٌ قـولهم هـذر

حَمَيْتَ فُصْحـاك مـن بـاغ يمـزقـه ... حقـد عليهـا فما يبقـي ولا يـذر

على أذان بـلال في منـارتـه ... والكـون يعشقـه والفجـر والسحـر

على الكتـاب الـذي تـرنـو القـرون لـه ... وقـد أضـاءت ديـاجي ليلهـا السُّـوَر

خاب الحقود وخابت منه أمنية   والحقد ينحر من ضلوا وينتحر

مرحى أبا شافع قد عشت ضاربة   في السحب أمجادك الغراء تنتشر

كنت الإباء وكنت النسر[1] شامخة   راياته وأعاديه قد ائتمروا

فما حنى هامةً إلاّ لخالقه   ولم يزلزله في طوفانه الخطر

يطامن الذُّل أعناقَ الرجال فما   يبقى على مَهْيَع الأحرار من ذُعروا

ويقتل الرعب من ظلوا على حذر   وليس ينقذهم من رعبهم حذر

يموت كل جبان من مخاوفه   والمؤمنون لهم إيمانهم وَزَرُ

وما على الحر إن كانت منيته   آماله فهو يرجوها وينتظر

الحق غايته ما انفك يطلبه   هتافه الموت في عز أو الظفر

وسيفه بيعة لله رابحة   وحصنه بين أشداق الردى القدر

يغشى شعاب المنايا وهي كالحة   يسعى إليها ويصلاها ويصطبر

والحر يلقى المنايا وهو مقتحم   «تموت وهيَ على أقدامها الشجر»[2]

عفواً أبا شافع ما كنت أحسبني   أبكي عليك فأنت المجد يا عمر

ونفسك القمة الشماء باذخة   ما شانها قط في ترحالك الخور

وأنت غنيتها شعرًا بمأتمها[3]   «بعض الطيور تغني وهي تحتضر»[4]

لكن بكت بعدك الفصحى منابرها   لما تسورها باغون قد غدروا

أنا الوفي لها أبكي لمأتمها   فملء أجفاني الأحزان والكدر

عفواً أبا شافع الفجر موعدنا   والشعر والنصر والرايات والشرر

والخيل تصهل والتكبير عاصفة   على البغاة وملء الساح من صبروا

من كل أروع مثل السيف مهجته   وحرة قلبها بالعزم يأتزر

لبّى ولبّت ولبّى المسلمون وقد   زف البشائر في ألواحه القدر

غد العروبة والإسلام ملحمة   بالنصر زاحفة والبغي مندحر

فغنها غنها في الخلد قافية   واطرب ورنِّحْ بها التاريخ يا عُمرُ

من كتَّاب العدد



● **حيدر الغدير**

- من مواليد دير الزور بسورية ١٩٣٩م.
- ليسانس وماجستير في الآداب من جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية.
- يحضر حاليًا الدكتوراه في مجال الأدب العربي الحديث.
- متابع لقضايا الأدب والثقافة والدعوة، وسبق له الإسهام في عدة مشروعات ثقافية.

---

(١) للشاعر قصيدة شهيرة اسمها «نسر» كان حفياً بها، ويبدو أنه كان يقصد بها نفسه.

(٢) هذا الشطر من قصيدة الشاعر في الأخطل الصغير، التي قالها في حفل تأبينه.

(٣) للشاعر مجموعة شعرية عنوانها «غنيت في مأتمي»

(٤) هذا الشطر من قصيدة للشاعر اسمها «بعض الطيور».

مدخل معرفي لنظم الاسترجاع

مشكلات العرض الموضوعي للنص القرآني وبدائله

عرض وتقديم : محيي الدين عطية

في إطار استرجاع الهوية انطلقت الدعوة إلى إسلاميَّة العلوم كمنهج أصيل لإحداث التبديل الثقافي للأمة.

من هنا برزت الدراسات القرآنية في مقدمة حركة التأليف في إسلاميَّة العلوم، وتأتي هذه الأطروحة الجامعية لهاني محمد كواحدة من الأعمال الرائدة في مجال التخطيط للتكشيف الموضوعي للنص القرآني الحكيم، واستجابة لنداءات الباحثين في مجال المعلومات إلى تطوير نظام تصنيف خاص للمكتبة الإسلامية.

لقد حاول علماء المعلومات المسلمين بناء قوائم ببليوجرافية يمكنها الإسهام في تطوير نظام التأليف المأمول، وقد تضمنت هذه المحاولات إنتاج المستخلصات، والأدلة، والكشافات بهدف رصد وتسجيل كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية..

إلا أن تفاسير القرآن الكريم، وشروح كتب الحديث، طرحت مشكلة هي أن أية محاولة لتكشيفها تتطلب وجود أداة أساسية هي قائمة رؤوس موضوعات خاصة وصالحة للاستعمال.

إن هذه الدراسة تعيد قراءة المصطلح القراني بهدف تصميم نظام استرجاع خاص بالكتاب الكريم.. وتتناول الدراسة الآيات والألفاظ المحملة بالمفاهيم كنماذج للعمل المطلوب بحيث تستعمل كأدوات لاكتشاف العوامل المؤثرة في تصميم النظام يدويًا وآليًا.

فعلى المستوى اليدوي - حيث يقدم النص القرآني مطبوعاً - تستخدم النماذج التي قدمتها الدرسة لاختبار أثر التعبير القرآني على المفسرين وكيف ينعكس ذلك على نظام الاسترجاع. كما اختبرت أيضا الخصائص المميزة للغة العربية، التي قدمها لنا اللفظ القرآني، وكيف نواجه بها مشكلات بناء نظام كفء لاسترجاع المعلومات.

وعلى المستوى الآلي - حيث يقدم النص القرآني مرئيًا على الشاشة - تستخدم النماذج التي قدمتها الدراسة لمعرفة إمكان تعامل الحاسب الآلي مع الأساليب والصيغ القرآنية.

وقد قسم الباحث أطروحته إلى مقدمة وستة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: لأهمية علم المعلومات في المنظور الإسلامي، والدور الذي يتوقعه من علماء المعلومات المسلمين، واستعرض خلفيات البحوث المعاصرة في هذا المجال، وقدم الإطار المنهجي لأطروحته.

ضم الباب خمسة فصول، تناولت - على التوالي - نظرة إلى علم المعلومات - المضمون الإسلامي لعلم المعلومات - الكشافات القرآنية قديماً وحديثاً - نظام الاسترجاع القرآني - المدخل المنهجي.

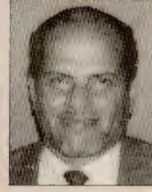
ويحدد الباحث منهجه بأنه محاولة لربط المحتوى القيمي للنص القرآني بالحقائق التي أرستها التراكمات المعرفية، فالأطروحة ليست فلسفية النزعة ولا هي تطبيقية، وإنما هي دراسة تحليلية يراد بها حل مشكلات الباحثين والمكشفين الذين يتعاملون مع النص القرآني من جهة، ومع نظم المعلومات ومشكلاتها اللغوية من جهة أخرى.

ثم انتقل في **الباب الثاني** إلى بلورة أهم العناصر اللغوية والتاريخية والمذهبية التي تعرض لها المفسرون للقرآن الكريم، لتوضيح مدى تأثير آرائهم على أداء نظام الاسترجاع. وقد عنون هذا الباب بـ «مشكلات التعامل مع اللغة

من كتاب العدد

● **محيي الدين عطية**

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤م
- حاصل على بكالوريوس اقتصاد. ودبلوم عال في التسويق من جامعة القاهرة.
- يجيد الإنجليزية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والجمعية الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، ومجلس أمناء مجلة «المسلم المعاصر».
- شارك في العديد من المؤتمرات الفكرية والإسلامية.
- شاعر من دواوينه: «صلاة الفجر»، «ولكنكم تستعجلون» «من الأعماق» «نزيف قلم»، «قسماً» «أناشيد المقاومة».



الطبيعية للنص القرآني» وضمنه خمسة فصول هي: مقدمة - العناصر اللغوية - العناصر التاريخية - العناصر المذهبية - خاتمة.

وجاء **الباب الثالث** بعنوان «مشكلات استرجاع المعلومات من اللفظ القرآني» حيث قام الباحث بتحليل وظائف الألفاظ في المصطلح القرآني، مع ربط تحليله بالملامح المميزة للغة العربية.

وقد تضمن هذا الباب - إلى جانب المقدمة والخاتمة - خمسة فصول، هي: التجانس اللفظي - صور المصطلحات - المترادفات - تنظيم المصطلحات - بناء وعرض المصطلحات.

وقد أوضح في هذا الباب كيف أن بناء أي نظام للتكشيف، يتطلب ابتداء تحديد دائرة المستفيدين الذين سيخدمهم هذا الكشاف، وبالتالي يمكن عرضه لهم بالطريقة التي تناسب مجال اختصاصهم.

ذلك لأن اختيار الواصفات الموضوعية يتطلب عناية خاصة، حتى يحصل الباحث على المعلومة ذات العلاقة بمجال بحثه في أقصر وقت ممكن. وهذا العبء يقع على مصمم الكشاف، ويتمثل في ضرورة إلمامه بالمعلومات المتوقع البحث عنها، وفي قدرته على حل المشكلات العملية التي تواجهه عند بناء كشافه.

وفي **الباب الرابع** حاول الباحث فحص المعالجات الآلية المتنوعة التي تعرضت للتعامل مع أسلوب كتابة الخط العربي في المصاحف.

وقد عنون الباب بـ «مشكلات تقنية المعلومات مع الأسلوب القرآني» وضمنه ثلاثة فصول - غير المقدمة والخاتمة - هي على التوالي: تحليل البحث الآلي - التكشيف الآلي - أدوات البحث التقليدية.

لقد شرح في هذا الباب كيف يستحيل على الآلة المعاصرة أن تحل محل العقل البشري؛ فنظريات اللغة الطبيعية التي استعملت لتحليل وإنتاج نصوص عربية من قواعد المعلومات الآلية، هي نظريات غاية في التعقيد، ولم تتطور تقنياتها بالقدر الكافي حتى الآن. ويقوم حاليًا العديد من الباحثين بمحاولات لتطوير هذه النظريات وتطويع اللغة والآلة معاً لمتطلبات البحث والاسترجاع، إلا أن الطريق ما زال أمامهم ممتداً قبل أن يصلوا إلى غايتهم.

وفي **الباب الخامس** قدمت الأطروحة خطوطاً عريضة وتوصيات عامة لإنشاء نظام استرجاع للمعلومات من النص القرآني، وذلك بعنوان: «تخطيط وإنشاء وتصميم نظام الاسترجاع القرآني».

وقد تضمن الباب مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. وجاءت فصوله على التوالي كالآتي: العناصر الإدارية - تقنيات الإنشاء - سياسة النظام - طرق العرض - الفحص والتكلفة والإنتاج.

وتتلخص الملاحظات التي وردت في هذا الباب في النقاط الأربع التالية:

● يتطلب إنشاء نظام الاسترجاع القرآني تخصصاً مهنياً والتزاماً وإيماناً بالهدف.

● يتوقف نجاح النظام اليدوي إلى حد كبير على مستوى التمكن من التعامل مع الألفاظ.

● يتناسب نجاح النظام الآلي تناسباً طرديًا مع درجة بساطة أو تعقيد اللغة المستعملة.

● تعتمد تكلفة إنشاء نظام الاسترجاع على درجة جودة الخدمة التي يؤديها وعلى خصوصية هذه الخدمة ومراميها.

أما **الباب الأخير** فقد خصصه الباحث لعرض نموذجين للنظام المقترح تحت عنوان: «نموذجان لنظام الاسترجاع القرآني: عرض وتنظيم».

وقد اختار من بين العلوم الطبيعية نموذجاً عن الفيزياء، ومن بين العلوم الاجتماعية نموذجاً عن الأسرة.

وقد ذكر في مقدمة الباب أن هناك أمرين هامين يجب الانتباه إليهما في هذين النموذجين:

الأول: أن النموذج يشكل قاعدة لشبكة معلومات تضم العديد من الكلمات المفتاحية والعديد من أوجه الواصفات التي يمكن أن تكوّن هيكلاً للموضوع الذي اتخذ مثالاً في النموذج.

الثاني: أن فعالية الواصفات الموضوعية - كأدوات للتعرف على المعلومات واستدعائها - تعتمد على حسن اختيار هذه الواصفات وعلى حسن ترتيبها وتجزئتها ومد جسور الإحالات فيما بينها.

وقد اختير موضوع الفيزياء للتعبير عن علم واحد من العلوم الطبيعية، بينما اختير موضوع الأسرة كنموذج للموضوعات المركبة في العلوم الاجتماعية حيث تمتد جذوره في مجالات ثلاثة هي **علم الاجتماع والقانون والخدمة الاجتماعية**.

وقد عرض الباحث نموذجيْه مقسميْن على ثلاثة أقسام:

القسم الهجائي، حيث رتبت فيه المصطلحات ترتيبا هجائيا.

القسم الوجهي، حيث أعاد ترتيب المصطلحات طبقاً لعلاقاتها، فأفرد في نموذج الأسرة وجها لعلاقة الزوجين يضم - في أوجه فرعية - الخطبة والنكاح والمهر والنفقة والقوامة والرعاية والمحيض والرفث والنشوز والإيلاء والظهار والخلع والموت، ووجها آخر لعلاقة الآباء بالأبناء، يضم - في أوجه فرعية - الإجهاض والوأد والعدة والنسب والتبني واللعان والحمل والرضاعة والحضانة والتنشئة. ووجها ثالثا للعلاقة الأسرية يضم الوصية والميراث.

أما **القسم الثالث**، في النموذجين المعروضين، فهو القسم الهرمي، حيث أورد فيه رؤوس الموضوعات وتجزيئاتها مرتبة على شكل مكنز شامل للمصطلحات تأتي تحته الآيات الكريمة ذات الصلة بكل مصطلح منها. وهو القسم الرئيس في الكشاف.

وقد اختتم الباحث أطروحته بخاتمة مطولة، لخص فيها النتائج التي انتهى إليها. ثم توصيات تتلخص في:

تطوير نقد شامل للفكر الغربي ومناهجه.

تصور نموذج مثالي للمجتمع الإسلامي قائم على القرآن والسنة.

تطوير وتطبيق المفاهيم والنظريات والمناهج المناسبة لدراسة الواقع الاجتماعي للأمة الإسلامية، وهي خطوة نظرية وعملية في وقت واحد.

العرقسوس

بقلم: د. مصطفى بهجت



نبات العرقسوس

العرقسوس نبات يزرع في شمال الهند وسوريا والعراق ويستوطن في جنوب أوروبا والباكستان إلى شمال الهند . والجزء الفعّال من النبات هو الساق والجذر، الذي يصل طوله تحت الأرض من ١,٥ ـ ١,٨ مترا.

والعرقسوس أو «السوس» يستعمل منذ أربعة آلاف سنة للآن ، فلقد ذكر استعماله في كتب الأعشاب مثل :

(١) **دستور هامورباي** (٢١٠٠ سنة قبل الميلاد) ، لم يكتشف فوائده .

(٢) **كتب أعشاب الآشوريين** (٦٠٠ سنة قبل الميلاد) ، لم يرتبط الاستعمال بالأدوية .

(٣) **هيبوكراتس** (٤٠٠ سنة قبل الميلاد) ، التئام القرحات ، يطفيء الظمأ .

(٤) **فيوفراستس** (منذ ٢٠٠ سنة) ، يطفيء الظمأ .

وغيرهم من دساتير الكتب القديمة .

شفاء وخمير .. يا عرقسوس

وهو نداء يتداوله الباعة في قاهرة المعز حتى الآن في الأحياء الشعبية بالقاهرة حيث نرى البائع يحمل القدر المملوء بمشروب العرقسوس ويتفنن في المشروب المندفع إلى الكوب حتى يحصل على أكبر قدر من الفوران . وهذا التعبير الذي يتداوله البائع ليس من فراغ ، فهو فعلاً شفاء كما سنتعرض له بالتفصيل ، وخمير وهو ما يطلق على المادة السكرية التي تعطي هذا الفوران (الرغوة) .

في الطب القديم

أولاً : **في تذكرة داود** : ويقال أصل السوس واشتهر بعرق السوس وهو نبت دائم الكينونة وإذا تشبث بمكان عسرت إزالته منه ويمتد في الأرض نحواً من عشرة أذرع ويغلظ حتى يصير كفخذ الرجل ولا يطول أكثر من شبرين ويزهر بين حمرة وزرقة والمنتفع به أصله وأجوده الخشن الرزين الصادق الحلاوة وينبغي أن يجرد قشره لأن الحيَّات تحتك به كثيراً لكونه يسمنها ويصلح عفونات جلدها .. وقيل يحد بصرها كالرازيانج **وأجوده المجلوب من صعيد مصر ، فالعراقي فالشامي ، وأرداه الأسود** وتبقى قوته عشر سنين وهو حار في الثانية أو الأولى أو معتدل رطب في الأولى أو يابس يجلو البياض كحلاً **وينفع سائر أمراض الصدر والسعال** بجميع أنواعه **ويخرج البلغم مطلقاً** وأن ضعف عمله في

الرطوبات الغليظة وأجود ما استعمل لذلك مع كزبرة البئر والتين والزوفا **ويحل الربو والانتصاب وأوجاع الكبد والطحال والحرقة واللهيب ويدر الطمث ويصلح البواسير وينقي الفضلات كلها** ، وأهل مصر ودمشق يستعملونه كثيراً في القيء . وفي الخواص أن من دوام على استعمال درهم منه مع مثله سكر أو نصفه رازيانج من أول الحمل إلى أول السرطان لم يشك علة في بدنه طول سنته **ويجلو البصر ويقطع الشقيقة والصداع المزمن** .

ثانياً : **وفي كتاب المعتمد في الأدوية المفردة** : سوس ـ ويقال : عود السوس ، أنفع ما في نبات السوس عصارة أصله ، وطعم هذه العصارة حلوة كحلاوة الأصل ، مع قبض فيها يسير ، ولذلك صارت تملس الخشونة الحادثة لا في المريء فقط ،لكن في المثانة أيضاً ، لاعتدال مزاجها المعتدل بين الحر والبرد ، ومن اعتدال الرطوبة ، **وهي تصلح لخشونة قصبة الرئة** ،

وينبغي أن تجعل تحت اللسان ويمتص ماؤها ، وإذا شربت بطلاء وافق **التهاب المعدة** ، **وأوجاع الصدر** ، وما فيه من الآلات **والكبد ، وجرب المثان** ، **ووجع الكلى** ،وإذا امتص ماؤها **قطعت العطش** ، وقد **تصلح الجراحات** إذا لطخت ، **وتنفع المعدة** إذا مضغت وابتلع ماؤها . وطبخ أصول السوس وهي حديثة ، يوافق ما توافقه العصارة ، وأصل السوس إذا جفف وسحق وتضمد به ، **نفع من الدواحس** .

وإذا استعمل ذروراً نفع الظفرة التي تخرج في العين . وربه وطبيخه نافعان من **السعال** حيث يصير الحل ، وإذا ألقي في المطبوخات المسهلة دفع ضررها ، وهون احتمالها على الأعضاء ، ونفع من جميع السعال ، إلا أنه فيما فيها من أخلاط لزجة ضعيف ، فإذا قوى بأدويته كان أكثر جلاء وتقطيعاً ، ويقوى تأثيره . **ويجب أن يوضع في جميع علل الصدر والمثانة ، فإنه أنفع دواء للحرقة والخشونة** إذا تمودي عليه ، **ويصفي الصوت** ، **وينقي قصبة الرئة والحميات العتيقة** وينفع من اختلاج ووضع العصب .

ثالثاً : **وذكر الحكيم أبي الفضل** : هو نبات معروف بري وبستاني . أجوده عصارته إذا كان طريا ، وهو معتدل مائل إلى الحرارة ، **يلين قصبة الرئة** ، **وينفع من السحج** ، **وينفع من أوجاع الكبد والطحال** ، **ومن الحمى المحرقة** ، **ومن الصفراء** ، **وخاصيته** : **تنقية المعدة** . والشربة من درهمان .

في الطب الحديث

استعمالات العرقسوس في ضوء العلم الحديث تبدو في الأمور الآتية :

(١) ففي **كتب الصين** ذكر أن نبات العرقسوس يحتل المكانة التالية في الأهمية بعد نبات **الجنسنج** الهام في أدوية الصين . **ويقال إنه يعيد الشباب لمن يستعمله مدة طويلة ، فهو مقوي ، طارد للبلغم ، مخفض للحرارة** . وذكر أن الفروع والزهور لا تختلف عن الجذور .

ولكنه يستعمل أيضاً في الطب الحديث في الصين مطحون الجذر والفروع **لاضطرابات الطحال** ، **التهاب الحلق** ، وللأطفال المولودين حديثاً **والمصابين بالدمامل واضطراب الجلد** .

وإذا استعمل سائل العرقسوس عن طريق الفم يعطي نتائج علاجية طيبة في ٩٠٪ من الحالات **لعلاج المعدة والاثنى عشر** ، والتأثيرات الجانبية البسيطة تختفي عند توقف المعالجة .

ويستعمل العرقسوس **كترياق ضد التسمم** في الداتورا . وقد أجرى **اليابانيون** بعض التجارب للتحقق من تأثيرات الدواء بالمقارنة بالمحتويات الكيميائية وقد وجدوا أن مجموعة **الجلسرهزين ، الجلسرهتين وحمض الجروكونيك** تكون أكثر فاعلية في علاج اضطراب الجلد والكبد في الحيوانات أكثر منها لو استعملت هذه المركبات منفردة أو في حالة تزاوج . وقد وجد أن المستخلص المائي للعرقسوس يستعمل **لبعض طفوح الجلد** وله تأثير يشبه **الكورتيزون** مع سمية أقل .

وفي **الهند** والصين يستعمل مدرّاً للبول ومليِّناً ، وله خواص معرقة .

(٢) وفي بعض المراجع الأخرى ذكر على أن مستخلص الجذر يستعمل **لبحة الصوت** ، الكحة ، **وفي علة التنفس** ، **التهاب المعدة** ، **آلام التجويف الباطني** ، **مدر للبول** ، **مخفف للحمى** ، **مدر للطمث** ، **يرخي عضلات الرحم** ، **طارد للبلغم** ، **آلام الروماتيزم** ، **قرحة المعدة** .

الوالدان وكتاب الطفل

بقلم: محمّد بسّام ملص

هذه الأمة قد أكرمها الحق بكلمة عزيزة لا شك أن أمماً أخرى كانت تتمنى لو أكرمها بها وأعني بها كلمة «إقرأ». فهل استطعنا، نحن حفدة السلف الصالح، أن نجعل من هذه الكلمة منهاجًا في مسيرتنا مع أبنائنا؟ هل وقف الوالدان وقفة تأمل لمعرفة كيف يمكن الاستفادة من كل وسيلة من شأنها أن تربي الطفل على حب الكتاب؟

لا شك أن أوعية المعرفة الأخرى، خاصة تلك السمعية والبصرية، التي تملك مزايا جذب لا يستطيع المرء أن يقاومها، أخذت لها مكانًا حتى بين الأطفال أنفسهم[١]. فأشرطة السينما التي تعرض على شاشة التلفاز وأشرطة التسجيل والفيديو أضحت تستقطب اهتمام الصغار قبل الكبار.

إننا لا نستطيع أن نقلل من دور هذه الأوعية في عملية التثقيف إذا كانت موجهة الوجهة الصحيحة، ولا أريد أن أتطرق هنا إلى كل ما هو رخيص وتافه يعرض على **شاشة التلفاز** باسم التسلية واللهو. فهو لا يشكل الثقافة الصحيحة المرجوة لهذه الأمة، بل هو أداة هدم خطيرة. ولا أبالغ إذا ما قلت إنه من أخطر أدوات الدمار لقيم هذه الأمة.

الكتاب ودور الوالدين

بالمقابل، لا بد للكتاب أن يأخذ دوره الحقيقي في حياة أطفالنا حتى تغدو القراءة نشاطًا حقيقياً يوميًا مثل اللعب. **فما دور الوالدين؟ كيف يستطيع الوالدان وبخاصة الأم أن يجعلا الكتاب جزءًا في حياة الطفل لا يمكن له أن يستغني عنه؟**

نخص الأم في هذا، وإن كنا لا نسقط دور الأب. إن طبيعة اتصال الأم بطفلها في السنوات الخمس الأولى التي تعرف بسنوات ما قبل المدرسة، هي التي تعطي الأولوية للأم[٢]. فالأب خارج البيت يسعى من أجل رزق عائلته. أما الأم فهي داخل البيت ترعى طفلها وهي راعية مسؤولة عن رعيتها كما أخبرنا الرسول الكريم ﷺ[٣].

كيف تشجع الأم طفلها على الاهتمام بالكتاب؟

ذهب أحد المهتمين في قراءة الأطفال في محاضرة له إلى أن الجنين يستجيب للقراءة وهو في رحم أمه[٤].

وإن كنا لا نريد أن نغالي في الأمر، فإننا نؤكد على أن اهتمام الأم بكتاب طفلها يجب أن يبدأ منذ مرحلة مبكرة. فإذا ما وضعت الأم بين يدي طفلها كتابًا مناسبًا يداعبه كما يداعب لعبة، ويتأمل ألوانه ورسومه إذا ما استطاع أن يميز، إذا فعلت هذا فإنها تكون قد بدأت أولى خطواتها على الطريق.

إذا كان بإمكان الطفل في الأشهر الأخيرة الأولى من عامه الأول أن يميز الأصوات، فإن الأم تحاول أن تقلّد صوت عصفور أو قطة. يستمر هذا في السنة الثانية من عمره مع الاهتمام بالحركة. فطفل الثانية يستطيع أن يقفز مثل أرنب، أو يفرد يديه مثلما يفعل عصفور بجناحيه. هنا تربط الأم بين الكتاب و«**نشاط الطفل التمثيلي**» لتثير اهتمام طفلها[٥]. فالأم الحريصة على أن يكون عملها



مثمرًا في هذا المجال تعمد إلى قراءة الكتاب قراءة تقرّبه إلى الطفل من خلال محاولة تقليد أصوات الشخصيات المختلفة، وهي عادة ما تكون حيوانات أليفة مثل قطة أو عصفور[٦].

لا بد أن يمتاز الكتاب المقدَّم للطفل في هذه المرحلة المبكرة بنص غاية في البساطة، إذا كان لا بد من وجود نص، ورسوم مميزة معبرة ذات ألوان جذابة[٧]، إضافة إلى أن يكون متينًا صفحاته من ورق مقوى يسهل تناوله دون أن يتلف بسرعة. إذا لم تتمكن الأم من تأمين هذا الكتاب لطفلها، فيمكنها أن تستفيد من مكتبة الأطفال، إذ إن أمينة المكتبة تستطيع أن تقدم لها العون في هذا المجال[٨]. ينبغي على الوالدين أن يدركا أن مكتبة الأطفال لا تقتصر على الأطفال الذين يرتادونها بمفردهم ويستطيعون أن يقرأوا، بل هي في متناول أطفال ما قبل المدرسة أيضًا[٩].

وسيلة أخرى تشجع الطفل على الإقبال على الكتاب هي أن تتحول شخصية أو شخصيات الكتاب القليلة المألوفة إلى الطفل إلى دمى متحركة. تستطيع الأم بحركة ذكية أن تبيِّن للطفل أن الدمية المتحركة (عادة ما تأخذ شكل قفاز) قد خرجت من الكتاب وأنها تريد أن تتحدث معه. الأمر لا يتطلب من الأم إلا اهتمامًا بسيطًا في كيفية صنع الدمى، وهي دمى بسيطة في تصميمها لا تكلف كثيرًا ولا تتطلب إلا ما هو متوافر في البيت من مواد. يمكن للأم في هذه الحالة أن تستفيد من كتب موجودة في مكتبة عامة حول تصميم الدمى المتحركة البسيطة. قد تجد غايتها في مكتبة تجارية. إن تحويل القصة في كتاب إلى عرض تمثيلي بسيط أمر يشوّق الطفل ويدفعه إلى أن يهتم بالكتاب بصورة أقوى. المهم أن يكون العرض التمثيلي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالكتاب وشخصياته. قد يطلب الطفل أن يحرك الدمية بيده فتشجعه الأم على هذا دون تردد حتى يقترب من أكثر من الشخصيات[١٠].

بعد أن تمتلك الأم خبرة في هذا المجال، تقدر أن تصمم دمى بنفسها وتستفيد من قصص أكثر تعقيدًا مع نمو طفلها. تحاول ألا تقصر عرضها على طفلها، بل تدعو أطفال الجارات والقريبات. قد تجد عند الجارات خير عون. لا تنسى الأم أنها تسعى نحو إيجاد ثقافة بديلة في بيتها مبنية على وعي واهتمام وإدراك بأهمية ثقافة الطفل وكتابه.

إذا عاد الأب من عمله ومعه كتاب جميل مناسب لطفله، بدل الحلوى أو الألعاب، فإنه بذلك يشجع الطفل على الإقبال على القراءة ويدفعه إلى أن يؤسس مكتبة صغيرة في البيت. فالمألوف في واقعنا أن معظم ما يقدّم للأطفال من الوالدين والأقارب والأصدقاء هو من الألعاب والحلوى، **نادرًا ما يقدم الكتاب هدية. فإذا أراد الوالدان أن يشجعا الطفل على القراءة حقًا وعلى الاهتمام بالكتاب، فلا بد أن يقدما له الكتاب مثلما تقدم الحلوى والألعاب**[١١]. **يجب أن يشجَّع الطفل على التوفير من مصروفه اليومي لشراء كتاب. كما يجب أن يشجع على شراء كتاب لقريب له أو صديق على سبيل الإهداء.**

لا يقف دور الأب عند هذا، فإذا خصص لطفله دقائق قليلة لقراءة كتاب جديد أحضره معه أو كتاب من مكتبة البيت، فإن هذا يعزز دور الكتاب في حياة الطفل[١٢]. كيف لا وهو يرى الكبار يهتمون بالكتاب، وتجدر الإشارة هنا إلى أمر مهم وهو التربية بالقدوة، فالكبار قدوة للطفل[١٣]. لن يفلح الوالدان أبدًا وهما يقولان لطفلهما «إقرأ» في حين أنهما عمليًا لا يفعلان هذا. أما الفلاح فيتحقق عندما يقرأ الوالدان، بدل أن ينفقا الوقت المهم في متابعة ما يعرض على شاشة التلفاز، مثلاً، وليس كل ما يعرض يصلح للمتابعة. فالأصل هو الطفل.

نشاط سرد القصة

يعد سرد القصة من أهم النشاطات في تلك المرحلة المبكرة[١٤]، وهو من أكثر النشاطات جذبًا وتأثيرًا في نفس الطفل إذا ما أُدّي على أكمل وجه. يتطلب سرد القصة اهتمامًا واضحًا بالأداء اللفظي والحركي. فعلى الأم أن تهتم بشخصيات القصة وتبرز صفاتها بتميز واضح ما أمكنها ذلك[١٥]. فالدجاجة لا بد أن تختلف عن الثعلب، والأرنب لا بد أن يختلف عن السلحفاة. هذا في حد ذاته يشد الطفل إلى القصة وبالتالي يجذبه إلى الكتاب. لا تجد الأم أو الأب أي حرج إذا ما حاولت تقليد الأصوات والتعبير بملامح الوجه وحركات الجسم في بعض الأحيان. إذا ما ظهرت في القصة نحلة فإن صوت الأم وهي تزنّ مثل النحلة يعد أفضل مؤثر صوتي للطفل. يزداد اهتمام الطفل إذا ما وقفت النحلة على أنفه أو خده لتسلّم عليه! تلك اللحظات الأدائية المليئة بالحيوية التي قد تبدو تافهة لا معنى لها في مفهوم الكبار هي من أهم الوقفات التي تثير الطفل وتؤثر فيه.

يعرِّف نشاط سرد القصة الطفل اللغة الفصحى[١٦]. ينصح الوالدان دائمًا باستخدام اللغة الفصحى لأن هذا يعد تمهيدًا للطفل ليقترب من اللغة تدريجيًا وليثري مفرداته. لا بد من التأكيد هنا على أن المادة المطلوبة تكاد تكون محدودة في وصولها إلى الطفل في بداية تعرفه على اللغة الفصحى. يتيح النشاط الفرصة للطفل ليستمع إلى تركيبات لغوية أكثر تقدّمًا بقليل مما يسمع، كما أنه يغني حصيلته اللغوية أولاً بأول[١٧]. لا أستطيع أن أفترض أن كل بيت يتمكن من استخدام اللغة الفصحى، على الأقل في مجال سرد القصة. ففي هذه الحالة يمكن الاستعانة بلغة الكتاب. أقف هنا لحظات لأؤكد على ضرورة وجود كتب للمرحلة التي نحن بصددها في موضوعات منوعة تراعي اللغة في المقام الأول. **فما يزال أدب الأطفال في عالمنا العربي يعاني من نقص شديد في هذا المجال ضمن ما يعاني من مشاكل عديدة.**

نشاطات أخرى

زيارة الأم وطفلها مكتبة الأطفال تعد مكسبًا كبيرًا للطفل في مجال اهتمامه بالكتاب[١٨]. عادة ما تنظم أمينة مكتبة الأطفال لقاءات خاصة بأطفال ما قبل المدرسة ضمن نشاطات منوعة مثل سرد القصة، والنشاط التمثيلي، ومسرح الدمى،



وعرض الأشرطة المرتبطة بالكتاب[١٩]. تفيد هذه اللقاءات الأم فائدة كبيرة، إضافة إلى أنها تعود بالنفع على الطفل نفسه. ومن الأمور المهمة في مكتبات الأطفال أن تنظم المكتبة لقاءات خاصة بالأم نفسها لتتعرف على النشاطات التي تساعدها في البيت. كما تتلقى النصح والإرشاد إذا كانت تواجه أية مشاكل بالنسبة لطفلها[٢٠]. تدرك الأم، من خلال تعامل أمينة المكتبة مع طفلها وأطفال آخرين، **أن عادة القراءة تبذر في نفس الطفل قبل أن يلتحق بالمدرسة**[٢١]. **وهذا يتم عن طريق القراءة الجهرية والنظر إلى الكتب والحديث عنها مع وجود شخص بالغ متعاطف يهتم بهذه التجربة التربوية الثقافية التي تعد من أهم الأمور التربوية في فترة الطفل الدقيقة تلك التي تؤهله للمدرسة.**

تمتلك الأم الصبر والحنان اللازمين لتجارب مع رغبات طفلها، بما وهبها الله من عاطفة الأمومة وبما منحها من صبر يعينها على أداء واجبها تجاه طفلها. قد تفاجأ الأم بطفلها وهو يلحّ عليها بأن تقرأ له كتابًا، أو تحكي له قصة خلال انهماكها بعمل بيتي. من المهم في هذه الحالة أن يكون تجاوبها إيجابيًا وأن تحاول إخباره بأنها ستلبّي رغبته حالما تُنهي عملها. ولا يتم هذا إلاّ بتفهم وحنان طفلها، تعرف أن رغبته تلك هي بداية جادة وحقيقية لاهتمامه بالكتاب. أما إذا ما استطاعت أن تحكي له قصة دون كتاب أثناء عمل ما فهذا أمر حسن، وخاصة أنها تبقيه أمام عينيها أطول فترة ممكنة.

ويجب أن لا تفاجأ الأم أيضًا إذا ما طلب منها الطفل أن تقرأ له كتابًا معينًا مرات ومرات. قد يطلب إعادته عدة مرات في جلسة واحدة. لا بد أن تراعي هنا التغير في الأداء وإضفاء لمسات طفيفة حتى لا يحس الطفل أن الأمر أصبح مملاً.

فالطفل بفطرته التي فطره الحق عليها يميِّز بين ما هو طبيعي تلقائي، وما هو مصطنع، مثلما يقدر أن يميِّز بين من يحبه حقًا ومن يجامله. فالأم هي المربية الأولى في تنشئته فلا بد أن تهتم بكل ما له علاقة بالكتاب.

إذا دُعِيَ الوالدان إلى أي لقاء له علاقة بطفلهما في مجال الكتاب والقراءة، فعليهما أن يلبيا الدعوة لأن فيها الخير الكثير لطفلهما. وعادة ما توجه مثل هذه الدعوة جهات مهتمة بالموضوع، مثل مكتبة الأطفال. وأراني في هذا المقام أشير إلى تجربة تمت في **بريطانيا** تحت اسم «**مجموعة كتاب الأطفال**» **Children's Book Group** التي بدأت بشكل لقاءات مسائية جمعت الكبار، ومن بينهم الآباء والأمهات المهتمين بأمور كتب الأطفال وقراءتهم[٢٢]. عام ١٩٧٢م برزت فكرة «**مجموعات القراءة العائلية**» **Family Reading Groups** إلى حيز الوجود في **بريطانيا** بهدف إعلام الوالدين بوجود أدب أطفال حديث وجيد وبغرض تشجيع الأطفال على القراءة[٢٣].



إن حرص الوالدين على تنشئة طفلهما التنشئة الصالحة يدفعهما إلى أن يثيرا موضوع كتب الأطفال في كل تجمع ومؤسسة ترعى الأطفال. فهما يجب أن يكونا المحرك القوي في الاهتمام في هذا الميدان، وهما اللذان يجب أن يرفعا نداء عاليًا من أجل أن يكون هناك اهتمام حقيقي بكتب الأطفال. وأشير في هذا المجال إلى أنه في أكثر من دولة، **خاصة الدول الأوروبية**، يرفع الناخبون شعارات خاصة بثقافة الأطفال ضمن برامجهم الانتخابية لأبيِّن **أهمية دور ثقافة الأطفال في التربية والاهتمام الذي يوليه الكبار له**. إن أراد الناخب أن يكسب صوتَيْ الوالدين عليه أن يطرح برنامج الاهتمام الجدي بالطفل.

خاتمة

يعكس اهتمام الوالدين بقراءة طفلهما وكتبه اهتمام الأمة بتربية الأجيال الناشئة وثقافتهم. فهذه الأجيال هم حملة شعلة الحضارة. ونحن، حفدة الأجداد الصالحين، أولى من غيرنا بأن نكون السبَّاقين في مجالات المعرفة مثلما أسهم السلف الصالح في دفع حضارة الإنسانية خطوات ثابتة إلى الأمام بفضل صدقهم وإخلاصهم وحرصهم على أداء الأمانة. فإذا أردنا أن ينصرنا الحق فلا بد أن ننصره. والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خير أطفالنا، أمل هذه الأمة.

هوامش

١ ـ محمد بسام ملص، الكتاب والأطفال. ـ الرياض: دار ثقيف. ١٩٨٤م ص ١١.
٢ ـ المرجع نفسه ص ١٣.
٣ ـ البخاري ـ صحيح البخاري. ـ القاهرة: مطابع الشعب. ١٩٥٨م جـ ٢ كتاب الجمعة ص ٦.
٤ ـ محمد بسام ملص، ترويج كتب الأطفال. عالم الكتب م٧ ع ٤ كانون أول ١٩٨٦م ص ٤٤٥
٥ ـ الكتاب والأطفال ـ المرجع السابق ص ١٥.
٦ ـ المرجع نفسه ص ١٦.
٧ ـ Tucker, N. The child and the book: a psychological and literary exploration. Cambridge: Cambridge U.P.. 1982 p.23 - 25
٨ ـ الكتاب والأطفال ـ المرجع السابق ـ ص ١٥.
٩ ـ Ray,S.G. Children's librarianship. -London:- Clive Bingley, 1979 p.72
١٠ ـ محمد بسام ملص، مسرح الطفل في البيت مجلة الكويت سنة ٠٨ عدد ٦٧ آذار ١٩٨٨م ص ٧٢ ـ ٧٧.
١١ ـ محمد بسام ملص، نحن وكتب الأطفال. الناشر العربي ع ١١، ١٩٨٨م، ص ١٦١.
١٢ ـ Williams, V. Kids can read better. - - NewYork: New American Library, 1985 P. 22.
١٣ ـ عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام. ط ٢. ـ بيروت: دار السلام. ١٩٧٨م جـ ٢ ص ٦٣٣.
١٤ ـ Eccleshare, J. Treasure Islands: The women's hour guide to children's reading. - London: BBC Books., 1988 p.5
١٥ ـ Fleet, A. Children's libraries. - London- Andre Dutsch, 1973 p.102.
١٦ ـ الكتاب والأطفال ـ المرجع السابق ص ٧٢.
١٧ ـ Children's libraries op. cit. p. 102
١٨ ـ نحن وكتب الأطفال ـ المرجع السابق ص ١٦١.
١٩ ـ Children's librari anship op. cit. p.85 - 94- انظر أيضًا الكتاب والأطفال ـ المرجع السابق ص ٣٣ ـ ٣٨.
٢٠ ـ Children's librarianship op. cit. p 68
٢١ ـ ibid. p. 72-
٢٢ ـ Obrist, C. How to run family reading groups - United Kingdom Reading Association, 1978
٢٣ ـ ibid. p.4



صوت التعليم الحر:

آراء أوكشط في التربية

إعداد: تيموثي فلر
عرض وتحليل: ياسر الفهد

هناك اتفاق عام بين أوساط المربيين على أن نظم التربية الحالية تعاني من الجمود وعدم القدرة على مجاراة تطورات العصر. وقد أثار هذا الوضع جدلاً واسعاً في العالمين المتقدم والنامي بشأن مستقبل التربية والتعليم وحول الحاجة إلى مقترحات وبرامج جديدة ولإعادة تعريف النظام التعليمي، وتحقيق الإصلاح التربوي أو حتى إضرام نار ثورة تربوية شاملة. وقد صدر في لندن في مطلع عام ١٩٩٠م باللغة الإنجليزية، كتاب جديد[١] يعالج قضايا التعليم والتعلُّم بمنظار فلسفي عميق، ويعرض آراء وتصوّرات جديدة حول المدرسة الحديثة، وقد كتب معظم مقالات الكتاب البروفسور والباحث التربوي المميز مايكل اوكشط. أما تيموثي فلر، أستاذة العلوم السياسية في جامعة كولورادو، فإنها قامت بجمع هذه المقالات وتحريرها وإعدادها للنشر.

آراء فلسفية في التعلم والتعليم

يلقي اوكشط في الفصول الأولى من الكتاب أضواء تربوية وفلسفية حول أُسس التعلُّم والتعليم، مبيِّناً أن أهم طريقة لتحرير الإنسان، تمكينه من الحصول على التعليم. فهناك علاقة وشيجة وجسر عريض يصلان بين التعليم والحرية وإنسانية الإنسان. فإذا لم تُتح للفرد فرصة التعلُّم، يفقد حريته كما يفقد إنسانيته. وبتعبير آخر فإن أوكشط يرى أن لا أحد يولد إنساناً، بل إن التعلُّم هو الذي يكسب المرء إنسانيته وحريته، فيجعله يتأمل ويفكّر ويتصرّف، حسبما يشاء. وتتباين القدرة على التعلم وفقاً لسنوات العمر. وهناك عوامل وراثية تدخل في هذه القدرة. ويعرّف أوكشط التعلُّم بأنه **«العملية التي يكيّف بها الإنسان نفسه مع البيئة المحيطة به عن طريق اكتساب المعلومات وتخزينها ثم استعادتها واستثمارها في**



الوقت المناسب». ولكنه يستدرك بأن التعلم الذي يكسبنا إنسانيتنا هو أكثر من مجرد التكيف مع البيئة، ومن كونه مجرد فعل طبيعي. إنه

نشاط واع مفروض من داخل الذات، ويوحى به شعور المرء بالجهل ورغبته في الفهم. وبالنسبة لمراكز التعلم، فعلى الرغم من أن العالم كله هو مكان للتعلم، فإن الأمكنة المخصصة له في العادة هي الأسرة والمدرسة والجامعة. ولكن ما الذي يجب أن يتعلمه الإنسان؟

إن كثيراً من التعلُّم يرتبط بما يستلزمه استثمار موارد الأرض بهدف تلبية حاجاتنا البشرية، مما يستدعي ضرورة تعلّم المعلومات والمهارات والممارسات والعلاقات المتصلة بجميع أوجه الحياة اليومية. وهذا ما يفسر لنا وجود مدارس للطب والقانون واللغات والتصوير والصحافة وقيادة السيارات وغير ذلك مما يرتبط بحياتنا مباشرة.

ويعود **أوكشط** في مواضع أخرى من الكتاب، إلى سبر ماهية التعلُّم والتعليم، بمنظار آخر فيعرّف التعلّم بأنه **«نشاط شامل نتوصل بفضله إلى معرفة**



أنفسنا والعالم المحيط بنا». وهو يبدأ منذ الولادة ويستمر حتى المات. وتتراوح منجزات التعلُّم بين المعرفة والفهم والقدرة على الشرح. وهو ممكن فقط عند توافر ذكاء قادر على التمييز والاختيار، مما يجعل البشر وحدهم مؤهلين له تأهيلاً كاملاً. ويبقى المعلِّم هو الأقدر على التعليم، حتى لو كنا نستطيع أن نتعلم من الكتب والمجلات والمحاضرات ومن أشياء أخرى، وكثيراً ما يحدث التعلم بدون تعليم. وفي الحقيقة، فإنه من الصعب أن نتحدث عن أية حالات يكون فيها التعلّم مستحيلا. صحيح أن التعلم قد يكون في بعض الظروف أسرع أو أبطأ منه في ظروف أخرى، إلا أنه في الواقع لا يتوقف على أية درجة من الانتباه يُطلَب تحققها عند المتعلم. فقد يصدق أن يتعلم المرء أشياء دون أن يعرف كيف ومتى تعلّمها. إن بعض التفوهات التي ينطق بها أي إنسان، بشكل عشوائي، مهما كان غبيًّا أو جاهلاً، يمكن أن تساعد على تنوير المتعلم الذي يتلقى من الكلام المنطوق ما هو مستعد لتلقيه. وهوغالبا ما يتلقف الأشياء التي لا يعرف الناطق نفسه أنه ينقلها. ويختلف مفهوم التعلم بين التلميذ والمعلم، فهو بالنسبة للتلميذ يعني اكتساب المعرفة والقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب. ولكنه أكثر من ذلك بالنسبة للمعلم الذي يعدّ نفسه رسول حضارة وأن عليه أن يساعد التلميذ على اكتساب المعلومات والقدرات والمهارات التي تمكنّه من التكيف مع الحياة، ومن تلبية جميع حاجاته ومتطلباته. ويبدأ التعلم الحقيقي في المدرسة حيث يتحقق التعلم بالدراسة، وفي ظروف تتسم بالتوجيه والضبط والاستمرارية، وبطريقة يتمّ فيها بذل جهد حقيقي. أما خارج نطاق المدرسة، فإن التعلم يحدث بالمصادفة عن طريق نشاطات يمكن أن تتوقف في أي وقت يتم فيه إرواء الحاجة، وفي المدرسة لا يكتسب المرء معلومات وأفكاراً وصوراً ومعتقدات وما شابهها فحسب، وإنما يتعلم أيضا الفهم والنظر والإصغاء والتفكير والتصوُّر والاختيار وكيفية التغلب على المصاعب. ويرى **أوكشط** أن أهم شيئ في المدرسة تعلم اللغة، صحيح أن هذا يحدث في وقت مبكر في المنزل، إلا أنه يتخذ في المدرسة شكلاً جديداً، فاللغة هنا ضرب من الاستثمار الفكري. وهي تشكل وسيلة لتعلم المعارف الأخرى، وتساعد على التفكير بشكل أدق.

التعلم الحر

يلقي **أوكشط** في فصل خاص الأضواء على مفهوم التعلُّم الحر مبيناً ومفنداً آراء بعض الداعين إليه.

ويفسر بعضهم التعلُّم الحر بأنه يعني تمكين الطالب من التفكير لوحده بصورة منطقية، وبمعزل عن الارتباط بموضوعات أو معلومات محدّدة، ومقررة سلفاً. وهو يرتبط بتعلُّم القراءة الصحيحة والنطق الواضح والشجاعة والصبر والحرص والدقّة والتصميم وما شابه ذلك. ويرى **أوكشط** أن مثل هذه الأهليات والعناصر المجّردة لا يمكن أن تشكّل ثقافة، لذلك فهي لا تستطيع أن تكون وحدها أساساً للتعلُّم الحرّ المثمر. ولا بد من إضافة عناصر أخرى.

ويشن **أوكشط** حملة نقد شديدة على بعض دعاة التعلُّم الحر الذين يبالغون في دعواتهم ويذهبون إلى حد محاولة إلغاء المدرسة بوصفها مكاناً للتعليم إلغاء نهائيًّا؛ لأن التلاميذ فيها، حسب رأيهم، يُسجنون في صفوف ويُجبرون على اتباع روتين قاس مخرب للشخصية. وكثيراً ما يتم إجبار هؤلاء على تعلُّم ما لا يريدون وما لا يدخل ضمن مستوى قدراتهم. لذلك فإن من الأفضل الاستغناء عن المدرسة والاستعاضة عنها بالنشاط التجريبي القائم على الاكتشاف غير الموجَّه.

ومن بين الإجراءات التي يوصي بها بعضهم إعداد قوائم بالكتب العظيمة التي تتضمن حكمة الحياة وتمكين الطلاب من قراءتها واستيعابها بصورة حرّة، بدلاً من الاستمرار في البقاء في المدرسة. ومن أنصار فكرة إلغاء المدرسة **بيكون وكومينيوس وهارتلب**.

وهناك آخرون يفتشون عن مكان غير المدرسة يعمل فيه الطالب أو لا يعمل، بقدر ما توحى له به رغباته، وذلك في ظل غياب المناهج الرسميّة، وبدون [illegible] التعليم، وحيث يرتبط التعليم بالحياة في جميع مظاهرها. والتعليم هنا غير مخطَّط من قبل، والطالب يشترك في كل نشاط ويتابعه حسب طريقته الخاصة وبالزمن الذي يحدّده. وفي هذا الوضع يصبح التعلم اكتشافاً شخصيًّا يتحرر الطفل في رحابه من الإذلال الناجم عن الشعور بالجهل أو الفشل. ويقتصر هذا التعلُّم على الإيحاءات غير الكلامية. وتتم الاستعانة بتصميمات ميكانيكية تفوق في فائدتها المعلمين. وفي الطريقة المقترحة الجديدة، يُعدُّ العمل والرؤية أفضل من التفكير والفهم، كما أن التمثيل التصويري أحسن من النطق والكتابة. أما عملية التذكُّر، فإنها مُحتقرة لأنها من بقايا عبودية التعليم التقليدي، وليس هناك أيُّ معايير للفهم، فمثل هذه المعايير محرّمة. وتحلّ الدوافع الداخلية والقناعة محل قواعد السلوك.

وفي مقابل التطرف والمغالاة في حرية التعلم، هناك مصلحون معتدلون ينادون بذوبان المدرسة في المجتمع بدلاً من إلغائها، فأية مؤسسة اجتماعية أو مركز معلومات أو حديقة أو مكتبة أو قاعة أو نادٍ رياضي، أو ماشابه ذلك، يمكن أن يكون بمثابة مدرسة مصغّرة يحصل فيها الطلاّب على المعرفة من كتاب الحياة المفتوح، ويمارس الأطفال والبالغون رغباتهم ويفرغون طاقاتهم، ويجدون بيئة تزّودهم بفرص غير محدودة للتعبير الذاتي والاكتشاف، كما يجدون غرفاً مزّودة بتصاميم تكنولوجية وأجهزة للتعليم المبرمج وآلات لنقل الصُّور والأحاديث. ويقترح آخرون أن يحل البيت مكان المدرسة، فيكون كل بيت بمثابة وحدة تعلّم أساسية يتم تزويدها بتجهيزات الكترونية ونظام كمبيوتر مركزي وفيديو، بحيث يستطيع كل طالب أن يحصل على التعلُّم الذي يناسب قدراته الخاصة بضغط زرّ. وفي هذه الحالة فإن التعليم يُدار من محور تربوي مركزي واحد يشرف على جميع وحدات التعلم. وإذا تركنا التعليم الحر جانباً، نجد أن هناك اقتراحات أخرى لإصلاح نظم التربية، من بينها اقتراح بربط التعليم بالمجتمع بحيث يتم تعليم الطفل الأشياء التي تساعده على الإسهام بقدر أكبر في خدمة مجتمعه وأمته. وهذا التعليم حسّاس بالنسبة للتغيّرات الاجتماعية. وهو يتوسّع ويتطوّر مع ظهور مهن



هل يمكن الاستغناء عن المدرسة والاستعاضة عنها بالنشاط التجريبي القائم على الاكتشاف غير الموجَّه؟!

اجتماعية جديدة. إنـه تعليم يؤهل الطالب للحياة الصناعية والتجارية والعامة، وقد ظهرت فكرة هذا النوع من التعليم في **إنجلترا** أولا منذ القرن التاسع عشر، ثم انتقلت إلى دول أوروبيــة أخــرى حيث أُنشئت مدارس وكليات خاصة يجرى فيها تدريب الطـــلاب على جميع المهن والحرف والمهـــارات والتقنيات التي تلبي حـاجات المجتمع العمليـة. ومثل هــذا التأهيل والتمهين للحيـاة الصنــاعيـة والتجـارية كـان في الماضي مستقـلاً عن التعليم في المدارس والجامعـات الـرسميــة، وكـان الطـالب يلتحق به بعـد إتمام دراسته المدرسيـة أو الجامعية. وفي وقت لاحق أخذ هذا التعليم يدخل شيئا فشيئا المدارس والجامعات.

إن التعليم الاجتماعي المشار إليه والذي يستقي بعض أسسه من **نظرية بيكون** في علـم الاجتماع، يتضمن التعليم ونقل المعرفة والتـوجيه والتدريب، وهو يؤدي إلى إلغاء التفرقة بين التلاميذ وإلى خلق مجتمع متكامل. ومن المعتقد أن المتخرجين منه أكثر فـائدة للمجتمـع من الـــذين يكملـــون التعليم التقليدي. ويرى **أوكشط** أن هذا النوع من التعليم مفيـد جـدا على الصعيـد العملي والحيـاتي. ولكن مشكلتـه تكمن في أنـه يضع التعليم في أيـدي من ليست لهم علاقة بالتعليـم. وهكذا نجد أن هناك عنـاصر إيجابيــة وأخـرى سلبيـة في جميع الـرؤى والتصـورات المختلفـة حـــول الأشكـال الجديـدة المقترحة للتعليم.

آراء أوكشط الخاصة

بعد أن يعرض لنا **أوكشط** الآراء المختلفة حول التعليم الحر والتعليم الاجتماعي، ويعقب عليها، يقدم لنا رأيه الخاص في الشكل المثالي للتعليم الحر، معارضـا كل الحلول السريعة المتطرفـة للمشكلات التربوية. وهو يـرى أن هذا التعليم يجب أن يستند **إلى حـوار متعدِّد الأوجـه بين المعلِّم والمتعلم، وإلى دعم النضــوج العقلي والعـاطفـي عنـد الطــالب بـالمحادثـة والمناقشـة المستمرتين، وذلك بـدلا من وضع قوائم بالمعلومات التي يتعين عليه تعلمها.**

وهو لا يـرى في التعلم اكتساب معلـومات أو عـادات أو تدربـاً على القيـام بمهام معينـة، وإنما التعلم في نظره أن يكتسب الطـالـب شيئاً يستطيع استخـدامـه لأنـه يفهمه، فـالأسـاس هنـا الفهم والإدراك لا تجميع المعـــارف. وبتعبير آخـــر، فإن **أوكشط** يؤمن بالجدل والمناظرة والمحادثة ويصر على أن على المعلم أن يتحــــادث بصـــورة دائمـــة مع التلميـذ، حتى يدعم نضـوجـه ويجعله قـادراً على التكيف مع العـالم، وبدلا من قـوائم المعلومـات، يقـدم **أوكشـط** قـوائم بـــالتفكير والفهم والانتبـاه والتركيــز والـدقـــة والتخيل والشجـاعـــة والصبر ومواجهة الصعاب، وغير ذلك، وهو ينتقد المغالاة والإفراط في التصوّرات والتكهنات الخاصة بالتعليم الحر، ويـرى أن هـذا الإفراط يقـود في النهـايـة إلى عكس النتيجة المرجـوّة، أي أنه يؤدي إلى العبـودية بدلا من الحرية [illegible] التعليم إلى

آلات وأجهــزة وحــواسب، فـإن مستقبل الطفل وسلـوكـه ســوف تقررهما عقـول تسيرهـا التيـارات الكهربـائية والمحاليل الكيميـائية. كما أننا عنـدما نجرِّد المدرسة من شخصيتهـا ومن مهمتها الأصلية المتمثلة بـالتعليم عن طريق الدراسـة، ونحوّلها إلى مصنع، نكــون ألغينــا الإنســان ونسفنــا أســاس التربية.

إذن، فـالتعليم الحر المثالي في نظـر أوكشط هو التعليم الـذي يجري في المدرسـة، ويعتمد بصـورة أساسية على تشجيع الحوار وتنمية نضوج الطالب، وقدرتـه على الفهم، بدلا من حشو عقله بـالمعارف والمعلومـات، أما الآلـة فيمكن الاستعانـة بها عند الضرورة، من أجل الشرح والتـوضيح، ولكن دون إفراط.

تعقيب

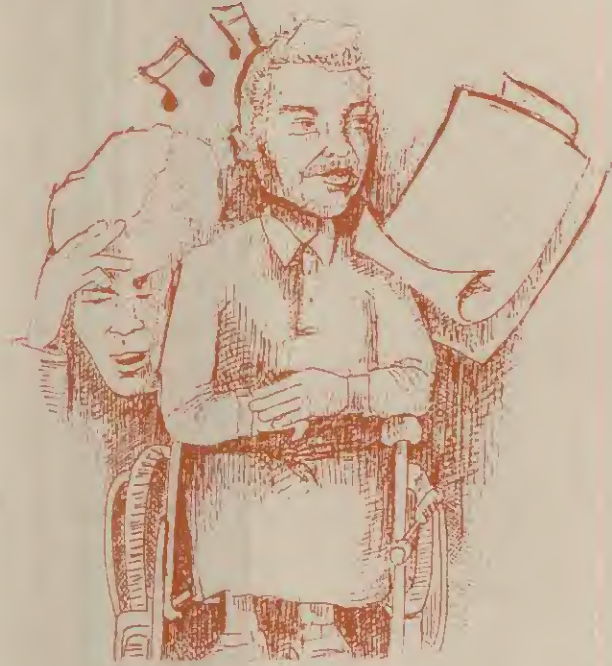
على الـرغـم من أهمية كتـاب (**صـوت التعليم الحرّ**)، إلا أنـه لا يقـدم لنـا حـلاً واضحـاً ونهائيـاً لمشكلة جمود النظم التربـوية، كما لا يزودنـا ببديل عملي أو نمـوذج مجسّـد يمكن تطبيقـه ليحل محلّ الأسلوب المدرسي التقليدي. وهذا أمر طبيعي لأن الوصول إلى البديل المنشود لا يتحقق بنشر دراسة أو عدة دراسات، مهما كانت قيّمـة وجادة، فالطريق نحـو الحلـول الحاسمـة لمشكـلات التربيـة المزمنـة مازالت طويلة وشاقة وتحتاج إلى زمن. ومع ذلك، فإن الكتاب يشكل علامة على الطريق وخطوة على الـدرب. وهــو يتحفنـا بــآراء قيمـة حـول التعلم والتعليم بمنظار فلسفي عميق ورؤية تربوية ثاقبة. ولا شك أن آراء **أوكشط** حول التعليم الحر المعتدل الـــذي يعتمـد على إذكـــاء اوار الحوار والجدل بين المعلم والتلميـذ، ويستند إلى دعم نضـوج التلميذ وتحسين قدرتـه على الفهم والإدراك، بدلا من اتخام عقله بكميات كبيرة من عناوين المعرفة، يمكن أن تنير الطريق أمام رسم بعض الملامح العامة لمدرسة الغـد التي يحلّ فيهـا تطـوير العقل والتفكير محل التلقين والحفظ الآلي.

هامش

(1) The voice of liberal learing: Michael oakshot on education, edited by Timothy Fuller, Jondon, 1990.

تنمية السلوك الإبداعي عند المعوقين

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي



لما كان المعوقون من أكثر الفئات احتياجًا إلى نوع من التنمية الفورية لإمكاناتهم، وكذا لتحقيق أمانيهم فربما كان أقصر طريق إلى تحقيق هذه الأماني وهذه التنمية يتم من خلال طريق باب السلوك الإبداعي.

والسلوك الإبداعي يعتمد على توفر عدد من الاستعدادات في البناء العقلي لدى كل إنسان، بمعنى أنه لا يوجد أي شخص لا يتمتع بقدر ما من الاستعدادات الإبداعية أيا كان هذا القدر.

وحديثنا عن السلوك الإبداعي عند المعوقين قد يعتبره بعض الناس نوعا من التزيد أو المغالاة أو التجاوز، وربما يتبع ذلك التساؤل التالي: وهل انتهينا من تنمية القدرات العقلية الطبيعية ونجحنا في ذلك، حتى نبحث عن تنمية السلوك الإبداعي ؟

والسؤال بهذا الشكل قد يرجع أساسًا إلى أن بعضنا قد يتصور، كما تصور كثيرون لفترات كثيرة سابقة، أن السلوك الإبداعي قاصر على العباقرة والمتميزين من الناس، أو أنه هبة أو إلهام، ولا حيلة لنا في تنميته أو الحدّ منه. . ربما يكون هذا هو مصدر التشكك والارتياب فيما يمكن لنا أن نفعله بالنسبة لتنمية السلوك الإبداعي عند المعوقين.

ولقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن الاستعدادات الإبداعية موجودة عند جميع الناس معوقين وغير معوقين بل ومرضى وأسوياء أيضا.

أما عن المستويات التي توجد لدى كل فئة من هذه الفئات فهي مستويات متفاوتة ولكنها في كثير من الأحيان قابلة للتنمية. فما المدى الذي يمكن أن ننمي من خلاله الاستعدادات الإبداعية عند المعوقين؟

ربما تتطلب الإجابة عن هذا السؤال الوقوف أولاً على طبيعة السلوك الإبداعي وخصائصه بوجه عام، ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن تنميته لدى الفئات النوعية.

الإبداع يشير على وجه العموم إلى السلوك المتفرد الأصيل الذي يتسم بالوفرة والتنوع والملاءمة للهدف الموجه إليه. فالصورة الفنية مثلا هي إنتاج إبداعي أفرزه جهد فنان مبدع من خلال سلوك إبداعي.

أما خصائص هذا السلوك فهي أنه يتميز بأنه أصيل أي لا يشبه سلوك الكثرة الغالبة من الناس وغير مسبوق بإنتاج مماثل، وهو مرن أي إنه متنوع ويمكنه النفاذ عبر السدود والقيود بشكل أو بآخر، وهو يتميز بالوفرة وهو ليس فقيرًا من وحداته أو خصائصه.

والسلوك الإبداعي يأتي نتيجة تضافر عدد كبير من ضروب أو وجوه السلوك، فهو وإن كان أساسًا بمثابة استعدادات عقلية معرفية إلا أن الجوانب العاطفية والدافعية تؤدي دوراً في إبرازه ونموه، كما أن الأبعاد التشكيلية والإيقاعية والتعبيرية التي تتعلق بشكل السلوك وإيقاعه ومداه تعطيه مذاقًا خاصًا وتجعله متميز الملامح.

كما أن الإطار الاجتماعي للمبدع يسهم إلى حد كبير في دفع نشاط المبدع وفي توجيه خطاه وفي تحديد هدفه ووجهته.

وإذا كانت هذه الخصائص أو الأبعاد الأربعة «معرفية ووجدانية وتعبيرية إيقاعية واجتماعية» يسهم كل منها بمقدار يقل أو يكثر في تنشيط السلوك الإبداعي، فإن هذا كله يتم من خلال أسس متفاوتة من الفاعلية يكتسبها من فاعلية الأبعاد الأربعة السابقة بما يؤدي إلى أن تتحدد درجة

ما من درجات الطاقة تنبع من بؤرة الالتقاء والتفاعل بين هذه الأبعاد الأربعة التي نمت حتى هيأت للمبدع فرصة للإبداع .

ومن هنا تبدأ الإجابة عن السؤال التالي : إلى أي مدى يمكن تنمية السلوك الإبداعي لدى المعوقين؟

فإذا عدنا إلى الوراء قليلاً وتعرفنا على المعوقين وصنوف إعاقتهم وعجزهم وكذا على خصائص العجز لدى كل فئة ، وبعد أن تعرفنا هنا في بداية المقال على إمكانات قياس وتقويم خصائص السلوك لدى هؤلاء الأفراد فإنه بذلك يتضح الطريق الذي تمضي فيه خطى من يرغب في بذل الجهد لتنمية السلوك الإبداعي لدى فئة أو أخرى من المعوقين .

ويمكن تصور أن الجهود التي يمكن بذلها على طريق تنمية الإبداع لدى المعوقين يمكن أن تمضي وفقا للمراحل التالية :

١ - تحديد نوع وفئة المعوقين الذين نرغب في تنمية سلوكهم .

٢ - الكشف عن استعدادات هؤلاء المعوقين .

٣ - قياس وتحديد طبيعة وخصائص الدوافع الأساسية لدى هؤلاء الأفراد .

٤ - بعد ذلك يتم تحديد البرنامج الذي يمكن إعداد خطاه بما يناسب :

أ - جهاز الإحساس والتلقي لدى المعوق .

ب - الاستعدادات العقلية لديه .

جـ - إشباع الدوافع والحاجات الكامنة لدى كل فرد وكل فئة .

د - تنمية الخيال لديه .

وبالنسبة لغير المبصرين «الذين ليست لديهم إعاقات أخرى» يمكن تصور أن تنمية السلوك الإبداعي عندهم يمكن أن تكون في مجال الأدب والشعر والقصة وغيرها . . . الخ ، وفي مجال التمثيل «بما يلائم قدراته واستعداده للتخيل والتقمص» ، كما يمكن أن توجه الجهود إلى تنمية استعداداته العقلية العادية لتسعفه في التعامل في السياقات الإبداعية المختلفة .

وبإيجاز يمكن تنمية مهاراته التي لا تتطلب معالجة بصرية . أما كيفية تنمية تلك المهارات فإن البرامج التي وضعت لتنمية السلوك الإبداعي لدى غير المعوقين يمكن بشيء من التعديل أن تصلح للمعوقين ، وهي تعتمد عمومًا على تنشيط الخيال والتشجيع على الاقتحام للعوالم المجهولة والقيام بالمعالجات المبدئية مع التصويب الودي كلما أمكن ذلك ، والتدريب على تنمية الإحساس بالمشكلات وطرح الحلول «في المجال الذي يتم فيه تدريب القدرة الإبداعية» .

كما يمكن استخدام أسلوب القصف الذهني الذي يتم فيه في جلسة أولى طرح مشكلة للحل بين جماعة من الأفراد ويُطْلَبُ من كل منهم إعطاء أو تقديم الحل المناسب ، مع عدم نقد حلول زملائه ، ثم يتم عقد جلسة ثانية لتقويم الأفكار المطروحة ، والتصويت على الحلول الملائمة .

وميزة هذا الأسلوب أنه يشجع الأفراد على العمل والسلوك المتفتح بين الآخرين ، ويزود الشخص بثقة تساعده على اجتياز حاجز الخجل أو الخوف أو التردد ، كما أنه يسهم في فتح آفاق جديدة أمام خيال المشارك وعقله في جلسة العمل بما يدفعه إلى المشاركة بجهده في تركيب الحلول الإبداعية من خلال الحلول المطروحة .

وهناك بالطبع أساليب أخرى يمكن استخدامها كل في المجال المناسب . وبالنسبة لباقي فئات المعوقين فإن طبيعة الإعاقة هي التي تحدد نوع أسلوب التنمية المجدي .

وليس لدينا شك في أن سلوك المعوقين يمكن أن يكون أكثر خصوبة إذا ما تم تنمية جانبه الإبداعي ، الذي يرمي أساسًا إلى القفز فوق أسوار الجمود ، والانعتاق من تقليد خطى الأجداد ومناقشة المألوف وعدم الخوف من الجديد .

وإذا كنا أسراً وجماعات وأفراداً محتاجين لذلك ، خاصة إذا ما كنا ما نزال في أطوار التنمية الأولى ، فإن المعوقين لأشد احتياجا إلى اجتياز هوة التخلف والإعاقة من خلال هذا الباب الواسع : باب السلوك الإبداعي .

عندما يوقظك طفلك الرضيع في الثالثة صباحاً!



بقلم: د. أدمون طباخ

كنت أغطّ في نوم عميق بعد نهار مُضْنٍ من العمل في العيادة حين قرع جرس الباب بإلحاح شديد.. كانت الساعة تقارب الثالثة صباحاً.. نهضت لأفتح وإذ بي أرى رجلاً في الثلاثين، بثياب النوم، منكّش الشعر، حاملاً بين ذراعيه رضيعاً في الشهر الرابع يبكي ويئن بلا انقطاع.

كان الغيظ قد بلغ من الرجل درجة نسي فيها أن يعتذر لإيقاظي في تلك الساعة المتأخرة من الليل. وضع الطفل فوق مكتبي وهو يصيح: «أسكته لي بأية وسيلة».

حاولت تهدئة الأب قليلا لأفهم ما حصل. وبين بكاء الطفل المتواصل وصراخ الأب الحانق علمت أن هذا الأخير كالأم وابنتيهما، لم يذوقوا طعم النوم في تلك الليلة، لأن «رضا» - وهو اسم الرضيع - استعاض عن الرضاعة والنوم بالبكاء المستمر بصوت يتفاوت علوه من وقت لآخر، بكاء تحسه ألماً مبرحاً يشتد من حين لآخر، دون أن تفهم له سبباً. فلا حرارة يشكو منها ولا زكام، ولا سعال ولا قيء... أثناء النهار الفائت كان رضا قد استغنى عن نصف وجباته من الحليب متوقفاً أثناء الرضاعة ليبكي بكاءً مصحوباً بدموع، وما أدراك ما الدموع في هذا الشهر من عمر الطفل!...

وفجأة سكت المريض الصغير. نزعت له ثيابه بمساعدة الأب، ثم عاينته من أم رأسه إلى أخمص قدميه... كان كل شئ طبيعياً، اللهم إلاّ بعض الاحمرار عند فتحة الشرج.

سألت الأب إنْ كان «رضا» يعاني من الإمساك، فأجاب بأنه لم يتبرز منذ أكثر من يوم ونصف، وأن والدته قد لاحظت ندرة التبرز من عدة أيام، لا بل بضعة أسابيع، وبالضبط منذ نهاية الشهر الثالث، حين انتهت عطلة الأمومة، وعادت الأم إلى العمل تاركة «رضا» في رعاية المربية أثناء النهار.

حاولت تليين فتحة الشرج والقناة الشرجية بمرهم «الفازلين» VASELINE ، ثم أجريت للطفل مسًّا شرجياً بأصبعي بكل هدوء، متوقفاً في كل لحظة يشتد فيها بكاء الطفل، إلى أن استطعت تحسس خواء المستقيم. كان هذا الأخير مملوءاً ببراز صلب شبه متحجر. أخرجت أصبعي فإذا بي ألاحظ عليه خيطاً صغيراً من الدم الأحمر القاني.

بدا التشخيص إذ ذاك واضحا «فرضا» يعاني من التهاب في الشرج، سببه ذلك الإمساك المزمن، الذي لم يُعِرْه الأهل اهتماماً في بدايته.

أجريت للطفل غسيلاً للمستقيم، ودهنت له فتحة الشرج وقناته بمواد ملينة أضفت إليها بعض المخدر الموضعي. وعاد الأب حاملاً وصفة طبية قصيرة، ونصائح غذائية كثيرة، وبعضاً من الهدوء - وهكذا شُفي «رضا» بعد يومين بحول الله تعالى وعادت ضحكته تملأ البيت، وعاد النوم إلى أجفان الأسرة الصغيرة.

تفسير ما حدث

فما قصة هذا البكاء؟ وما دور المربية في ظهور اختلاطات هذا الإمساك المزمن؟

الحقيقة أن المربية بريئة تماماً من كل تهمة. فأثناء عطلة الأمومة كان «رضا» لا يرضع غير ثدي أمه، وكان برازه ليناً، يخرج خمس أو ست مرات في اليوم. فحليب الأم سهل الهضم، سريع الجريان داخل الأمعاء، مما يجعل الأم تلاحظ أن عدد التبرزات يساوي عدد الرضعات اليومية، لكن الأمر اختلف بعد الشهر الثالث. فحين عادت الأم إلى عملها اضطر «رضا» لرضاعة الحليب الصناعي، وهو حليب بقري، أصعب هضماً من حليب الأم، وأبطأ سيراً في الأمعاء. وبدأت حينذاك ملامح الإمساك. أصبح البراز أكثر ندرة، وأكثر يبساً، وصار «رضا» يحس بصعوبة تزداد مع الأيام في

إخراج ذلك البراز الذي فقد أكثر مائه أثناء عبوره البطيء للأنبوب الهضمي. ثم بدأت جدران الشرج تتشقق من جراء احتكاكها بالبراز المتحجر، وأصبح «رضا» يتألم عند كل تبرز، إلى أن أصبح يخاف أن يتبرز، خوفه من زيادة الألم. وهذا سر بكائه المتواصل - وحين يمتلئ المستقيم بالبراز تبدأ جدرانه بالتهيج، وتفرز بعض المخاط الذي قد يخالطه دماً، وهو بدوره يؤدي إلى تقلصات تبدأ متباعدة ثم تشتد وتتقارب، وهذا سر النوبات التي تزيد الطفل صراخاً. وتكون قمة الألم حين يضطر الطفل للتبرز عبر جدران القناة الشرجية الملتهبة المتشققة.

هكذا إذن تغلق الحلقة المفرغة: إمساك ثم تحجر ثم ألم ثم تخوف من التبرز وزيادة في الإمساك وزيادة في الألم. وتصبح حياة الطفل وأسرته حياة لا تطاق.

أسباب أخرى

هل حليب البقر هو وحده السبب؟

إن الإمساك عند الرضع متعدد الأسباب، لكن رضاعة حليب البقر الطبيعي أو المصنَّع هو أكثرها شيوعاً فإلى جانب هذا السبب نذكر **أولاً: سوء الغذاء** بأنواعه كماً وكيفاً، وتناول بعض الأدوية، والبرد، والحرارة، والتعرق الشديد. وهناك **أسباب عضوية** أكثر خطراً. كالتشوهات كما في داء «هيرشبرنغ» **HIRSHPRUNG** حيث تفقد جدران المعي الغليظ بعض صفاتها العصبية، وكذلك هناك **أسباب عصبية** متعددة، وأسباب تعود إلى **الغدد الصماء** كالقصور في الغدة الدرقية HYPOTHYROIDIE أو فقدان تلك الغدة تماماً ATHYREOSE. كما أن هناك **أسباباً نفسية** - وهي نادرة - تعود إلى اضطراب في المحيط العاطفي للطفل. وأخيرا هناك **استعداد وراثي** للإمساك عند بعض الأسر يمكن أن يظهر في الأشهر الأولى.

كيف يكون الإمساك؟

الإمساك هو بطء شديد في سير الفضلات داخل المعي، أو ندرة غير عادية في التبرز. ولدى الرضيع، يعتبر كل نقص في عدد مرات التبرز ملفتا لانتباه الأم. ويختلف الحال وفق طبيعة غذاء الطفل. فالذي يرضع الثدي يعتبر مهدداً بالإمساك إذا تبرز مرة أو مرتين في اليوم، بينما يكون هذا العدد طبيعيا لدى الذي يرضع الحليب البقري. فكلما نقص عدد التبرزات عن العدد المعهود اليومي، يكون هناك إنذار بالإمساك. هذا النقص في العدد يصحبه نقص في المحتوى المائي للبراز، وتصبح رائحته أكثر كراهة، ويزداد تلونه باللون الأخضر الغامق.

كيف نحمي الرضيع؟

إن الوقاية من الإمساك صعبة التحقيق فالجهاز الهضمي عند الرضيع الصغير يتميز بضيق المساحة المعدية، وعدم نضج العصارات في مختلف مراحل الهضم والامتصاص لذا نراه يتأثر بنوع الحليب وسائر الأغذية المقدمة له.

وتعد رضاعة الثدي خير وسيلة لتجنب الإمساك لدى حديثي الولادة والرضّع دون الشهر الخامس، على أن تحاول الأم التي تعاني هي أيضاً من الإمساك أن تعالج نفسها دون اللجوء إلى الأدوية التي تؤذي الطفل. فالإمساك عند الأم المرضع، يولّد إمساكا لدى رضيعها، لذا عليها أن تتجنب المأكولات التي تزيد الإمساك كالحبوب (وخاصة الأرز) وبعض الخضار (كالجزر) وكذلك السفرجل. كما تنصح بالإكثار من البقول الخضراء (كالسبانخ والخس)، وكذلك الحمضيات (وخاصة الليمون) والتين، وإضافة زيت الزيتون إلى الطعام. ويمكنها أيضا تناول زيت «البارافين» Huile de paraffine فهو غير قابل للامتصاص من طرف الأمعاء ويساعد في جرف الأغذية عبر الأنبوب الهضمي.

وبالإضافة إلى رضاعة الثدي، يمكن تجنب الإمساك لدى الرضيع بتنظيم أوقات الرضاعة وعدم إرهاق معدته بالفوضى الغذائية ويستحسن أن تعطى للطفل كميات إضافية من مياه الشرب ما بين الرضعات خاصة أيام الحر. كما يجب البدء بإضافة عصير الليمون والبرتقال منذ الشهر الأول بمعدل ملعقة كبيرة يوميا لكل شهر من العمر.

بعد الشهر الثالث يستحسن تنويع الغذاء المبكر عند الرضيع الذي يعاني الإمساك ويكون ذلك بإدخال تدريجي للخُضر في الوجبات بالإضافة إلى اللحوم والألبان وأنواع الدقيق المختلفة، وكذلك زيت الزيتون الذي يعطى في طبق الخضار، وينصح بالإكثار من عصير الليمون. وأحيانا يتوقف الإمساك بمجرد تنويع الطعام على هذا الشكل - وأخيرا يستحسن الابتعاد عن المأكولات المعروفة بتحريضها على الإمساك كالارز والجزر ومركبات الخرنوب والسفرجل.

حين يستفحل الإمساك؟

يجب اعتبار الإمساك خطراً حقيقياً على صحة الرضيع لأن اختلاطاته مؤلمة جدا وقد تؤدي إلى **ثقب جدار الأمعاء. وأهم ما يجب عمله هو الامتناع عن إقحام المواد المختلفة داخل الشرج كمقياس الحرارة، والصابون، وحتى أعواد البقدونس! إن هذه الممارسات تزيد في احتقان جدران الشرج وقد تقرحه وتدميه أو تثقبه** والأفضل تليين فتحة الشرج وجدران قناة الشرج بمادة «الفازلين» Vaseline أو «الجليسرين» Glycerine أو استعمال مرهم «أكسيد الزنك» Oxyde de zinc ويعطى الطفل بالفم زيت «البارافين» Huile de paraffine بكميات قليلة.

أما حين تصل الاختلاطات إلى درجة تشقق جدران الشرج وامتلاء فجوة المستقيم ببراز متحجر، فالأفضل اللجوء إلى غسل المستقيم بالماء الفاتر المملح بدرجة ٩ بالألف، بالإضافة إلى دهن قناة الشرج بمادة ذات تأثير مخدر موضعي لتفادي الألم عند التقلصات. وبعد التبرز يغطس حوض الطفل مدة ربع ساعة في الماء الفاتر، ثم تدهن قناة الشرج بمرهم أكسيد الزنك، ويعاد ذلك بعد كل تبرز.

والخلاصة

حين يشتد صراخ رضيعك فوق أنين مستمر لدرجة إيقاظك ليلا، فلا تنفع معه وسائل التهدئة المعهودة، تذكر أنه قد يتألم من حرقة في الشرج... إن هذا الألم يشبه إلى حد بعيد نوبة البواصير الرهيبة التي تصيب الكبار، فهو ألم مبرح لا يقوى على احتماله ذلك المخلوق الضعيف الذي لا يجيد التعبير عن الألم بغير البكاء.

الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٠٠٠ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي

الرمز بين الواقع والابتداع

بقلم: د. صبري محمد حسن

يستعمل العرب كلمة «الرمز» في معنى الإيماء والإشارة سواء أكانت بالشفتين أم بالعينين أم بالحاجبين أم بأي شيء كان. وفي التنزيل العزيز: ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ وكلمة «رمز» في الآية الكريمة تعني «إشارة». واستعمال الإشارة حتم أن يكون هناك مشير ومشار إليه، وهو ما يؤدي إلى اكتمال دائرة التواصل لفهم قصد معين تحمله هذه الاشارة. ويقول العرب: رمز إلى الشيء معنى دل عليه.

ويستعمل الناطقون بالانجليزية الكلمة symbol للدلالة على «الرمز»، أما الفرنسيون فيستعملون كلمة symbole في المعنى نفسه، ولكن يزيدون عليه أن الكلمة قد تدل على «صورة» أو «علامة» اصطلاحية مختصرة. والكلمتان الانجليزية والفرنسية مشتقتان من كلمة اغريقية قديمة معناها «يجمع» ويقال لها symbollein بلغة القوم.

ولهذه الكلمة علاقة أيضاً بكلمة symbolon التي لها ثلاث دلالات: فقد تدل على «**علامة**» أو «**إشارة**» أو «**أمارة**»، بمعنى أن لها الدلالة نفسها التي لنصفي قطعة العملة المعدنية التي يحملها طرفان، إشارة إلى عهد أو وعد قطعاه على نفسيهما واتفقا عليه. **ومن هنا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للرمز هو الوصل أو الربط**، ومن ثم وصل أو ربط شيء بوصفه دائماً أو يمثل نفسه، وأننا عندما نراه فهو يمثل المركب بكامله.

معنى ذلك أن الرمز ما هو إلا شيء يرمز إلى معنى آخر لا يتم التعبير عنه. كأن نقول مثلاً «لحية سوداء» لنرمز إلى الرجولة. كما يمكن أن ترمز كلمتا «الفراء» و«الكلاب» في سياق من السياقات إلى الاستكشاف. وتوسعاً يمكن أن ترمز إلى المغامرة والبطولة[1].

الرمز الأدبي

ومصطلح الرمز هذا يشير في الاستعمال الأدبي إلى طريقة محددة من طرق التمثيل نرى فيها ـ من منظور علاقة الارتباط ـ الشيء الذي يشار إليه في المعتاد بإشارة مادية ليشير بدوره إلى شيء أكبر أو شيء آخر، وعادة ما يكون ذلك الشيء الآخر غير مادي. معنى ذلك أن الرمز الأدبي إن صح التعبير، يوحِّد بين الصورة الذهنية (وهو ما نطلق عليه اسم **القياس**) وبين الفكرة أو المفهوم (وهما ما نسميها **بالتابع**) اللذين توحي بهما أو تستثيرهما تلك الصورة الذهنية. خذ على سبيل المثال **الصورة الذهنية** عن ارتقاء درجات السلم والمشقة التي تترتب على الجهد الذي يبذله الإنسان لرفع نفسه واستعمالنا هذه الصورة الذهنية نفسها إيحاءً منا بفكرة السمو الروحي الذاتي، أو ارتقاء سلم النقاء والطهارة. وهذا هو بالضبط مضمون الرمز الذي استعمله الشاعر المعروف **إليوت Eliot في قصيدته** الشهيرة «**أربعاء الرماد**».

ومن هنا يمكن أن يشبه الرمز ما نسميه بالصور البيانية التي فيها ـ بدورها ـ ابتعاد عن الدلالات الحقيقية لكل من الكلمات والجمل. **معنى ذلك أن الرمز مثل التشبيه والاستعارة والتشخيص بل والصور البيانية كلها ـ تمثل طريقة من طرق الكلام يختلف معناها عن مبناها. ومع ذلك فإن الرمز قد يختلف عن الصور البيانية في الطريقة التي يربط بها بين التابع والقياس في القصيدة**. أو أن شئت **فقل: بين الصورة الذهنية وبين الفكرة أو المفهوم**. ففي الصورة البيانية يتضح القياس الذي هو الصورة الذهنية ـ من التابع ـ الذي هو المفهوم أو الفكرة. أضف إلى ذلك أن العلاقة بين القياس والتابع في الصور البيانية تعتمد على تشابه صريح أو ضمني يكون في ثنايا الاختلاف نفسه.

أهم من ذلك أن الرمز يضع **القياس (الصورة الذهنية)** في موضع التابع، وبذلك يمكن أن يكون شكلاً من أشكال الاستعارة. والعكس صحيح أيضاً، نظراً لأن بعض الاستعارات التي يكثر ترددها في عمل من الأعمال الأدبية قد يأخذها البعض مأخذ الرموز. ولذلك فنحن على سبيل المثال عندما نقرأ ذلك الذي يقال وهو (ارتقاء درجات السلم) من منظور دلالته المباشرة الصريحة، قد نضطر بحكم الارتباط والعلاقات التي تنتج عما يقال وطريقة التعبير عنه، إلى استنتاج ما هو أكثر ـ أو إن شئت فقل شيئاً إضافياً أو المعنى الحقيقي، ألا وهو الارتقاء والنقاء الروحي.

من هنا فنحن باستعمالنا للرموز نستطيع تحويل الفكرة التي قد تكون غير واضحة وخاوية ومملة وغير مؤثرة إذا ما عبَّرنا عنها على نحو مبتذل، إلى فكرة واضحة موجزة تفيض حياةً وانفعالاً.

ومن منظور تقني خالص يمكن أن نطلق على الرمز

الرمز بين الواقع والابتداع

اسم «**التابع الزائف**» لأن العلاقة بين ما نقول وبين ما يجب أن نستنتجه لا تقوم أصلاً ـ كما هو الحال في الاستعارة أو التشبيه ـ ، على التشابه ، إذ أن صوراً ذهنية كثيرة قد تحولت إلى رموز قوية لا من خلال التشابه فحسب ، وإنما أيضاً من خلال شكل من أشكال الارتباط . خذ على سبيل المثال الرمز الذي ينطوي على فقدان الرجل شعره الذي يعني فقدانه قوته ، (فهل تغيب عنك هنا **قصة شمشون** ؟) وقد يعني فقدان الشعر هذا رفض المرء لمتاع الدنيا (وهذا أيضاً أحد مفاهيم الزهد والتنسك) هذان الرمزان لا يكتسبان قوتهما من التشابه ، وإنما من قيام علاقة بدائية وسحرية بين خصائص الجنس والرجولة من ناحية ، وبين الرغبة من الناحية الثانية . وبطبيعة الحال قد تنشأ علاقة الارتباط تأسيساً على الشبه عندما تتكرر الاستعارة أو التشبيه مراراً في عمل مؤلف بعينه ، أوضمن تراث أدبي بكامله ، وعلى نحو نستطيع معه ، باستعمال القياس ، (الصورة الذهنية) استدعاء التابع الذي كان يرتبط به ذات يوم .

في الشعر

هناك أيضاً من يعتقدون أن الشعراء يغلب عليهم في أعمالهم اللاحقة استعمال الاستعارات والتشبيهات التي أوردوها في أعمالهم السابقة بوصفها رموزاً ، وسندهم في ذلك علاقات الارتباط التي ترتبت على استعمال مثل هذه الاستعارات والتشبيهات ونشأت عنها ، ومع ذلك يحذر بعض النقّاد ـ وهم على حق في ذلك ـ من أن ارتباطات التصوير الفني الرمزية ينبغي ألا تكون صارخة الوضوح ولا متزمتة التحديد ، لأن المضامين التي تكون من هذا النوع يحسن الاحساس بها بدلاً من تفسيرها ، إضافة إلى أن هذه المضامين تتباين أيضاً من عمل لآخر اعتماداً على ذاتية السياق .

وعلى كل حال ، فإن المشكلة الأولى التي تواجه قارىء القصيدة تتمثّل في تحديد ما إذا كانت الصورة التي تبدأ القصيدة بها رمزية أم غير رمزية . وحل هذه القضية يمكن أن يتم على ثلاثة محاور :

●● **أولها** : أن العلاقة بين الرمز ومدلوله يجب أن تكون واضحة تمام الوضوح في العمل الفني . وأية ذلك تتجلى ، على سبيل المثال ، في ذلك الرمز البديع الذي أورده **ماثيو أرنولد Mathew Arnold** في قصيدته الرائعة «**بلاج دوفر**» التي وردت فيها الصورة «بحر من الإيمان»[٢] .

●● **المحور الثاني** : أن الصورة يمكن تقديمها على نحو يستحيل معه تفسيرها تفسيراً حرفياً . خذ على سبيل المثال الصورة التي رسمها **وليام بتلر ييتس W.B.Yeats** لمدينة **بيزنطة** في رائعته «**الإبحار إلى بيزنطة**»[٣] . الواقع أن بيزنطة على النحو الذي وردت عليه في القصيدة لا وجود لها إطلاقاً . وقد تقدم الصورة على نحو يستثير فينا ما هو أكثر من التفسير الحرفي كما هو الحال في «**صورة الحديقة**» التي ورت في قصيدة **أندرو مارفيل Andrew Marvell** التي تحمل هذا الاسم . فنحن في هذه الصورة نحس أن الحديقة برغم انها واقع مادي إلا أنها تزيد على هذا الواقع بفضل ردود فعل المتحدث ازاءها في القصيدة .

●● **ثالث هذه المحاور** هو ان ضغط الارتباط الضمني قد يصل من القوة حداً نضطر معه إلى تفسير هذا الارتباط تفسيراً رمزياً ويتجلى ذلك في قصيدة **تينيسون Tennyson الشاعر الانجليزي** والتي عنوانها **يوليسيز**[٤] ulysses . والسبب في ذلك أن شخصية **يوليسيز** هذه عالجتها الأساطير والخرافات والأدب علاجاً مستفيضاً . بل أن **دانتي** ، **وهوميروس** ، تناولاها أيضاً في أعمالهما . وترتيباً على الافراط في التفسير الذي يلقى رواجاً كبيراً في أيامنا هذه ينبغي أن نؤكد هنا أن الصورة في أي عمل فني يجب ألا تفسر تفسيراً رمزياً إلا بعد أن يفشل تفسيرنا الحرفي لها في الوفاء بحقها . أي أن اختبار الصورة اختباراً سلبياً قد يفيدنا كثيراً في ذلك بمعنى انه إذا نجحنا في تفسير الصورة تفسيراً حرفياً واستطعنا أيضاً من خلال هذا التفسير تحديد مكان هذه الصورة ووظيفتها في العمل الفني نكون قد اثبتنا أنها غير رمزية .

تحديد كيفية تفسير الرمز

وبعد تحديد الرموز يتعيّن علينا **تحديد الكيفية التي نستطيع بها تفسير هذه الرموز في إطار مواقعها ووظائفها في العمل الفني** . وهذا التحديد يتم من خلال ثلاثة مداخل يتداخل بعضها بالبعض الآخر .

●● **أولها** : الوقوف على مصدر التصوير في هذه الرموز قياساً على التجربة التي يعبّر عنها الفنان ، وهل هذا التصوير مأخوذ من العالم الطبيعي ، بمعنى أنه مستقى من الجسم البشري أم الأشياء التي من صنع الإنسان .

●● **المدخل الثاني** : هو تحديد موقع هذه الرموز التصويرية أيضاً في إطار عمل فني معروف لتحديد ما إذا كانت غير موشاة ، وأنها تجربة طبيعية ترمز إلى ما هو أكثر من حقيقتها ، أو أنها موشاة ، كأن تكون حلماً أو رؤيا كي ترمز إلى شيء مختلف تماماً .

●● **أما المدخل الثالث** : فيتمثل في تحديد الكيفية التي تكسب الصورة قوتها الارتباطية في إطار هذه الرموز ، وهل هذه القوة نابعة أصلاً من التجربة الإنسانية الكونية .. أم انها مأخوذة من أعراف تاريخية خاصة .. أو من العلاقات[٥] الداخلية التي تربط بين عناصر العمل الفني .. أم أن هذه القوة منظومة خاصة من اختراع الشاعر نفسه .. أم أنها خليط من كل هذه المداخل الثلاثة ؟

العلاقات الداخلية

والأمثلة كثيرة على هذا **المدخل الثالث** ، ألا وهو تحديد الكيفية التي تكسب الصورة قوتها الارتباطية في إطار الرموز . وهذا يعني أن هناك رموزاً كثيرة يفهمها الكون كله . ومن هذه الرموز على سبيل المثال ارتقاء السلم ، أو صعود الجبل بوصف ذلك رمزاً إلى ارتقاء سلم الصفاء والنقاء الروحي ، ومنها أيضاً اجتياز المساحات المائية الذي قد يرمز إلى شكل من أشكال الانتقال الروحي ، ومنها غروب الشمس الذي قد يرمز إلى الوفاة ، ومنها أيضاً شروق الشمس الذي يرمز إلى البعث .

ومن الرموز التي تقوم على الأعراف التقليدية مسخ الرصاص إلى ذهب باعتبار ذلك رمزاً للخلاص من الخطايا ، والعفو والغفران . ومنها استعمال زهور الفل رمزاً للطهارة والعفة ، ومنها استعمال الورد البلدي رمزاً للعاطفة ، ومنها أيضاً استعمال الغرب للنمر بوصفه رمزاً للمسيح عليه السلام عندهم .

ومن أمثلة الرموز التي تقوم على العلاقات الداخلية استعمال الجدار رمزاً للفصل بين البدائي والمتحضر أو بين فوضى الطبيعة والانتظام الإنساني . وقد ورد هذا الرمز الأخير عند **الشاعر الأمريكي روبرت فروست Robert Frost** . ومن هذه الرموز أيضاً استعمال الآلات الموسيقية ، كما هو الحال عند **والاس ستيفنز Wallace Stevens** الذي **استعمل آلة الجيتار رمزاً للخيال الاستاطيقي (الجمالي)** ، والذي استعمل اللون الأزرق للغرض نفسه . «**وليام هودبياين أودن**» **Wiliam Hudebine Auden** نفسه استعمل هذه الرموز في بعض قصائده : فقد استعمل **الجزيرة** رمزاً للرضا عن النفس ، كما استعمل **البحر** رمزاً للشجاعة .

أما الأمثلة على الرموز الخاصة فهي كثيرة وتتمثل في **منازل القمر** بوصفها دورات تاريخية ترتبط بحالات الأفراد النفسية . وأول من استعمل هذا الرمز في الغرب **الشاعر ليام بتلرييتس** . **وديلان توماس Dylan Thomas الشاعر الأمريكي الشهير** ، استعمل **التحنيط** في احدى قصائده ليرمز به إلى عقبة يصعب تجاوزها في عملية بعث الروح .

وإذا عدنا لقصيدة **روبرت فروست** الشهيرة التي عنوانها «**أشجار القضبان**» نجد أن المتكلم في هذه القصيدة يتحدث عن تسلق قمة شجرة القضبان هذه ثم التأرجح من أعلى هذه الشجرة هبوطاً إلى الأرض مرة ثانية . وحديث المتكلم هذا ليس على شكل خبر ، وإنما على نحو يفهم منه قارىء القصيدة أن هذا الحدث أكثر من دلالته الحرفية بكثير .

معنى ذلك أن هذا الحدث في إطار هذه القصيدة إنما يعني للمتكلم في القصيدة خلاصاً مؤقتاً من مشكلات الحياة اليومية ومسؤولياتها . يقول المتكلم في القصيدة : «يتسلق إلى الأعلى ، وبعيداً عن الأرض في اتجاه السماء[٦]» . وتأكيداً لذلك يعود المتكلّم مرة أخرى إلى ذلك في موضع آخر من القصيدة فيقول : «متأرجحاً إلى أسفل في اتجاه الأرض» .[٧] ونحن إذا أمعنا النظر في كلمة «**التسلق**» نجد أنها تمثل رغبة

المتكلم في الهروب ، كما أن عبارة «**التأرجح إلى الأسفل**» تمثل اعترافه بأنه يتعيّن عليه ، برغم كل ذلك ، أن يعيش حياته على الأرض التي خلقه الله عليها .

من هنا فإن هذا الحدث الذي ظهر في البداية على أنه هدف المتكلم ومبتغاه ، يتحول في النهاية إلى شكل من أشكال القياس لهذا المبتغى . وهذا لا يقلل من أهمية الصـورة أو من حيـويتهـا بأيـة حـال من الأحـوال.

وإذا حكمنا على هذا التصوير الرمزي في ضوء مداخل الاستقصاء الثلاثة ، أي إذا حكمنا عليه من منظور فني ثم تحديد الكيفية التي تكسب الصورة قوتها ، نجد أن هذا التصوير الرمزي يعد من الناحية التحليلية خليطاً من كل من العالم الطبيعي وحركات الجسم البشري : الأرض ، السماء ، الشجرة ، التسلق ثم التأرجح إلى الأسفل . هذا التصوير الرمزي يقدمه الشاعر أيضاً على أنه حدث غير موشي[8] . كما يستقي قوته الارتباطية من تجربة كونية عالمية تتمثل في الأرض بوصفها قيداً والسماء بوصفها خلاصاً من ناحية ، ومن ارتباط هذه التجربة نفسها بالعلاقات الداخلية من ناحية ثانية . ويجب الا يغيب عنا هنا أن هذه العلاقات الداخلية تتمثّل في رؤية الشاعر نفسه لعملية التأرجح نفسها من شجرة القضبان في هذا الإطار بالذات .

وفي قصيدة **بيتس** التي عنوانها «**الابحار إلى بيزنطة**» نجده يستعمل الرمز فيها على نحو معقد . فالمتكلم في القصيدة يتحدث عن عبور البحار وصولاً إلى **مدينة بيزنطة** . ولكن نظراً لأن الشاعر لا يستطيع أن يقول ذلك من خلال تصوير خال من التوشية فإن ما يعنيه في الواقع[9] هو أنه يريد أن يعفي نفسه ويجردها من الفنائية وقيودها ليركز ربما على السرمدية والخلود[10] من خلال الأشكال الفنية .

و**بيزنطة** برغم كونها في هذه القصيدة رمزاً استقاه الشاعر من أشياء من صنع الإنسان إلا أن الإبحار بوصفه انتقالاً ليس كذلك . هذا الرمز يقدمه الشاعر بصفته رؤيا وليس شيئاً حدث بالفعل ، أو يمكن أن يحدث . أضف إلى ذلك أن قوة الارتباط في هذه الصورة علاوة على العلاقات الداخلية تعتمد في قوتها - على أقل تقدير - على المدلول المعرفي لهذه الصورة في إطار **منظومة بيتس** الرمزية الخاصة .

ومن هنا يمكن القول بإن الرمزية تتباين تمييزاً وتفسيراً من كاتب لآخر . ولا أبالغ إن قلت إن هذه الصورة التي أوردها **بيتس** عن بيزنطة ، برغم ما لها من ارتباطات حرجة خاصة ، فإن لها علاقة أيضاً بالصورة الكونية التي لمدينة القدس بوصفها رمزاً للملاذ .

اللغة المفتقدة .. أو اللغة المنسية

وعلى الصعيد التاريخي يبدو الناس وكأنهم قد غلب عليهم في وقت من الأوقات رؤية العالم المادي من منظور القيم الروحية ، ومن خلال أعراف خاصة ابتكروها . وان هذه القيم الروحية لم تجيء من خلال ابتكار الرموز الكونية ، كما هو الحال في النظر إلى العالم بوصفه جسماً على سبيل المثال ، وإنما من النظر إلى جسم الإنسان بوصفه دولـة من الدول. كما أن تلك الأعراف الخاصة جاءت من خلال الخرافة والأدب الشعبي والأساطير والسحر والتعليم .

ومن بين نظريات النقد الحديث ما يقول : **إن حركة الاصلاح البروتسنتية في أوروبا هي والتغييرات المتدرجة التي طرأت على التعليم المدرسي ، والتطوير والنمو العلميين فضلاً عن مرور الزمن نفسه كل ذلك لم يؤد فقط إلى أن تصبح رموزاً عرفية كثيرة بلا معنى عند كل من الشعراء والقراء على حد سواء ، وإنما أدى كل ذلك أيضاً إلى اختفاء رؤية العالم المادي من منظور القيم الروحية . وهذا هو الذي جعل المفكرين يطلقون على الرمزية في القرن العشرين اسم «اللغة المفتقدة» أو «اللغة المنسية»** إن صح التعبير .

○ ثلاثة مداخل لتحديد كيفية تفسير الرموز في إطار مواقعها ووظائفها في العمل الفني

رمزية الشاعر الخاصة

ولا يستبعد أن يكون **شعراء القرن العشرين** قد راحوا من ناحية يستكشفون إمكانيات الرمزية الخاصة في كل من الرؤى والأحلام . وبذلك يكونون قد ساروا في درب **شعراء القرن التاسع عشر الرمزيين الفرنسيين** من أمثال **بودلير Baudlaire** ، **وريمبو Rimbaud** وآخرين أو انهم راحوا من ناحية ثانية تحت تأثير تجدد الاهتمام بالشعراء من أمثال **جون دون Donne**، **وهـوبكنـز Hopkins**، **ووليـــام بليك W.Blake** يحاولون إحياء **الرمزية التقليدية** المستقاة من الايديولوجية والأساطير مثلما فعل **إليوت** في قصيدته «**أربعاء الرماد**» التي سبقت الاشارة إليها . كما حاول هؤلاء الشعراء أيضاً فيما استشعروا فيه انهيار القيم الروحية ، أن يخترعوا أعرافهم الرمزية الخاصة بهم . ويُعد **بيتس** أبرز هؤلاء الشعراء ، ويليه كل من **ازرا بوند Ezra Pound** ، **وهارتكرين** ، **وولاس ستيفنز Wallace Stevens** ، لكن على مستوى أقل . ومن بين هؤلاء الشعراء من اكتفى لنفسه أيضاً باستعمال الرموز غير الموشاة أو الرموز الطبيعية والكونية مثل **روبرت فروست** ، **ووليام كارلوس ، وليامز** .

طبيعة الرمزية

ويرجع الخلاف الدائر حالياً في الرأي من حول طبيعة الرمزية [illegible] إلى استخدام المصطلح بدلالات مختلفة لخدمة الكثير من نظريات النقد المتباينة . الخلاف حول هذا المصطلح ينسحب على مصطلحات أخرى كثيرة لأن الناقد عندما يستعمل مصطلحاً من هذه المصطلحات تحكمه المعطيات والمسلمات التي يهتم بها الناقد أصلاً في الأدب من ناحية ، ونوعية المعرفة التي يبتغيها من ناحية ثانية .

وهذا بدوره يجعل من الصعب علينا مقارنة التفسيرات التي يأتي بها ناقد من النقّاد بتلك التي يأتي بها ناقد آخر ، وبخاصة في غياب مسلمات ومعطيات هذين الناقدين ، وأهدافهما المبتغاة ، ومن ثم الوقوف على الكيفية التي يستعملان بها مختلف المصطلحات .

الناقد الغربي الشهير **الدر اولسون Elder Olson** بوصفه ناقداً **أرسطياً** جديداً يهتم أصلاً بالأعمال الأدبية من منظور أن كلا منها يشكل كلاً فنياً من نوع خاص . ونظراً لأن هذا الناقد يرى هذه الكلية الفنية من منظور الأثر العام الذي يحدثه العمل الفني في القارىء - سواء كان هذا العمل تعليمياً أو عاطفياً ، كما هو الحال في الأعمال الناتجة عن المحاكاة - ونظراً أيضاً لأن الرمز لا يمكن أن ينتج أثراً من هذا النوع عندما يكون مستقلاً عن القصيدة التي هو جزء منها ، فإن **أولسون** يرى الرمزية من منظور أنها وسيلة يستعملها المؤلف في بعض الأحيان لتكون في خدمة ذلك التأثير الكلي . **معنى ذلك أن المؤلف قد يستعمل الرمزية وسيلة للتعبير عن بعض الأفكار البعيدة** ، أو لبث الحياة في أمور أخرى تموت بغير هذا الطريق ، **أو أنه قد يستعملها في تحديد ردود الفعل الانفعالية والعاطفية عند القارىء نفسه** .

بعض النقّاد الآخرين الذين تصطبغ أفكارهم بالطابع العام تجيء تعريفاتهم للرمز أقل دقة من تعريف **أولسون** له . خذ على سبيل المثال **بيتس** . هذا الرجل ناقد رمزي يهتم أصلاً بقوى الشعر الإيحائية ، ولذلك فهو يوسع تعريفه للرمزية بحيث لا يقتصر فقط على الصور ، والاستعارات والخرافات وإنما على العلاقات الموسيقية كلها في القصيدة . وأنا أقصد بالعلاقات الموسيقية هنا : **الإيقاع ولغة القصيدة والقافية وما إلى ذلك** . أو إن شئت فقل : **المحسنات البديعية** .

بعض آخر من النقّـاد الـذين يعـارضـون **الوضعية**[11] من أمثال **كرايجر Krieger وهويل رايت Wheel Wright ولانجر Langer وأوربان Urben** ويدافعون عن الشعر من منظور أن له وضعاً ابستمولوجياً[12] يؤكدون في استعمالهم مصطلح الرمزية على قوى هذا المصطلح في تجسيد المعاني غير المنطقية ، وفي تجسيد الحقيقة والرؤى أيضاً . **كينث بيرك Kenneth Burke** بوصفه ناقداً يهتم باللغة في ضوء الدوافع الإنسانية يستنتج شكل العمل الأدبي من خلال تأمل النمو وهو يعمل في حدود علاقته بحياة الشاعر الداخلية . هذا يعني أن **كينث بيرك** يركز على الطريقة التي تساعد هذه العناصر على تحويل توترات الشاعر النفسية إلى رموز .

ومن النقّاد أيضاً من يشيرون بمصطلح الرمزية إلى مختلف الطرق التي يمكن أن تكون فيها الظاهرات الاجتماعية مؤشرات إلى قيم الناس

الرمز بين الواقع والابتداع

الخلاف حول طبيعة الرمزية ووظيفتها في الأدب سببه استخدام المصطلح بدلالات مختلفة

ودلائل عليها . ومن هذه الظاهرات مثلاً الشعارات وتصميمات العملة ، والهيكل العام للمعاني العامة ، والسينما.. الخ كل هذه الظواهر.

وعليه ، إذا كانت الرمزية تشير بشكل عام إلى استعمال شيء ليقوم مقام شيء آخر ، فإن معاني الرمز المحددة سوف تتباين طبقاً للإطار الذي نرى فيه هذه العلاقة . معنى ذلك أن الرمز يصبح وسيلة من وسائل الشعر عندما يشير إلى شيء في القصيدة يشير هو بدوره إلى شيء آخر في القصيدة . وقد يكون الرمز شكلاً من أشكال قوة لغة الشعر عندما يشير إلى النحو الذي تستثير به الكلمات والايقاعات السحر والغموض .

وقد يصبح الرمز وظيفة من وظائف القصيدة بكاملها عندما يشير إلى أنواع المعنى المختلفة التي يمكن أن يمثّلها العمل الأدبي . كما قد يصبح الرمز شكلاً من أشكال الفكر العلاجي عندما يعين الطرق المختلفة التي تمثّل القصيدة بها اضطرابات المؤلف الداخلية[١٣] .

كما يُعد الرمز سجلاً أيضاً للقيم الثقافية عندما يشير إلى الطرق التي تكشف بها ناتجات الإنسان عن مواقفه . **ونظراً لأن كلمة «الرمز» هذه لها القدرة على كل هذه المعاني العديدة التي يتداخل بعضها ببعض في مواضع محددة فإنه يجدر بنا ونحن نستعمل هذا المصطلح أن نحدد المعنى الذي نقصده منه .**

الهوامش

(١) Judson Jerome, the poet's Handbook, cininnati, ohio.

(٢) يقول (ارنولد) في (الاستروفية الأولى) من هذه القصيدة (ما ترجمته) :

البحر هادىء الليلة
المد مكتمل والقمر يتمدد جميلاً
على المضايق – على الشاطىء الفرنسي الضوء
يومض ثم يذهب ، صخور انجلترا تقف ...

(٣) وردت هذه الصورة في المقطوعة الثانية من القصيدة . تقول ترجمة المقطوعة :

الرجل المسن ليس سوى شيء تافه
معطف رث على عصا ، إلا إذا
صفقت الروح بيديها وغنّت، وغنّت بصوت أعلى
لكل رث في ثوبه الفاني
ولا تكون هناك مدرسة للغناء وإنما لدراسة الآثار
الآثار لعظمتها الخاصة ،
ومن أجل ذلك قطعت البحار اتيا
إلى مدينة بيزنطة......

(٤) الاسم الذي استعمله (الرومان) بدلاً من (أوديسيوس) .

(٥) المقصود بالعلاقات هنا : هي تلك العلاقات التي تربط الأشياء ببعضها بحكم دورها البنائي كما هو الحال في الترتيب والموقع والمعالجة . وهذا العامل يدخل في جميع الأعمال الفنية التي تدخل فيها الرموز .

(٦) Climling up and away from the earth toward heaven.

(٧) Swinging down back to earth.

(٨) المقصود بغير «الموشى» هنا هو ان المعنى ليس حقيقياً ولا واقعياً نظراً لأن الصور التي من هذا القبيل فيها شيء من الخيال . هذا بالإضافة إلى أن هذه الصور إنما نفهمها أصلاً في ضوء الأشياء التي تعنيها وتحددها ، وليس من منظور أن هذه الصور تعد مقارنات أو رموزاً لأشياء أخرى .

وقد تكون هذه الصور إيحائية رمزية . فالرجل الوحيد الذي يتكىء على شجرة في ارض ملامحها الطبيعية وسماتها غير محددة ، وينظر في هوة سحيقة ويسمع أصوات حفيف أوراق الشجر ، قد يوحي لنا على نحو غامض بموقف كل من يحاول فهم الماضي أو يسترق السمع على الحضارة الانسانية خائفاً وحائراً من أسرار الماضي .

(٩) وهنا ينبغي ان نؤكد من جديد على عدم تفسير الرموز تفسيراً حرفياً محدداً .

(١٠) تقول ترجمة المقطوعة الأولى من قصيدة «الابحار إلى بيزنطة» :

ذلك ليس بلداً للكبار . فالصغار
في احضان بعضهم بعضاً ، الطيور في الأشجار
تكلم الاجيال التي تتلاشى موتاً – تصنع اغنيتها
شلالات السلمون ، والبحار المزدحمة بالمكريل **
كل ما هو على هذه الشاكلة ، يولد ، ويموت .
الكل ، وقد أسرته تلك الموسيقى الحية يهمل
آثار الذهن الذي لا يعرف الكبر .

** السلمون ، والمكريل : نوعان من السمك .

(١١) الفلسفة الوضعية : فلسفة (أوجست كونت) التي تعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب مهملة كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة .

(١٢) بمعنى أن له علاقة بنظرية المعرفة .

(١٣) للتعبير عن هذه الاضطرابات النفسية الداخلية خذ جزءاً من قصيدة (سلفيا بلات) التي عنوانها «السيدة لازاروس» التي تقول فيها عن «الموت» ما ترجمته :

(......)
فن ، مثل كل شيء آخر .
انا افعله جيداً بصفة خاصة .
انا افعله ولذلك احسه إحساس جهنم .
انا افعله ولذلك احسه حقيقاً .
اظن انك تستطيع القول إني البي نداء .
من السهل تماماً أن تفعله في زنزانة .
من السهل تماماً أن تفعله وتبقى موضوعاً .
إنه مسرحي .
عودة في وضح النهار .
إلى المكان نفسه ، وإلى الوجه نفسه ، وإلى الوحش نفسه
صرخة فكهة .
«معجـــــزة»
تصـــــرعني .

والغريب في هذه الشاعرة أنها قالت على لسان «السيدة لازاروس» انها تموت كل عقد . فقد ماتت عندما كانت في العاشرة وكان ذلك حادثاً ، ثم ماتت مرة ثانية عندما كانت في العشرين من عمرها ، وكانت الوفاة متعمدة ومقصودة ، إذ كانت انتحاراً .

خذ أيضاً هذه القصيدة التي كتبها طفل عمره خمسة عشر عاماً قبل أن يقبل على الانتحار بعامين . وقد علق احد أساتذة الجامعة البريطانيين على القصيدة قائلاً : إنه لو قدر لذلك الطفل ان يكون في التداوي بالشعر فلربما أدّى ذلك إلى الالتفات إلى صرخته هذه . واكتشاف ذلك لا يحتاج إلى تحليل مهني كبير ، وبخاصة في المواقع التي قصد الطفل فيها إلى ذلك في قصيدته :

إلى «بابا نويل» والشقيقات الصغيرات
ذات يوم ... كتب قصيدة
وسماها «شظايا»
انه كان يطلق ذلك الاسم على كلبه ، وان ذلك كان كل ما تدور من حوله القصيدة .
واعطاه المدرس عليها «ممتازاً» .
ونجمة ذهبية .
وعلقتها امه على باب المطبخ ، وقرأتها على كل
عماته ذات مرة .. كتب قصيدة أخرى .
وسماها «براءة غير محققة» .
لأن ذلك كان اسماً لحزنه ، وان ذلك كان كل ما تدور
من حوله القصيدة .
وأعطاه الأستاذ عنها «ممتازاً» .
ونظرة غريبة متأنية .
ولم تعلقها أمه على باب المطبخ مطلقاً .

لأنه لم يدعها تراها قط ..
وذات يوم في الساعة الثالثة صباحاً .. حاول قصيدة أخرى ..
ولم يسمها شيئاً مطلقاً ، لأن ذلك كل ما تدور
من حوله القصيدة .
وأعطى نفسه عنها «ممتازاً» .
ثم شرطاً بآلة حادة على معصم رطب ،
ثم علقها على باب الحمام لانه لم يستطع الوصول إلى المطبخ .

المراجـــع

(1) H. Bayley, **the lost language of Symbolism.**

(2) D.A. Mackenzie, **The migration of Symbols.**

(3) W.B. Yeats, **«The Symbolism of poetry».** indeas of good and Evil.

(4) Kenneth Burke, **The philosophy of literary form:** studies in Symbolic Action.

(5) Elder Olson **«the universe of the Eakly poems»** - the poetry of Dylan Thomas: Sympols and values and sympols and Society.

(6) H. Flanders Dunbar, **Symbolism in Medieval thought.**

(7) J.W. Beach, obsessive images: **Symbolism and Fiction.**

(8) W.Y. Tindall, **the litearary symbol.**

(9) W.H. urban, «the principles of symbolism». **- Language and reality.**

بيتي

شعر: حسين أحمد عبد الرحمن

بيتي على جبلٍ ويعلو ... فوق أمجادٍ عليَّهْ

وتزوره زهرُ النجوم ... وملؤه شمسٌ بهيَّهْ

جدرانهُ رمز الصمود ... كأنها تأبى المنيَّهْ

بيتي معلقةٌ أعيدتْ ... من عصورِ الجاهليهْ

وتشكّلت من حكمة ... وتكوّنت كالأبجديه

أنا من تفرده شمختُ ... ومن تشرده شظيهْ

متعلقٌ فيه وأصْلِي ... من حجارته القويَّه

بيتي أنا إشراقةُ الإلهام ... ومهد العبقريه

تغفو أساطيرُ البطولة ... عندَ عتبتهِ هنيتهْ

وتغازل الأنسامُ شرفته ... وتلثمها شجيهْ

أمي تزيِّنه وطيف أبي ... وأنفاسٌ رضيَّه

وتعبُّدٌ في الركن والتقوى ... وظلُّ الشاعريه

مهما ابتعدت كأنني ... فيه أُبادله التحيهْ

وأضمُّهُ ويضمني وحديثنا ... فيه بقيَّهْ

بيتي ويسكنه الوفا ... وثمار صحبته وفيَّه

السنديانات الثلاث ... قبيل طلَّتهِ هويَّهْ

ومشاتلُ التبغ القديمةُ ... والزريبةُ والتكيهْ

هذا أخي يرتاح في ... ركنٍ وهينتهُ زريهْ

وزهور أختي تملأ الأرجاء ... أنداءً زكيَّهْ

من قبل أن كان الإباء ... طيور ساحته أبيَّهْ

بيتي على وجه الزمان ... بقيَّة من أريحيه



قصة قصيرة

الاستبداد

بقلم: محمود سعيد علي

« هذه القصة مستوحاة من أحداث حقيقية وقعت في أحد السجون الإيطالية » .

بعد أن اجتمعت لجنة تفتيش السجون في غرفة مدير السجن ونظرت كعادتها في تظلمات المسجونين ، التفت رئيسها إلى مدير السجن وقال :

ـ نحن لم نستجوب السجين رقم (١٢٥) ولعل له شكوى يريد أن يفضي بها إلينا فأرسل في استدعائه .

ارتجف المدير وقطب حاجبيه وتمتم :

ـ ولكن ذلك المجرم لم يقدم أية شكوى .

فقال رئيس اللجنة في حزم :

ـ ومع ذلك يجب أن نسمعه :

فحنى المدير رأسه وأرسل في استدعاء السجين وهو يخفي اضطرابه وخوفه وانقضت لحظة ثم دخل السجين في صحبة حارسه وكان يبدو عليه من قسمات وجهه الدقيقة الحادة أنه رجل معتز بنفسه ، قوي الإرادة ، صعب المراس ، فلما دخل الحجرة أجال البصر حوله ، كان أشبه بذئب أوجس خيفة من شرك ، وعندما لمح مدير السجن طفق يرشقه بنظرات ينبعث منها الحقد والكراهية ، وتقدم الرئيس نحو السجين وقال له وهو يربت على كتفه :

ـ اطمئن يابني وتكلم ، نحن موفودن من قبل الحكومة ، لإقرار العدل في السجن صارحنا بكل شيء عن حالتك ، وقل لنا ما شكواك ؟

فرفع السجين رأسه المرتعش ، وتأمل الرئيس لحظة ثم تمتم وهو يعض على شفتيه :

ـ لا شكوى لدي .

فقال رئيس اللجنة :

ـ إن في هذا السجن أكثر من ألف سجين يخضعون جميعاً لمشيئة رجل واحد هو المدير وإنه لمن المستحيل على هذا الرجل ألا يخطئ أو يظلم ، فواجبنا نحن أن نراقبه وننتصف منه للمسجونين ، وأنت يابني مريض وقد قيدوك وحدك بالسلاسل ، فما سبب هذا العقاب ، تكلم ولا تخف .

فهتف السجين :

ـ لست بخائف من أي شيء في هذه الدنيا .

ثم أطرق برأسه ، وفكر قليلاً ، واستجمع قواه بغتة وأردف وهو يختلج :

ـ سأقول لكم كل شيء .

وأمال برأسه إلى كتفه ، وشرع يتكلم في صوت أجش خفيض وهو يتمالك نفسه ما استطاع ويبذل قصاراه لكبح الرعدة التي سرت في بدنه :

ـ لقد حكم عليَّ بالسجن عشر سنين لأني قتلت رجلاً ، قتلته لأنه أغوى امرأتي ودمر بيتي ، وبعد أن حوكمت ، جاءوا بي إلى هنا ، دخلت هذا السجن وأنا لا أعلم أين أنا ومع من ينبغي أن أعيش ،

وفجأة سقطت الغشاوة عن عيني ، وأدركت أن مصيري قد أفلت مني وأنه يجب عليَّ أن أعيش بين اللصوص والسفاحين ، وأن اشتغل طوال نهاري دون مقابل وأن اتحرك وأتنفس كآلة صماء جردت من كل فكرة وكل إرادة وشعور وامتثلت مكرها لحكم القدر ولكن الأمل العنيد كان يراودني وطيف الخلاص يحوم حولي ورغبة الحرية الأصيلة في قلب الإنسان تزين لي احتمال الألم مختاراً عساي أن أخفف مدة عقوبتي وأخرج إلى الحياة قبل أن تنقضي الأعوام الطويلة التي حكم بها عليَّ وهكذا بدأت أعمل وأكد بهمة لا تعرف الكلل ، سبع سنين أمضيتها هنا كنت فيها مثلاً حياً في الاستقامة والخضوع ، كنت رقيق الحاشية ، لين الجانب ، دمث الخلق ، أسلك في كل كلمة أقولها وفي كل خطوة أخطوها مسلكاً لا غبار عليه ، وكان المدير السابق يقدر إخلاصي العظيم للعمل ، وطاعتي المطلقة للنظام ، وكان قد وعدني أن يخفف مدة عقوبتي ويطلق سراحي قبل موعده ، فكنت أرتمي في غمرة العمل كالحيوان وارتمي في لجة الطاعة كالأعمى ، عساي أن أخرج سريعاً من هنا ، فأجدد حياتي ، وأصبح إنساناً ولو لبضع سنوات .

وتوقف السجين لحظة ، فقال رئيس لجنة التظلمات :

ـ هذا مسجل في شهادات السجن ، ونحن نعرفه ، فتكلم عما حدث لك بعد ذلك .

فاستطرد السجين وعيناه تبرقان :

ـ أرادت الحكومة أن تنشئ بين التلال المجاورة طريقاً جديداً . فاتصلت بإدارة السجن ، فأمرتنا الإدارة بإزالة التلال ، ورفع الأنقاض وتحطيم الأشجار ، وشق الطريق ، وبدأنا نشتغل ، وفجأة ، شاءت الحكومة أن تستعجل المشروع ، فجمعتنا إدارة السجن وخيرت الأقوياء منا في العمل بضع ساعات إضافية على أن تمنحهم آخر النهار علبة صغيرة من السجائر ، وكنت كمعظم المسجونين اتلهف على سيجارة ، اتحرق على طعم التبغ ، بل كنت متأهباً للتضحية

بكل شيء من أجل سيجارة أرى فيها رمز الأمل والحرية فتقدمت للعمل ، كنت في طليعة من تقدموا ، وكنت أعمل بهمة جبار وساعد عملاق ، وكنا ننتظم آخر النهار في شكل طابور ، ثم يمر بنا رئيس حرس السجن ويسلم كل منا علبة السجائر التي استحقها .

وفي ذات مساء وأنا منتظم في الصف انتظر دوري وقد هدني تعب النهار وتاقت نفسي توقاً قاسياً ملحاً إلى سيجارة تنعشني وتسري عني ، مر بي رئيس الحرس وشخص إلَيَّ لحظة ثم رشقني بنظرة هائلة وصاح بي .

- ألم تزل هنا ؟ لماذا لم تغادر هذا الصف إلى الصف الآخر ؟ لقد أعطيتك ما تستحق ، أعطيتك علبة السجائر ، وقيدت رقمك في هذا السجل ، فاخرج إلى الصف الآخر .

فتشبثت به وصرخت .

- أنا لم أتلق شيئاً ! .. أقسم .. أقسم إني لم أتلق شيئاً .

فأجابني وهو يهدد .

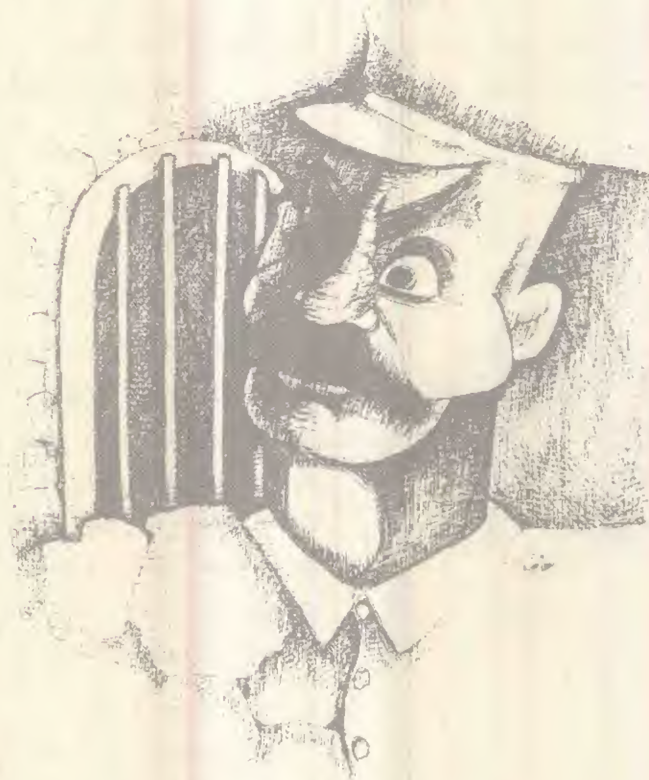
- أنا واثق من أني أعطيتك علبتك .

فهتفت : أبداً ، سل الرفاق ، إنهم شهود عليك وعليّ .

فحاول أحد المسجونين أن يتكلم ، ولكن رئيس الحرس انتهره وأخرسه ، والتفت إلَيَّ صائحاً :

ـــ أنت غشاش وسارق ، ولولا ماضيك الذي يشفع لك لأنزلت بك أقسى العقاب ، أخرج من الصف حالاً .

فجن جنوني ومضيت أصرخ : أنا لم أتلق شيئاً ، أنا لست بسارق ، ولن أمضي من هنا قبل أن أظفر بحقي لأنه ليس من حق أحد أن يستولي على شيء ربحته بعرق جبيني فاستشاط رئيس الحرس غضباً ، وأرسل في استدعاء مدير السجن ، وما أن أقبل المدير الجديد حتى ابتدره رئيس الحرس قائلاً إنه أدرج رقمي في السجل وإني أخذت حقي مرة وأريد أن أغش واحتال وأسرق وأظفر مرة أخرى بما هو من حق غيري ، فلم يمعن المدير النظر في الأمر ، لم يبحث ، لم يتحر ، لم يسأل المساجين ، بل صدَّق كلام رئيس الحرس ، وأمرني وهو ثائر بأن انتحى لفوري وأغادر الصف ولكني لم



أتحرك ، أبيت أن أمضي ، ثار في صدري دم كرامتي المطعونة ، وطفقت أردد في قوة وعزم : لن أخضع ، لن أشتغل ، أنا لست بسارق ، أنا أوثر أن أموت على أن أكون لصاً يمد يده إلى ما هو حق لرفاقٍ أشقياء !! فامتقع وجه المدير وبدت عليه أمارات الاستنكار والسخط ، اعتبر دفاعي عن كرامتي عصياناً لأمره وانتقاصاً من قدره وتحدياً لسطانه وأشار بيده إلى رئيس الحرس ، فهوى الرئيس بعصاه الحديدية على رأسي ، فغشيت الظلمة بصري ، ترنحت كمذهول والدم ينزف مني ، رأيت وأنا في غمرة ذهولي أربعة جنود يطبقون عليَّ ، ويسوقونني إلى « الزنزانة » التي كان مجرد ذكر اسمها يلقي الذعر في قلوب أشجع وأقوى السجناء .

وتوقف السجين لحظة وهو يلتقط أنفاسه ثم صاح :

- أتدرون ياسادة ماهي الزنزانة ؟ إنها الصمت .. إنها الفراغ ... إنها الظلام .. إنها القبر ! إنها حجرة أطول من قامة الرجل العادي بقليل ، حجرة منخفضة ضيقة خانقة ، حجرة تصبح في الصيف آتون نار وفي الشتاء لوحاً من الجليد ، في هذا النعش ثويت أسبوعاً كاملاً لم أذق فيه غير كسرات من الخبز المجفف المبلل بالماء كان يحملها إلَيَّ السجان عند منتصف الليل مرة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة ، ولما انقضى الأسبوع دخل علَيَّ هذا الرجل ، مدير السجن ، وهددني أيضاً ، لم يهددني بالحبس في الزنزانة أسبوعاً آخر ، بل هددني بالتعذيب إن أنا لم أثب إلى رشدي واعترف بذنبي وأعود إلى العمل ، فكبر علَيَّ أن أخضع تحت وطأة التهديد والظلم ، تشبثت بموقفي وقلت لمدير السجن إني لست بسارق وإني لن أشتغل حتى أظفر بحقي وإن من واجب كل إنسان أن يطالب بحقه وأن كل إنسان يتهاون في حقه المشروع هو أدنى إلى الكلب الحقير منه إلى الإنسان .

وكنت أعلم علم اليقين أن إصراري في الذود عن حقي سيمحو كل حسناتي الماضية وقد يؤدي إلى زيادة مدة عقوبتي ، ولكني كنت أشعر شعوراً محرقاً مذيباً بأني أهنت وأنه لابد لي أن أدافع عن آخر شيء بقي لي ، ألا وهو كرامتي ، الكرامة التي تمثل

قصة قصيرة

الاستبداد

قيمة إنسانيتي والتي في وسع كل إنسان خليق بهذا الاسم أن يحملها معه إلى القبر ناصعة بيضاء، سواء كان هذا الإنسان سجيناً أم حراً، ضعيفاً أم قوياً، غنياً أم فقيراً.

وصمت السجين، وهو يلهث، ثم زفر زفرة حرى وأمسك قلبه بيده، فأمهله الرئيس فترة ثم قال له في رفق:

- وماذا فعل مدير السجن بعد أن أيقن من رفضك العمل؟

فانتفض السجين ثم هب واقفاً وقال وهو يرعد:

- هذا الرجل شيطان مولع بالقسوة، شغوف بالتحقير والتنكيل، مفطور على الظلم والاستبداد، لقد أمر الحرس فجردوني من ثيابي، وشدوني إلى درجات سلم التعذيب بعد أن أحكموا وثاقي، وعندئذ تقدم هذا الرجل وتناول السوط الجلدي الرهيب وقال لي:

- ألن تشتغل؟

فأجبت وأنا أعض على شفتي: بعد أن أظفر بحقي.

فصاح المدير.

- إذن ستظفر بحقك الآن كاملاً، وتراجع خطوة ثم هوى بالسوط على ظهري، فأحسست كأن بدني ينفجر، وصحت بالمدير وأنا اجأر وأتلوى:

- أضرب أيها الجبان، ولكن اعلم إنك إن لم تقتلني اليوم فلابد أن أقتلك أنا غدا.

فثار ثائرة وطفق يضرب ويضرب حتى تهشمت عظامي وتشقق ظهري وسال دمي وغبت عن رشدي ولم استفق إلا وأنا في الزنزانة وطبيب السجن يفحصني ويعد نبضات قلبي، يحاول أن يهدىء من روعي ويطيب خاطري.

وانهار السجين على المقعد، وأجال فيمن حوله النظر، ثم تحرك كأن لم تعد ثمة فائدة من وجوده، وكأنه وقد فرغ من سرد قصته يريد أن يعود من حيث أتى ولكن رئيس لجنة التظلمات أبقاه في مكانه وقال له:

- وهكذا لم تزل سجيناً في الزنزانة حتى اليوم.

فغمغم الرجل المسكين:

- أجل .. أكثر من ثلاثة وعشرين شهراً قضيتها في الظلام الدامس، فهل هذا عدل؟

فقال الرئيس وهو يتأمله:

- ذلك لأنك هددت بقتل المدير، ولو أنك عدلت عن هذا العزم وأعربت عن صادق ندمك فأكبر الظن أن المدير كان سيسارع بإطلاق سراحك من الزنزانة، فلمعت عينا السجين لمعاناً مخيفاً وصرخ:

- ولماذا تريدني أن أكذب؟ لو أطلق المدير سراحي من الزنزانة فلابد أن أقتله وإني أفضل أن أموت في الزنزانة على أن أكون كاذباً، لقد حطمني اليأس والعذاب وافترس المرض بدني وأصبت بداء القلب ومع ذلك فلم تزل في عروقي بقية من دم حار تطلب الثأر والتشفي، واعلموا أنكم لو اطلقتم سراحي فسأقتل المدير، سأقتله يوماً ما.

طوى السجين ذراعيه على صدره وسبح في أجواء حلمه وظل يلهث والعرق يتصبب منه أما رئيس اللجنة فقد قطب حاجبيه وأطرق لحظة ثم رفع رأسه ورشق مدير السجن بنظرة حادة وقال في هدوء وهو يشير إلى السجين:

- خذوا هذا السجين إلى المستشفى وتخيروا له سريراً في حجرة طلقة تشرق عليها الشمس واعتنوا بتغذيته وراقبوه.

واستدار رئيس اللجنة وألقى على المدير تحية عارضة ثم خرج متبوعاً بمساعديه وهو يتمتم.



أما السجين فلم يتحرك، لم يفهم شيئاً، لم يكترث لشيء ثم تحامل على نفسه وخرج هو الآخر متبوعاً بحارسه وطبيب السجن بينما كان المدير يشيعه بنظرات متقدة ملؤها الحقد والكراهية والخوف.

وأمضى السجين رقم (١٢٥) ثلاثة أسابيع في المستشفى وفي ذات صباح انهى إليه حارسه أن مدير السجن يريد أن يراه.

دخل السجين حجرة المدير وهو ثابت هادئ، دخل وهو عازم كل العزم على انتهاز أية فرصة تمكنه من تنفيذ خطته والأخذ بثأره وقتل عدوه اللدود.

ولكنه ما إن توسط الحجرة حتى فغر فاه كأبله وتراجع مندهشاً إذ أبصر المدير جالساً إلى مكتبه تجاه النافذة المفتوحة، شاحب اللون، ملتمع العينين، وأمامه مسدس تبرق فوهته الصغيرة تحت وهج الضوء الساطع، ولم يكد المدير يستشعر مقدم السجين حتى هب واقفاً وصرف الحارس وأوصد باب الحجرة، ثم جذب السجين من ذراعه وأجلسه تجاهه، وقال له في صوت واضح المخارج ويده المرتشعة تومئ إلى المسدس:

- أنت تريد أن تقتلني، وأنا أشعر أنك لابد أن تقتلني بعد أن تخرج وتستوفي الأشهر الباقية لك هنا، فلك إذن ما تريد منذ الآن، إليك المسدس، إنه أمامك اضرب. اضرب اليوم بدورك كما ضربت أنا بالأمس. اضرب وانقذني من جبني.

حملق فيه السجين . مذهولاً ، فهتف المدير :

ـ لا تتردد .

ثم أردف في صوت ساكن عميق وهو يهوي على مقعده :

ـ أنت محق في ما اعتزمت ، لقد رفعت اللجنة تقريرها ، وصدر الأمر بإقالتي من منصبي جزاء لي على استبدادي الغاشم بك ، وأنا أعلم إني مهما حاولت الفرار بعد خروجي من هنا ، فستعقبني وتنتقم يوماً مني .

تطلع إليه السجين مبهوتاً ، ولكن المدير جذبه من ذراعه مرة أخرى وأبرز له ورقة بيضاء واستطرد :

ـ اتذكر السجين رقم (٨٣) ، ذلك الرجل الذي كان يشبهك شبهاً عجيباً والذي أفرجنا عنه منذ بضعة أشهر ، لقد طالع في الصحف تقرير لجنة التظلمات عن استبدادي بك ومعاملتي الوحشية لك ، فأخذته الشفقة عليك ، فأرسل إليَّ هذا الخطاب يعترف فيه بأنه هو الذي فاز بحقه وحقك وهو الذي اندس في الصف مكانك ، واتخذ رقمك وتسلم علبة ثانية من السجائر كانت هي علبتك ، فلما جاء دورك اعتقد رئيس الحرس أنك قد فزت بنصيبك ، فأبى أن يعطيك العلبة واتهمك بالسرقة والغش ، هذا ما قاله السجين ، كان ذلك المجرم أشرف مني ، انَّبهُ ضميره فاعترف بذنبه ولو بعد فوات الوقت ، أما أنا فالعذاب القاسي الذي أوقعته بك لم يكن كافياً لإيقاظ ضميري ودفعي إلى التثبت من حقيقة التهمة التي ألصقتها بك ، أجل . كان يجب أن أتحقق ، أن أبحث ، أن أتحرى ، ولكني استسلمت لنشوة زهوي وكبريائي ، وأنا أريد أن أكفر عن جريمتي ولا راحة لضميري إلا متى تمت كفارتي على يديك ، فاضربني يابني وانقذني . ومد يده المرتعشة واختطف المسدس وقدمه إلى السجين .

حدق السجين إلى أداة الثأر وهو تائه واشتد خفقان قلبه المريض وسرت في وجهه الشاحب صفرة داكنة بلون التراب ، وندت عنه زفرة وهتف :

ـ أواه .. لماذا لم تحاول أن تخاطبني بمثل هذه اللهجة قبل الآن ، أنا مسلوب الحيلة وتائه .. لقد أسرتني .. اخضعتني .. قدمت إليَّ السلاح لتجردني منه .. تحولك الفجائي يذهلني .. يقظتك الطارئة تشل يدي .. كلماتك الإنسانية تنفذ إلى الصميم من قلبي .

وانهمرت الدموع من عيني السجين واردف :

ـ اعذرني إذا كنت أبكي ، أنا الآن مرتاح ، أنا الآن سعيد ، أنا مريض ولكني سعيد ، سعيد وقوي .

وصرخ :

ـ الآن سأشتغل ، سأخضع ، سأطيع .

وارتمى على الرجل وعانقه ، ثم رفع رأسه ونصب قامته ، واتجه بخطى ثابتة نحو الباب .

□□□

دائرة المعارف



إعداد: أ.د. عبدالحميد إبراهيم

قاموس الألوان عند العرب

«الحلقة الأخيرة»

ل

- لطم:

اللطم إيضاح الحمرة. قال أبو عبيد: إذا رجعت غرة الفرس من أحد شقي وجهه إلى أحد الخدين فهو لطيم. واللطيم من الخيل: الأبيض موضع اللطمة من الخدين.

- لعس:

اللَّعَس سواد اللِّثة والشفة. وقيل اللَّعس واللُّعسة سواد يعلو شفة المرأة البيضاء، وقيل هو سواد في حمرة، والأنثى لعساء. وجعل العجاج اللُّعسة في الجسد كله، وجعله مع البياض لما فيه من شُربة الحمرة. قال الأصمعي: اللُّعْس الذين في شفاههم سواد. قال الأزهري: لم يرد به سواد الشفة خاصة، إنما أراد لعس ألوانهم أي سوادها. والعرب تقول جارية لعساء إذا كان في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة ليست بالناصعة.

- لعط:

اللُّعطة خط بسواد أو صفرة تخطه المرأة في خدها كالعُلطة. ولُعطة الصقر سُفعة في وجهه. وشاة لعطاء بيضاء عُرض العنُق، ونعجة لعطاء: هي التي بعرض عنقها لُعطة سوداء وسائرها أبيض. وفي الحديث: أنه عاد البراء بن معرور وأخذته الذُّبحة فأمر من لعطه بالنار، أي كواه في عنقه.

- لمظ:

اللَّمظ واللُّمظة بياض في جحفلة الفرس السفلى من غير الغرة، وكذلك إن سالت غرته حتى تدخل في فمه فيتلمظ بها، فهي اللُّمظة والفرس ألمظ، فإن كان في العليا فهو أرثم، فإذا ارتفع البياض إلى الأنف فهو رثمة.

- لمع:

الإلماع في ذوات المخلب والحافر إشراق الضَّرع واسوداد الحلمة باللبن للحمل. قال الأصمعي: إذا استبان حمل الأتان وصار في ضرعها لُمع سواد فهي ملمع. واللُّمعة البقعة من السواد خاصة. وقيل كل لون خالف لونا لمعة وتلميع. واللُّمع تلميع يكون في الحجر والثوب أو الشيء يتلون ألوانا شتى. يقال لمعة من سواد أو بياض أو حمرة. والتُمِعَ لونه ذهب وتغير.

- لمى:

اللُّمي على فُعل جمع لمياء مثل العُمي جمع عمياء: الشفاه السود. واللَّمَى مقصور سُمرة الشفتين واللثات يستحسن، وقيل شربة سواد. وشجرة لمياء الظل سوداء كثيفة الورق وشجر ألمى الظّلال من الخضرة. وفي الحديث: ظلٌّ ألمى وهو الشديد الخضرة، المائل إلى السواد، تشبيها باللَّمى الذي يعمل في الشفة واللثة من خضرة أو زرقة أو سواد.

- لهب:

اللُّهبة إشراق اللون من الجسد. واللهب الغبار الساطع، وذلك إذا اضطرم جَرْيُ الخيل. واللَّهب واللهيب واللُّهاب واللَّهبان اشتعال النار إذا خلص من الدخان.

- لهق:

اللَّهِقُ واللهَق بالتحريك الأبيض. وقيل الأبيض الذي ليس بذي بريق ولا مُوهةٍ. وقيل اللَّهق واللَّهَق واللَّهاق الأبيض الشديد البياض والأنثى لهقة ولِهاَق، وقد لَهِقَ ولَهَق لهَقا و لَهَقا: ابيض، فهو لهِق ولهَق إذا كان شديد البياض مثل يقِق ويقَق.

- لوب:

فإذا كانت الضأن أو الإبل المجتمعة سودا فهي لابة تشبه بالحَرّة. قال سلامة بن جندل [من البسيط]:

حتى تُركنا وما تُحمى ظعائنُنا ... يأخذن بين سواد الخط فاللوب

والخط ساحل ما بين عمان والبصرة. وفي بعض الكلام: ما بين لابتيها أفقر مني.

- ليح:

أبيض لِياح ولَياح، قال جرير [من الوافر]:

سيكفيك العواذل أرحبيٌّ ... هجانُ اللون كالفرْد اللَّياح

قوله: كالفرد اللياح يعني الثور الأبيض. وقال ابن ميادة [من الكامل]:

تُجرى السِّواك على أغر مفلَّج ... عذب المذاقة طيب الأرواح

فيه تصيد إذا رمت عن قُدرة ... وبطرف فاترة البُغام لَياح.

وقال ابن السكيت: الصهباء الناقة البيضاء يخلط بياضها حمرة، تحمر ذفاريها (العظم خلف الأذن) وعنقها وكتفاها وذروتها وأوظفها (الذراع) ويبيض سائرها، فإذا أفرط بياضها فهي صهباء لياح، وإذا صدق لون البعير

فلم يخلطه صهبة فهو آدم إلا أنه أسود الحماليق (الجفون) والأدمة في الناس السمرة وفي الإبل البياض.

م

ـ متع :

متَع يمتعَ مُتوعا اشتدت حمرته، ونبيذ ماتع أي شديد الحمرة.

ـ مره :

المَرَه ضد الكَحَل. والمُرهة البياض الذي لا يخالطه غيره. وفي الحديث أنه لعن المرهاء هي التي لا تكتحل. وسراب أمره أي أبيض ليس فيه شيء من السواد. وفي العين المَرَه وهو أن يكون الحماليق بيضا ليست بكحل، يقال رجل أمره وامرأة مرهاء، قال ذو الرمة:

من الناصعات البيض في غير مُرهة ... ذوات الشفاه الحور والأعين النجل

ـ مصر :

المِصْر الطين الأحمر. وثوب ممصَّر مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة. وفي التهذيب: ثوب مُمصَّر مصبوغ بالعِشرق، وهو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس. قال أبو عبيد: الثياب الممصَّرة التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة. وقال شمر: الممصّر من الثياب ما كان مصبوغا فغسل. وقال أبو سعيد: التمصير في الصَّبغ أن يخرج المصبوغ مبقعا لم يستحكم صبغه.

ـ معر :

غضب فلان فتمعر لونه ووجهه: تغير وَعَلَتْهُ صفرة. وفي الحديث: فتمعر وجهه أي تغير. وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون. من قولهم: مكان أمعر، وهو الجدب الذي لا خصب فيه، ومعّر وجهه غيَّره.

ـ مغر :

المَغَرَة و المغْرة طين أحمر يصبغ به. وثوب ممغَّر مصبوغ بالمغْرة. والمغَر والمُغْرة لون إلى الحمرة. وقيل الأمغر الذي ليس بناصع الحمرة وليست إلى الصفرة، وحمرته كلون المغرة، ولون عُرْفه وناصيته وأذنيه كلون الصُّهبة ليس فيها من البياض شيء. وقيل: هو الذي ليس بناصع الحمرة، وهو نحو من الأشقر، وشقرته تعلوها مُغرة أي كُدرة، والأشقر الأقهب دون الأشقر في الحمرة وفوق الأفضح، و يقال إنه لأمغر أمكر أي أحمر. وقيل المغر: حمرة ليست بالخالصة. والأمغر الذي في وجهه حمرة وبياض صاف.

ـ مقه :

المقه كالمهق، امرأة مقهاء وسراب أمقه، وهو الذي لا خضراء فيه. والأمقه مثل الأمره وهو الأبيض، وأراد به القفر الذي لا نبات فيه. قال الأزهري: المهق والمقه بياض في زرقة. وبعضهم يقول المقه أشدهما بياضا. وقيل المقه حمرة في غبرة.

ـ ملث :

قال ابن الأعرابي: المَلْثَةُ والملْث أول سواد المغرب، فإذا اشتد حتى يأتي وقت العشاء الأخيرة فهو المَلْس فلا يميز هذا من هذا لأنه قد دخل الملث في الملس، ومثله اختلط الخاثر بالزّباد، وزباد اللبن هو الذي لا خير فيه، وهذا المثل يضرب عند اختلاط الخير بالشر والجيد بالرديء.

ـ موه :

موّه الشيء طلاه بذهب أو فضة وما تحت ذلك شبه أو نحاس أو حديد. قال الليث: الموهة لون الماء. يقال ما أحسن موهة وجهه. تموّه العنب إذا جرى فيه اليَنْع وحسن لونه.

ن

ـ نصع :

إن العرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها فقالت: أبيض يقق، وأسود حالك، وأحمر قان، وأصفر فاقع، وأخضر ناضر، وأبيض ناصع، من نصع ينصع نُصوعا، قال أبو النجم [من الرجز]:

إن ذوات الأزر والبراقع ... والبدن في ذاك البياض الناصع

وقال المرار [من الرجز]

راقه منها بياض ناصع ... يونق العين، وشعر مُسْبكر

ونصع الثغر إذا خلص بياضه، وقال سويد بن أبي كاهل:

صقلَتْهُ بقضيب ناضر ... من أراك طيب حتى نصع

ونصع الرأي إذا خلص، قال لقيط الإيادي [من البسيط]:

إني أرى الرأي إن لم أُعصْ قد نصعا

ويقال للقوم الذين لا يشوبهم غيرهم ناصعون، قال الشاعر [من الوافر]:

ولما أن دعوت بني طريف ... أتوني ناصعين إلى الصِّياح

ويقال في الألوان كلها فاقع وناصع إذا خلص وصفا.

ـ نضر :

الناضر الأخضر الشديد الخضرة، يقال أخضر ناضر، كما يقال أبيض ناصع وأصفر فاقع، وقد يبالغ بالناضر في كل لون، يقال: أحمر ناضر وأصفر ناضر. قال ابن الأعرابي: الناضر في جميع الألوان. قال أبو منصور: كأنه يجيز أبيض ناضر وأحمر ناضر، ومعناه الناعم الذي له بريقٌ في صفائه.

ـ نطح :

فرس نطيح إذا طالت غرته حتى تسيل تحت أذنيه ويتشاءم به.

ـ نطق :

الـمُنَطَّقَة من المعز: البيضاء موضع النطاق، ونطق الماء الأكمة والشجرة نَصَفها.

ـ نعج :

النعج الابيضاض الخالص، ونعج اللون الأبيض خلص لونه، والناعجة البيضاء في الإبل.

ـ نعل :

فرس مُنعل يد كذا، أو رجل كذا، أو اليدين، أو الرجلين، إذا كان البياض في مآخير أرساغ رجليه أو يديه ولم يستدر. وقيل إذا جاوز البياض الخَاتَم

ـ نفأ :

إذا كانت الأرض خضراء فهي محلسة ومستحلسة، فإذا تفرقت الخضرة هاهنا وهاهنا فهي نُفأ، قال الأسود بن يعفُر [من الكامل]:

جـــادت ســـواريه وآزر نبتـــه نُفأٌ مـــن الصــفـــراء والزُّبَّـــاد

والخضرة عند العرب السواد، وسُمِّي سواد العراق سوادا لكثرة خضرته.

ـ نقط :

يقال نقّط ثـوبه بالمداد والزعفـران تنقيطا، ونقّطت المرأة خدها بـالسواد، تحسّن بذلك.

ـ نقا :

النُّقاوى، قال أبو حنيفة: تخرج عيدانا سَلِبة ليس فيها ورق، وإذا يبست ابيضَّت، والناس يغسلون بها الثيـاب فتتركها بيضاء بياضا شـديدا. قال ابن الأعرابي: هو أحمر كالنَّكعة وهـو ثمرة النُّقاوى، وهو نبت أحمر. قال ثعلب: النُّقاوى نبت بعينه له زهر أحمر، ويقال للحُلكة وهي دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ملساء فيها بياض وحمرة: شحمة النَّقا، ويقال لها نبات النقا.

ـ نكت :

كل نقط في شيء خالف لـونه نكت. والنكتـة كالنقطة، شبـه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما. والنكتـة شبه وقرة في العين. والنكتة أيضـا شبه وسخ في المرآة. ونكتة سوداء في شيء صاف.

ـ نكع :

النكع الأحمر من كل شيء، والأنكـع المتقشر الأنف مع حمرة شـديـدة، والنكعة من النسـاء الحمراء اللـون. وأحمر نكع: شديـد الحمرة. ورجل نُكع يخالط حمرته سـواد. وشفة نكعة: اشتـدت حمرتها لكثرة دم باطنهـا. والنُّكعة بضم النـون جنـاة حمراء كالنبق في استـدارتـه. قال ابـن الأعرابي: يقـال أحمر كالنكعة، قال وهو ثمرة النقاوى وهو نبت أحمر، وحكى ابن الأعرابي: كانت عيناه أشد حمرة من النُّكعة. وقال أبو حنيفة: النُّكعة والنَّكعة كلاهما هنة حمراء تظهر في رأس الطُّرثوث، ونكعة الطرثوث رأسه وهو نبات يشبه القثاء.

يقال أحمر ناكع، ويقال لكل أحمر اضيرج . .

ـ نمر :

النُّمرة: النكتة من أي لون كان. والأنمـر: الذي فيه نُمرة بيضاء وأخرى سوداء. والنمر لونه أنمر، وفيه نمرة محمرّة أو نمرة بيضاء وسوداء. والأنمر من الخيل الذي على شبه النمـر، وهو أن يكون فيه بقعة بيضـاء وبقعة أخرى على أي لون كان. والنَّعم النُّمر التي فيها سواد وبياض جمع أنمر. وأسد أنمر: فيه غبرة وسواد. والنَّمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود.

ـ نمش :

النّمش خطوط النقوش من الوشي. والنَّمَشُ بالتحريك نقط بيض وسود. وثـور نمش وهـو الثور الـوحشي الـذي فيه نقط. والنمـش بياض في أصـول الأظفار يـذهب ويعود. والنمش بقع على الجلـد في الوجه يخالف لـونه وربما كان في الخيـل، وأكثر ما يكـون في الشُّقر، وأصل النمش نقط بيـض وسود في اللون، وثور نمِش القوائم في قوائمه خطوط مختلفة، وعنز نمشاء أي رقطاء.

ـ نمط :

النمط عند العـرب والزوج ضروب الثيـاب المصبّغة، ولا يكادون يقـولون نمط ولا زوج إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة، فأما البياض فلا يقـال نمط، ويجمع على أنماط. والنمط ضرب من البسط والجمع أنماط مثل سبب وأسباب.

ـ نمنم :

نمنمت الريح التراب خطتـه وتركت عليه أثـرًا شبه الكتابـة وهو النّمنم والنّمنيم، وكتاب منمنم منقش. ونمنم الشيء رقشه وزخرفه، وثوب منمنم: مرقوم موشى. والنِّمنِم والنُّمنُم البياض الـذي على أظفار الأحداث، واحدته نِمْنِمة ونُمنُمة. قال ابن الأعرابي: النّمـة اللُّمعة من بياض في سواد وسواد في بياض.

ـ نوب :

النُّوب والنُّـوبة: جيل من السودان، الـواحد نوبي. والنـوب النحل وهو جمع نائب. قال أبو عبيد: سميت به لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها. فمن جعلها مشبهـة بالنـوب، لأنها تضرب إلى السواد فـلا واحد لها، ومـن سماها بذلك لأنها ترعى ثم تنوب فواحدها نـائب، شبه بذلك بنوبة الناس والرجوع لوقت مرة بعد مرة.

ـ نور :

النَّوْر والنَّوْرة الزهر. وقيل النـور الأبيض والزهر الأصفر، وذلك أنه يبيض ثم يصفـرّ. وفي حـديث خـزيمـة لما نـزل تحت الشجـرة أنـورت أي حسنت خضرتها. والنَّؤور النَّيلَج وهو دخان الشحم يعـالج به الوشم ويحشى به حتى يخضر، ولك أن تقلب الواو المضمومة همزة. والنؤور حصاة مثل الإثمد تدق فتسفهـا اللثة، وكـان نساء الجاهليـة يتشمن بالنـؤور. وقال الليث: النـؤور دخـان الفتيلة يتخـذ كحلا أو وشما. وفي التهـذيب: والنؤور دخـان الشحم الذي يلتزق بالطَّست وهو الغُنْج أيضا.

ـ نوق :

النوق بياض فيه حمرة يسيرة.

ـ نيل :

نيل = نيلج من أصل سنسكريتي. ولم تكن العرب تمايز بينه وبين الصباغ المسمى بـالوسمة. والنيلج الصبـغ الأزرق المعروف الذي يستخـرج من ورق النيل. أطلق الفيروز أبـادي اسم العِظْلِـم بـالكسر على النيل وعلى الـوسمـة جميعا. جنس نباتات محولة أو معمرة من الفصيلة القرنية تزرع لاستخراج مادة زرقاء للصباغ من أوراقها.

الصّبّاغين ـ فضي ـ نيلين زرقة النيل مادة بيضاء تتأكسد وتزرق في الهواء، وهي المادة الملونة في النيل، لكن الصناعة توجدها من النفتلين.

هـ

ـ هبرز :

أبيض هبرزي، قال الحسين بن مطير الأسدي (في الكامل):

جاءت بأبيض هبرزي جده ... ساقي الحجيج بماء حَوْضي زمزم

وقال جرير [من الوافر]:

فقد وجدوا الخليفة هبرزيًا ... ألفَّ العيص ليس من النواصي

- هجن :

وأبيض هجان، قال عبد الله بن قيس الرقيات [من الخفيف]:

و إذا قيل مَنْ هجان قريش؟ ... كنت أنت الفتى وأنت الهجان

وهجان كل شيء أكرمه، قال الراجز:

هذا جنايَ وهجانه فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه

وقال أبو معروف الأسدي [من الرجز]:

بين شظاظى ناعج هجان ... عبيل الشَّوى مقلّص شيحان

أصهب يمشي مشية الحصان

وهو هجان للذكر والأنثى والجمع، قال عمرو بن كُلثوم:

ذراعي عَيْطَلٍ أدماءَ بَكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا

(العيطل طويلة العنق. لم تقرأ جنينا لم تلد)

وقال تأبط شرا:

أهزّ به في ندوة الحي عطفه ... كما هز عطفي بالهجان الأوارك

- هضب :

فإذا كان الجبل أحمر فهو هَضْبة، قال النظار الفقعسيّ:

متى ما ترى العينان أركان هضبة ... تفيضا، ويلتق من رشاشتها النحر

و

- وبر :

الوبر بالتسكين دويبّة على قدر السِّنور، غبراء أو بيضاء، من دواب الصحراء، حسنة العينين، والأنثى وبرة بالتسكين. قال الجوهري هي طحلاء اللون، لا ذنب لها، تَدْجن في البيوت، وبه سُمّي الرجل وبرة.

- وبص :

الوبيص البريق. ويقال أبيض وأبص ووبَّاص، وكل براق وبّاص ووابص، وأوبصت الأرض أول ما يظهر نباتها.

- وتر :

قال الجوهري: الوتيرة: الأرض البيضاء. قال أبو حنيفة: الوتيرة نور الورد واحدته وتيرة، والوتيرة الوردة البيضاء، والوتيرة الغرة الصغيرة. قال ابن سيده: الوتيرة غرة الفرس إذا كانت مستديرة، فإذا طالت فهي الشادخة.

- ورد :

وبلونه قيل للأسد ورد، وللفرس ورد وهو بين الكُميت والأشقر. قال ابن سيده: الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء.

- ورس :

الورس: نبت أصفر يكون باليمن، تتخذ منه الغُمرة للوجه، تقول: أورس المكان وأورس الرِّمث أي اصفر ورقه بعد الإدراك، فصار عليه مثل المُلاء الصُّفر، وورّست الثوب توريسا صبغته بالورْس، وملحفة ورسية صبغت بالورس، وفي الحديث: وعليه ملحفة ورسية، والورسية المصبوغة. وفي حديث الحسين رضي الله عنه، أنه استسقى فأخرج إليه قدح وَرْسيٌّ مفضض، هو المعمول من الخشب النضار الأصفر فشبه به لصفرته. وحكى أبو حنيفة عن أبي عمرو: ورس النبات وروسا اخضر. وأصفر وارس شديد الصفرة، بالغوا فيه كما قالوا أصفر فاقع. والورسيّ من الأقداح النُّضار ما كان أجودها، وفي الحمام ما كان أحمر إلى الصفرة، وورست الصخرة إذا ركبها الطحلب حتى تخضرّ وتملاس.

- ورق :

الأورق من الإبل الذي في لونه بياض إلى سواد. والوُرقة سواد في غبرة، وقيل سواد وبياض كدخان الرِّمث، يكون ذلك في أنواع البهائم، وأكثر ذلك في الإبل. والأورق من الناس الأسمر، وقال أبو زيد: الأورق الذي يضرب لونه إلى الخضرة.

- وشم :

وشوم الظبية والمهاة خطوط في الذراعين. وأوشمت الأرض إذا رأيت فيها شيئا من نبات، وأوشمت السماء بدا منها برق، وأوشم الكرم ابتدأ يلون.

- وشي :

الوشي في اللون خلط لون بلون، وكذلك في الكلام. والشية سواد في بياض أو بياض في سواد. قال الجوهري: الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. وفي التنزيل العزيز ﴿لا شِيَةَ فيها﴾ أي ليس فيها لون يخالف سائر لونها.

- وضح :

الوضح بياض الصبح والقمر، والبرصُ والغرة والتحجيلُ في القوائم وغير ذلك من الألوان. والوضح الضوء والبياض.

- ومض :

الومض الوميض من لمعان البرق، وكل شيء صافي اللون.

ي

- يقق :

يَقَق ويقِق: هو شديد البياض ناصعه.

- ينع :

اليانع الأحمر من كل شيء، وثمر يانع إذا لون، وامرأة يانعة الوجنتين. قال ابن برى: الينوع الحمرة من الدم. والينعة خرزة حمراء، وفي حديث الملاعنة أن النبي ﷺ قال في ابن الملاعنة: إن جاءت به أمه أحيمر مثل اليَنَعة فهو لأبيه الذي انتفى منه.

مجلة الفيصل والقضية المهمة



يحتفظ التاريخ الثقافي بعديد من الكتب الخالدة التي لم تخلق جدتها على الرغم من مرور عشرات القرون عليها، ويبدو أن جمهورية أفلاطون على رأس هذه الكنوز الإنسانية.

ويعتمد هذا الكنز العظيم على الحوار في نهجه.

والعدالة أولى القضايا التي تطرحها جمهورية أفلاطون، على أن سقراط يستطرد في حواره إلى عديد من القضايا، فهو يقول لك مثلاً - بما معناه - إن من الأمانة أن ترد الوديعة إلى الذي أمّنك إياها. ولكن إذا افترضنا أن الوديعة كانت سلاحًا، وأن الذي أودعها إليك أصابه خلل في عقله، فهل من الحق أن تردها إليه أم تمنعها عنه؟!

ويسوقه هذا المثال إلى قضية إسداء الخير إلى الأصدقاء، وصب الشر على الأعداء.

وهكذا يتنقل به الحوار من قضية فلسفية إلى قضية أخرى، لكنه على أية حال حوار يشد القارئ الذي يعشق التنقل في الأمور الفلسفية التي تعتمد على الافتراضات، ولا سيما تلك التي قد تحدث في الواقع.

فالحوار الذي ينهج مثل هذا النهج هو من أفضل الوسائل لإثراء العقل.

ولقد أحسنت مجلة «الفيصل» صنعًا حين أفردت للحوار ما يزيد على ثلاثين صفحة في عددها رقم (١٨٨) أغسطس ١٩٩٢م.

ودعت لهذه القضية المهمة شخصيات لهم مكانتهم في دنيا الثقافة، ولقد تناولوا قضية الحوار من أكثر جوانبه حيث تحدثوا عن أدب الحوار، وأسسه وأركانه، وعن كيفية تربية الأبناء على الحوار... إلى غير ذلك من النواحي المختلفة لهذه القضية المهمة.

ولعل من أهم أسس الحوار أن يعترف كل طرف من المتحاورين بتعدد الرأي حول القضية الواحدة، وأن على كل طرف أن يبدي آراءه في القضية المطروحة للحوار، فأيها كانت حجته أقوى فإن على الأطراف المتحاورة أن تأخذ بها.

وليس من شك أن الأمور التي تستدعي الحوار حولها كثيرة كثيرة، وأن الذين يعترفون بتعدد الرأي يقفون عند القول في تعدد الرأي فقط. أما الكثيرون منهم فلا يقبلونه في واقع الأمر لاعتقاد كل منهم بأنه هو المحق وأن غيره على الخطأ، في حين أن المنطق يقول: إن إثراء العقل يأخذ بالنظرية القائلة «إن رأيي صواب يحتمل الخطأ وإن رأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

من أسباب تفرقة كلمة المسلمين

وفي تصوري - والله أعلم - أن من أهم عناصر الشقاق بين المسلمين يأتي من أن كل جماعة تعتقد بأنها على الهدى وأن غيرها على الضلال.

ولقد كنت أتمنى أن تكون الأحاديث التي تناولها الأساتذة والعلماء في هذا العدد من مجلة «الفيصل» تدور حول قضايا مستمدة من الواقع. فنحن في أشد الحاجة إلى الحديث بكل وضوح حول قضايانا الفكرية والفلسفية والسياسية.

أما أن نتحدث عن الحوار بطريقة تجريدية فإن ذلك يصبح من الترف الثقافي، وهو أمر يستمتع به المثقفون فقط، أما سائر الناس فإنهم يصبحون بعيدين عنه، إذ أنهم ينساقون بصورة قوية نحو الأمور التي لها مساس بحياتهم المادية والمعنوية. ويغلب على ظني أن الناس محقون في هذا الانسياق، ذلك أن الناس في معظم أنحاء هذا العالم يعيشون حياة مضطربة أشد الاضطراب. فهم سعداء لأن كثيرًا من الحقوق عادت إلى نصابها، فنحن نعلم أن الاتحاد السوفيتي السابق قد تكوّن قسرًا من دول مختلفة تاريخًا ولغة ومذاهب، وقد عادت كل أمة مستقلة إلى هويتها التي كانت عليها قبل أن ترغم على الاندماج مع غيرها ممن لا تنسجم معه من النواحي الاقتصادية والفكرية والسياسية.

عودة هذه الأمم إلى ما كانت عليه أمر يبشر بالخير بطبيعة الحال، لكن هذه الأمم ما لبثت أن اختلفت فيما بينها إلى درجة إراقة الدماء وإزهاق الأرواح.

ويعود سبب ذلك إلى أن هذه الأمم اعتقدت أن كلاً منها محق في وجهة نظرها الجغرافية بصورة خاصة، بل إن هناك أحقادًا في نفوس بعضها على الآخر انطلقت من قمقمها - كما يقال - مما أحدث مآسي تقشعر لهولها القلوب؛ مما هو مشاهد لدى الجميع. وهذا يعني أن هذه الأمم ابتعدت عن الحوار الذي يقصد من ورائه بأن يصل كل طرف إلى حقه بصورة هادئة.

ولكم أعجبني البحث القيّم الذي كتبه الدكتور **عبد الله بن عبد المحسن التركي** رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، فلقد رسم في هذا البحث صورة صادقة للحوار النافع حيث يقول: «الاختلاف قضية كبيرة محفوفة بما يجعلها شقوة ولظى حين يجمع الهوى والفكر قاصر أو حين يستغلق الذهن والعلم متوافر: بغيًا وعدوًا، ومحفوفة بما يجعلها ثراءً علميًا وتنوعًا فكريًا حين تستقيم قلوب المختلفين على الحق، ويرسخ علمهم ويوقنون بأن مراتب الصواب قسمة بين طلاب الحق الذين يستوفون شروط طلبه، ويستنزلون فضل الله سبحانه وتعالى العميم بصدق الدعاء، وما كان الله ليذر المؤمنين دون أن يبين لهم ما يتقون في هذه القضية الجليلة الشأن والخطر والأثر».

وأعتقد أني محق حين أجعل هذه الفقرة من ذلك الحديث القيم مسك الختام لهذه الكلمة المتواضعة.

عبد الرزاق البصير
الكويت

ليس دفاعاً عن المتنبي



ملامح "البارانويا"
في شخصية المتنبي وشعره
بقلم: سلطان عبدالهادي السهلي

٢ ـ عدم الثقة بالغير، وهو موقف انفعالي يمهّد لأفكار الاضطهاد ويولّد القلق والريبة من الغير.
٣ ـ زيف الحكم، ومصدره تغلب العوامل الانفعالية على المعطيات الموضوعية.
٤ ـ العجز عن التوافق الاجتماعي (٢).

المتنبي: حياته وشخصيته

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي (٣). ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة في محلة يقال لها كندة. فنسب إليها كندة اليمنية المعروفة. وقد نشأ في الكوفة نشأته الأولى حيث أبوه، الذي كان يقال إنه كان سقاءً فقيراً، ...

طلع علينا الأستاذ سلطان عبدالهادي السهلي بمقالة عن «ملامح البارانويا في شخصية المتنبي وشعره» بالعدد (١٨٧) محرم ١٤١٣هـ - يوليو تموز ١٩٩٢م.

وأراد الأستاذ السهلي أن يطبق البارانويا على المتنبي، ويبدو أن تخصص سيادته بعيد عن الأدب والشعر فما بالنا بالبحث والتحليل والدراسة والنقد؟

وسأحاول في عجالة أن أفند بعض ما يستحق التفنيد من آرائه:

قال السهلي: إن البارانويا هو انحراف العقل أو اختلاله، فكيف تأتَّ للمتنبي وهو مختل العقل - على مقاييس السهلي - أن يترك للعربية واحداً من أنضج دواوين الشعر العربي والحكمة والتجارب الناضجة.

ويقول الأستاذ **السهلي**: إنّ **المتنبي** كان يتردد على البادية التي تركت أثرها في نفسه وجسده ولم يقل لنا عن ماهيَّة هذه الآثار أهي سلبية أم إيجابية؟

مما هو معلوم تاريخيًّا أن **العرب** كانت ترسل صبيانها في بعثات تعليمية وتربوية للبادية لاكتساب صفاء اللغة وسلوك البادية السوي وللترويح عن النفس، **وأبو الطيب المتنبي** كان كثير الترحال للبادية واقعاً وسلوكاً وشعراً للمزيد من التعلُّم ونسيان همومه وحنينه لأهل البادية وحياتهم التي لا زيف فيها ولا خداع:

أواناً في بيوت البدو رحلي
وآونةً على قتدِ البعير

فكيف يصاب إنسان بدوي الطبع والمشاعر «بالبارانويا»؟!

ويقول **الأستاذ سلطان السهلي**: ولد المتنبي **بالكوفة** في محلة كِنْدة فنسب إليها، ولو كان **الأستاذ السهلي** مطلعاً على شعر **المتنبي** وعصره لعلم أنه صحيح النسب **لكندة** من جهة جدته التي تنحدر من **همدان أحد بطون** كهلان. وإباء **المتنبي** واعتزازه بنفسه وأنفته ورثها عن قومه «**كندة**» التي عرفت بين العرب بالكرم والفروسية وغيرها:

وإني لمنْ قومٍ كأنَّ نفوسَهُمْ
بها أَنَفٌ أنْ تَسْكُنَ اللحمَ والعَظْما

وأما ادّعاؤه النبوّة فهذه فرية أُلصقت به ووشاية أطلقها بعض أعراب **بادية الشام**، ويبدو أنهم كانوا عيوناً للأمير **لؤلؤ** أمير **حمص** وزعموا أنه ادَّعى النبوّة في **بني كلب** التي كانت تناوئ **الإخشيد**، **وقد سحرهم** المتنبي بشعره ودعوته **للعروبة** ومقاومة الأعاجم، وهي دعوة سياسية وليست لأغراض دينية بدليل إفراج الحاكم عنه بعد وساطة بعض **التنوخيين**، وهناك رأى آخر يقول إن بيتيْ الشعر:

أنا في أمةٍ تداركها الله
غريبٌ كصالح في ثمود
ما مقامي بأرضِ نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

هي التي جرَّت عليه التهمة بعد أن كان يدعي علويَّة النسب.

وأما قول **المتنبي** لهذا الكلام فمردّه أنه قال في شبابه الباكر هذه القصيدة وهو في حالة إحباط نفسي بعد أن مدح أحد ممدوحيه ولم ينل ما أراده:

ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقلّ فيه قعودي
أبداً أقطعُ البلادَ ونجمي
في نحوسٍ وهمتي في سعود

وأورد **الأستاذ السهلي** العوامل التي أثرت في شخصيته، ولو أحكم الأستاذ السهلي عقله والتمحيص لوقف على «**ألم المتنبي**» وسرّ حزنه. لقد كانت لوفاة والديه في مقتبل عمره أثرها النفسي العميق بالشعور بالوحدة وافتقاد الحنان. وعلم النفس الحديث أكد أن أهم صفات هذه الشخصية «**حُبُ التملك**» لشعورها بالوحدة. وكان **المتنبي** لهذه الدوافع النفسية يجرى وراء المال ويمدح من لا يستحق ليس حباً في المال وإنما حماية من الغد وشعوراً بالدفء. وأما

مهنة والده فلم تترك أثراً سيئاً في نفسه لأنه كان إنساناً عفيف النفس، وقد أكسبته عبقريته الشعرية حصانة نفسية وثقة كبيرة تعداها المتنبي:

لا بقـومـي شرفـتُ بـل شرفـوا بي

وبنفسي فخـرتُ لا بجـدودي

هذه عصامية وليست عقوقاً

ويقول **الأستاذ السهلي**: والحقيقة أننا لا نجد عناءً كبيراً في تبين ملامح البارانويا في شخصية **المتنبي** وشعره وتمعُّن النظر في شعره حتى نجد شاعرنا وقد تملكه الإحساس بالعظمة. وهذا تناقض واضح في أقواله فكيف يمعن النظر ولا يجد عناءً كبيراً؟! إنه يلقى الكلام على عواهنه، ولو أمعن **الأستاذ السهلي** نظره بالفعل في شعر **المتنبي** لما فسّر البيتين:

إلى كـمْ ذا التخلـف والتـواني

وكـم هـذا التمـادي في التمـادي

وشغـل النفـس عـن طلـب المعـالي

ببيع الشعـر في سـوق الكسـاد

بأنها تجسيد في السعي نحو السلطة والقيادة. ويعلم طُلاَّب المدارس الثانوية أن هناك شيئًا اسمه «**جوُّ النص**» أي ملابساته والظروف التي قيلت فيها القصيدة. **والمتنبي** قال هذه القصيدة في مدح **الأمير علي بن إبراهيم التنوخي**، وكان قبلها قد مدح بعض ممدوحيه ولكنه لم يحظ بما أراده

ويقول الأستاذ **سلطان السهلي**: إن **المتنبي** اتصل **بسيف الدولة** لإرضاء ذاته المتضخمة. وهذه مغالطة تاريخية، فالثابت أن **المتنبي** بعد خروجه من السجن وجد نفسه خالي الوفاض، حتى أنه مدح **علي بن المنصور الحاجب** بقصيدة من درره وكانت مكافأته من **الحاجب** «ديناراً» واحداً، وسميت **القصيدة الدينارية** واتصل **ببدر بن عمار** أحد ولاة **الشام** ومدحه بروائع من شعره، وبعدها مدح **المتنبي أبا العشائر الحمداني أمير أنطاكية**. ومما هو معلوم أن المتنبي كان يتأبّى كثيراً عن مدح بعضهم ومنهم أمراء ووزراء وكتّاب وعلية القوم لسبب نفسي هو مدى ارتياحه لممدوحه حتى ولو كان فقيراً كما حدث في **مصر**.

وفي عام ٣٣٧هـ نزل **سيف الدولة الحمداني** ضيفا على **أبي العشائر الحمداني** فقدَّم له **أبو العشائر أبا الطيب المتنبي** بعد الثناء عليه والإشادة بعبقريته الشعرية.

والمتنبي قال بيته المشهور:

وفـؤادي مـن الملـوك وإن كـا

ن لسـاني يُـرىٰ مـن الشعـراء

قالها **المتنبي** للتأثير على كافور الاخشيدي لكي يوليه إمارة أو ضيعة؛ لأنه قبلها يقول:

فـارم بي مـا أردت منـي فـإني

أسـد القلـب آدمـي الـرّواءِ

وأما عدم ثقة **المتنبي** بالآخرين فهي ليست ظاهرة مرضية، فهناك الكثير من الشعراء المتحفِّظين في تعاملهم مع الناس، وثقة **المتنبي** المهزوزة في بعض الناس الذين تعامل معهم هي عن تجربة وليست خيالاً، فأما اختياره أصدقاءه بعناية فلأنه شاعر مرهف الحس يفتقد الدفء وقد كان إنساناً محافظاً دقيق الاختيار لأصدقائه وممدوحيه واسع الطموح، أو ليس هو القائل:

شرُّ البـلاد مكـانٌ لا صـديـق بـه

وشرُّ مـا يكسـب الإنسـان مـا يصِّمُ

ومما لا شك فيه أن المناخ الاجتماعي والسياسي في عصر **المتنبي** حيث الثورات والفتن والدسائس والصراع بين **العرب والعجم** كان لها أثرها في ابتعاده عن بعض الناس وعدم تكيُّفه مع مجتمعه وعصره. وبعض أبيات **المتنبي** في سلوكيات البشر يفسّرها الآن علم النفس الحديث:

سبحـان خـالـق نفسي كيـف لـذّتها

في مـا النفـوس تـراه غـايـة الألم

إذا سـاءَ فعلُ المرءِ سـاءت ظنـونـه

وصـدّقَ مـا يعتـاده من تـوهُّـمِ

بنّـا ولـو خليتنـا لم تـدرِ مـا

ألـوانـنـا ممـا امتقعـن تلـونّـا

وأما قصيدته عن الحُمَّى وأعراضها فقد وصفها أحسن ما يكون الوصف الظاهري والنفسي للحُمَّى الخفية (الملاريا).

وأما مديح **المتنبي لكافور الإخشيدي** وذمّه بعد ذلك فهي تعود للحالة الطبيعية بين الرجلين، ففي البداية تحايل **كافور الإخشيدي** لقدوم **المتنبي مصر**، إذْ كتب لأمير **الرَّمْلة الحسن بن طغج** يستعجله القدوم ومنح المتنبي الهبات والخلع ووعده **كافور** بإحدى الولايات **بصعيد مصر**، فلما نكص العهد ولم يفِ بوعده وأيقن **المتنبي** أنه كان يجرى خلف سراب هجاه بعد أن طفح الكيل به، وخاصة أنه يرى أحد **اليهود حاكماً** علي دمشق **(ابن مُلْك)** ويرى مَنْ هو دونه يتقلَّد الإمارة على البلدان والضياع.

عبد الرحمن عوض

القاهرة – مصر

الفيصل: بالنسبة لما أشرتم إليه - يا أخ عبد الرحمن - في ختام موضوعكم التعقيبي حول خاتمة المقال ـــ مدار التعليق - فإن السبب فيه يعود إلى خطأ مطبعي، ولهذا لم ننشر المقطع الأخير من تعقيبكم. وصحة العبارة التي وردت في نهاية المقال هي: «ونحن نختم هذه المقالة لا بد من الإشارة إلى أننا **لا نجزم** بأن الحكم الذي ادعيناه فيها هو بالضرورة حكم دقيق وصائب»، فسقطت أداة النفي سهوًا. ونرجو من كاتب المقال الأستاذ **سلطان السهلي** ومن القراء المعذرة.

ردود قصيرة

● **الأخ حسين محيميد ــ جامعة حلب:**

شكراً على رسالتك الكريمة ومشاعرك الطيبة تجاه المجلة والعاملين فيها. ملاحظاتك حول التوزيع في سورية محل اهتمامنا. أما تساؤلاتك حول مجلدات الفيصل فنرجو أن تجد ما يجيب على تساؤلاتك عليها في مكان آخر داخل هذا العدد.

● **الأخ إقبال سيد أحمد جعفر - أم درمان - السودان:**

ملاحظتك حول توزيع المجلة في منطقتك سوف تُدرس مع شركة التوزيع المختصة، أما الكتاب الذي استفسرت عنه وكذلك الاشتراك في المجلة فستصلك معلومات عنهما بالبريد إن شاء الله.

● **الأخ عدنان أسعد ــ القاهرة - مصر:**

لعلك تتفق معنا على الاكتفاء بما نشر في العدد ١٨٠، لإتاحة المجال لإسهاماتك الأخرى وإسهامات غيرك من القراء الكرام. وأهلا بك.

● **الأخ حسين حلمي أحمد حسانين - الدقهلية - مصر:**

بإمكانك الاطلاع على الأعداد التي فاتتك من مجلة «الفيصل» باقتناء المجلدات الكاملة التي تجد تفصيلا عن كيفية الحصول عليها في مكان آخر من هذا العدد وشكرًا.

● **الأخ محمد أحمد حجاج ــ المحلة الكبرى - مصر:**

ملاحظاتك واقتراحاتك حول مسابقة العدد نشكرك عليها، وسنستفيد منها إن شاء الله. ونعدك وجميع متابعي المسابقة بأنها ستتطور وتتحسن بإذنه تعالى.

● **الأخ محمد محمود أحمد حسن محمد ــ ص. ب ٣٤٧ السويس ٤٣٥١١ - مصر:**

شكرا على اهتمامك بالمجلة وبمراسلتها. مقترحاتكم أحيلت مع غيرها إلى القسم المختص لدراستها. ونأمل أن يكون هذا الرد كافياً - على الأقل الآن - وتعفينا من الرد بخطاب بريدي كما طلبت. وأهلاً بك.

● **الأخت خديجة إبراهيم الدويري ــ تونس:** تحيتك الشعرية نشكرك عليها، ونبادلها نفس الشعور تجاه جميع قراء «الفيصل» غير أننا نعتذر عن نشرها لأسباب فنية. نرجو تقدير ذلك مع الشكر.

● **الأخ فهد يحيى باصهي - جيزان:** مؤلفات الأديب أحمد عبد الغفور عطار - يرحمه الله - متوافرة في مختلف المكتبات الكبرى. أما عناوين المجامع اللغوية العربية فيمكن الحصول عليها من المكاتب الثقافية في المملكة لكل من: مصر وسورية، والعراق، والأردن.

● **الأخ محمد عماد والأخ سفيان الشيخ - عين الدفلة - الجزائر:**

لا يوجد في المجلة باب للتعارف أو المراسلة، ولهذا نعتذر عن تلبية رغبتكما.

● **الأخ معمري بوفاتح - الوادي - الجزائر، والأخ يحضيه بُدِّيهْ - كلميم - المغرب:**

مرحبا بكما ضمن أصدقاء المجلة، وشكرا جزيلا على مشاعركما الكريمة. أما المسابقة فلا بد من إرفاق القسيمة لأنها من شروط الاشتراك فيها، وأما سؤال أحد الأخوين عن خدمات المجلة لقرائها وطلب الآخر تعريفا شاملا بها فنأمل أن نلبي هذين الطلبين في أحد الأعداد القادمة إن شاء الله.

● **الأخت ريم عبد الله عامر - عمّان - الأردن:**

شكرا جزيلا على عنايتك بتوزيع المجلة في الأردن الشقيق، ويسرنا إشعارك وكل من يهمه الأمر بأن مجلة «الفيصل» أعيد توزيعها مؤخرًا في الأردن، ونأمل أن يستمر ذلك بانتظام.

● **الأخ أسامة عبد الرحيم زمو - الدوحة ــ قطر:** سعدنا برسالتك وبمشاعرك الأخوية. وبالنسبة لاقتراحك حول تخصيص باب ثابت يقدم معلومات عن الدين الإسلامي وكذلك نشر قصص من السيرة النبوية المطهرة، فنشكرك على هذه الأفكار الطيبة، ولعل القارئ المتابع يلاحظ اهتمامها بهذين المجالين، وقد نشرنا من قبل موضوعات عدة فيهما، وسنواصل هذا الاهتمام، سواء من خلال الأبواب الثابتة أو الموضوعات العامة.

● **الأخ محمد بن لمين كشاد - بسكرة - الجزائر:**

تحيتك إلى جميع العاملين في المجلة وصلت، ونشكرك عليها. أما طلبك فقد أحلناه إلى القسم المختص لاتخاذ اللازم. وشكرا.

● **الإخوة: هادي محمد الزمزمي (أبها - الشعبين)، محمد محمد وليد غادري (الباحة ــ بلجرشي)، دو الشرع محمد (العميرة - المغرب):**

المعلومات التي سألتم عنها حول مجلدات الفيصل أرسلت إليكم بالبريد ونرجو أن تكونوا قد حصلتم عليها، شاكرين لكم اهتمامكم بالمجلة.

● **الأخ ماجد محمد الوبيران - خميس مشيط:**

أهلاً بك صديقا للمجلة، ونرحب بإسهاماتك التي نرجو أن تكون من إنتاجك الشخصي لا اقتباسًا من كتب أخرى.

● **الأخت فوزية ــ نافارا - أسبانيا:**

طلبك أحيل إلى القسم المختص لإجراء اللازم، وسيصلك المطلوب بالبريد إن شاء الله.

● **الأخ عبد اللاه أبو بكر محمد - قنا - مصر:**

شكرا على ملاحظتك التي ذكرتها في رسالتك، والتي تدل على حرصك على سمعة المجلة ونوعية الكتّاب الذين يتعاملون معها. نرجو دوام المواصلة وأهلاً بك.

● **الأخ شافو محمد عبد الصمد - ورقلة - الجزائر:**

نعتذر عن عدم تلبية رغبتك التي ذكرتها في رسالتك، حيث إن ذلك ليس من اختصاص المجلة. مع شكرنا على ثقتك فيها.

● الإخوة : قديري حمزة، أخوني إبراهيم بن ناجي، أوردنة طارق، حساني حسين، هرير عثمان، عيدي علي، لحسن دباب، أمين قجور، جلاي عبد الرحيم، برباخ إبراهيم بالبيض، الهادي الحدي، فضلو عطاء الله ـ الجزائر:

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص لإجراء اللازم، شاكرين لكم اهتمامكم بمراسلة المجلة وحرصكم على متابعتها.

● الأخ على آدم سليمان ـ الخرطوم ـ السودان :

الأخ رضا مسعد حمودة ـ الدقهلية ـ مصر :

سوف تصلكما إيضاحات حول كيفية شراء مجلدات «الفيصل»، مع ترحيبنا بكما صديقين للمجلة. أما المعلومات التي استفسرت عنها يا أخ رضا فيمكن الحصول عليها من نادي أبها الأدبي بالكتابة إليه مباشرة، وأما طلبك الأخير فيؤسفنا عدم التمكن من الاستجابة له. وأهلاً بكما.

● الأخ عياش سليمان ـ الجلفة ـ الجزائر:

طلبك أحيل إلى القسم المختص لموافاتك بالمطلوب، وكيفية الاشتراك في المجلة موضحة في الرد الذي يخص طلبك، ومرحبا بك.

● الأخ التجاني زلومة بن أحمد ـ الجزائر:

نشكرك على ما ورد في رسالتك. أما المسابقة فيمكنك الاشتراك فيها في الأعداد القادمة، مع ملاحظة أن قسيمة المسابقة غير مجدية ما لم ترفق معها الإجابات. وشكرًا.

● الأخ سيف الدين مصطفى كرار ـ الخرطوم بحري ـ السودان :

كلماتك الطيبة التي حملتها رسالتك الكريمة نعتز بها كثيرا، نرجو دوام المتابعة والمواصلة، وأهلاً بك.

● الأخ عبد الباقي يوسف ـ الحسكة ـ سورية :

شكرا على تهنئتك الرقيقة، ومرحبا بك صديقا للمجلة.

● الأخت منيرة القبلان ـ الرياض :

نقدر اقتراحك المتعلق بمسابقة المجلة، ولكن هناك قراء كثيرين لهم رأي آخر مثلما أن هناك من يؤيد رأيك. ونحن في المجلة نسدد ونقارب محاولين إرضاء الجميع برغم صعوبة ذلك. ولعلك تتفقين معنا على أن التنويع في أسلوب المسابقة مطلوب ومرغوب. نأمل استمرار التواصل وشكرا.

● الإخوة والأخوات: صفاء حسين سوادي (معسكر رفحاء للاجئين العراقيين)، عباس عبار الجنوبي (معسكر الأرطاوية للاجئين العراقيين)، محمد رزان (سريلانكا)، محمد مصطفى القطاوي (السودان) :

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص للعمل على تلبيتها، وسنرسل لكم معلومات مكتوبة عن كيفية الاشتراك في المجلة للذين استفسروا عن ذلك، وشكراً للجميع.

● الأخوين: الطاهر غرب (تونس)، سيف الدين فضل السيد (السودان) :

المعلومات التي طلبتموها عن مجلدات الفيصل أرسلت إليكما، ونأمل أن تكون قد وصلتكما، مع شكرنا على اهتمامكما بالمجلة.

● الأخ محمد إبراهيم حوباني - جيزان :

المعلومات التي طلبتها في رسالتك غير متوافرة لدينا حاليا، ولذا نأسف لعدم تحقيق رغبتك، مع الشكر على مراسلة المجلة.

● الأخ برمة السعيد - بسكرة - الجزائر:

نرحب بك في رسالتك الأولى، ونحن مستعدون لمراسلتك عبر هذه الزاوية. وتصحيحا لما كتبت فإن مجلة «الفيصل» صدرت عام ١٩٧٧م وليس عام ١٩٨٥م.

● الأخ فرحات حكيم - الجلفة - الجزائر:

للحصول على الكتب الدينية يمكنك الكتابة إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض أو رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ونأمل أن تلبي لك ما طلبت. وشكرا على ثقتك في المجلة.

● الأخ عبدالعزيز العسكر - الدلم :

نرجو أن تكون قد وصلتك المعلومات التي تعرّفك بكيفية الحصول على مجلدات المجلة. أما ما لديك من موضوعات أدبية ومنوعة فيمكن إرسالها إلينا، وما هو مناسب منها للنشر سيأخذ طريقة إلى ذلك، وأهلاً بك.

● الأخ عماد ميزان عبدالعظيم جابر - الفيوم - مصر:

الكتاب الذي تود عرضه على دار الفيصل الثقافية لنشره يمكنك أن ترسل إلينا نسخة مصورة من المسودة الأصلية، وذلك لمراجعته وإبداء الرأي فيه، ومن ثم ستتولى الدار إبلاغك بالرد النهائي حول صلاحيته للنشر ضمن إصدارات الدار أما المعلومات الأخرى التي استفسرت عنها فنرجو أن يكون قد وصلك الرد بشأنها، وشكرا.

● الأخت أم إبراهيم بنت محمد - الرياض :

نتفق معك على ما ورد في رسالتك، ونقدر لك غيرتك الدينية واهتمامك بنشر الأخلاق الفاضلة، جزاك الله خيراً وأكثر من أمثالك.

● الأخ كمال محمد جميل صائغ - الخرج :

شكرا على مشاعرك الكريمة نحو المجلة، ونرجو أن يكون طلبك الذي ذكرته في خطابك قد تحقق حيث أحلناه إلى القسم المختص لتلبيته. وأهلاً بك.

● الإخوة: أبو بكر صالح ومحمد عبدالمؤمن وعبدالقادر حسين وذا النير بن محمد محبوب - كوماسي - غانا :

سعدنا برسائلكم وما تحمله من مشاعر ودعوات طيبة. أما طلباتكم فقد أحيلت إلى القسم المختص لإجراء اللازم، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق.

وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة للشباب

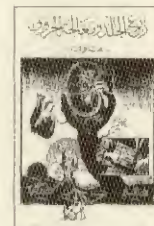


من جمع الشيخ **عبد الله المزروع** وإعداده. صدر عن دار المنارة للنشر والتوزيع بجدة.

وهو ثمرة جهد أكثر من خمسين سنة كان خلالها الشيخ عبد الله المزروع - رحمه الله - يستكتب كبار الأدباء والشخصيات البارزة الوافدة لحج أو عمرة أو خلافه.

وقد قام الدكتور **أحمد بن عبد الله المزروع** بالبحث عن هذه النصائح والوصايا في بقايا أوراق والده - بناءً على حثّ الشيخ علي الطنطاوي له على فعل ذلك - حتى خرج إلى النور في طبعته الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م. كتب مقدّمة الكتاب الشيخ حمد الجاسر.

زرع الجلد ومعالجة الحروقْ



تأليف **الدكتور محمّد علي البار**. يتناول فيه عبر تسعة فصول عمليات زرع الأعضاء.

منذ فجر التاريخ وحتى آخر ما توصل إليه العلم في هذا المجال. وقبل أن يشرع في الحديث عن الحروق ومعالجتها ومن ثمّ زرع الجلد في الحروق والندوب؛ يتحدث المؤلف عن الحروق نفسها معدّدًا أنواعها وأسبابها ودرجاتها وتقويمها.

يقع الكتاب في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات دار القلم بدمشق والدار الشاميّة ببيروتْ لعام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

دليل العاملين في الرعاية الصحية الأولية



المؤلفون: د. يعقوب المزروع المدير العام للمراكز الصحية، د. سليمان ناصر الشهري المدير العام للخدمات الطبية بتعليم البنات، د. بادي بتومانوهر راو استشاري بالإدارة العامة للمراكز الصحية، د. توفيق أحمد خوجة مساعد المدير العام للرعاية الصحية الأولية بصحة الرياض، مراجعة د. حسام مصطفى نمرة من الإدارة العامة للمراكز الصحية وأشرف على الإعداد د. يعقوب المزروع.

الكتاب يساعد العاملين في مجال الرعاية الصحية الأولية على أداء مهامهم، وفي الوقت نفسه يستطيع القارئ من خلاله أن يلمّ بالإنجازات التي تمّت في هذا المجال بالمملكة. والرعاية الصحية الأولية هي التي تواجه الاحتياجات الفعلية للمجتمع وتتقسم بشكل عام إلى خدمات تطويرية ووقائية وعلاجية وتأهيلية ولذلك فهي خدمات شاملة وأساسية، وهي أيضا الرعاية المستمرة لأفراد المجتمع من بداية الحياة داخل رحم الأم إلى المراحل الأخيرة من العُمر (من المهد إلى اللحد).

يقع الكتاب في ٤٠٥ صفحات، وصدرت هذه الطبعة الثانية عام ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

السلام عليكم: دراسة في أدبيات السلام الإسرائيلي



بدأ المؤلف **محمود ثابت الشاذلي** كتابه بالآية الكريمة ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مَرْيَمَ﴾.

ومن خلال ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط استعرض المؤلف تعريفات اليهود للسلام من خلال شخصياتهم الشهيرة من أمثال هرتزل و بن جوريون وغيرهم وكذلك استقرأ معنى السلام في بعضٍ من الشعر الإسرائيلي.

الكتاب من إصدارات مكتبة وهبة بالقاهرة.

الخط العربي: تاريخه وحاضره



عن دار ابن كثير بدمشق صدر هذا الكتاب لمؤلفه **بلال عبد الوهاب الرفاعي**. يتضمن الكتاب في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط ١٢ فصلاً تتحدث عن ظهور الكتابة العربية وأصولها ونشأة الخط العربي وانتشاره وتطور الخط العربي واكتماله، والخط العربي الكوفي، والمواد التي كان العرب يكتبون بها وعليها.

يحتوي الكتاب على عدّة نماذج لجماليات الخط العربي.

القيم الخُلقية في الخطابة العربية



تأليف الدكتور **سعيد حسين منصور**. وهو بحث يقوم على التقسيم الزمني، حيث يبدأ المؤلف بالعصر الجاهلي مستعرضًا أهم قيمه الخلقية مثل العصبية والمروءة ثم يمر بعصرَيْ صدر الإسلام والأموي ويختم بالعصر العباسي الأوّل. يقع الكتاب في ٢٨٩ صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات جامعة قار يونس بنغازي.

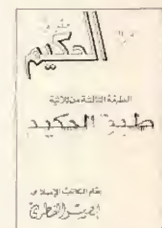
صدام: محنة الإسلام والتاريخ



تأليف **محمد عبد الواحد حجازي**. وهو كتاب صادر عن دار الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة. وفيه يعرض المؤلف لنشأة

النظام العراقي وتطوره وسيرة حياة صدام حسين الدموية. يقع الكتاب في ثلاثة فصول و ١٨١ صفحة من القطع المتوسط.

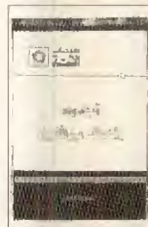
الإسلام دين ودنيا



تأليف الدكتور **محمد شامة**. والكتاب من منشورات «أبو للو» للنشر والتوزيع، ويقع في أحد عشر فصلاً يتناول فيه المؤلف مفاهيم إسلامية عَقَدِيَّة، ويتحدث عن حقوق الإنسان في الإسلام. يقع الكتاب في ٣٣٣ صفحة من القطع المتوسط.

طبق الحكيم

تأليف **نصر القطري**.



الكتاب عبارة عن ذكريات لطفولة المؤلف قسّمها إلى فصول فأخذت شكل القصّة الطويلة يروي فيها أحداثًا وقعت في ريف مصر الشمالي حيث يتحدث عن مولد **السيد البدوي** بمدينة **طنطا** الذي تسعى إليه الجماهير القروية من المحافظات المجاورة **كالبحيرة وكفر الشيخ والمنوفية والدقهلية** وغيرها. في نفس الوقت يُصوِّر حياة إحدى العائلات التي يقع بيتها بجوار مسجد **السيد البدوي** فيعرض مشاكلها وآمالها، ويقول المؤلّف إنه الجزء الأول فقط من ثلاثية تحمل نفس العنوان.

يقع الكتاب في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط، وطبع على نفقة المؤلف.

رحلة في أعماق الشيخ الشعراوي بين الدين والدنيا



إعداد **محمد مصطفى**. صدر الكتاب عن دار الصفوة للنشر والتوزيع عام ١٤١١هـ، والكتاب عبارة عن حوار صحفي أجراه معدُّ الكتاب مع الشيخ محمد متولي الشعراوي وتناول فيه الكثير من القضايا والآراء القديمة والمعاصرة.

يقع الكتاب في ٨١ صفحة من القطع المتوسط.

اليهود والتحالف مع الأقوياء



تأليف الدكتور **نعمان عبد الرزّاق السامرائي**. يحمل الكتاب الرقم ٣٢ ضمن سلسلة «كتاب الأمّة» الصادرة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر. الكتاب مكون من ثلاثة فصول تتحدث عن علاقة اليهود بالظواهر الغريبة وعبادتهم للقوّة وعلاقتهم بالاستعمار.

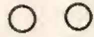
يقع الكتاب في ١٧٤ صفحة من القطع الصغير.

المثلث ٣٥٢



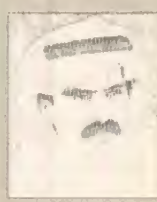
المثلث ٣٥٢ من إصدارات بيت الحكمة للإعلام. ألّف **أبو إسلام أحمد عبد الله** كتابه المثلث ٣٥٢ عن بعض النشاطات الماسونية المتمثلة في أندية «روتاري» و«ليونز» الدولية، والحكم - كما يقول المؤلف - «بارتباطها الوثيق بمحافل الماسونية العالمية». ويقدم أمثلة ووثائق على ذلك. يقع الكتاب في ٢٠٥ صفحات من القطع المتوسط.

بيوت لا تدخلها الشياطين



تأليف **محمد الصّايم**. يتحدث المؤلف في كتابه عن صفات الجن ومكايد الشيطان ثم يقدم تعريفًا للملائكة وأعمالهم ثم صفات المؤمنين. بعد ذلك يعرج على وجوب تطهير البيوت من التصاليب والصور والتماثيل والخمر والتدخين وغير ذلك من المحرمات والبدع. يقع الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات دار الفضيلة بالقاهرة.

هل فرنسا عنصرية ؟



تأليف **شريف الشوباشي**. وهو كتاب يقع في ٢١١ صفحة من القطع المتوسط يتناول فيه المؤلف قضية الهجرة العربية والإسلامية إلى أوروبا، ويعتبرها «مشكلة بمعنى الكلمة»، ويختص الهجرة إلى فرنسا بالدراسة لاعتبارها «نموذجيّة» في هذا الشأن لعدّة أسباب قديمة وحديثة. الكتاب حافل بالعديد من الأمثلة ويتكون من سبعة فصول.

○ ○

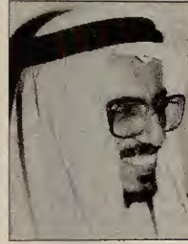
مِن كُتّاب العدد

● **عبد الله محمد الناصر** (*)

- من مواليد الدرعية ١٣٧٠هـ.
- تخرج في كلية اللغة العربية في الرياض، وحاصل على دبلوم في التربية ودبلوم في الاحصاء والاقتصاد.
- عمل مديرا للشؤون الثقافية في الملحقية التعليمية السعودية في الولايات المتحدة ورئيسًا لتحرير مجلة «المبتعث»، ثم عمل ملحقا ثقافيًا في الجزائر، وهو الآن الملحق الثقافي في السفارة السعودية في لندن.

(*) كاتب مقالة «على موعد» لهذا العدد (صفحة ١٤٦)

كيفيات



الكرة تدور بمخلوقات متناهية الصغر، وبعضها خلية واحدة هي الرأس والجسد والأنسجة والأعصاب والعظام، كمثل حيوان الأميبا، وأثناء دوران البيضة الأرضية تستطيل أو تستعرض الخلية الواحدة، أو الأميبا أحادية الخلية، وفي نهاية المطاف تنفلق إلى مخلوقين اثنين. كيف؟ الله أعلم. ولقد كنا نحن أهل التكنولوجيا، وكنا في مقدمة الذين يعلمون، وأصبحنا في مؤخرة الذين يجهلون. لا بسبب الفشل العربي الذريع في برشلونة، ولا بسبب التفوق في «الكسل» الرياضي، ولا بسبب الأرقام القياسية في الخلاف والمماحكة والشقاق والانشقاق، وتحول الواحد إلى منفلق والمنفلق إلى منشطر، والمنشطر إلى هباء، ولكن لأننا نعجز حتى عن العجز. نعجز عن الامتناع. نعجز عن «كفوا أيديكم». نعجز عن الصمت بهدف زيادة الهتاف وزيادة الضجيج، فلا نتبين ولا نستبين ولا نميز ولا نملك سمعًا، رغم أسماعنا، ولا بصرًا رغم أنظارنا ونظاراتنا ومنظاراتنا. وتظل البيضة الأرضية تدور بنا، وتنفلق بنا، وتشتت بنا.. وتحولنا إلى هباء.

إن كان المقياس ثقافيًا فمن يثاقفنا؟ من ينافسنا؟ من الذي يملك ما نملك من حكمة مذخورة وذخيرة محكمة من أفانين الثقافة، من العلوم، والفهوم، من الفلسفة وعلم الكلام، من البيان والبديع، من الشعر المتفجر، والمعيار النفيس، والعاطفة الجياشة، والسماحة الخلقية، والكرم المعطاء، والنجدة، والنخوة والأخوة، والديانة والعدالة والمرحمة؟ من ينافسنا أو يثاقفنا.. من؟

كل شيء عندنا من كل خير أفضله وأكمله، الروح على رحابة آفاقها، والمادة على صلابة تشكيلها، المجال واسع، وهو مع سعته رائع.. جمال وجلال ومال وكمال.. فما بالنا في آخر الأمم في برشلونة وفي آخر الأمم في مجلس الأمن، وفي آخر الأمم في النظام، وفي آخر الأمم في كل مضمار؟ أين الخلل، وكيف حدث هذا الخلل.. كيف يصبح العملاق الأقوى، والطود الأرسخ لا حراك له، ولا أثر له.. كأنما هو أثر بعد عين.. وكأنما دعاه غراب البين؟ كيف وكيف؟ ولماذا أصابنا الكيف؟ ومتى نخرج منه وكيف؟

نحن أحوج ما نكون إلى الخروج من قوقعة أحادية الخلية فقد قال عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه «لقيا الرجال تلاقح الأفكار».

نحن بحاجة إلى سماع ما يريد الآخر قوله، إلى ترك مرآة الذات النرجسية لنستمع إلى ما يريد قوله الصاحب والصاحب بالجنب والجار القريب والجار الأربعون.

إنه ليحول بيننا وبين قدح زناد الأفكار بالحوار «هوى» تمترس بأضلاعنا فنحن سادرون في غيه منكفئون على أرائك هذا الهوى، فلا نرى سوى ما نهوى، وكذلك نسمع ما نهوى.. ولم لا؟ ألسنا على حق دائمًا؟

محمد علي الجفري

استراحة العدد

أرقام قياسية

الروائية الفرنسية البارونة دومير (١٧٧٥/ ١٨٢٩م) استطاعت إنجاز ٣٢٠ رواية على مدى ثلاثين عاما فقط.

بعضهم فسّر المسألة بأنها لم تكن لها صديقات.

مذبحة.. والسبب سوء فهم

بسبب سوء فهم جملة واحدة تم إعدام ١٢٠٠ جندي تركي أثناء محاصرة نابليون بونابرت مدينة عكا عام ١٧٩٩م خلال حملته لتكوين إمبراطورية فرنسية في الشرق.

فقد انتابت القائد الفرنسي نوبة سعال؛ فهتف:

Ma Sacrée toux

وتعني: «ياللسعال اللعين»

وفهم مساعده أنه قال:

Massacrez tout

أي اقتلوا الجميع، فما كان من المساعد إلا أن أعدم الأسرى بأسرع ما يمكن، تنفيذا لما ظنه أنه أمر قائده!

عزّة نفس

دخل عمارة بن حمزة يوما على المنصور في مجلسه، فقام رجل وقال: مظلوم يا أمير المؤمنين!

قال: من ظلمك؟

قال: عمارة بن حمزة، غَصَبَنِي ضيْعتي.

فقال المنصور: يا عمارة، قم فاقعد مع خصمك.

فقال: ما هو لي بخصم. إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين، وأقعد في أدنى منه لأجل ضيعة!

نحوي

عاد بعضُهم نحويًا مريضا فقال: ما الذي تشكوه؟

قال: حُمى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية.

فقال له: لا شفاك الله بعافية، ياليتها كانت القاضية!

مدح وهجاء

هذان البيتان من الشعر يمدح بهما قائلهما قومه؛ إذ يقول:

حَلُموا فما ساءت لهم شِيَمُ ... سمحوا فما شحّت لهم مِنَنُ

سلِموا، فما زلت لهم قدمُ ... رشدوا فما ضلّت لهم سُنَنُ

الطريف أن البيتين يصيران هجاءً إذا قُرئ كل بيت معكوسًا من نهايته. حاول أن تقرأهما مبتدئًا بقوله: مننٌ لهم شحت إلخ...

قصة مثل

أندم من الكُسَعِيّ

من حديث الكُسَعيّ أنه خرج يرعى إبله في وادٍ. فرأى قضيب «شَوْحَط» نابتًا في صخرة ملساء. فقال: نعم منبت العود في قرار الجلمود. ثم أخذ سقاءه وصبّ ما فيه من الماء في أصله فشربه لشدة ظمائه.. وجعل يتعاهده بالماء سنة، حتى سبط العود واعتدل؛ فقطعه وجعل يقوّمه حتى صلح. فبراه قوسًا، وبرى بقيته خمسة أسهم، وخرج إلى مكمنٍ كان مورد الحُمُرِ في الوادي. فوارى شخصه، حتى إذا وردت رمى عيرًا منها بسهم، فمرق منه بعد أن نفذه، وضرب صخرة فقدح منها نارًا، فظن الكُسَعيُّ أنه قد أخطأ. ثم وردت حُمُرٌ أخرى فرمى عيرًا، فصنع سهمه كالأول، فظنه أخطأ. وهكذا رمى خمسة منها الواحدة بعد الأخرى، وكل مرة يظن أن سهمه أخطأ.. ثم خرج من مكمنه، فاعترضته صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها، ثم قال: أبيت ليلتي ثم آتي أهلي. فبات، فلما أصبح رأى خمسة حُمُرٍ مصروعة، ورأى أسهمه مضرجة بالدم. فندم على ما صنع، وعضَّ على أنامله حتى قطعها وقال:

ندمتُ ندامةً لو أنَّ نفسي
تطاوعني إذًا لقتلت نفسي
تبيّن لي سفاه الرأي مني
لعمر الله حين كسرتُ قوسي
وقد كانت بمنزلة المفدى
لديَّ وعند صبياني وعرسي
فلم أملك غداة رأيتُ حولي
حمير الوحش أن ضرَّجت خمسي

حكيم

سأل رجل غلاما معه سراج:

- من أين تجيئ النار بعدما تنطفئ؟

فرد الغلام في سرعة: إن أخبرتني إلى أين تذهب أخبرتك من أين تجيئ!

شفق قطبي

هناك أنوار قطبية، معروفة منذ عام ١٥٦٠م تحت اسم الشفق القطبي، سببها يرجع إلى شحنات كهربائية في أعالي الجو، وغالبا ما تحدث في المناطق المرتفعة، وتشاهد هذه الأنوار في وقت «ما» كل ليلة مظلمة صافية في المناطق القطبية ضمن ٢٠ درجة من القطب المغناطيسي، وقد قيس أقصى ارتفاع للشفق القطبي فبلغ ١٠٠٠كم، بينما يصل الأدنى ارتفاعا إلى علو ٧٢كم.

من معاني أسماء الأعلام

الدؤلي: أصلها الدُّئلي من دُئل: الذئب.
أشعب: ذو منكبين أحدهما بعيد عن الآخر
الزبير: الرجل الظريف
النعمان: الدم
جرير: زمام دابة
جهيزة: الجهيز من الخيل هو الخفيف
حفص: شبل
حُنين: مصغر حِن: نوع من الجن
دِعبِل: ناقة قوية
شاهين: طير من نوع الصقر
عبلة: سمينة
غسّان: حدة الشباب
فرزدق: قِطَع العجين، فُتات الخبز، الرغيف الساقط في التنور
قابوس: رجل جميل الوجه حسن اللون
كعب: شرف، مجد.

في ٤٠ دقيقة:

٤ أرقام عالمية!

الرياضي الأمريكي جسي أونز (١٩١٣/ ١٩٨٠م) حقق أربعة أرقام عالمية جديدة خلال ٤٠ دقيقة في «آن آربور» في ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية؛ يوم ٢٥ من مايو ١٩٣٥م؛ على النحو التالي:

- عند الساعة ٣,١٥ بعد الظهر قطع ١٠٠ ياردة في ٩,٤ ثوان.
- عند الساعة ٣,٢٥ حقق قفزة طولها ٨,١٣م.
- عند الساعة ٣,٤٥ قطع ٢٠٠م في ٢٠,٣ ثانية.
- عند الساعة ٣,٥٥ قطع ٢٠٠م حواجز في ٢٢,٦ ثانية.

أحد شوارع المدينة المنورة المؤدية إلى المسجد النبوي الشريف، ويرجح أن يعود تاريخ الصورة إلى الخمسينيات الهجرية (الثلاثينيات الميلادية) وربما قبل ذلك.

طَبِيبُكَ

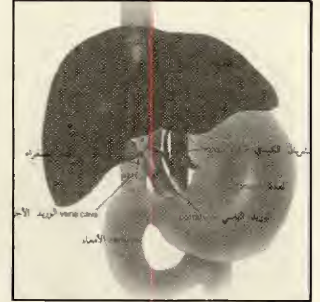
طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفيصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصيي «مستشفى دلة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم.. ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة..

التهاب الكبد الوبائي

● **القارئة فاطمة . ك . ل من الجوف بالمملكة العربية السعودية** بعثت إلى الصفحة رسالة مطوّلة جاء فيها: أشكر القائمين على مجلة الفيصل لاهتمامهم بالموضوعات الطبيّة وبأسئلة القراء حيث إن الإجابات تكون عميمة النفع.

وبهذه المناسبة أود أن أتوجه بسؤالٍ عن مرض التهاب الكبد الوبائي الذي أصبحنا نسمع عنه ونقرأ بكثرة في الآونة الأخيرة. ما هذا المرض؟ وما هي أعراضه وهل هو معدٍ؟ وشكرًا.

وقد أحلنا هذا السؤال إلى **الدكتور عمر العاني الطبيب العام بمستشفى دلّة فأجاب قائلاً:**



التهاب الكبد الوبائي هو إصابة التهابية لخلايا الكبد بفيروس التهاب الكبد «A» وهذا الفيروس ينتقل عادة بالطريق الفموي الهضمي (الطعام، التلامس مع الأشياء الملوثة للمريض)، لذا يحدث المرض بشكل هجمات وبائية، أحيانًا تصيب المعسكرات التي تضم مجموعات كبيرة من الأفراد وتفتقد إلى العناية الصحيّة.

يحتاج المرض للظهور بعد الإصابة إلى فترات تتراوح بين ٢ ـ ٦ أسابيع.

الأعراض: ١ ـ نقص الشهيّة.

٢ ـ الضعف العام.

٣ ـ الغثيان.

٤ ـ القيء

٥ ـ وقد ترتفع درجة الحرارة مع الرجفان.

وعادة يسبق هذه الأعراض ظهور الصفرة في العين والجلد والأغشية وتلون البول.

أما علاماته المخبريّة فهي:

١ ـ ارتفاع البيلروبين (الصفرة).

٢ ـ ارتفاع الخمائر الكبدية في الدم والبول.

وعادة ما يكون المرض حميدًا حيث يشفى المريض منه خلال أسابيع، والعلاج عبارة عن حمية عن الدسم مع إعطاء الكثير من السكريات وبعض الفيتامينات. ونادرًا ما يترك أية عقابيل (آثار مستقبلية)، ونسبة تحوله إلى الشكل المزمن نادرة.

ومن المهم الوقاية منه خاصة لأفراد المنزل الذين يوجد بينهم المريض ويكونون على تماس معه.

الشقيقة

● **القارئ رمضان عبد البديع الأبنودي من محافظة الشرقية ـ بمصر** أرسل إلى الصفحة يسأل عن الصداع النصفي الذي ينتابه بشدّة من آونة لأخرى.

وقد أحلنا السؤال إلى الدكتور **عمر العاني بمستشفى دلّة** الذي أجاب:

الصداع النصفي أو الشقيقة أو الميجرين في الشكل التقليدي هو نُوَبٌ من صداع نابض يصيب نصف الرأس (الأيمن أو الأيسر) يرافق أو يسبق أعراض أخرى مثل:

١ ـ الغثيان

٢ ـ القيء

٣ ـ نقص الشهية

٤ ـ تشوُّش الرؤية

٥ ـ تنميل أو خور في أحد الأطراف.

وهناك شكل عائلي من الصداع. وتتنوع مثيرات هذه النوب من الصداع ومنها:

١ ـ الإجهاد الجسمي

٢ ـ الإجهاد النفسي

٣ ـ بعض الأطعمة

٤ ـ الدورة الطمثية عند النساء

٥ ـ أقراص منع الحمل عند النساء.

ولكن هذا الشكل التقليدي لا يحدث إلاّ بنسبة قليلة، والشائع هو نوب من الصداع النصفي أو المعمَّم تحدث بمدد متفاوتة ولأسباب متغايرة، كما أن هناك أشكالا أخرى كالصداع العيني وصداع مرافق لتوزع أحد أعصاب الرأس.

ويعتقد أن سبب الصداع هو توسع في شرايين الرأس مع زيادة التروية الدماغية بشكل غير طبيعي.

والعلاج ينقسم إلى قسمين وقائي وعلاجي:

أما الوقائي فيتم بين فترات النوب. وهناك العديد من الأدوية التي تستخدم وقائيًا مثل الأندرال، مضادّات الكآبة، مشتقات الأرغوتامين، الكلونيرين. وتكون النتائج متفاوتة.

أما العلاجي فيتم بمعالجة النوبة نفسها بالراحة والنوم في مكان مظلم مع حمية خفيفة واستخدام المسكنات ومشتقات الأرغوتامين.

ويستمر المرض عادة لسنوات



طويلة ولكن ليست هناك أية آثار على معـدل سنوات العمـر من جـراء «الشقيقة».

مسؤولية الجراح

● **القارئة جميلة بلعيد من فاس بالمغرب.**

بعثت بسؤالين إلى الصفحة.

تسأل في الأول قائلة:

يستغرق إجراء بعض العمليات الجراحية ساعات طويلة، فكيف يمكن للجراح أن يحتفظ بحضور ذهنه طوال هذه المدّة حتى لا تتعرض حياة المريض للخطر؟

هذا التساؤل أجاب عنه **الدكتور إيلي فارس استشاري المسالك البولية بمستشفى دلّة قائلاً:**

إنّ المسؤولية الملقاة على عاتق الجراح كبيرة لتعامله مع حياة إنسانية، وهذا ما يميّز هذه المهنة عن المهن الأخرى، ويضطر الجراح إلى مضاعفة جهوده وتسخير كامل قواه البدنية والعقلية في سبيل إعطاء كل ما وهبه الله عزّ وجل له من فكر وعلم وخبرة وطاقة، وهكذا نستطيع أن نفسّر بقاء الجراحين في غرفة العمليات لساعات طوال وأحيانًا طوال الليل لإجراء العمليات الطارئة.

أخطاء قاتلة

● أمّا السؤال الثاني للقارئة جميلة بلعيد من المغرب فتقول فيه:

نقرأ كثيرًا عن أخطاء قاتلة أثناء عمليات التخدير. كيف يمكن تفادي هذه الأخطاء؟



هذا السؤال أحلناه إلى الدكتور صفاء شكري من قسم التخدير في مستشفى دلّة فكانت الإجابة:

تقع تلك الأخطاء لعدم وجود أوكسجين كافٍ أو إعطاء كمية كبيرة من المخدرات أو من مرخيات العضلات ووضع أنبوبة الحنجرة في المريء بدلاً من القصبة الهوائية، والقيء خلال الدقائق الأولى من إعطاء المخدر واستنشاق المريض للمواد المستخرجة أثناء القيء ونزولها في القصبة الهوائية وانسداد المجاري الهوائية، ومن النزيف الحاد من الأنف والأذن في بعض حالات الحوادث، واستنشاق المريض للدماء بدلاً من الهواء، أو إعطاء المريض - خطأً - جرعات زائدة عن الحاجة من المخدر تؤدي إلى هبوط في الدورة الدموية والقلب.

● **القارئ ف. ر. ر. من عرعر بالمملكة العربية السعودية** أرسل إلى الصفحة يقول: تنتابني نوبات من الإمساك بين آونة وأخرى، فما هو سبب مثل هذه الحالة؟ وما العلاج؟

وقد أجاب عن هذا السؤال **الدكتور صلاح استشاري الباطنة في مستشفى دلّة قائلاً:**

أسباب الإمساك كثيرة، ومن الصعب معرفة السبب إذا لم تتوفر تفاصيل دقيقة عن الشكوك نفسها ووجود شكاوى أخرى مرتبطة به وبمسبباته. وكمثال لذلك ماذا يقصد السائل من كلمة إمساك؟ وهل هناك ألم مصاحب لهذا العرض؟

تعريف الإمساك من الناحية الطبية هو «التبرّز أقل من ثلاث مرات في الأسبوع أو إخراج البراز في حالة جفاف شديد». فالإمساك ينقسم إلى شقين:

١ - إمساك مزمن

٢ - إمساك حاد.

والنوع الأول هو الذي مرّ على حدوثه سنوات، أما النوع الحاد فهو الذي تقاس استمراريته بالأيام أو الأسابيع.

ومسببات الإمساك المزمن متنوعة، منها على سبيل المثال عدم تناول كميات كافية من السوائل، الاكتئاب، القولون العصبي، القولون الذي يزيد عن الطول الطبيعي، وجود شق عند فتحة الشرج أو بواسير، استخدام المسهلات بكثرة وعلى فترات طويلة، استخدام بعض الأدوية المهدئة للأعصاب. وقد تؤدي بعض أمراض الغدد الصماء إلى إمساك ككسل الغدّة الدرقية ومرض السكري وأورام القولون.

أمّا مسببات الإمساك الحاد فهي:

١ - عدم تناول وجبة غنية بالسوائل والألياف.

٢ - وجود ورم أو التواء في القولون.

٣ - وجود ضعف في القولون.

هذه باختصار أسباب الإمساك وأنواعه. ولمعرفة سبب إمساك صاحب السؤال فمن المفترض معرفة المزيد عنه وعن شكواه. وعمومًا فإن الإمساك ليس مرضًا في حدّ ذاته ولكنه عرض لمرض، وعلاجه يكمن في علاج المرض، وكما سبق أن ذكرت فمعظم مسبباته حميدة ويمكن علاجها ذاتيًا بتغيير نمط الحياة والطعام الذي يتناوله الشخص، وبعضها الآخر يعالج بعلاج السبب سواء كان ذلك جراحيًا أو باطنيًا.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً
ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال
ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً
د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال
هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً
و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى.

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٣) ●

ج ١ : صدرت الصحيفة الأخرى التي تحمل اسم الرياض عام ١٩١٠م، وقد أصدرها سليمان الدخيل في العراق.

□ □ □

ج ٢ : **الدراهم الطبرية** : نوع من أنصاف الدراهم، تزن نصف مقدار الدراهم البغلية (الوافية)؛ أي نصف مثقال، أو أربعة دوانق، ولم يظهر من هذا النوع غير أنصاف الدراهم العباسية التي ضربها ولاة طبرستان، ولعل اسمها اشتق من هذا الإقليم، إلا أنه عثر في العصر الأموي على دراهم مقصوصة تتمشى مع وزن الدراهم الطبرية.

الدراهم الهبيرية : تنسب إلى عمر بن هبيرة، والي العراق في عهد يزيد بن عبدالملك الأموي، وقد خلّص عمر بن هبيرة الفضة أبلغ من تخليص من جاءوا قبله، وجوّد عيار الدرهم، وجعلها تزن ٦ دوانق لكل درهم، وتعد الدراهم الهبيرية مع الخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية.

□ □ □

ج ٣ : هو **الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري** (٢٠٤ - ٢٦١هـ)، أحد الأئمة الأعلام. ولد بنيسابور، وطلب الحديث صغيراً. رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وتردد على بغداد وحدّث فيها. أخذ عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه، وتتلمذ للإمام الجليل البخاري، ووضع عدة كتب في الفقه والحديث عرف منها «الصحيح»، وهو في مقدمة كتب الحديث الستة، يجيء بعد صحيح البخاري، لأن مسلماً لم يتحرّز في الرواية تحرز البخاري، فروى عن متقني الحفظ، كما روى عن المستورين والمتوسطين. ويشتمل «صحيح مسلم» على ٧٢٧٥ حديثاً بالمكرر، وأربعة آلاف بحذف المكرر، سهل المأخذ، ومن أشهر شروحه «المنهاج» للإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي.

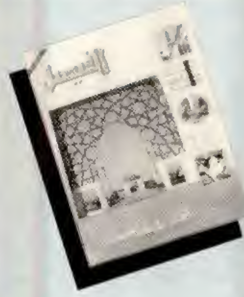
□ □ □

ج ٤ : هو **ياروج يوليوس فاجنر** (١٨٥٧ - ١٩٤٠م)، طبيب نمساوي، وأخصائي في علم الأعصاب. عمل أستاذا بجامعة فيينا، رائد في العلاج بالحمّى، وعالج الشلل بحقن المرضى بطفيليات الملاريا، ولهذا منح جائزة نوبل للفسيولوجيا والطب سنة ١٩٢٧م.

□ □ □

ج ٥ : درجنة الزيوت، أو الهدرجة : عملية تهدف إلى تحويل الزيوت النباتية إلى أجسام صلبة تشبه الدهون الحيوانية. ويجرى ذلك بطرق مختلفة تتلخص في تسخين الزيوت المراد تحويلها إلى حوالي ٢٠٠ درجة مئوية، مع ضغط عالٍ، ودفع غاز الإيدروجين خلالها في وجود محفز هو مسحوق النيكل في أغلب الأحوال. وقد شاع استخدام العملية المذكورة حتى كاد استعمال الزيوت المدرجنة يعم في الطهو ولعمل الصابون.

□ □ □



نتائج مسابقة العدد (١٨٣)

م	اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة بالريال
١	الأخت حصة عبدالعزيز الجاسر	المملكة العربية السعودية - الرياض	٣٥٠
٢	الأخ ناصر السيد الوحش	مصر - الغربية	٣٥٠
٣	الأخت التيجاني فاطمة بنت محمد	المغرب - الدار البيضاء	٣٠٠
٤	الأخ المعتز بالله قاسم محمد سالم	المملكة العربية السعودية - الرياض	٣٠٠
٥	الأخت فلسطين عبدالرحمن السنباطي	الأردن - الزرقاء	٢٥٠
٦	الأخ محمد سعيد بن عبدالعزيز قصبجي	الإمارات العربية - العين	٢٥٠
٧	الأخ محمد جلال عبدالكريم	مصر - الغربية	٢٠٠
٨	الأخ أحمدو بن أحمد عمر	موريتانيا - نواكشوط	٢٠٠
٩	الأخ مزغيش عبدالكريم	الجزائر - الجزائر	١٥٠
١٠	الأخ علاء عبدالعزيز عبد علي	البحرين - المنامة	١٥٠
١١	الأخ حسن أحمد محمود السنوسي	المملكة العربية السعودية - أبها	١٠٠
١٢	الأخ إبراهيمي حسن أحمد	المغرب - الدار البيضاء	١٠٠
١٣	الأخت هبة زياد إدريس	الأردن - عمّان	١٠٠
١٤	الأخت رحمة ناصر عبدالرازق	مصر - القاهرة	١٠٠
١٥	الأخ بلقاسم بن محمد العبداوي	تونس - الوسلاتية	١٠٠
١٦	الأخ عبدالواحد محمد بن إدريس	المغرب - الخميسات	١٠٠
١٧	الأخ عبدالعزيز محمد الجاسر	المملكة العربية السعودية - الرياض	١٠٠
١٨	الأخ محمد المختار بن الشريف	موريتانيا - نواكشوط	١٠٠
١٩	الأخت أميمة محمد محمد العواد	مصر - بورسعيد	١٠٠
٢٠	الأخ عبدالحميد حسانين حسن	المملكة العربية السعودية - الرياض	١٠٠
٢١	الأخ إبراهيم عبدالحكم محمد سعد	مصر - القاهرة	١٠٠
٢٢	الأخ موسى حامد عبدالله	المملكة العربية السعودية - أبها	١٠٠
٢٣	الأخ الحاج محمد بن محمد التازي	المغرب - فاس	١٠٠
٢٤	الأخ نوبي محمد عمر أحمد	مصر - أسوان	١٠٠
٢٥	الأخ سيف الدين العامل محمد	المملكة العربية السعودية - جدة	١٠٠
٢٦	الأخ محمد إبراهيم محمد إدريس	المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة	١٠٠
٢٧	الأخت سماح إسماعيل إسماعيل	مصر - القاهرة	١٠٠
٢٨	الأخ زكريا عمر علي الحسين	المملكة العربية السعودية - جدة	١٠٠
٢٩	الأخ زياد محمد خميس شاكر	الأردن - عمّان	١٠٠
٣٠	الأخ يحيى علي عبدالله علي	مصر - أسوان	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٠)

● السؤال الأول:

اتفق العلماء على أنه يجب على المصلي أن يستقبل المسجد الحرام عند الصلاة. اذكر دليل ذلك من كتاب الله تعالى.

□ □ □

● السؤال الثاني:

فقيه، من أسرة عراقية عرفت بالفقه والأدب واللغة. من أشهر مؤلفاته «روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». من هو؟

□ □ □

● السؤال الثالث:

الزلاقة، موضع في أسبانيا جرت فيه معركة شهيرة أيام الحكم الإسلامي فيها. من كانا طرفي المعركة؟ ولمن كانت الغلبة؟

□ □ □

● السؤال الرابع:

قبيلة عربية، اشتهر أفرادها بعلمهم الواسع بأنساب وأخبار العرب؛ حتى قيلت فيهم عبارة صارت مثلاً سائراً في معرفة الخبر اليقين. لمن تنسب هذه القبيلة وأين كانت منازلها؟

□ □ □

● السؤال الخامس:

الصفر، اختراع عربي يعد أساس العلوم الحديثة، ويستخدم - اصطلاحاً - في معانٍ مختلفة. فما الصفر المطلق؟

□ □ □

متابعة شاملة للحركة الثقافية وبجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



☐ وضع حجر الأساس لجامعة الأخوين بالمغرب

☐ المثقفون يبحثون مستقبل الثقافة العربية

☐ أول متحف تحت الماء بالغردقة

☐ مركز دولي بباريس للحفاظ على التراث الإنساني

السعودية

موسوعة الملك فهد للشعر العربي

ينفذ معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة حاليًّا **مشروع موسوعة علمية للشعر العربي منذ العصر الجاهلي تحمل اسم «موسوعة الملك فهد للشعر العربي».**

ينتظر أن تضم الموسوعة قرابة **أربعمائة ألف بيت** من الشعر، تم ـ حتى لحظة كتابة هذه السطور ـ الانتهاء من ٧٠٠ صفحة، تضم ما يزيد عن ٧٠ ألف بيت، **تمهيدا لإدخالها في الحاسب الآلي لتكون في متناول الباحثين والمهتمين بالشعر العربي.**

بحث إنشاء مؤسسة للإنتاج الإعلامي

تبحث مجموعة من الدعاة فكرة إنشاء مؤسسة إسلامية للإنتاج الإعلامي.

وقال الداعية الشيخ عبد العزيز الحمدان إمام مسجد السعادة وخطيبه في جدة: إن **الفكرة ينتظر تبلورها قريبًا بعد تجميع الأفكار المطروحة من المعنيين بالأمر في شتى البلدان الإسلامية.**

وأضاف أن فكرة المؤسسة تهدف إلى إعداد النشء في العالم الإسلامي إعدادًا تربوياً إسلامياً، بما يحصنهم ضد الانحرافات والتأثر بأي تيار هدام أو عقيدة مخالفة.

كشوفات أثرية

حققت إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف عدة **كشوف أثرية مهمة في مناطق مختلفة من المملكة.**

وقال الدكتور **حامد أبو درك** مدير الإدارة بالنيابة إن أهم المواقع المكتشفة توجد في **منطقة تبوك حيث عثر على مبانٍ إسلامية** تحت الأرض تضم مجمعا سكنياً كبيراً يعتقد أنه يرجع لبداية التاريخ الإسلامي ومقام على مساحة ٢٥٠٠ متر مربع.

وقد عثر بهذا الموقع الذي تحيطه مزارع على فخاريات مزججة لها بريق معدني مصنوعة على النمط الإسلامي المعهود، ويعتقد بوجود آثار أخرى في المواقع القريبة من المنطقة، إلا أن وجود المزارع يصعب عملية اكتشافها.

وفي **المنطقة الشرقية** تم اكتشاف **مسجد «جواثا»** وهو من المساجد الشهيرة في تاريخ الإسلام، وتم اكتشافه أثناء القيام بترميم مسجد قائم، حيث تبين وجود مسجد أسفله بنفس المساحة والشكل والجدران.

كتاب عن الزيدان بأقلام معاصريه


محمد حسين زيدان

تعكف أسرة الأديب والمؤرخ الراحل **محمد حسين زيدان** على جمع كل ما كتب عنه تمهيدًا لنشره في كتاب.

وأوضح حسين النجل الأكبر للأديب الراحل أن الأسرة قطعت شوطًا كبيراً في هذا المجال، وينتظر أن يرى الكتاب ـ الذي لم يتحدد مسماه بعد ـ النور قريبًا.

نشاطات نادي الشرقية الأدبي

يعد نادي المنطقة الشرقية الأدبي لتنفيذ **مجموعة من البرامج الثقافية الطموحة** في إطار خطة نشاطه التي أقرها ـ مؤخرًا ـ مجلس إدارته.

تشمل البرامج محاضرات وأمسيات وملتقيات ثقافية وشعرية، فضلاً عن مسابقة للشباب في مجال الدراسات الأدبية والشعر، وإقامة دورات تقوية في اللغة العربية والمشاركة في معارض الكتب بالمنطقة.

ندوة عن صحة الطفل

تحت شعار **«صحة الطفل ثروة حقيقية»** تنظم وزارة الصحة في مدينة جدة ندوة بهذا العنوان تستمر ثلاثة أيام وتبدأ في الثالث والعشرين من شهر شعبان المقبل.

تتخلل الندوة دراسات وأبحاث تتناول الخدمات المقدمة للطفل السعودي وتجربة المملكة العربية السعودية في هذا المجال.

يشارك في الندوة عدد من كبار الاستشاريين من المملكة ومختلف بلدان العالم، وتهدف بشكل أساسي للاطلاع على آخر الأبحاث العالمية في مجال صحة الطفل.

مسابقتا ناديي القصيم ومكة

فيما أعلن **نادي القصيم الأدبي** أسماء الفائزين في مسابقته الثقافية في مجال القصة والشعر، نشر **نادي مكة الثقافي الأدبي** شروط مسابقته التي ينظمها بالتعاون مع صحف: **الندوة، واليوم، والبلاد** للشباب الواعد من الجنسين في مجالات: الشعر، والمقالة، والقصة.

وفاز بجوائز نادي القصيم في مجال القصة كل من:

رمضان حافظ، ورشاد فؤاد السيد، ومحمد مصطفى السيد، وحنان إبراهيم الرميح، وحسين مصطفى أبو زينة، وإبراهيم علي شاهين.

وتحصل على جائزة الشعر في نفس المسابقة كل من: محمد عبد الله الغانم، وإنعام حسين اسماعيل، ونبيه أحمد القرشومي، وسليمان هاشم الزراحي، ومحمد نجيب الربيعي.

وتضمنت شروط مسابقة نادي مكة الثقافي الأدبي ألا يقل عمر المشارك أو المشاركة عن ١٥ عامًا ولا يزيد عن ٢٥ عامًا وأن تكون المشاركات جديدة لم يسبق نشرها، وألا تقل القصيدة عن ١٥ بيتًا ولا تزيد عن ٣٠، وأن تتوفر للمقالة العناصر الفنية ولا تزيد عن ثلاث صفحات، وأن تعتمد القصة على العناصر الفنية ولا تزيد عن ٥ صفحات.

وترسل المشاركات إلى إحدى الصحف الثلاث المذكورة في موعد غايته نهاية شهر جمادى الآخرة ١٤١٣هـ.

كتب جديدة

● **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**: دراسة تحليلية، تأليف الدكتور **مهدي رزق الله أحمد**، صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

● **التعليم الأهلي في المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ إلى ١٤٠٨هـ: دراسة تاريخية وصفية**، تأليف **دخيل الله عبد الله الحيدري**، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

● **المنهج الإسلامي في التصميم المعماري والحضاري**، مجموعة بحوث ألقيت في حلقة دراسية أقيمت بمدينة الرباط المغربية، صدر عن منظمة العواصم الإسلامية بجدة.


د. عالي القرشي

● **سكب**، ديوان للشاعر **عياد الثبيتي**، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● **أنت واللغة**، تأليف الدكتور **عالي سرحان القرشي**، صدر عن نادي الطائف الأدبي.


د. إبراهيم الجوير

● **الأسرة والمتغيرات التنموية في المملكة العربية السعودية**، تأليف الدكتور **إبراهيم بن مبارك الجوير**، صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.


د. علي النملة

● **أشهر الجمعيات السرية في التاريخ**، صدر عن دار الشواف للنشر في الرياض، ودار الكاتب العربي في بيروت

● **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين**، تأليف الدكتور **علي إبراهيم النملة**، صدر عن مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.


د. يحيى ساعاتي

● **إشكالية الفقد القسري للمعلومات عن الكتاب العربي**، تأليف الدكتور **يحيى محمود ساعاتي**، صدر عن دار العلوم بالرياض.

● **شعراء الموّال في جزيرة تاروت**، تأليف، **علي إبراهيم الدرورة**.

● **قراءات نقدية تحليلية لنماذج من القصة السعودية في جازان**، تأليف الدكتور **محمد بن محمد يوسف**.

● **تاريخ كتابة المصحف الشريف**، تأليف الدكتور **محمد زايد يوسف**، صدر عن دار عكاظ للصحافة والنشر بجدة.

الإمارات

الفائزون بمسابقة زايد للتراث

أعلنت **جمعية إحياء التراث الشعبي** نتائج مسابقة «**زايد للتراث**» بمحاورها الستة: القبائل العربية وأصولها، النخيل، الإبل، الغوص على اللؤلؤ، الصقور، الشجاعة في الشعر عند شعراء الإمارات ومنطقة الخليج.

وقد حجبت الجائزة الأولى في **مجال القبائل العربية** فيما تقاسم الجائزة الثانية **نجود علي حميد سعيد المهيري** (إمارات) **وهالة عمر عثمان** (جامعة القاهرة)، وتقاسم الجائزة الثالثة **عائشة سعيد محمد** (إمارات)، **وسارة مبارك عبد الله المنصوري** (الظفرة).

وفي محور الإبل، جاءت **ماريا محمد صالح** (إمارات) في المركز الأول، تليها **هدى محمد شاهين غانم**، ثم الدكتور **إبراهيم العجمي** (جامعة الإسكندرية).

وفاز بالجائزة الأولى في **مجال النخيل** مناصفة **الدكتور حسن شباز والمهندس راشد خلفان الشريقي**، وجاء ثانيًا **سعيد سالم مسري الهاملي** (جامعة الإمارات) تليه **خولة عبير سالم بو سمرة** (جامعة الإمارات).

وتحصل على المركز الأول في **محور «الغوص على اللؤلؤ»** د. **عبد الله حمد راشد الشامسي** (إمارات) تليه **منى محمد خليفة الطويلة** (إمارات) ثم حنان نبيل محمد أبو الخير (مصر).

وفي **محور الصقور** حل **سعيد حميد راشد بداو** (إمارات) في المركز الأول تلته **فوزية البشري** (إمارات) ثم **سمر عبد الغني سيد أحمد** (مصر).

وفاز بالجائزة الأولى في محور «**الشجاعة في الشعر عند شعراء الإمارات ومنطقة الخليج** د. **غسان حسن أحمد الحسن** (من وزارة الإعلام بالإمارات) ثم **أحمد مختار مكي** (مصر).

ومنحت الجمعية عددًا من **الجوائز التشجيعية لبعض المشاركين** في محوري «النخيل» و«الصقور».

جائزة العويس للإنجاز الثقافي والعلمي

حددت الأمانة العامة **لمؤسسة سلطان العويس الثقافية** نهاية شهر شباط (فبراير) ١٩٩٣م موعدًا نهائيًّا لقبول الترشيحات **لجائزة الإنجاز الثقافي والعلمي** في دورتها الثانية ١٩٩٢ - ١٩٩٣م.

وتمنح الجائزة للأدباء والمفكرين والكُتّاب والعلماء العرب ممن خدموا الثقافة العربية والعلم في كل حقل من حقولها كالأدب والنقد والفكر والدراسات الإنسانية والاقتصاد والعلوم الطبيعية والتطبيقية والعسكرية والاستراتيجية والطب وكل مجالات الفنون المختلفة.

كما تمنح للمؤسسات الثقافية والعلمية التي قدمت خدمات متميزة لأبناء الوطن العربي.

عمان

معرض مسقط للكتاب

تشارك ٧٠٠ دار نشر **عربية وأجنبية في معرض مسقط الدولي للكتاب** المقرر إقامته خلال شهر (أكتوبر) تشرين الأول ١٩٩٢م.

ينتظر أن تقام على هامش المعرض عدة نشاطات ثقافية بمشاركة شعراء وأدباء عرب.

من الكتب الجديدة

● **على هامش الشعر الشعبي في عمان**، تأليف

الحركة الثقافية

سالم بن محمد الغيلاني، صدر عن منشورات دار جريدة عمان للصحافة والنشر.

الكويت

معرض المقاومة الكويتية من خلال الوثائق العراقية

نظم المركز الوطني لوثائق العدوان العراقي على الكويت بالتعاون مع جمعية المعلمين الكويتية **«معرض المقاومة الكويتية من خلال الوثائق العراقية»**.

افتتح المعرض وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء **ضاري عبد الله العثمان**.

«جندي المستقبل»

هذا هو اسم **أحدث مجلة شهرية للأطفال**، صدر عددها الأول - مؤخرًا - عن مديرية التوجيه المعنوي والعلاقات العامة في وزارة الدفاع الكويتية.

تصدرت غلاف العدد الأول لوحة للفنان **بدر القطامي** باسم «الله معنا يا ولدي» وضم عددًا من القصائد الوطنية وأبوابًا للتسالي، وموضوعًا خاصًا عن الشهيد الشيخ **فهد الأحمد الصباح**، ولوحات تصور جريمة الغزو الغاشم.

كتب جديدة

● **مؤلفات ابن الجوزي، إعداد عبد الحميد العلوي**، صدر عن مركز المخطوطات والتراث والوثائق الكويتي.

● **القومية في موسيقى القرن العشرين، تأليف الدكتورة سمحة الخولي**، صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة.

● **حاضر العالم الإسلامي**، دليل لأحداث عام، صدر عن المركز العالمي للكتاب الإسلامي.

مصر

ندوة الأدب الإسلامي

في الأسبوع الأخير من شهر (أكتوبر) تشرين الأول المقبل، تنظم رابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة عين شمس المصرية **ندوة دولية عن الأدب الإسلامي**.

يشارك في الندوة عدد كبير من الأدباء والفنانين والمفكرين من الوطن العربي والإسلامي، وتتناول محاولة تقريب مفاهيم قضايا الأدب الإسلامي، ومناقشة العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبين الدراسات التراثية الأدبية، ونقد الدراسات الاستشراقية للتراثين العربي والإسلامي، وأبعاد الأخذ والعطاء بين الآداب العربية والإسلامية وغيرها من الآداب، والتراث الشعبي (الفلكلور) وصلته بقيم الإسلام، وغير ذلك من الموضوعات التي تستهدف تأصيل المناهج البحثية حول الأدب الإسلامي.

مهرجان طه حسين


د. طه حسين

تعقد كلية الآداب بجامعة المنيا خلال الفترة من ١٨ - ٢١ جمادى الأولى المقبل الموافق ١٢ - ١٥ (ديسمبر) كانون الأول ١٩٩٢م مهرجانها العلمي الثالث ويدور **حول طه حسين والظاهرة الإبداعية**.

يشارك في المهرجان أدباء وباحثون وأكاديميون، وتقام على هامشه عدة ندوات وأمسيات شعرية وأدبية ونقدية تناقش عدة محاور أهمها الإبداع وعلم النفس، والإبداع في الأدب، والوعي الفلسفي والإبداع، والإبداع والمكان.

مهرجان لإسكندريات العالم


نجيب محفوظ

في غرة الشهر الجاري الموافق ٢٧ (سبتمبر) أيلول ١٩٩٢م تلتقي **٣٠ مدينة تحمل اسم الإسكندرية في مختلف أرجاء العالم في مهرجان «إسكندريات العالم» الذي تستضيفه الإسكندرية المصرية ويستمر حتى الخامس من هذا الشهر (غرة أكتوبر ١٩٩٢م)**.

يتضمن المهرجان عروضًا تعبيرية لفرق مصرية وتركية وروسية وإيطالية واسكتلندية ورومانية، فضلاً عن عرض للأزياء التاريخية يمزج بين الأزياء والدراما في **قلعة قايتباي** التاريخية يحكي قصة الإسكندرية المصرية عبر عصورها المختلفة، إلى جانب معرض تشكيلي لأربعة من فناني الإسكندرية، وآخر عن **«البحار والسفن»** تعرض فيه مجسمات للسفن منذ أيام الفراعنة.

وقد وجهت الهيئة المنظمة الدعوة للضيوف من الأدباء والمفكرين العالميين للمشاركة في المهرجان ومن بينهم **نجيب محفوظ**، والكاتب الإيطالي **أونجاريتي**، والشاعر السكندري اليوناني **كافافيس**، والشاعر الإيطالي **موناريكوموروس**.

ويذكر أن هناك نحو **٤٤ مدينة تحمل اسم الإسكندرية** من أقدمها إسكندرية مصر التي أنشئت قبل ٢٣ قرنًا.

تحقيق كتب تراثية

قامت لجنة إحياء التراث الإسلامي التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة - مؤخرًا - بتحقيق عدد من الكتب التراثية هي: **«إعلام الساجد بأحكام المساجد» للإمام الزركشي**، و **«المقتبس من أنباء أهل الأندلس» لأبي حيان القرطبي**، و**«رايات المبرزين وغايات المتميزين» لابن سعيد الأندلسي**، و**«المغرب في حلي المغرب»** لستة من علماء الأندلس آخرهم ابن سعيد **الأندلسي**.

ويذكر أن كتاب **«المقتبس من أنباء أهل الأندلس»** كانت قد تعرضت أجزاء منه للضياع، حتى عثر عليها بعض الباحثين، فقام د. **محمود علي مكي** بتصويرها وتحقيقها.

أول متحف تحت الماء

يقام حاليًا في **مدينة الغردقة** بمحافظة البحر الأحمر **أول متحف تحت الماء**.

يُعْنَى المتحف بالبيئة المائية بصفة عامة والأحياء المائية النادرة بصفة خاصة، ويقام في إطار برنامج شامل لتطوير معهد علوم البحار والمصايد بالمحافظة بتكلفة حوالي خمسة ملايين جنيه مصري.

موسوعة للشخصيات التاريخية

أعد باحث مصري **أول موسوعة تاريخية (أنسكلوبيديا) تصدر باللغة العربية عن ملوك ورؤساء وقادة مشاهير التاريخ منذ التاريخ المصري القديم**، مرورًا بالعصور: الوسطى، الإسلامية، المغولي، وأوروبا الحديث، وانتهاء بالعالم المعاصر.

تحتوي الموسوعة على **١٥٠٠ شخصية**، واستغرق معدها الدكتور **منير عبد المجيد السيد** مستشار التربية بمنظمة اليونسكو (سابقا) نحو ٥ سنوات في إعدادها.

وبالإضافة إلى المعلومات التاريخية والشخصية وأهم إنجازات الشخصية يوجد عرض موضوعي مصحوب بالصور الفوتوغرافية لمعظم الشخصيات.

مدينة فرعونية في سيناء وهرم خامس في سقارة

عثر على بعد ٤ كيلومترات من مدينة القنطرة بسيناء على مدينة **فرعونية محصنة ومبنية فوق مدينة أخرى من عصر الهكسوس** تحوطها أسوار عالية ويمر فيها الفرع البيولوزي للنيل.

وتعد هذه المدينة أحد المواقع الحصينة التي كانت تحمي مدينة «**أوزاريس**» عاصمة الهكسوس.

وتكمن أهمية الكشف في كونه **حدد مجرى الفرع البيولوزي للنيل**، وقد عثر داخل المدينة على قصر الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة.

ويذكر أن هيئة الآثار المصرية تعد حاليًا لطرح **مجلد ضخم يتضمن معلومات عن كنوز سيناء**، فضلاً عن شريط تسجيلي يصور مراحل الاكتشافات لمساعدة الباحثين.

من ناحية ثانية كشفت بعثة أثارية فرنسية وجود **هرم خامس في صحراء سقارة** يعود إلى ماقبل ٤٣٠٠ عام في عهد الأسرة السادسة.

وعثر في الموقع على **مسلتين**، إحداهما تعد من أقدم المسلات الكاملة المنقوشة بالكتابات الهيروغليفية.

حرب رمضان في متحف بسيناء

تقرر إنشاء **أول متحف حربي في مدينة العريش** بمحافظة سيناء على مساحة كيلومتر مربع.

ويضم المتحف عدة **أجنحة خاصة** بتاريخ سيناء العسكري والمعارك التي عاشتها، وسجلاً للغزوات التي تعرضت لها مصر عبر صحراء سيناء بدءًا من عصر الفراعنة وانتهاء بحرب رمضان ١٩٧٣م المجيدة التي أعقبها انسحاب القوات الصهيونية من سيناء في ٢٥/ ٤/ ١٩٨٢م.

مشروع لانتشال مركب خوفو

بالتعاون مع اليابان تبدأ هيئة الآثار المصرية في (أكتوبر) تشرين الأول ١٩٩٢م المقبل تنفيذ المرحلة الأولى لمشروع انتشال «**مركب الملك خوفو**».

والمركب عبارة عن سفينة فرعونية متوسطة الحجم تعود إلى ما قبل ٤٥٠٠ عام مدفونة في حفرة قرب هرم خوفو في محافظة الجيزة.

تشمل هذه المرحلة القضاء على الحشرات الموجودة داخل الحفرة ودراسة عينة من أخشاب المركب لمعرفة تأثير الحشرات فيها، ووضع تقرير متكامل عن مراحل الترميم.

وتتضمن المرحلة الثانية إغلاق الفتحات الموجودة أعلى الحفرة ووضع كاميرا تلفازية داخلها بحيث يتمكن السياح من مشاهدة المركب إلى أن تنتهي دراسات عينات الخشب وتوضع خطوات مشروع الترميم.

ومن المقرر بعد الانتهاء من هذه المرحلة إقامة متحف منحوت في الصخر في المنطقة نفسها لعرض المركب فيه بعد ترميمه.

مؤتمر عربي عن الطباعة

شاركت مائة شركة طباعة عربية في **مؤتمر دولي** عقد في القاهرة للطباعة والتعبئة والتغليف خلال الشهر الماضي.

ناقش المؤتمر التطورات العالمية في مجال الطباعة، وكيفية تحسين الجودة، ومدى إمكانية تطبيق نظريات الجودة العالمية في العالم العربي، واستخدام أحدث تقنيات الطباعة الدولية.

وفاة الشيخ مهدي عبد الحميد

نعت الأوساط الإسلامية في القاهرة الداعية الشيخ

ميثاق مقترح للمثقف العربي

القاهرة ـ مراسل «الفيصل»:

اختتم مؤتمر «**مستقبل الثقافة العربية في عالم متغير**» الذي أقيم في القاهرة خلال شهر أغسطس (آب) الماضي أعماله بإصدار ميثاق مقترح للمثقفين العرب.

صاغت الميثاق لجنة برئاسة الدكتور **سمير سرحان** رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب المنظمة للمؤتمر وعضوية: الدكتور **جابر عصفور** والدكتور **صلاح فضل** (مصر)، و**عبد الله الشهيل** (السعودية)، و**حسام الخطيب** (سورية)، و**كمال عبد اللطيف** (المغرب)، و**عبد العزيز السريع** (الكويت).

وأوضح **مشروع الميثاق** الذي قرأه الدكتور **سمير سرحان** أن دور المثقفين العرب لابد أن يتجسد من خلال النقاط التالية:

* إن المثقفين العرب يؤمنون بالاحترام الكامل للحريات الفكرية والسياسية والاجتماعية للشعوب العربية والوقوف ضد ما يعوق هذه الحريات.

* العمل على إشاعة المعرفة العلمية والتفكير العلمي أملاً في تحقيق درجة عالية من التواصل التقني



د. سمير سرحان



عبد الله الشهيل



د. حسام الخطيب



عبد العزيز السريع

مما يتيح الانتقال من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإسهام فيه وإبداعه.

* تهيئة المناخ المناسب لتنمية طاقة الإبداع لدى الإنسان العربي، واحترام المثقف وفتح طاقات التعبير.

* يتعين على المثقفين العرب التصدي بحزم لكل من يحاول تكريس التخلف وضرب التنوير، ويؤكدون إيمانهم الكامل بنقطتين:

أ ـ **الاعتزاز الواعي بالقيم الإسلامية واعتبارها المكونات الجوهرية للهوية العربية.**

ب ـ التركيز على تنمية الوعي المعرفي وتأكيد واجب الدول في الممارسة السياسية بما يؤدي لبناء الدولة المعاصرة وتحديثها.

* إن المثقفين إذ يدركون واجبهم في تأصيل توجهات الدول العربية فإنهم في الوقت نفسه لا يطمحون إلى تكوين جبهة منعزلة تحتكر قيادة الأمة.

وقد وجهت للميثاق المقترح عدة **انتقادات** منها إغفاله التأكيد على حرية انتقال المثقف العربي بين أقطار الدول العربية، وعدم الإشارة إلى حقوق المبدع الشعبي، كما اقترحت د. **نهاد صليحة** أن يتم إنشاء **منظمة تمولها البلدان العربية لحماية حقوق المثقف العربي**.

ويذكر أن المؤتمر شارك فيه حشد كبير من المثقفين العرب من مختلف بلدان العالم العربي ومن شتى التيارات الثقافية، ونال تغطية إعلامية واسعة.



مهدي عبد الحميد أحد علماء الأزهر البارزين الذي توفي عن ٥٧ عامًا بعد صراع مع المرض استمر أربعة أشهر.

وقد بدأ الفقيد العمل في حقل الدعوة الإسلامية قبل نحو ثلاثين عامًا، وتدرج في مناصب الأزهر المختلفة، مبعوثًا في بيروت ما بين عامي ١٩٧٢ - ١٩٨٠م، ثم مديرًا عامًا للإعلام، وهو المنصب الذي كان يشغله وقت وفاته، وهو أيضا عضو في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية منذ عام ١٩٨٧م.

براءة رئيس جامعة الأزهر من تهمة السرقة العلمية


د. عبد الفتاح الشيخ

برأت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة المصري الدكتور **عبد الفتاح الشيخ** رئيس جامعة الأزهر من تهمة سرقة رسالة الدكتوراه التي تقدم بها عام ١٩٦٩م من رسالة دكتوراه سابقة عليها للدكتور **مصطفى شلبي**.

قالت المحكمة في حيثيات حكمها إن هناك تشابهًا في الفكرة العامة بين الرسالتين لكنّ هناك إعادة صياغة وتصنيفا وإضافات عليها رغم وجود تماثل في الأمثلة، وانتهت المحكمة إلى القول بأن اللجنة التي ناقشت الرسالة كانت تضم مجموعة من صفوة العلماء، ولم تثبت وجود غش من الرسالة السابقة.

مسابقة المجمع اللغوي عن الدكتور علام


د. مهدي علام

حدد **مجمع اللغة العربية** في القاهرة نهاية (مارس) آذار ١٩٩٣م المقبل موعدًا نهائيًا لقبول المشاركات في المسابقة الأدبية التي أعلن عنها لعام ١٩٩٢ — ١٩٩٣ م وموضوعها «**الدكتور مهدي علام: سيرته وجهوده الأدبية واللغوية**».

والمسابقة مفتوحة لجميع الكُتّاب من مختلف البلدان العربية، ويمنح الفائز ١٥٠٠ جنيه مصري.

معهد للأدباء الشباب و ٣ معاهد لترميم الآثار

تعتزم رابطة الأدب الحديث إنشاء معهد للأدباء الشباب يحمل اسم «**معهد الحكيم للإبداع الأدبي**».

وقال الدكتور **محمد خفاجي** رئيس الرابطة أن المعهد سوف يقوم بتدريس الأصول الفنية للشعر والقصة والمسرحية وغيرها من فنون الأدب للأدباء الشباب.

من ناحية ثانية تقيم وزارة التعليم بالتعاون مع وزارة الثقافية **ثلاثة معاهد متخصصة لتدريس فنون ترميم الآثار** تبلغ مدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وتضع مناهجها وزارة الثقافة، وتمنح شهادة تعادل المدارس الفنية الأخرى.

كتب جديدة

- **الإعلام والدعاية في حرب الخليج: وثائق من غرفة العمليات**، تأليف الدكتور **كرم شلبي**، صدر عن مكتبة التراث الإسلامي.
- **العاشق ينتظر**، رواية جديدة **لعلي أبو المكارم**، صدرت عن دار الثقافة العربية.
- **المثقفون.. وجوه من الذاكرة**، تأليف سليمان فياض.
- **الجزائر بين العسكريين والأصوليين**، **تأليف** أمين المهدي، صدر عن الدار العربية للطباعة بالقاهرة.
- **ملح العرق**، مجموعة قصصية **لعصام الجمل**

محاضرات وندوات

- «**أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي المهندس **عبد القادر حمزة كوشك**.
- «**أهمية الوقت في حياة المسلم**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد العثمان في الدرعية بالرياض الشيخ **عبد الله بن مبارك الدوسري**.
- «**الدقائق الأخيرة**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأميرة سارة بحي الشفاء في الرياض الشيخ **عبد الرحمن بن عبد الله الغيث**.
- «**وعي المسلم**» موضوع محاضرة ألقاها في جامع ربعي بن عامر رضي الله عنه في حي النهضة بالرياض الدكتور **سليمان إبراهيم الثنيان**.
- نظم نادي الظبية الاجتماعي في جيزان **ملتقى شعريًا** شارك فيه عدد من شعراء المنطقة، وأداره الأديب **أحمد إبراهيم عقيلي**.
- «**أدب الجريمة**» موضوع ندوة أقيمت - مؤخرًا - في ألمانيا بمشاركة عدد من كبار **كُتّاب الرواية البوليسية والنقاد**.
- «**واجب المسلم في الدعوة إلى الله**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الإمام محمد بن سعود بالأفلاج الدكتور **عبد الله بن محمد المطلق**.
- «**شبابنا ومستقبل العمل في المملكة**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز حي


د. محمد عبده يماني — الأمير بندر بن فهد — د. حسن باجودة

الحزام الأخضر التابع للجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية بالمدينة المنورة الدكتور **محمد عبده يماني**.

- «**نظرة شاملة على مرجان البحر الأحمر**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الأدبي الثقافي الدكتور **فهد عبد الكريم تركستاني**.
- «**لمحات من إعجاز سورة النساء**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي الدكتور **حسن محمد باجودة**.
- «**الهمة طريق للقمة**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الصيفي بمدارس منارات جدة **محمد عقيل**.
- «**الإجازة الصيفية والفراغ القاتل**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع حي الزهرة الغربي بالسويدي في الرياض الشيخ **عبد الله بن محمد الحكمي**.

صدرت عن المركز المصري العربي للطباعة والنشر.

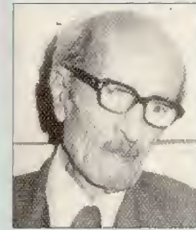
● **نجيب محفوظ: صداقة جيلين**، تأليف **محمد جبريل**، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن هيئة قصور الثقافة.

● **قطر الندى وبل الصدى**، تأليف الإمام النحوي: **أبو محمد عبد الله ابن هشام الأنصاري**، صدر في طبعة جديدة أشرف على تحقيقه وشرحه والتعليق عليه الدكتور **محمد عبد المنعم خفاجي** والدكتور **محمد السعدي فرهود**، وآخرون. ونشرته دار الكتاب المصري اللبناني.


د. عبد المنعم خفاجي

● **الأسس النفسية للإبداع**، تأليف الدكتور **شاكر عبد الحميد**.

● **ميخائيل نعيمه**، تأليف الدكتور **وليد منير**، صدرت ضمن سلسلة «نقاد الأدب».


ميخائيل نعيمه

● **الدراما الشعبية المصرية**، تأليف **عادل العليمي**، صدرت ضمن سلسلة «المكتبة الثقافية».

● **منشية البكري**، رواية جديدة **لفتحي سلامة**.

● **أحزان البطريق**، مجموعة قصصية **لمجدي البدر**، صدرت ضمن سلسلة «إشراقات أدبية».

● **التنظيم الإداري بين المركزية واللامركزية**، تأليف الدكتور **مصطفى محمد مرسي**.

● **يوم الفرح**، مجموعة قصصية **لمحسن يوسف**، صدرت ضمن سلسلة «قصص عربية».

● **الدليل البيليوجرافي لروائع الآداب العالمية. المجلد الأول**، صدر ضمن سلسلة «الألف كتاب الثاني».

● **العمر خمس دقائق**، قصص من الخيال العلمي، تأليف **صلاح معاطي**.

صدرت الكتب التسعة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **المنازل والديار**، تأليف **أسامة بن منقذ**، تحقيق **مصطفى حجازي**.

● **من أوراق النيل**، تأليف **يوسف القعيد**، صدر ضمن سلسلة «أدب اليوميات».

● **يومياتي المعلنة**، تأليف **جمال الغيطاني**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

● **اليد: الشكل والتكوين والبناء: دراسة تحليلية**، تأليف **مصطفى أمير**، صدر عن دار شعر بالقاهرة.

سورية

مهرجان المحبة والسلام

أقيم في مدينة اللاذقية السورية خلال الفترة ما بين ٧ ـ ١٧ صفر الماضي (٥ ـ ١٥ آب ١٩٩٢م) **المهرجان الثالث للمحبة والسلام**.

تضمن المهرجان ملتقى للشعر العربي شارك فيه عشرون شاعرًا من مختلف أقطار الوطن العربي يمثلون شتى الاتجاهات والأجيال الشعرية، فضلاً عن أربعة معارض فنية أولها للفن التشكيلي بمشاركة ١٥٠ فنانًا، والثاني للتصوير الضوئي، وشارك فيه نحو أربعين فنانًا، والثالث عن الخيول العربية الأصيلة ضم صورًا ضوئية ولوحات مختارة من أعمال فنانين عرب، والرابع عن الصناعات التقليدية والحرف اليدوية التي اشتهرت بها سورية، إضافة إلى معرض لزهور ونباتات المنطقة الساحلية.

كذلك تضمن المهرجان تظاهرات سينمائية ومسرحية وفنية ورياضية.

اكتشاف سور قصر أشوري وترميم قلعة صلخد

اكتشف في موقع الأوبيض على نهر الخابور في محافظة الحسكة الجزء الشمالي الغربي من **سور لقصر**

● « **الجانب الخلقي في شعر الصعاليك** » عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي الدكتور **ظافر بن عبد الله الشهري**.

● أحيى سمو **الأمير بندر بن فهد بن سعد أمسية شعرية** في مركز الخزامى بالرياض، حضرها نخبة من الشعراء والأدباء والمثقفين.

● « **حال المسلمين في البوسنة والهرسك** » موضوع حوار نظمه نادي مكة الثقافي، وشارك فيه كل من الدكتور **أحمد الموريعي**، والدكتور **يوسف الثقفي**، والطالب اليوغسلافي **محمد الماسي**، أدار الحوار د. **ناصر الصالح**.

● « **دور الحاسب الآلي في تنمية وتطوير الكفاءات البشرية** » عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الملك فيصل للمحاضرات التابعة للغرفة التجارية الصناعية في جدة **عبد الباري شمس الدين**.

● «**كلمة التوحيد: معناها ومقتضاها**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع القطري بالعزيزية في مكة المكرمة الشيخ **محمد بن عبد الله السبيل**.

● « **الأقصى في القلب**» عنوان محاضرة ألقاها على هامش معرض «جراحات العالم الإسلامي» في مدارس منارات جدة الشيخ **خالد عاشور**.

● « **المشكلات الشائعة في عيوب النطق والتخاطب**» موضوع محاضرة ألقاها في مستشفى المغربي للعيون بجدة الدكتور **أشرف أبو العز**.

● « **مقدمة لأمراض الأطفال الروماتيزمية**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الرعاية الصحية الأولية بالمدينة المنورة الدكتور **سلطان باهبري**.

● « **التحذير من التفرقة والاختلاف** » عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير بخميس مشيط الدكتور **صالح بن فوزان الفوزان**.

● « **الاقتداء برسول الله ﷺ** » عنوان محاضرة ألقاها في جامع عثمان بن عفان بمدينة الجبيل الصناعية الشيخ **صالح بن عبد العزيز آل الشيخ**.

● « **لزوم السنة وأثره في الأمة** » عنوان محاضرة ألقاها في جامع عمر بن الخطاب في الخفجي الشيخ **عبيد بن عبد الله الجابري**.

● «**الصفحات الأدبية ودورها تجاه الناشئة**» عنوان ندوة نظمها نادي الطائف الأدبي، وشارك فيها كل من: **محمد موسم المفرجي، وعبد الله بن سليم الرشيد، وعبد الله بن عبد الرحمن الحيدري**.

● « **المرأة اللبنانية بين الصورة والواقع**» عنوان محاضرة ألقتها في عمان بالأردن بدعوة من مؤسسة عبد الحميد شومان الدكتورة **إلهام كلاّب**.

● «**سرُّ الزخرفة الإسلامية**» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من المركز الثقافي العربي في بيروت **فوزي البعلبكي**.

● « **خطورة الحرائق وطرق الوقاية منها**» موضوع ندوة أقيمت في نادي المنقف الصيفي بالكويت، شارك فيها عدد من الأخصائيين.

● « **أمن الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي**» عنوان محاضرة أقيمت في ديوانية قاسم العون بمنطقة كيفان في الكويت، ألقاها الدكتور **عبد الله خليفة الشايجي**.



آشوري يعود تاريخه إلى الألف قبل الميلاد.

يتألف الجزء الذي كشفتـه بعثة وطنية من ١٢ **غرفة وتمثال مـرمـري صغير، وعـدة أوان فخـاريـة**، لـوحظ تشابههـا مع مـا اكتشـف في مـوقع شيخ حمد بمنطقة ديرالزور شرق سورية.

من نـاحية ثـانية تعـد إدارة الآثار السـورية حـاليًا **لترميم قلعـة «صلخـد»** بجبل العـرب، وإعـادة بنـاء الأحجـار المتسـاقطة من سطـح التل الذي تقـوم عليـه القلعة.

ويذكـر أن القلعة كـانت من الحصون المنيعـة التي **تصدت لغزوات الصليبيين**.

وفاة عزيزة مريون

فقدت الأوساط الأكاديمية والثقـافية السورية علمًا من أعلامها بوفاة **الدكتورة عزيزة مريون** عن عمر يناهز ٦٠ عامًا.

والفقيدة حاصلة على درجة **الدكتوراه** من جامعة القاهرة برسالة عنوانها «**القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي**»، وأسهمت في حملة التعريب بالمغرب العربي، **ومارست التدريس بجامعـات سورية والمغرب والمملكة العربية السعودية**.

ولها العديد من الأبحاث والمؤلفات القيمة منها:

«**حـركات الشعـر في العصر الحديث**»، و«**تـوفيق الحكيم وآراؤه في النقـد والأدب**»، و«**نصوص في الشعـر العربي المعـاصر**»، و«**المسرحية بين القـومية والمحليـة**» و «**القصة والرواية**»، ومؤلفات أخرى.

متحف فخري البارودي

تقرر تحويل منزل المجاهد السوري **فخري البارودي** بعد ترميمـه إلى متحف يضم نبذة عن حياته ومـؤلفاته، وملتقى للنشاطات الثقافية والتراثية.

ويجري حاليًـا إخلاء المنزل من المطبعـة التي كانت تشغله تمهيدًا لترميمه وتجهيزه للنشاطات الجديدة.

المعهد الفرنسي بدمشق يحتفل بذكرى تأسيسه

يحتفل المعهد الفرنسي للدراسـات العربية في دمشق خـلال شهـر (أكتـوبـر) تشرين الأول المقبل ١٩٩٢م بمرور ٧٠ عامًا على تأسيسه.

والمعهد **مؤسسة ثقـافية تتبع جـامعة باريس إداريًا**، ويستقبل طلابًا فـرنسيين يدرسون فيه اللغـة العربية لمدة عامين.

ويعد المعهد ـ بهذه المناسبة ـ لتنظيـم ندوة يشارك فيهـا كبـار المستشرقين الـذين عملـوا فيـه إلى جـانب الباحثين السوريين المهتمين بشؤون الآثار واللغة والأدب والتـاريخ والعلوم، فضـلاً عن أمسيـة في مدينـة حلب بمنـاسبـة مـرور نصف قـرن على صـدور كتـاب جـان سوفاجيه عن حلب.

كتب جديدة

● **في أقانيم الشعر**، تأليف **عبد الكريم الناعم**، صدر عن دار الذاكرة في حمص.

● **الرواية النسويـة في بلاد الشام: السمات النفسية والفنية، ١٩٥٠ ـ ١٩٨٥م**، تأليف **إيمان القـاضي**، صدر عن دار الأهالي بدمشق.

لبنان

مركز دولي لعلوم الإنسان والتنمية

يفتتح قريبًـا في مدينة جبيل اللبنـانية تحت إشراف منظمة اليونسكو **مركز دولي لعلوم الإنسان والتنمية**.

يعنى المركـز بالـدرجـة الأولى بـدراسة المشكـلات العرقية والثقافية، ومـن المقرر أن يقدم منحًا للراغبين في الحصـول على درجـة الـدكتـوراه، حيث سيضع تحت تصرفهم مكتبة ومركزًا توثيقيًـا، فضلاً عن إقامة معرض ثقافي دولي كل عام.

مجلة جديدة

تحت اسم «**الشبيبة**» صـدر العدد الأول من مجلـة شبابية فكرية ثقافية اجتماعية.

تضمن العـدد منوعـات وريـاضة وفن وتحقيقـات اجتماعية وطبية وقانونية.

رحيل مؤسسة دار الفن والأدب

توفت ـ مؤخرًا ـ السيدة **جانين ربيز** التي كـانت تلقب بسيـدة بيروت وتعـد رائدة من رائدات الحركـة الثقـافية اللبنـانية ومحركـة مهرجـانات بعلبك عن عمـر يناهز ٦٤ عامًا.

وجانين هي التـي أسست عام ١٩٦٧م «**دار الفن والأدب**» التي صـارت أحد أبـرز منابـر الحوار السياسي واللقاءات الفكرية والثقـافية في لبنان، حتى أتت عليها الحرب الأهليـة فحـرقتهـا، كـذلك أسهمت جـانين في تأسيس «**مدرسـة الفنون الـدرامية**» **مع منير أبـو دبس**، وعرفت برعايتها للفن التشكيلي.

وفاة الروائي القاص يوسف الأشقر

نعت الأوساط الأدبيـة والثقافية في بيروت القاص والروائي اللبناني **يوسف حبشي الأشقر**، الذي توفي عن عمر يناهز ٦٣ عامًا.

ويعد الأشقر من **جيل الحداثة في الروايـة العربية**، واعتمـدت رؤيته الفنيـة على الانتماء للأرض والنـاس، والاهتمام بقضايا القرية اللبنانية.

ومـارس الروائي الـراحل في بدايـاته كتـابة الشعـر المنثور والنقـد الأدبي، وقـدم العـديـد من المسلسـلات التلفازيـة، وبدأ انتشاره عـام ١٩٥٤م حين نال **جائزة جمعية أهل القلم** عن مجموعتـه القصصية الثـانية «**ليل الشتاء**» كما فازت مجموعته الرابعة «**الأرض القديمة**» عام ١٩٦٣م بجائزة «**أصدقاء الكتاب**».

من مؤلفـاته المجموعات القصصية التـالية: «طعم الرماد»، و«شق الفجر» و«المظلة والملك وهاجس الموت» وروايات «أربعة أفراس حمر» و«لا تنبت جذور في السماء» و«الظل والصدى».

المغرب

أصيلة تناقش الثقافات العربية والنظام العالمي الجديد

عقدت في مدينة **أصيلة** في إطار مهرجانها السنوي الخامس عشر **ندوة «الثقـافات العربية والنظـام العالمي الجديد»** بمشاركة أدباء ومفكـرين وباحثين وصحافيين ومثقفين يمثلـون ١٥ **بلـدًا عربيًـا هـي: السعودية، ومصر، والأردن، وسورية، وتونس، والسودان، ولبنان، الكويـت، واليمن، والعراق، وقطـر، وعمان، وليبيا، والمغرب، وفلسطين**.

ناقشت الندوة ثلاثة محاور هي: التأثير الخارجي في الثقافة العربيـة في القرن العشريـن الميلادي، والثقـافة العـربية بين القـوميـة والعـالمية، وأي مستقبـل للثقافة العربية؟

وقـد أثـار بعض المشـاركين اعتراضًا حـول تسمية الندوة «الثقافات العربية» مـؤكدًا أن الثقافة العربية هي وحدة متجـانسة، كذلك اختلفت آراء المشـاركين حول موقع الثقـافة العربيـة من التغيرات العالمية الحاليـة بعد سقوط الشيوعية، وكيفيّة مواجهة ذلك.

وفضلاً عـن هذه الندوة التي كانت أبـرز أحداث

جـــامعـــة الأخـــوين فهـــد والحسن

ايفران ـ مراسل «الفيصل»:

وضع العاهل المغربي الملك الحسن الثاني، وولي العهد السعودي صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ابن عبد العزيز في احتفال كبير أقيم في ايفران حجر الأساس «لجامعة الأخوين» التي تقام بهبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقدارها ٥٠ مليون دولار.

والمقصود من مسمى الجامعة هما العاهلان السعودي والمغربي اللذان تربط بينهما وشائج أخوة صادقة. وستكون الجامعة دولية، حيث يعد لأن تضم طلابًا من جنسيات مختلفة، وكما تعكس خصوصيات العالم العربي والإسلامي، فإنها سوف تكون منفتحة على العالم كله. .

وتنفرد الجامعة في نوعية تدريسها باعتماد اللغة الإنجليزية في التلقين والمبادئ التربوية للنظام التعليمي الأمريكي في التسيير الأكاديمي.

وبالإضافة إلى عنايتها بتوطين التقنية المتطورة من خلال أعمال هيئات التدريس، فإنها سوف تهتم أيضا بالقضايا المعاصرة الكبرى المطروحة على الساحة العالمية.

وتعتمد البرامج الدراسية على تداخل التخصصات



الملك فهد بن عبد العزيز



الملك الحسن الثاني

بحيث يتمكن الباحث والطالب معًا من فهم ديناميكية المجال والجغرافيا من خلال دراسة مكوناتها المختلفة مثل: الدين والتاريخ، واللغة، والثقافة، والاقتصاد، والسياسة، والموارد.

كما ستضم الجامعة مراكز متخصصة مثل معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية ومعهد الدراسات الاستراتيجية وكلية طب مدمجة في مركز استشفائي جامعي، وسوف تعد إعدادًا خاصًا لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه في أحد التخصصات التالية: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، التدبير والتسيير الإداري، الحقوق، العلوم الهندسية والتطبيقية.

وينتظر أن تفتتح الجامعة في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٣م وتقدر تكاليف بنائها بنحو ٦٠ مليون دولار أمريكي، وستستوعب في مرحلتها الأولى ١٨٠٠ طالب، ويرتفع العدد ليصل خلال خمسة أعوام إلى ٣٦٠٠ طالب.

المهرجان هناك نشاطات أخرى تضمنها الملتقى منها «ندوة الترجمة ومستقبل الثقافة العربية» و «ندوة مستقبل الفنون في المغرب»، فضلاً عن معارض فنية ومشاغل للنحت والخزف والرسم وفنون شعبية وموسيقية ولقاءات فكرية.

كتب جديدة



عبد الكريم غلاب

● الهوية السودانية وعلاقة الدين بالدولة، تأليف طه إبراهيم، صدر عن مركز الدراسات السودانية بالرباط.

● في الثقافة الإسلامية والآداب القرآنية، تأليف عبد الكريم غلاب.

● إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، تأليف محمد بن الفاطمي السلمي.

صدر الكتابان السابقان عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء.

ليبيا

الجراحون العرب يبحثون تعريب الطب

«تعريب الطب» اختير ليكون الموضوع الرئيسي لمناقشات الجراحين العرب في مؤتمر اتحادهم المقرر أن تستضيفه العاصمة الليبية طرابلس خلال شهر (نوفمبر) تشرين الثاني المقبل.

ثمرات التجربة السورية في تعريب الطب التي مضى عليها قرابة نصف قرن سوف تُعرض أمام المؤتمرين للاقتداء بها في مناقشاتهم.

وتجري حاليًا ترتيبات لاختيار الموضوعات والبحوث التي سيناقشها المؤتمر في مختلف العلوم والفروع الطبية.

السودان

من الكتب الجديدة

● دراسات في تاريخ السودان وأفريقية جـ٢، تأليف المؤرخ الدكتور يوسف فضل، صدر عن دار جامعة الخرطوم للنشر.

الجزائر

القبس الأسبوعي

هذا عنوان أحدث مجلة أسبوعية جامعة في مجالات السياسة والاجتماع والثقافة والرياضة صدر عددها الأول ـ مؤخرًا ـ في وهران عن دار القبس للصحافة.

تضمن العدد الأول عدة موضوعات تعالج الإشكاليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها الجزائر بأقلام نخبة من المحللين السياسيين ومفكري الأحزاب المعتمدة.

الأردن

كتابات عربية قبل الإسلام

عثر في كهف كان يستعمل خزانًا للمياه في إحدى ضواحي عمان على كتابات عربية جنوبية ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام.

وقال السيد صفوان التل مدير دائرة الآثار العامة إن الكتابات نقشت في الجص على مساحة طولها ٢٥ مترًا وارتفاعها متر ونصف، وترجع إلى القبائل العربية



الجنوبية المسماة «الصفائية» نسبة إلى الصفا بجنوب سورية التي ازدهرت في شمال الجزيرة العربية بين القرنين الأول والثالث الميلاديين.

تشمل الكتابات — في معظمها — **أسماء قبائل وأفرادها، والنشاطات التي كانوا يمارسونها مثل الرعي والصيد، فضلاً عن أسماء آلهة كانوا يعبدونها في الجاهلية مثل اللات والعزى وذي الشرى.**

ويعكف فريق من الدائرة مع فريق من جامعة أندروز الأمريكية على دراسة النصوص ونشرها، حيث تعكس نشاطات تجار العرب في تلك الحقبة، وتقدم نموذجًا لحياتهم بين البداوة والاستقرار.

طلبات بصحف جديدة

بلغ عدد الطلبات المقدمة لدائرة المطبوعات والنشر الأردنية لإصدار صحف ومطبوعات جديدة **مائة طلب** ما بين صحيفة يومية ومجلات شهرية وأسبوعية.

وقالت مصادر الدائرة إن هذه الطلبات لا تتضمن صحفًا حزبية، ولن يبت فيها قبل الانتهاء من جميع المراحل الدستورية لإقرار قانون المطبوعات والنشر الجديد الذي يعد لاصداره.

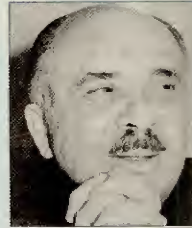
ويذكر أن كثيرًا من الطلبات المقدمة تتعلق بإعادة إصدار صحف توقفت عن الصدور في فترة الخمسينيات الميلادية.

من الكتب الجديدة

● **حديث مع أميمة، تأليف فخري قعوار، صدر** عن دار جاد للنشر في عمان.

تونس

ملتقى للروائيين العرب


سهيل إدريس

في إطار **مهرجان قابس** الدولي السنوي أقيم – مؤخرًا – ملتقى للروائيين العرب، عُقد على هامشه مؤتمر شعري.

ناقش الملتقى ثلاثة محاور رئيسة هي: الرواية العربية ومفهوم الحداثة، والرواية العربية والمؤثرات الخارجية، والرواية العربية والتراث.

شارك في الملتقى والمؤتمر مجموعة من القاصين والروائيين والشعراء العرب من بينهم **إدوار خراط، وغادة السمان، وسهيل إدريس ويحيى يخلف.**

مهرجان للأدباء الشباب

أقيم في مدينة **أم العرائس – مؤخرًا –** المهرجان الثاني للأدباء التونسيين الشباب.

تضمن الملتقى عدة نشاطات ثقافية وفنية، منها معرض وثائق وقراءات شعرية وقصصية إضافة إلى حفل موسيقي.

فرنسا

مركز دولي للحفاظ على التراث الإنساني

أعلن **فريديكو مايور المدير العام لمنظمة اليونسكو** عن إنشاء **مركز الحفاظ على التراث الإنساني العالمي في باريس** يضم خبراء من قطاعي العلوم والثقافة بالمنظمة مكلفين بتطبيق اتفاقية التراث العالمي التي أبرمت عام ١٩٧٢م.

وكانت **١٢٧ دولة** قد وقعت قبل عشرين عامًا بنود الاتفاقية التي تضم **٣٥٨ موقعًا تراثيًا وأثريًا فريدًا.** وبمقتضى الاتفاقية تعد دول العالم المختلفة مسؤولة بصفة مباشرة عن حماية التراث الإنساني.

أول ديوان للشعر العالمي

يصدر **البينالي الدولي للشعراء** في باريس خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٢م **أول ديوان للشعر العالمي** باللغة الفرنسية بإشراف مدير البينالي الشاعر والناقد الفرنسي **هنري ديلوي** رئيس تحرير مجلة «أكسيون بويتيك» الشعرية.

يضم الديوان **قصائد لسبعة وأربعين شاعرًا يمثلون ١٢ لغة عالمية من بينها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية والإسبانية واليونانية والعربية** التي يمثلها شاعر واحد هو الشاعر المصري **رفعت سلام،** وقد ترجمت قصائده للغة الفرنسية.

رسائل جامعية

● **«مفهوم الصيرورة في الفكر الأدبي الحديث من ١٧٨٩ – ١٩١٤م»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بطنطا، تقدم بها **عصام عبد الله.**

● **«تحليل مواقع مدارس البنات الثانوية في منطقة غرب الرياض التعليمية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها **ناصر مرشد الزير.**

● **« وفيات الأطفال الرضع في مدينة جدة: دراسة تحليلية في جغرافيا السكان من عام ١٩٨١ – ١٩٨٩م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الجغرافيا بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدمت بها **فايدة كامل يوسف بوقري.**

● **« الإنسان وفلسفة يسبرز»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في بنها، تقدم بها **مسعد عطية صقر.**

● **« دور البنوك في تنمية المجتمعات الجديدة»** عنوان رسالة دكتوراه في إدارة الأعمال نوقشت في كلية التجارة بجامعة المنصورة، تقدم بها **محمد عبد الحافظ البغدادي.**

● **«الاستقرار الهيدرومغناطيسي السطح أسطواني»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم للبنات بالدمام، تقدمت بها **ريم توفيق ابن علي الخيري.**

● **«صورة الدول العربية في أعمال نزار قباني السياسية»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية تقدم بها **إلياس جرجي صالح.**

● **«أعمال الكاتب البريطاني كريستوف ابشرودد»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها **سحر عبد المحسن حمودة.**

● **«أدب فخري أبو السعود»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في

من الشعراء الذين اختيرت قصائدهم : **سوزان هاو، ومايكل بالمر** (الولايات المتحدة)، **وليليان جيرودو، وجان شارل ديبول وميشيل ديجي، وكلود ميشيل كلوني** (فرنسا)، **وإيفان جدانوف** (روسيا)، **وميلود إنجليس** (إيطاليا)، **وأورسولا كريشيل** (ألمانيا)، **ونينو جوديس** (البرتغال) **ونيكي مارانجو** (اليونان) وآخرون.

جائزة لأفضل شريط عن الأطفال

أعلنت منظمة اليونيسيف العالمية عن **جائزة لأفضل شريط فيديو وثائقي مسجل عن الأطفال.**

ورصدت المنظمة مبلغ ١٥ ألف دولار جائزة للشريط الفائز، واشترطت ألا يكتفي الشريط بعرض مشكلات الأطفال فقط، وإنما يوضح أيضا كيف يتم تعاون المجموعات وتحسين عملها.

ويمكن لشركات الفيديو العربية الحصول على نموذج دخول المسابقة من مكاتب المنظمة في البلدان العربية.

معرض لنقوش الأقصر

يقام في المركز الثقافي المصري في باريس خلال شهر جمادى الأولى المقبل أول معرض فرعوني من نوعه تحت عنوان **«نقوش معابد ومقابر الأقصر من ١٥٠ عامًا كيف كانت؟»**.

يتضمن المعرض عرض **٤٠ لوحة فنية** ذات أحجام مختلفة كان الآثاري الفرنسي **ديرون** قد نسخها في القرن الميلادي الماضي بالورق المضغوط من جدران أهم معابد الأقصر ومقابرها.

يفتتح المعرض وزير الثقافة الفرنسي **جاك لانج** والسفير المصري في باريس **أحمد صدقي.**

جائزة لتشجيع الأدباء الشباب

قررت مؤسسة **هاشيت** للنشر والتوزيع إنشاء جائزة قيمتها ١٥٠ ألف فرنك فرنسي لتشجيع الأدباء الشبان على نشر نتاجهم.

ويذكر أن المؤسسة تعد من أكبر دور النشر الفرنسية وأقدمها حيث أنشئت عام ١٨٢٦م.

جائزة بوليفار لسوكي ونيريري


جوليوس نيريري

منحت منظمة اليونسكو **جائزة سيمون بوليفار الدولية** لعام ١٩٩٢م للسيدة **أونج سوكي** زعيمة المعارضة في ميانمار المحتجزة حاليًا في منزلها بالمشاركة مع الرئيس التنزاني السابق **جوليوس نيريري.**

وتعد السيدة سوكي التي سبق لها **الفوز عام ١٩٩١م بجائزة نوبل** للسلام أول سيدة تفوز بجائزة بوليفار.

معرض لفن اللورين

استضاف متحف الفنون الجميلة في باريس - مؤخرًا - معرضًا بعنوان **«فن اللورين خلال عصر جاك كالو»** بمناسبة مرور خمسمائة عام على مولد ذلك الفنان التشكيلي الفرنسي.

ضم المعرض لوحات لفناني اللورين الذين عاصروا ظهور **كالو**، من بينهم **جورج لانور** الذي عرضت له نحو ١٥ لوحة.

ويذكر أن كالو وُلد عام ١٥٩٢م وتوفي ١٦٥٢م، ومن أشهر لوحاته لوحة **«المحتال»** المعروضة حاليًا في متحف اللوفر.

جائزة برنتان لديسياج

منحت **جائزة برنتان الأدبية** للكاتبة الفرنسية **شيفيرلين ديسياج** تقديرًا لجهودها في مجال الأدب.

تبلغ قيمة الجائزة ٥٠ ألف فرنك فرنسي، وقد اختيرت الفائزة من بين أكثر من مائتي كاتب وكاتبة.

بريطانيا

انتقاد تشارلز لإشادته بالقرآن

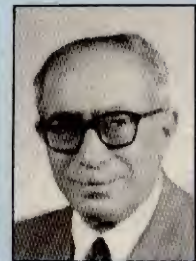
تعرض ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز لانتقاد الأوساط النصرانية لإشادته بالقرآن الكريم في مقدمة لكتاب عن البيئة عنوانه «انقذوا الأرض».

حيث قال **الأمير تشارلز** - وفقا لما ذكرته صحيفة تورنتوستار الكندية - إن سفر التكوين في الإنجيل يعطي رخصة لاستغلال البيئة عن طريق الإيحاء بأن العالم قدم ليكون تحت تصرف الإنسان، فيما يؤكد القرآن الكريم على أن الطبيعة أمانة لدى البشر من عند الله.

وكان ولي العهد البريطاني قد تعرض لنقد مشابه

كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها **عيسى محمد إبراهيم عفيفي.**

● **«العدالة والحرية في فكر الدكتور محمد حسين هيكل: دراسة في علم اجتماع المعرفة»**، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر، تقدمت بها **سميرة أحمد حامد.**


محمد حسين هيكل


فتحي غانم

● **«المتغيرات الاجتماعية وأثرها في أدب الروائي فتحي غانم»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق تقدم بها **أحمد الحسيني.**

● **«دراسة تحليلية لأغاني البادية في الكويت»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الموسيقى العربية في القاهرة، تقدم بها **بندر عبيد علي.**

● **«فاعلية استراتيجية لتدريس الكيمياء للوصول إلى مستوى الإتقان»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بجامعة الملك سعود في الرياض تقدمت بها **ملاك بنت محمد الحمد السليم.**

● **«وسائل الاتصال المطبوع وأثرها على المجتمعات الحديثة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الفنون الجميلة في المنيا بمصر، تقدم بها **صالح محمد عبد المعطي.**

● **«دور المجمعات القروية في التنمية الريفية في منطقة عسير»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **محمد عبد الله عائض العمري.**

● **«صورة الرجل عند الكاتبات المصريات في القصة القصيرة منذ عام ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٨٧م»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا، تقدمت بها **سوسن ناجي رضوان.**



قبل سنوات عندما **أنشأ قسمًا للدراسات الإسلامية** في جامعة ويلز وأسند رئاسته إلى مسلم، وسمح لعلماء المسلمين بالتدريس فيه.

صبي يرأس تحرير جريدة «صن»

فاجأت جريدة الشمس (صن) **البريطانية قراءها** ـ مؤخرًا ـ بأن كلفت صبيا في الثالثة عشرة من عمره برئاسة تحريرها لمدة يوم واحد.

وكان الصبي ويدعى **جانيش سيتامبالام** قد أدهش المجتمع البريطاني بنبوغه حين تخرج من الجامعة وهو في هذه السن، فصار أصغر خريج جامعي في بريطانيا.

«الأولى»

ذلك هو عنوان **أحدث صحيفة عربية مهاجرة** صدر عددها الأول ـ مؤخرًا ـ في لندن عن شركة الأولى للصحافة والنشر.

و«الأولى» جريدة أسبوعية سياسية اقتصادية، يرأس تحريرها **محمد زين**.

مهرجان للشعر

تستضيف مدينة لندن في أكتوبر (تشرين الأول) الجاري **المهرجان السنوي الدولي للشعر**.

وينتظر أن يشارك في هذا المهرجان الذي بدأ لأول مرة في الستينيات الميلادية نحو ٦٠ من **فطاحل شعراء العالم**.

جائزة فريست بريد لريتشسون

منحت **جائزة فريست بريد** للكتاب السنوي **لجون ريتشسون** عن الجزء الأول من السيرة الذاتية للفنان التشكيلي العالمي الراحل **بيكاسو** التي تتكون من أربعة أجزاء..

وكان ريتشسون أحد أقرب الأصدقاء إلى الفنان الراحل.

إيطاليا

من أحدث الكتب

● **النساء المسلمات المحجبات**، تأليف الصحافية المغربية **هند ترجي**، صدرت ترجمته إلى اللغة الإيطالية في روما.

ألمانيا

العدل والسلام في المسيحية والإسلام

تنظم جامعة مونستر الألمانية خلال شهر (نوفمبر) تشرين الثاني المقبل مؤتمرًا بعنوان: **«العدل والسلام في التصور المسيحي والإسلامي»**.

يشارك في المؤتمر الذي يستمر ثلاثة أيام ستة باحثين من ألمانيا ومصر ولبنان منهم: د. **محمود زقزوق** عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، **وفرانس فورجر** الأستاذ بكلية اللاهوت بجامعة مونستر، والدكتور الألماني المسلم **محمد سالم عبد الله**، وأستاذ اللاهوت د. هاينز جونتر.

موسوعة بروك هاوس

صدرت ـ مؤخرًا ـ في مدينة برلين **«موسوعة بروك هاوس»** وهي موسوعة علمية حديثة عدها الباحثون أهم الموسوعات الصادرة خلال القرن الميلادي الحالي.

تنقسم الموسوعة إلى **٢٤ جزءًا** وتضم نحو **١٧ ألف صفحة**، وهي مزودة بحوالي ٣ آلاف صورة وخريطة وجدول إحصائي بياني.

النمسا

معرض «العالم الحديث»

افتتح ـ مؤخرًا ـ في فيينا معرض فني تحت عنوان **«العالم الحديث»**.

ضم المعرض لوحات تعبر عن تاريخ بعض الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية والنمسا وهولندا، رسمها فنانون نمساويون يعود تاريخ بعضها إلى الفترة ما بين عامي ١٦٤٩ ـ ١٦٥٤م من أهمها لوحة **«أستردام الجديدة»** التي عثر عليها في المكتبة الوطنية بفيينا.

هولندا

معجم شامل للغة الهولندية

يعكف لغويون ومحررون هولنديون حاليًا على وضع اللمسات الأخيرة **لأول معجم تاريخي للغة الهولندية الحديثة**.

وسيجئ المعجم على غرار **معجم أكسفورد البريطاني**، وينتظر أن يغطي بعد استكماله كل كلمة استخدمت في هولندا خلال الفترة بين ١٥٠٠ ـ ١٩٣١م مع شروح لأصلها وتطور معناها وأمثلة لاستخداماتها.

وكان الجزء الأول من المجلد الأول للمعجم قد صدر عام ١٨١٤م وصدر المجلد الأول بكامل أجزائه قبل نحو ١١٠ أعوام ـ ويضم المعجم ـ حتى الآن ـ نحو **٤٠ ألف صفحة تحتوي على قرابة مليون كلمة**.

السويد

مؤتمر للجمعيات الكلاسيكية

شاركت **٢٠٠ جمعية كلاسيكية** من مختلف أنحاء العالم في مؤتمر عقد في ستوكهولم خلال الشهر الماضي.

ناقش المؤتمر عددًا من القضايا الأدبية والفكرية والتاريخية، **ونظمه الاتحاد الدولي للجمعيات الكلاسيكية**.

النرويج

مهرجان لأعمال ابسن

أقيم في أوسلو مهرجان كبير لأهم أعمال الكاتب والأديب النرويجي **هنريك ابسن**.

شمل المهرجان مناقشات لأهم أعماله واتجاهاته الأدبية والفلسفية، وتأثيره الثقافي والفكري عبر عدة ندوات شارك فيها أدباء ومفكرون من جميع أنحاء العالم.

البرازيل

مجلة إسلامية ثقافية

صدر ـ مؤخرًا ـ باللغتين العربية والبرتغالية مجلة إسلامية شهرية ثقافية تحمل اسم **«الفجر»** هي الأولى من نوعها في أمريكا اللاتينية.

شارك في إصدار المجلة عدد من المؤسسات الإسلامية العالمية العاملة في مجالي الدعوة والإغاثة.

فنزويلا

وكالة أنباء ثقافية لأمريكا اللاتينية

ناقش المؤتمر الأيبيروأمريكي للصحافة الثقافية خلال انعقاده مؤخرًا في كاراكاس مشروعًا مقترحًا لإنشاء **وكالة أنباء ثقافية لبلدان أمريكا اللاتينية** تفتتح ـ كبداية ـ فروعًا لها في فنزويلا، وكولومبيا، والمكسيك، ثم تتوسع تدريجيًا بحيث تمتد خدماتها إلى باقي بلدان أمريكا.

ودرس المشاركون عدة موضوعات تتعلق بالصحافة الثقافية مثل: حواجز العزلة الثقافية بين بلدان أمريكا

اللاتينية، والعرض والطلب في الصحافة الثقافية في الوقت الحالي، والمثقفون والرقابة ومهمات الصحافة الثقافية وغاياتها وموضوعات أخرى.

شارك في المؤتمر صحافيون ومراسلون ثقافيون من: **بيرو، والبرازيل، وكولومبيا، وفنزويلا، وكوبا، والمكسيك، وشيلي، والولايات المتحدة، وإسبانيا، والبرتغال.**

(والفكرة مهداة إلى المثقفين والمجلات الثقافية العربية).

هندوراس

اكتشاف مدفن يعود لحضارة المايا

أعلن فريق من علماء الولايات المتحدة وهندوراس أنهم اكتشفوا ما يعتقد أنه **مقبرة ملك من ملوك شعب «المايا»** عاش قبل ١٤٠٠ سنة في مدينة كوبان غربي هندوراس التي كانت مركز ثقافة ودين المايا.

ويعتقد العلماء أن المدفن يخص الحاكم السابع **لمدينة كوبان** ويعكفون حاليًا على التأكد من صحة هذا الرأي.

والمدفن المكتشف عبارة عن غرفة طولها نحو ٣,٥ مترا وعرضها متر واحد، وأعلاها حجارة هشة يخشى أن تسقط، ويجري ترميمها، وقد طليت جدران المقبرة باللون الأحمر، ومعظم الطلاء تساقط على الأرض. وقد عثر فيها على بقايا آدمية وبجانبها فخاريات وجواهر.

ويعد هذا الكشف ـ كما وصفه أحد الباحثين ـ بمثابة **نافذة في غرفة مظلمة يمكن من خلالها الإطلال على ماضي حضارة المايا** التي عرفت ازدهارًا في العديد من مناحي الحياة العلمية والاجتماعية.

الصين

أخف المصاحف وزنًا

أعلن مسلم صيني يدعى **ماتشي** في التسعين من عمره ومقيم في مقاطعة سينشوان عن امتلاكه أخف وأصغر مصحف في العالم حيث يبلغ **وزنه ٦ جرامات وطوله ٢,٧ سنتيمترا**، وسمكه ١ سنتيمتر.

وقال ماتشي إنه ورث المصحف عن أجداده ويحرص عليه دائمًا حتى لا يفقده.

ولم تذكر وكالات الأنباء التي أوردت الخبر شيئًا عن تاريخ كتابة ذلك المصحف أو اسم الخطاط الذي كتبه.

وفاة عالم ذرة

توفي ـ مؤخرًا ـ عالم الذرة الصيني **كيان سانلیانج**، أحد الذين شاركوا في صناعة القنبلة النووية الصينية عن عمر يناهز ٧٩ عامًا.

وُلد **كيان** في ١٦/١٠/١٩١٣م، وتحصل على درجة **الدكتوراه من باريس** التي أقام بها خلال الفترة ما بين عامي ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨م، وحصل خلالها على **جائزة العلوم الفيزيائية من أكاديمية العلوم الفرنسية** عام١٩٤٦م.

وبعد عودته من فرنسا انضم إلى هيئة تدريس **جامعة كينجا** الصينية، ثم شارك في تنفيذ مشروع البرنامج القومي النووي لبلاده، كما رأس المعهد الصيني للبحث النووي منذ إنشائه عام ١٩٥٨م.

اليابان

رحيل ماتسوموتو

توفي ـ مؤخرًا ـ كاتب الرواية البوليسية **الياباني سيسو ماتسوموتو** عن عمر يناهز ٨٢ عامًا.

وقد اشتهر سيسو بكتاباته البوليسية رغم أنه ترك عدة روايات اجتماعية وتاريخية.

ويعد الكاتب الراحل مؤسس الحركة الأدبية اليابانية الحديثة، وقد بدأ رحلته في عالم الأدب عام ١٩٥٢م وحصل على جائزة «اكوتاجاوا» أكبر جوائز اليابان الأدبية عن روايته **«تاريخ صحيفة دي كوكيورا»**، وترجمت بعض أعماله إلى اللغة الفرنسية.

ومن رواياته: **«نفط وخطوط»، و«أنانية من رجل»، و«الصوت»**.

الولايات المتحدة

معرض للفنون الإسلامية وآخر فرعوني

أقيم في مدينة نيويورك ـ مؤخرًا ـ **معرض للفنون الإسلامية الأندلسية** تضمن مجموعات نادرة من القطع والتحف الفنية التي توضح ـ في مجملها ـ مدى التطور الذي بلغه المسلمون الأندلسيون في حقول الهندسة التشكيلية والمعمارية والزخرفة.

وكان المعرض قد أقيم من قبل في **كندا وإسبانيا**، وقد جمعت محتوياته من ١٤ دولة و٦٠ مؤسسة فنية.

من ناحية ثانية استضافت **مدينة كليفلاند ـ مؤخرًا ـ معرضًا للمصريات** بعنوان **«شمس مصر المبهرة: امنحتب الثالث وعالمه»**.

ضم المعرض قطعًا فنية تعود إلى ما قبل ٣٣٠٠ عام، جمعت من ٣٠ مجموعة فنية كبرى في مصر والولايات المتحدة وأوروبا، وجميعها تتعلق بالفرعون امنحتب الذي حكم مصر ما بين عامي ١٣٩١ ـ ١٣٥٣ قبل الميلاد.

تشيلي

نهاية مأساوية لكاتب تشيلي

أنهى الكاتب التشيلي **ألفونسو الكادي** البالغ من العمر ٧١ عامًا حياته نهاية مأساوية بانتحاره تخلصًا من العزلة التي عانى منها في السنين الأخيرة وأدت لإصابته باكتئاب حاد.

وألفونسو صحافي وناقد وقاص، تحصل على عدة جوائز تقديرية داخل بلاده وخارجها.

وكان قد هاجر عقب الانقلاب العسكري في بلاده عام ١٩٧٣م إلى الأرجنتين ومنها إلى رومانيا وإسبانيا التي طبع فيها بعض أعماله، ثم عاد ليستقر في مدينة طومي جنوب العاصمة التشيلية، وفيها كانت وفاته.

المكسيك

معرض لحضارة الأزتيك

أقيم في مدينة مكسيكو **معرض لحضارة الأزتيك** الذين كانوا يحكمون المكسيك قبل اكتشافها وغزوها بواسطة الإسبان.

ضم المعرض **٢٠٠ قطعة أثرية** ما بين أدوات منزلية وأوان وأسلحة، وأقيم تحت عنوان «الأزتيك: عالم موكتزوما» لتقديم فكرة عن عالم الأزتيك في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والفنية.

من المقرر أن ينتقل المعرض خلال شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٩٢م إلى كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية.

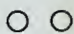
مالطا

أحدث الكتب

● **العالم الإسلامي والنظام الدولي: الخلفية التاريخية والتحولات المعاصرة،** تأليف مجموعة من الباحثين.

● **الاتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠م،** تأليف **جون نيصبات وباترشيا ابروين،** مراجعة **العجيلي الميري**.

صدر الكتابان السابقان عن مركز دراسات العالم الإسلامي.



على موعد



المُقَنَّع

القناع في اللغة هو ما يتغطى به، وتقنّع المرء أي لبس القناع. وقد عرفت العرب القناع قديماً واستعملته، فالمقنع الكندي مثلاً كان يلبسه خوفاً من العين - الحسد - وذلك لجماله ووضاءة وجهه. ولم تكن العرب تستعمله - فيما يبدو - لغرض آخر غير ذلك.

وفي العصر الحديث أصبح استعمال القناع شائعاً ورائجاً، ولكن ليس في أوساط ذوي الجمال، وإنما هو رائج بين اللصوص والفتاك والقتلة والمجرمين يقنّعون به وجوههم عند ارتكاب الجريمة خشية من عين العدالة. وتطورت أساليب الأقنعة كثيراً. وتعددت أساليب استخدامها، فهناك الأقنعة المحسوسة الملموسة، وهناك الأخرى غير المرئية أو الملموسة، وهذه بطبيعة الحال أشدها خطراً وأذى!

والمقنعون في زمننا هذا كثيرا جدًّا، فلقد أصبح للتقنع أسباب وأهداف وأغراض متعددة، بل لقد أصبح التقنع سمة من سمات عصرنا هذا، فربما أنه «زمن الأقنعة»! غير أن أسوأ الأقنعة على الإطلاق هي أقنعة الفكر! فليس أسوأ من المداجاة واستدراج العقول وتضليلها ومخادعتها من أجل الوصول إلى الأهداف والغايات بمثل هذا الأسلوب، حيث إن أصحاب هذا التوّجه يستندون إلى أن ذلك - في سبيل تحقيق المرامي والأغراض - أمر تقتضيه المصلحة، ويستدعيه الموقف. وبما أنه سيحقق الأهداف أو يمنح الثقة فلا مانع من اتباعه! بل إن البعض من أولئك يرى أن تلك «استراتيجية» و «تكتيك» قد تفرضه الحالة، أو المرحلة. وأن هذا نوع من أنواع الدهاء والمناورة الذكية، فالغاية هنا تبرر الوسيلة، وليس شرطا أن تكون الوسيلة واضحة، بل ليس شرطا أن تكون نظيفة ونقية، كما أنه ليس مهماً أن تظهر الأفكار الحقيقية عاجلاً، بل من الواجب ألاّ تظهر إلاّ حينما يكون الوقت مناسباً ومواتياً، وفي تلك اللحظة يكون الاستعداد على أتمه؛ ويكون التنفيذ ممكناً! ولكن هل ينجح مثل هذا الأسلوب؟! نعم، ربما يحقق ذلك بعض النجاح، أو ربما يحقق نجاحاً سريعا، غير أنه سيظل نجاحاً هشاً ومؤقتا، لا يلبث أن ينكشف ما وراءه، ويتعرى؛ لأن صاحبه مهماً تدرأ بالتضليل والخداع والمناورة، ومهما حاول «صنع» شخصية فكرية مزدوجة، واحدة ظاهرة يمارس بها مكره وتلاعبه، يعلنها في الناس، ويناقش ويحاور باسمها، وأخرى خفية مستترة مستكنة، يخطط لتمكينها، وتثبيتها ومن ثم الإعلان عنها وإظهارها في الوقت المناسب، فإن شخصيته الأولى ستنكشف؛ لأنها شخصية واهية، مفتعلة، تفتقد إلى الأصالة، والمبدأ والخلق، والصدق، ومن ثم فإنها ستنتهك، وتتمزق خيوطها لتظهر الشخصية الحقيقية، والوجه الحقيقي، المتواري خلف القناع.

هذه ناحية، أما الأخرى فإنه لن يستطيع المراوغة والانفلات من تأثير هويته الحقيقية، فهي وإن حاول المداهنة، والمخاتلة، والمداجاة، فإنه سيظل أسير سلطتها، ولا بد أن تعلن عن نفسها في السلوك، والتصرف، ولحن القول، لأنها هي المؤثر، والحافز، والعامل الأكبر، والذي من أجله داهن، وراوغ، وتذاكى. وقديماً قيل:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ثم إن «تلّون» تلك الشخصية الماكرة لن يسعف صاحبها في إخفاء نواياه، وخبثه، لأن حاسة الناس وإدراكهم أقوى كثيراً من تذاكيه وخداعه، حتى وإن تستر ودلس وزيف، فعمله هذا أشبه بصلاة حارثة بن بدر والتي قال الشاعر فيها:

ألم تر أن حارثة بن بدر   يصلي وهو أكفر من حمار

فصلاة حارثة بن بدر هذا لم تستطع أن تستر سوأته، وأن تخفي نفاقه، ونجاسة وقذارة ضميره، وكفره الفظيع وغباءه الأفظع! إذن فإن اللجوء إلى الأساليب المضللة ليس ذكاء مطلقاً وليس سلوكاً نظيفاً شريفاً، بل إن ذلك السلوك حري بإحراق الأقنعة وكشف الغش والزيف. كما أنه من الفطنة والدهاء الإدراك بأن في الآخرين فطنة وذكاء، وأن أساليب النعام لا تخدع إلا النعام فقط. والله من وراء القصد.

عبدالله الناصر

- لندن -

(من كتاب العدد) ص ١٢٧